

نهج البلاغة

في

فتوى الأئمة

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثالث والعشرون

مراجعة

د. محمد مصطفى زياده

تحقيق

د. أحمد كمال زكي



المكتبة الوطنية للتراث والثقافة

نَهَائِيْرُ الْاَرْبِ

فِي

فِتْوَا الْاَرْبِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو الجزء الحادى والعشرون من «نهاية الأرب» بتجزئة النويرى ، والثالث والعشرون بالتجزئة التى يصدر بها اليوم . نختصر فى تقديمه مكتفين بما جاء قبله ، مقرين بأن الطريقة هنا هى تقريبا الطريقة هناك ، وأن الرجوع إلى المطان عندنا لا يختلف عن الرجوع عند غيرنا إلا فى ربط القديم بالجديد إيماننا منا بأن للتاريخ فلسفة لم يبلورها الأولون !

ولقد كان العمل فى إخراج «نهاية الأرب» موكولا لأكفاء من غير شك غير أن صدور كل واحد منهم بأسلوبه الخاص أتاح للجميع أن يبسطوا أدمعهم ويكشفوا عن منهجهم ، ومن ثم تبيأ لنا أن نتقدم بما يبين دورنا فى نشر هذا الجزء ، وإذا كان علينا أن نقول شيئا بادئى ذى بدء قلنا إننا اعتمادنا فى نشر هذا الجزء على نسخة صورتها الجامعة العربية من نسخة محفوظة

تحت رقم ١٣٦٩ بأمانة خزينة في استنبول ، وقد كتب في نهايته أنه
 كمل « على يده مؤلفه التفسير إلى حضوره أسد بن عبد الوهاب
 ووافق الفراغ منه في يوم الثلاثاء لخمس ليالٍ بقين من صفر
 سنة أربع وعشرين وسبعمائة » .

على أن احتمال كون هذا الجزء مع ذلك بخط المؤلف هو قدر
 احتماله ألا يكون ، فإذا تحرر الخط ، وجودته - برغم قلة النقط.
 فيه - وعدم السقط ، ونذرة الأخطاء التي تقع عادةً من المخلصين
 والنويرى واحدٌ منهم .. كل ذلك كان من غير شك حافزاً إلى أن
 نقابل هذه الصورة - وقد رمزنا لها بالحرف « ا » - بمصورتين
 أخريين إحداهما عن نسخة من كوبريللى بالآستانة ، والأخرى عن
 نسخة من الفاتيكان .

أما مصورة كوبريللى - ونرمز لها بالحرف « ك » وهي تحت
 رقم ٥٤٩ بدار الكتب - فهي في جودة الخط الذي حررت به
 « ا » .. بل قد تفضلها بكثرة نقطتها وإن يكن الخطأ فيها متعدداً!
 وتماز بزيادات مفيدة لعل لنا نسخها فضل إضافتها - إن كان
 هذا فضلاً - وتدل على حسن إدراك يرفع من قيمتها على نحو من
 الأنحاء ، ولعل هذا هو ما حدا بنا إلى أن نجعلها في المرتبة
 الثانية بعد « ا » .

فإذا عرضنا لمصورة الفاتيكان ٧٣٩ - وهي محفوظة بدار الكتب
 تحت رقم ٥٩٢ معارف عامة ورمزنا لها بالحرف « ف » - فكأننا
 نعرض للمصورة « ا » تماماً .. فهي من الناحية التاريخية نسخت سنة

٧٣٩ للهجرة والنويرى مات سنة ٧٣٢ كما في المنهل الصافي ،
وهى من الناحية الفنية لا تخرج عن الإطار الذى حدده المؤلف
لأجزائه ، بل ربما وضحت بعض الأعلام وضبطتها .

نقول إن المصورة وف همد القيدة ، إلا أن رداة خطها -
بالنسبة إلى نسخة المؤلف - وصغر حروفها ، وعدم تحديد بدايات
الستين ، وضياع العناوين و سياق الكلام .. كل أولئك يقيم شتى
صعوبات أمام القارئ العادى ، ويحمل ناسخها إبراهيم بن محمد
ابن ناهض الحلبى بخص و زر ما كان يصرف أحداً عن الانتفاع بها
كما ينبغى أن يكون الانتفاع .

ومع ذلك فهى كاملة إذا قيست بغيرها من المخطوطات القديمة ،
وهى فى ١٣٧ صفحة مزدوجة وقفنا إزاءها وقفنا إزاء « ١١٠ ..
فكنا نذكر رقم الصفحة الواحدة متبوعاً بالالف أو بباء ، على حسب
وقوع الكلام فيها يمينا أو شمالا ؛ فذكر خلافة المتعصم بالله
مثلا يقع فى صفحة ٩٤ - ١ ، و ذكر مقتله يقع فى ٩٤ - ب ، و ذكر
إمارة عبد الرحمن بن محمد فى صفحة ١١٦ - ١ ، و ذكر إمارة الحكم
فى ١١٦ - ب وهكذا ...

والجدير بالذكر أنها ، باستثناء ما ورد فى ١٣٢ - ب ، تخلو
من العناوين الجانبية إلا ما فات من السياق ؛ فكان يثبت
فى الهامش على ما جاء فى ٥٧ - ب و ٦٧ - ١ ، وثمة مقط. واحد
فى ٦١ - ب ، لم ينوه عنه إطلاقا ، ومحو بعض كلام فى ٣٨ -
ب ، ويقعنا حبر فى ١٢٤

يبقى بعد ذلك شيء طريف لا منلوحة عن ذكره ، هو أن القارئ يجد لأحد رجال دار الكتب تعليقا ظهر الغلاف يقول : « بداية هذا الجزء توافق بداية الجزء الواحد والمشرين من تجزئة المؤلف وينتهي بنهايته ، وما كتب على صفحة عنوانه تدليس » وأما ما كتب فهو « الجزء الثاني من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب » بخط. يخالف خط المتن ، ثم نرى صرنا بالحير على كلام في السياق يخفى شيئا أراد أحدهم ألا يصلنا. والظاهر أن هذه النسخة امتحنت مرتين ، إحداهما حين نزع غلافها الأصلي وأضيف لها غلاف جديد ، والأخرى حين طمس آثم جانبا أراد طمسه ، واستتبع هذا إخفاء بعض سياق الخاتمة بالريشة نفسها ، وهكذا يبعث بالتراث !

وأخيراً ، فكم كنا نحب ألا نختم هذه المقدمة الآن .. كنا نحب ألا نختمها حتى نستوفى الكلام على صنيع النويرى من تصنيف ورواية عن سبقه في حقل التاريخ كابن الأثير وابن الجوزى وابن الرقيق وابن شداد ، بل على صنيعه إزاء بعض الحوادث دون بعض ، ومروره على موقف من المتعجل وتلبسه على آخر تلبث المتأني .. ونستخرج خصائص تأليفه وسهات أسلوبه ونكشفت عن شخصيته التي تركها على نقوله من غيره ، بيد أننا رأينا أن هذا - فضلا عن أنه يحتاج إلى تفصيل كبير يحيد بهذا الجزء عن الطريق الذي رسم لإخوته .

من أجل ذلك طرحنا كل شيء وفي النفس أن نعود إلى المؤلف في مكان آخر وبدراسة أوفى . . نبين فيها ما نريد ،

ونوسع ما يضيق عنه المجال هنا ، غير أننا نأمل أن تكون إشاراتنا في الهوامش لبعض ما وقف عنده النويرى دليلاً على خطره هو بين الموسوعيين الذين تفخز بهم عربيتنا على الأجيال .

إن هذا الرجل أحد المصريين القلائل الذين جمعوا إلى فن الكتابة صناعاتٍ آخر ، وفي ظلّ السلطان الملك الناصر باشر نظر الجيش وتولى ديوان الدقهلية والمرتاحية ، ورصد تاريخاً يعتبر إلى الآن من أهم المراجع كما يقول فازيليف .

دكتور أحمد كمال زكى

ذكر خلافة المكتفى بالله

١٤٠ - ك

هو أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد بن المهدي - وهو الملقب بالناصر لدين الله - بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين (١) . وأمه خاضع أم ولد وتلقب بجيجك (٢) ، وقيل اسمها جنجورا ، وهو الخليفة السابع عشر من الخلفاء العباسيين . بُويغ له يوم الإثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وما تتين -

(١) المفروض أن اعتد في إخراج هذا النص على «هـ» وهي صورة النسخة التي بخط المؤلف ، غير أن الصفحات الأولى منها غير واضحة فكان لابد من الرجوع إلى مصورة «ك» مع مقابلتها بالمصورة «ف» .

(٢) في ك صفحة ١٤٠ وفي ف صفحة ٢ - «جيجقه» قريبة لما في التنبية والإشراف ٣٢١ «جيجق» وما هاهنا من تاريخ الطبري ٨ : ٢٥ والكامل ٦ : ١١٩ لفظ تركي معناه زهرة . راجع Vahit في (Istanbul 1931). An English and Turkish Dictionary.

في صفحة ١٦٤ يقول Flower : çiçek

وكان إذ ذاك بالرقّة - فبايع له الوزير القاسمُ بن عبّيد الله بن سليمان ابن وهب ، وكتب له يعلمه بوفاة أبيه وأخذ البيعة له .
فلما وصله الخبرُ ، أخذ البيعة على مَنْ عنده من الأجناد ، ووضع لهم العطاء ، وسار إلى بغداد ، ووجه إلى النواحي بديار ربيعةً ومضر ونواحي العرب^(١) من يضبطها . ودخل بغداد لثمانٍ خلّون من جمادى الأولى ، فلما صار إلى منزله أمر بهذم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم

ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله

وكان سببُ قتله أن القاسم - الوزير - كان قد همّ بنقل الخلافة إلى غير ولد المعتضد بعده ، فقال لبدر ذلك في حياة المعتضد بعد أن استحلّفه أن يكتم عليه فقال بدرٌ : ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي وولى نعمنى فلم يمكنه مخالفته لأنه صاحب الجيش ، وحقد هاعليه فلما مات المعتضد كان بدرٌ بفارس فعقد القاسمُ البيعةً للمكتفى ، وعمل على هلاك بدرٍ خوفاً على نفسه أن يذكر للمكتفى ما كان منه . وكان المكتفى مباحداً لبدر في حياة المعتضد ، فوجه إلى القواد الذين مع بدر بأمرهم بمفارقتهم والمصير إليه ، ففارقه جماعة وأقبلوا إلى المكتفى فأحسن إليهم .

وسار بدرٌ إلى الموصل وواسط . فوكل المكتفى بداره ، وقبض

(١) في ك صفحة ١٤٠ وفي ف صفحة ٢-١ ، نواحي المغرب هو ما هنا من

على أصحابه وقواده فحبسهم ، وأمر بمحو اسمه من الأعلام والتراس^(١) . وسير الحسن بن علي إلى كورة^(٢) واسط في جيش ، وأرسل بدرٌ يعرض عليه أيّ النواحي شاء ، فأبى ذلك وقال : لا بدُّ من المصير إلى باب مولاى !

فوجد القاسمُ مساعًا للقول^(٣) ، وخوفَ المكتفى غائلته . وبلغ بدرًا ما فعلَ بأصحابه فأرسل من يأتيه بولده هلالٍ سرًا ، فعلم الوزير بذلك فاحتاط . عليه ، ودعا قاضي الجانب الشرقي وأمره بالمسير إلى بدر وأن يطيب قلبه عن المكتفى ويعطيه الأمان على نفسه وولده وماله ، فقال القاضي أبو حازم : أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين ! فصرفه ودعا أبا عمر القاضي ، وأمره بمثل ذلك فأجابته ، وسار بكتاب الأمان . فسار بدرٌ عن واسط إلى بغداد فأرسل إليه الوزير من قتله ، فلما أيقن بالقتل سأله المهلة إلى أن يصلي ركعتين ، فأمهل حتى صلاهما . وضربت عنقه يوم الجمعة ليست خلون من رمضان ، وأخذ رأسه وتركته جثته هناك ، فوجه عياله من أخذها سرا وجعلوها في تابوت ، فلما كان وقت الحج حملوها إلى مكة فدفنوها بها - وكان أوصى بذلك - وأعتق كلُّ مملوك له . ورجع أبو عمر إلى داره كئيبًا لما كان منه ، وقال الناس فيه الشعر ، فمن ذلك قول بعضهم :

(١) التراس : من آلات الحرب للوقاية ، وهي جمع مفردة قرس ، ويجمع أيضا على قروس وأتراس (القاموس المحيط)

(٢) كورة ، ف كما في الطبرى ٨ : ٢١٠ . والكامل ٦ : ١٠٢ « الحسين بن علي

كورة »

(٣) في ك ، ف « مشاعا للقول »

- قُلْ لِقَاضِي مَلِينَةِ الْمَنصُورِ كيف أحللت أخذ رأس الأمير (١)
- عند إعطائه الموائيق والعَهْ سدَّ وعقد الأيمان في منشور (٢)
- أين أيمانك التي شهيد الله ه على أنها يمينا فجور
- إن كفيك لا تفارق كفي - - إلى أن ترى عليك السرير (٣)
- يا قليل الحياء يا كذِّبَ الأُم حة... يا شاهداً شهادة زور
- ليس هذا فعل القضاة ولا يُح - سين أمثاله ولأه الجسور
- أى أمر ركبت في الجمعة الزه راء منه في خير هذى الشهر (٤)
- قدمسى من قتلت في رمضان ضائماً بعد سجدة التغير
- يا بنى يوسف بن يعقوب أضحى أهل بغداد منكم في غرور
- بدد الله شملكم أ وأرانسى ذلكم في حياة هذا الوزير
- فأعدوا الجواب للحكم العا دل من بعد منكر ونكير (٥)
- أنتم كلكم فداء أبى حـا زم المستقيم كل الأمور (٦)
- وفيها (٧) لحق إسحاق القرغاني - وهو من أصحاب بدر -

(١) في الطبرى ٨ : ٢١٢ ، وفي الكامل ٦ : ١٠٢ « بم أحللت أخذ رأس الأمير »

(٢) في الطبرى ٨ : ٢١٢ « بعد إعطائه » ...

(٣) في الكامل ٦ : ١٠٢ « إل أن ترى عليك السرير »

(٤) في ك ، ف صفحة ٢ - ب : بتصحيح صوابه ما أثبتناه ، وفي الطبرى ٨ : ٢١٢ « أى أمر ركبت في الزهراء من خير غير الشهر » وهو خطأ واضح .

(٥) في ك ، ف صفحة ٣ - ١ ، يقول : العدل ، فيختل وزنه ، وأقامه ابن الأثير

في الكامل ٦ : ١٠٣ بروايته « العدل ومن بعد ... »

(٦) في الكامل ٦ : ١٠٣ البيت هكذا

أنتمو كلكم فدى لأبى حـا زم المستقيم كل الأمور

(٧) أى في سنة ٢٨٩

بالبادية وأظهر الخلاف على الخليفة المكتفى ، فحاربه أبو الأغر^(١) فهزمه إسحاق وقتل جماعة من أصحابه .

وفيها خلع المكتفى على هلال بن بذر وغيره من أصحاب أبيه في جمادى الأولى .

وفيها في فصل الصيف هبت ريحٌ باردةٌ بحمص وبغداد من جهة الشمال ، فبرد الوقت واشتد البرد حتى جمد الماء ، واحتاج الناس إلى النار . وفيها هبت ريحٌ عاصفةٌ بالبصرة قلعت كثيرا من نخلها ، وخسف موضع هلك فيه . ستون ألف نفس . وزلزلت بغداد في شهر رجب عشر مرات فتضرع الناس في الجامع فسكنت . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي^(٢)

ودخلت سنة تسعين ومائتين : في هذه السنة اشتد أمر القرامطة ، فجاء أهل الشام ومصر إلى المكتفى يشكون ما يلقون من القرمطي^(٣) من الأتس والسبي والتخريب ؛ فأمر الجند بالتأهب ، وخرج من بغداد في شهر رمضان ، وقدم بين يديه أبا الأغر في

(١) هو خليفة بن المبارك أحد واد العباسيين الكبار ، قامت بينه وبين القرامطة مارك كبار عدة .

(٢) ينسب نسبه إلى عبد الله بن عباس ، وكان صاحب الصلاة ببغداد وأمير مكة والموسم ، حج بالناس نحو عشرين سنة ، وتوفى في صفر من عام ٣٠٦ .

(٣) هو كما في البداية والنهاية ١١ : ٦٩٦ : الحسين بن زكرويه بن محمد وبه ، واجد من أتباع حمدان قرطه هؤلاء الذين قاموا بحركة دينية اجتماعية هدت جهام العالم الإسلامي ، وعلاقت هذه الحركة بالإسماعيلية مضطربة ، ولكن جمهور المؤرخين يرى أنها في العراق وسورية ومصر جزء من الإسماعيلية ، ويظن بعض المستشرقين أن القرامطة في الأصل كيميائيون ثم اتحدوا بالإسماعيلية . تتحلل من الفرائض الدينية المعروفة مجمعين على ضرورة قتل أعدائهم

عشرة آلاف ، وسار إلى الشام . وجعل طريقه على الموصل .
 فنزل أبو الأغر بالقرب من حلب ^(١) ، فكبسهم القرمطي صاحب
 الشامسة ^(٢) فقتل منهم خلقا كثيرا . ودخل أبو الأغر حلب في
 ألف رجل وذلك في شهر رمضان ، وسار القرمطي إلى باب حلب
 فحاربه أبو الأغر بمن بقي معه وأهل البلد ، فرجع عنهم . وسار المكتفى
 حتى نزل الرقة ، وسير الجيوش إليه وجعل أمرهم إلى محمد بن
 سليمان الكاتب ، وكان للقرامطة حروب كثيرة ووقائع نذكرها -
 إن شاء الله تعالى - في أخبارهم ^(٣) .

وفيها أراد المكتفى البناء بسامراء ، وخرج إليها معه الصناع
 فقدروا ما تحتاج إليه فكان ما لا جزيلا ، فعظم الوزير ذلك عليه
 وصرفه عنها ، ورجع إلى بغداد .. وحج بالناس الفضل بن عبد
 الملك بن عبد الله بن عبيد الله العباسي .

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين : في هذه السنة سار
 من طرسوس غلام زرافة ^(٤) نحو بلد الروم ففتح مدينة أنطاكية
 عنوة بالسيف ، فقتل خمسة آلاف وأسر نحوهم ، واستنقذ من
 الأسارى خمسة آلاف ، وأخذ لهم ستين مركبا حملها ما غنم
 من الأموال ، وقدر نصيب كل رجل فكان ألف دينار .

(١) في وادي « بطنان » على ما تذكر الأبيات .

(٢) كان الحسين شامة في وجهه ذكر أنها آية ، على ما يقول المؤرخون .

(٣) استطاع الكاتب ذلك القائد اليقظ أن يقضى على قوة الحسين القرمطي قرب حماه

فهنر ولكنه لا ينبغي !

(٤) يقول عنه ابن الأثير إنه قائد معروف ، وقال عن أنطاكية إنها مدينة تعادل القسطنطينية

وهي على أية حال مدينة عظيمة بأسيا الصغرى قريبة من بحر الروم (ياقوت في معجم البلدان)

وفيها مات الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان^(١) . وحجج
بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وما تتين : في هذه السنة انقرضت
الدولة الطولونية ، واستولى المكتفى بالله على ما بأيديهم بمصر والشام .
وأرسل محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر بمواطاة قواد هارون بن
خمارويه فتوجه ، وقاتله هارون فقتل هارون ، واستولى ابن سليمان
على مصر ، على ما نذكر ذلك مبيّناً - إن شاء الله تعالى - في أخبار
الدولة الطولونية .

قال (٢) : وكتب ابن سليمان بالفتح إلى المكتفى بالله ، فأمر
باشخاص آل طولون إلى بغداد ففعل ذلك ، وولى معونة مصر
عيسى النوشري . ثم ظهر بمصر رجل يعرف بالخليجي^(٣) -
وهو من قواد الدولة الطولونية - فخالف على الخليفة وكثر جمعه ،
وعجز النوشري عنه فتوجه إلى الإسكندرية ، ودخل إبراهيم
الخليجي مصر . فسير إليه المكتفى الجنود مع فاتك^(٤) - وولى
المكتفى - وبدر الحماص ، فساروا في شوال فوصلوا حدود مصر

(١) مات في ذي القعدة من هذه السنة وكان عمره اثنين وسبعين عاماً وثمانية أشهر
تقريباً .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١١

(٣) تتردد الأثبات في رسمه هكذا ورسمه « الخليجي » وقد اختار الطبري الأول ،
واختار ابن الأثير الثاني ، وقد قال عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٣ : ١٥٣)
إنه محمد بن علي الخليجي الأمير أبو عبد الله الطولوني ملك مصر عنوة من النوشري .

(٤) في ف صفحة ٣ - ب « مع قابل » كما في ك وماها هنا من الكامل ٦ : ١١٢

في صفر سنة ثلاث وتسعين (١) . وتقدم أحمد بن كَيْغَلَع في جماعة من القواد ، فلقبهم الخليجي فهزهم بالقرب من العريش أقبح هزيمة . فَنَدَبَ من بغداد جماعةً من القواد فيهم إبراهيم بن كَيْغَلَع ، فخرجوا في شهر ربيع الأول . وبرز المكتفي إلى باب الشَّامِيسِيَّة (٢) يريد المسير لحرب الخليجي لِمَا / بلغه من قُوته - وكان ذلك في شعبان - فورد كتابُ فاتك في شعبان أن القواد رجعوا إلى الخليجي وقاتلوه أشدَّ قتال ، وكانت بينهم حروبٌ آخرها أنه انهزم ودخل فسطاط مصر واستترها ، ودخل عسكرُ الخليفة المدينة وظفروا به ، وحُجِسَ هو ومن استتر عنده . فكتب المكتفي إلى فاتك بِحَمَلِهِ وَمَنْ معه إلى بغداد ، فوصلوا بغداد في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ، ودخل المكتفي بغداد وأمر بِرَدِّ خزائنه وكانت قد بلغت تكريت (٣) .

٢-ك

ومبها - أعنى سنة اثنتين وتسعين أخذ بالبصرة رجل دُكِرَ أنه أراد الخروج ، وأخذ معه ولده وتسعة وثلاثون رجلاً ، وحملوا إلى بغداد وهم يستغيثون ويحلفون أنهم براء (٤) .
فأمر المكتفي بحبسهم

(١) من عادة التورى أن يتعقب الواقعة بمخاطيرها حتى ينتهي منها ، وإن جاوز السنة التي يؤرخ لها كما نرى هنا .

(٢) كان في الشامية التي كانت تجاور دار الروم في أعلى بغداد (معجم البلدان

لياقوت)

(٣) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، سبت على ما ذكر ياقوت بتكريت بنت وال .

وتقع غربي دجلة وبها قلعة حصينة بناها سابور بن أردشير

(٤) نقول في جمع برى « براء » (القاموس المحيط)

وفيهما أخبار أندرونقس^(١) الزوى على مرعش^(٢) ونواحيها ،
فَنَفَرَ أَهْلُ الْمُضَيَّبَةِ وَطَرَسُوسَ فَأَصِيبَ أَبُو الرِّجَالِ بْنِ أَبِي بَكَارٍ
فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَعَزَلَ الْخَلِيفَةُ أَبَا الْعِشَائِرِ عَنِ الثُّغُورِ
وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ رَسْمَ بِنِ بَدْرٍ^(٣) ، وَافْتَدَى رَسْمَ فُكَّانَ جَمَلَةً
مِنْ قُوْدِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ أَلْفَ نَفْسٍ وَمِائَتِي نَفْسٍ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وفيهما كان ابتداء إمارة بني حمدان بالموصل ، وذلك أن المكتفى
بالله ولّى على الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن
حمدون التغلبيّ العدويّ^(٤) ، فقدمها في المحرم ، وخرج في اليوم
الثاني من مقدمه لقتال الأكراد على ما ذكره إن شاء الله تعالى في
أخبار الدولة الحمدانية .

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين : في هذه السنة كان الظفر
بإبراهيم الخليجيّ الملقب على ديار مصر ، وقد ذكرنا ذلك في سنة
اثنيتين وتسعين ومائتين .

(١) في ك « أندريس » وما هنا من ف صفحة ٣ - ب كما في صلة الطبري صفحة ٢

(٢) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، يقول ياقوت إنها حصينة ولها سوران ،
وبوسطها قلعة ، ولها ربض يعرف بالهارونية .

(٣) « بن بردو » في الكامل ٦ : ١١١

(٤) هو رأس الأسرة الحمدانية وصاحب قلعة مازدين القريبة من الموصل ، ويظهر ابن
حمدون على مسرح التاريخ لأول مرة عام ٢٥٤ يوم احتل الموصل مساوور بن عبد الحميد فجع
صاحبها التغلبي جيشا كان فيه حمدان .

وفيها أغارت الروم على قورس - من أعمال حلب - فقاتلهم أهلها قتالاً شديداً، ثم انهزموا وقتل كثير منهم (١). ودخل الروم قورس، وأحرقوا جامعها، وأخذوا من بقي من أهلها. وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك الهاشمي .

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين : في هذه السنة قُتل زكرويه رئيس القرامطة على ما نذكره إن شاء الله تعالى - في أخبارهم (٢) وفيها غزا ابن كَيْقَلغ من طرسوس، فأصاب من الروم أربعة آلاف رأس سبياً ، ودواباً ومتاعاً، ودخل بطريق من بطارقة الروم في الأمان فأسلم . وغزا ابن كَيْقَلغ أيضاً فبلغ شلندوا (٣)

• • •

وافتح اللئيس (٤) فغزم نحواً من خمسين ألف رأس ، وقتل

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١٥ أن معظم القتل من الرووس كانوا من

(٢) لن يقع ذلك في هذا الجزء الذي بأيدينا فنقول إنه خرج يفرزو الحاج فأوقع بهم مرات ، فأرسل المكتفي قائده وصيفاً فقضى على قوته وأمره بعد أن جرح ، وعاش بعد أمره خمسة أيام ثم مات ، وتفرق أصحاب زكرويه في البرية وماتوا عطشا .

(٣) في الكامل ٦ : ١١٧ « شكند » وفي عقد الجمان ٩ ، « د » « شلندو » وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٧٨ (سلند) وكلها لا وجه لها : إلا أن تكون « سننو » قال عنها ياقوت إنها بلد في وسط بلاد الروم غزاه سيف الدولة الحمداني فقال المتنبى :

رضينا والدمستق غير راض بما حكم القواضب والوشح

فإن يقدم فقد زرنا سينلو وإن يحجم فموعدنا الخليج

(٤) مدينة في بلاد الروم

مقتلة عظيمة ، وانصرف ومن معه سالمين . و كاتب أندرونقس
البطريق المكتفى بالله في طلب الأمان فأعطاه ما طلب - وكان
على حرب الثغورين قبيل ملك الروم - فخرج ومعه نحو من مائتي ألف
أسير (١) من المسلمين في السلاح ، فقبضوا على بطريق كان
ملك الروم أرسله ليقبض على أندرونقس - ليحاربوه - فسار
إليه جمع من المسلمين لإغاثته ، فبلغوا قونية (٢) وانصرف
الروم عنه . وسار جماعة من المسلمين إلى أندرونقس وهو في
حصنه ، فخرج إليهم ومعه أهله ، وسار معهم إلى بغداد .
ونحرب المسلمون قونية ، فأرسل ملك الروم إلى الخليفة يطلب
الفداء . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين : في هذه السنة كانت
وفاة إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان وما وراء النهر
وقام بعده ابنه أحمد على ما ذكره - إن شاء الله تعالى -
في أخبارهم (٣)

(١) في الكامل ٦ : ١١٧ . مائتي فقط

(٢) من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها سكنى ملوكها ، وفي كتاب الفتوح يقول
ياقوت « انتهى معاوية بن حديج في غزوه أفريقية إلى قونية وهي موضع مدينة
القيروان » .

(٣) يحق لنا هنا أن نعرف أن هذه الأسرة - وهي زردشتية الأصل - اعتنقت المذهب
السني ، وأنه لم يظهر بعد إسماعيل بن أحمد أمير فيها قدير ، إلا أن متانة الإدارة السامانية مكنتها
من المحافظة على ملكها مائة عام .

ذكر وفاة المكتفى بالله

كانت وفاة المكتفى ببيعتاد ثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وطالت مرضته عدة شهور ، ولما مات دفن بدار محمد بن عبد الله بن ظاهر . وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة ، واختلِف فيه إلى إحدى وثلاثين سنة وشهور^(١) ، وكانت مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان أنهر أعين^(٢) ، قصيرا ، حسن اللحية والوجه . وهو الذى بنى / جامع القصر بمدينة السلام - وكان موضعه مطامير فقطاها - وبني تاج دار الخلافة على دجلة . وأنفق الأموال العظيمة فى حرب القرامطة ، وكان نقش خاتمه « بالله يثق على بن أحمد » .

٣- ك

أولاده : المستكفى بالله ، وثمانية ذكور .

وزراؤه : القاسم بن عبيد الله ، ثم أبو العباس بن الحسن بن أيوب بن سواد جرجرايا^(٣) ، وهو أول وزير منع أصحاب الدواوين الوصول إلى الخليفة .

(١) الواقع أن المكتفمات صغيراً وخلال حكمه القصير بدأ الناس أن العباسية استعادت مجد الخلافة واسترجعت عز سلطانها ، وحسبها أنها تستطيع به أن تقضى على ثورات القرامطة فى الشام وعلى سلطان الطولونيين فى مصر !

(٢) أعين : عظيم سواد العينين فى سعة (المحيط)

(٣) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى (معجم

قضاته : أبو حازم : ثم يوسف بن يعقوب ، ثم أبو عمر
بن علي بن أبي الشوارب

حاجبه : خفيف السمرقندي .

الأمراء بمصر : هارون بن خماروية ، ثم سينان بن أحمد بن
طولون بمبايعة الجند له ، ثم محمد بن سليمان الكاتب دبرها إلى
أن قَدِمَ - بأمر المكتفى - عليها عيسى بن محمد النوشري .
القضاة بها : أبو زرعة وأبو عبيدة مستتر إلى أن قَدِمَ محمد
بن سليمان ، فظهر أبو عبيدة بعد استتاره عشر سنين ، وعاد
إلى القضاء والله أعلم !

ذكر خلافة المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد -
وقد تقدم ذكر نسبه - وأمه أم ولد اسمها شغب ! وهو الثامن
عشر من الخلفاء العباسيين ، بويع له ثلاث عشرة ليلة
خَلَّتْ من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره يومذاك
ثلاث عشرة سنة .

قال ابن الأثير (١) : كان سبب ولاية المقتدر أن المكتفى
لما ثقل مرضه فكَّرَ الوزير أبو العباس بن الحسن فيمن يصلح
للخلافة ، فاستشار محمد بن داود الجراح في ذلك فأشار بهبد

الله بن المعتز ووصفه بالعقل والرأى والأدب ، واستشمار بعده
 أبا الحسن بن الفرات (١) فامتنع ، وقال : هذا شيء مما جرت
 عادتي أشير به ، وإنما أشاورُ في العمال لا في الخلفاء ! فغضب
 الوزير وقال : هذه مقاطعة وليس يخفى عليك الصحيح ! وألحَّ عليه
 فقال : إن كان رأى الوزير قد استقرَّ على أحدٍ فليفعل .
 فعلم أنه عنى ابن المعتز لاشتهار خبره ، فقال الوزير : لا أقنع إلا أن
 نَمَحَصْنِي (٢) النصيحة ! وألحَّ عليه فقال ابن الفرات : فليتنق
 الله الوزير ولا ينصب إلا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله ،
 ولا ينصبُ بخيلاً فيضيِّقُ على الناس ويقطع أرزاقهم ، ولا طامعاً
 فيشهره في أموالهم فيصادرهم ويأخذ أملاكهم وأموالهم ، ولا قليل
 الدين فلا يخاف العقوبة والآثام ويرجو الثواب فيما يفعله ، ولا من
 قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وضئعة هذا وفرس هذا ،
 ومن قد لقي الناس ولقوه وعاملهم وعاملوه وتحكك وحسب حساب
 الناس وعرف وجوه دخلهم وخرجهم !

فقال الوزير : صدقت ونصحت ، فيمن تشير ؟ قال :
 أصلح الموجودين جعفر بن المعتض بالله . قال : ويحك هو صبي !
 قال : إلا أنه ابن المعتض ، ولِمَ نأتى برجلٍ يباشر الأمور

(١) ابن الفرات والجراح من أسرتين حملتا لواء الكتابة في هذا العصر ، ويبدو أن
 المنافسة بينهما وظهر كتاب كبار في آل الفرات وآل الجراح انبثا إلى تكوين حزبين متعارضين ،
 ولعل هذا يفسر موقف داود الجراح .
 (٢) محضه النصيحة : أخلصها وصدقها (المحيط) .

بنفسه غير محتاج إلينا ؟ فمالت نفسُ الوزير إلى ذلك ، وانضاف إليه وصيةُ المكتفى له بالأمر . فلما مات المكتفى بالله أرسل الوزيرُ صافيا الحرْمِيُّ^(١) ليحدر المقتدر من داره الغربي . فركب في الحراقة^(٢) وانحدر . فلما صارت الحراقةُ مقابلَ دارِ الوزيرِ صاحَ غلمانُ الوزيرِ بالملاح ليدخل إلى دار الوزير ، فَظَنَّ صافي الحرْمِيُّ أنه يريد القبض على جعفر وينصب في الخلافة غيره ، فمنع الملاح من ذلك . وسار إلى دار الخلافة وأخذ له صافي البيعةَ على جميع الخدم وحاشية الدار ، ولقب نفسه المقتدر بالله ولحقَّ الوزيرُ به وجماعةُ الكُتَّاب فبايعوه ثم جهزوا - جماعة الكتاب - المكتفى ودفنوه .

قال^(٣) : وكان في بيت المال حين بويع خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَأَطْلَقَ يَدَ الْوَزِيرِ فِي بَيْتِ الْمَالِ فَأَخْرَجَ حَقَّ الْبَيْعَةِ ! قال : ثم استصغر الوزيرُ المقتدر ، فعزم على خَلْعِهِ وتقليدِ الخلافةِ أبا عبد الله بن المعتمدِ على الله . فرأسله في ذلك واستقرت الحال ، وانتظر الوزيرُ قُدومَ بارس^(٤) حاجبِ إسماعيل صاحبِ

(١) يعرف بصافي الرومي وكان غلام أحمد بن طولون ، وعمل للخليفة فلما مات سنة ٢٩٨ قلد المقتدر مكانه مؤنساً الخادم على ماسرى بعد (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٤) وفي ك « صائفا » وهو تحريف صوبه بنفسه في السطور التالية ، وفي ف صفحة ٤ - ب « الحرْمِيُّ » بالخاء والراء المشددة وهو تحريف أيضا .

(٢) ضرب من مركبات الماء .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١١٩

(٤) يقال له بارس الكبير ، وكان عامل إسماعيل بن أحمد الساماني على جرجان .

خراسان ، وكان قد أذن له في القدوم وأراد أن يستعين به على ذلك ويتفقوى به على غلمان المعتضد بالله ، فتأخر بارس .

واتفق أنه وقع بين أبي عبد الله بن المعتمد وبين ابن عمرويه - صاحب الشرطة - منازعة في ضيعة مشتركة بينهما ، فأغظ له ابن عمرويه ، فغضب ابن المعتمد غضباً شديداً وأغضى عليه ، وقلج في المجلس فحُبل إلى بيته في محفة فمات في اليوم الثاني . فأراد الوزير البيعة لأبي الحسن بن المتوكل فمات أيضاً بعد خمسة أيام ، وتم أمر المقتدر . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الله الهاشمي

ودخلت سنة ست وتسعين وثمانين :

ذكر خلع المقتدر وولاية ابن المعتز

وانتقاض ذلك وعودة المقتدر ووفاة عبد الله بن المعتز

قال (١) : وفي هذه السنة اجتمع القواد والقضاة والكتاب مع الوزير (٢) على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز بالله . وأرسلوا إلى عبد الله بن المعتز فأجابهم إلى ذلك على أن لا يكون فيه سفك دم ولا حرب ، فأتخبروه أن كلمتهم اجتمعت عليه ، وأنه ليس له منازع ولا محارب . وكان القائم في ذلك الوزير المذكور ومحمد

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٢١

(٢) هو العباس بن الحسن ، وكان موقفه يتم عن تردد بالغ ، فهو ليلة وفاة المكتن يوليد على بن عيسى في ترشيح ابن المعتز للخلافة ، فهو يستحسن رأى داود الجراح ، ولكنه يميل إلى ابن الفرات ويبايع المقتدر ، وتكون النهاية قتل من آل الجراح .

ابن داود الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ، ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف بن صوار تكمين ثم إن الوزير رأى أمره صالحاً مع المقتدر ، وأنه على ما يجب ، قبدا له في ذلك فوثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذي تولى قتله منهم الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف . . لحقوه وهو سائر إلى بستان له فقتلوه ، وقتلوا معه فانكا المعتضدى ، وذلك في العشرين من شهر ربيع الأول ، وخلق المقتدر من الغد ، وباع الناس لابن المعتز .

وركض الحسين بن حمدان إلى الحلبه (١) ظنا منه أن المقتدر يلعب هناك بالكرة فيقتله ، فلم يصادفه لأنه لما بلغه قتل الوزير ركض دابته (٢) ودخل الدار . وغاقت الأبواب ، فندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر ! وأحضروا ابن المعتز وبايعوه بالخلافة ، وتولى أخذ البيعة له محمد بن سعيد الأزرق ، وحضر الناس والقواد وأصحاب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواص المقتدر فإنهم لم يحضروا . ولقب ابن المعتز المرتضى بالله (٣) أبا العباس عبد الله بن المعتز .

ووجه إلى المقتدر يأمره بالانتقال إلى دار ابن ظاهر - التي كان

(١) اعتاد المقتدر أن يلعب فيها بالصولة ، مفردا صولجانه وصولج أي العود للموج يضرب به الكرة .

(٢) ركض دابته : ركلها برجليه يستحبها لتسرع به (المحيط)

(٣) كذا في الطبري وابن الأثير ، وقيل « لقبوه بالمنصف بالله ، وقيل بالغالب بالله

وقيل بالراض بالله » (النجوم الزاهرة ٣ : ١٦٥)

بها قبل الخلافة - لينتقل هو إلى دار الخلافة ، فأجابه بالسمع والطاعة ، وسأل الإمهال إلى الليل . وعاد الحسين بن حمدان بكرة غد إلى دار الخلافة فقاتله الخدم والغلمان والرّجاله (١) / من وراء السور عامة النهار ، فانصرف عنهم آخر النهار . فلما جنّه الليل (٢) سار عن بغداد بأهله وماله إلى الموصل لا يدري لِم فعل ذلك ؟ ولم يكن قد بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس وغريب الخال (٣) وحاشية الدار . فلما هم المقتدر بالانتقال عن الدار قال بعضهم لبعض : لا نسلم الخلافة من غير أن نُبليّ عدوا (٤) ونجتهد في دفع ما أصابنا !

١١ - ب

فاجتمع رأيهم على أن يصعدوا في الماء إلى الدار التي فيها ابن المعتز يقاتلونه ، فأخرج لهم المقتدر السلاح والزرديات (٥) وركبوا السميريات (٦) . فلما رأهم من عند ابن المعتز هالهم كثرتهم ، واضطربوا ، وهربوا على وجوههم من قبل أن يصلوا إليهم ، وقال بعضهم لبعض : إن الحسين بن حمدان ما يريد يجرى ، فلماذا هرب من الليل ، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر . ولما رأى عبد الله بن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وهربا ،

(١) من هنا تبدأ نسخة «هـ» التي اتخذتها أصلا للنشر ، وبذا ينهى النقل عن «ك» إلا في حالات المقابلة

(٢) جنّه : ستره (المحيط) (٣) هو خال المقتدر وقد توفى سنة ٣٠٥ .

(٤) نبليّ علوا : نسلمه لغم ، لأن البلى والبلىة والبلاء : الغم كأنه يبلى الجسم ، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن (المحيط)

(٥) الزرديات : هي الزرد داوجة تعنى الدروع .

(٦) السميريات : ضرب من القوارب الخفيفة السريمة .

وغلاقاً له يتادى : يا معشر العامة ادعوا لخليفكم السنّي البرهاري !
 وإنما نسبته لذلك لأنّ الحسين بن القاسم بن عبید الله البرهاري
 كان مقدّم الحنابلة والسنة من العامة ولهم فيه اعتقاد عظيم ، فأراد
 استمالتهم بهذا القول .

ثم إن ابن المعتز ومن معه ساروا نحو الصحراء ظناً منهم أن
 من بايعه من الجند يتبعونه ، فلم يلحقه منهم أحد . فرجعوا ، / ١٢ - ١
 واختفى محمد بن داود في داره ، ونزل ابن المعتز عن دابته
 ومعه غلامه يُمْنُ ، وانحدرا إلى دار عبد الله بن الجصاص ، فاستجارا
 به . واستتر أكثر من بايع ابن المعتز ، ووقعت الفتنة والنهب
 والقتل ببغداد ، وثار العيارون والسفلة (١) ينهبون الدور .
 وكان ابن عمرويه - صاحب الشرطة - ممن بايع ابن المعتز ، فلما
 هرب جمع ابن عمرويه أصحابه ونادى بشعار المقتدر يدلّس
 بذلك فناداه العامة : يا مُراءِ يا كذاب ! وقتلوه ، فهرب واستتر
 وتفرّق أصحابه .

وقلّد المقتدر في تلك الساعة الشرطة مؤنسا الخازن ، وخرج
 بالعسكر وقبض على . . وصيف بن صوّار تكيين وغيره ، فقتلهم .

(١) في ا ، ك ، ف « السفل » ولا وجه لها لأننا نقول سفلة (بكسر فسكين)
 وسفلة (بفتح وكسر) بمعنى أسافل الناس وغوغائهم ، استمير من سفلة الدابة أي قوائمها . وأما
 العيارون فالأصل فيها الذين يروحون ويحيثون وتبني الأذكياء أيضا ، ثم أصبحت تدل على
 فئة الأشرار المخادعين ، ويبدو أن الأمر قد انتهى بهم إلى أن يكون لهم تنظيم يلعب دوره
 الخطير فيما بعد (راجع دراسات في المصور العباسية المتأخرة للدكتور عبد العزيز الدوري صفحة
 ٢٨٢ وطابعها ، طبعة الريان سنة ١٩٤٥ .

وقبض على القاضي أبي المثنى أحمد بن يعقوب فقتله لأنه قيل له
«بايع المقتدر» فقال : لا أبايع صبياً ! افذبح ، وأرسل المقتدر
إلى أبي الحسن علي بن القرات - وكان مختفياً - فأحضره ،
واستوزره ، وخلع عليه .

وكان في هذه الحادثة عجائب منها أن الناس كلهم أجمعوا
على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز ، فلم يتم ذلك ، بل كان
بالعكس . ومنها أن ابن حمدان على شدة تشييعه يسعى في البيعة
لابن المعتز على غلوه في النصب (١) .

ثم إن خادما لابن الجصاص - يعرف بسوسن (٢) - أخبر صافيا
الحرمي أن ابن المعتز عند مولاه ومعه جماعة ، فكيست داره وأخذ ابن
المعتز منها / وحبس إلى الليل ، ثم عصرت خصيتاه حتى مات وسلم
إلى أهله (٣) . وصودر ابن الجصاص على مال كثير ، وأخذ محمد بن
داود وزير المعتز فقتل ، ونفى على بن عيسى إلى واسط . وصودر القاضي
أبو عمرو على مائة ألف دينار ، وسيرت العساكر من بغداد في طلب
الحسين بن حمدان ، فتبعوه إلى الموصل ثم إلى بلده ، فلم يظفروا به :
فعادوا إلى بغداد . وأخذ الوزير الجرائد التي كان فيها أسماء من أعان

١٢ - ب

(١) أهل النصب : الذين يتصبون لعلي بن أبي طالب وجهه كارهين له لأن من يتصب
لآخر يماديه ويغضه ، فأهل النصب على ذلك هم المتدينون ببغضة علي ، لأنهم نصبوا له أي عاده
(المحيط وأساس البلاغة للزمخشري)

(٢) كذا في اوفى ك صفحة ٤ ووفى صفحة ٦ - ١ ، ولكن ابن الأثير يسميه «سوس»

الكامل ٦ : ١٢٢

(٣) كانت خلافة يوما وليلة ، وقيل نصف نهار فقط ! والمعروف أنه كان أديبا
جالما كبيرا ، قال الشعر ، وصنف في طبقات رجاله المحدثين ووضع في البديع كتابا .

على المقتدر فغزقها في دجلة ، وبسيط ابن الفرات العدل والإحسان وأخرج
الإدرات للظالمين والعباسيين . وأرضى القواد بالأموال ، ففرق معظم
ما كان في بيوت الأموال

وفي هذه السنة كان ابتداء ظهور الدولة العبيدية المنسوبة
للعولوية بأفريقية على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - في
أخبارهم (١) .

وفيها سير المقتدر القاسم بن سبأ وجماعة من القواد في
طلب الحسين بن حمدان ، فساروا حتى بلغوا قرقيسيا فلم
يظفروا به ، فكتب المقتدر إلى أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان -
وهو الأمير على الموصل - يأمره بطلب أخيه الحسين . فسار
هو والقاسم بن سبأ ، فالتقوا عند تكريت فانهمز الحسين ،
وأرسل أخاه إبراهيم بن حمدان يطلب له الأمان فأجيب إلى ذلك ،
ودخل بغداد وخلع عليه وعقده على قم وقاجان (٢) فسار إليهما .

13 - وفيها وصل بارس غلام إسماعيل الساماني ، وقلد ديار ربيعة .

وفيها خلع على المظفر مؤنس الخادم ، وأمر بالمسير إلى غزو

(١) يفوتنا ذلك في هذا الجزء ومن ثم نقول إنها تنسب لعبيد الله المهدي أبي الخلفاء
الفاطميين ، بدأت في سجلماسة حيث كان حيساً ، ثم راح يوطد لها بالقضاء على قوة الكتائبين
والصنهاجيين والأدارسة وغيرهم ، ولما تم له كل شيء وبني المهدي حاضرتة اتجه إلى المشرق
ونجح .

(٢) تكتب قاشان أيضا ، وهي مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، وأهلها كلهم شيعة
إمامية ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخا وبين قاشان وأصبهان ثلاث مراحل (ياقوت في معجم
البلدان) .

الروم . فسار في جمع كثيف ففزا من ناحية مَلَطِيَّة (١) ومعه أبو الأغر المَلَمِي ، فظفر وغنم ، وأسرى منهم جماعة ، وعاد .

وفيها قلد يوسف بن أبي الساج (٢) أعمال أرمينية وأذربيجان ، وضمنها مائة ألف وعشرين ألف دينار .

وفيها أمر المقتدر أن لا يُسْتَعَانَ بِأَحَدٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّصَّارِي ، فَأُلْزِمُوا بِبُيُوتِهِمْ ، وَأُخِذُوا بِدَيْسِ الْعَسَلِيِّ (٣) و [تعليق] (٤) الرِّقَاعِ مِنْ خَلْفِ وَمِنْ قُدَامِ ، وَأَنْ يَكُونَ رَكْبُهُمْ خَشِنًا . وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

ودخلت سنة سبع وتسعين وهاتين : في هذه السنة وجه المقتدر القاسم بن سِيَا لِعَزْوِ الصَّائِفَةِ (٥) ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ ، الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وفيها مات عيسى النوشري - أمير مصر - واستعمل المقتدر

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة كما يقول ياقوت تتاخم الشام استولى عليها المسلمون وبنوا بها مسجداً وكانوا يخرجون منها في غزو الصائفة ، وقد ذكرها الشراء كثيراً ولا سيما المتنبى وأبو فراس الحمداني .

(٢) الواقع أن بداية هذا الرجل كانت بداية قاطع طريق ، وإن يكن أخوه الأفيين أمير أذربيجان ، وكان يهاجم الحجاج فلوقموا به ، وسير إليه المكتن الحملات لإخضاعه ، ولما سمَّاه المقتدر أشركه في حروب القرامطة .

(٣) عمل اليهود : علامتهم

(٤) ليست في سياق الأصل ولا في غيره ولكن المقام يقتضيها وذكرها ابن تفرى

يزدى في التنجيم الزاهرة ٣ : ١٦٥

(٥) الصائفة : غزو الروم في الصيف لأن جليد الشتاء يحول دون الغزو المحيط

تَكِينَ (١) الخادم ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ فِي مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ . وَقَالَ أَبُو
الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ (٢) فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ « قَالَ ثَابِتُ بْنُ
مَسْنَانَ رَأَيْتُ فِي صَدْرِ أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِبَغْدَادٍ امْرَأَةً بِلَا ذِرَاعَيْنِ وَلَا
عُضْدَيْنِ ، وَكَانَ لَهَا كَفَّانٌ بِأَصَابِعٍ تَامَةٍ مُتَعَلِّقَةٌ فِي رَأْسِ
كَتْفَيْهَا لَا تَعْمَلُ بِمَا / شَيْئًا وَكَانَتْ تَعْمَلُ أَعْمَالَ الْيَدَيْنِ بِرَجْلَيْهَا ،
ب- ١٣ - وَرَأَيْتُهَا تَنْزِلُ بِرَجْلَيْهَا وَتَمُدُّ الطَّاقَةَ وَتَسَوِّيَهَا - قَالَ - وَرَأَيْتُ امْرَأَةً
أُخْرَى بِعُضْدَيْنِ وَذِرَاعَيْنِ وَكَفَّيْنِ إِلَّا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكَفَّيْنِ
يَنْخَرُطُ . وَيَدُقُّ إِذَا فَارَقَ النَّهْدَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَأْسِ دَقِيقٍ يَمْتَدُّ
وَيَصِيرُ لِصَبْعًا وَاحِدَةً ، وَكَذَلِكَ رَجُلُهَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَمَعَهَا
ابْنٌ لَهَا عَلَى مِثْلِ صُورَتِهَا ! »

وَدَخَلَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ جُعِلَتْ
أُمُّ مُوسَى الْهَاشِمِيَّةُ قَهْرْمَانَةَ دَارِ (٣) الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، فَكَانَتْ تُؤَيِّ
الرِّسَالَةَ عَنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَأُمَّهُ إِلَى الْوُزَرَاءِ . ثُمَّ صَارَ لَهَا [أَنْ] (٤)
تَحْكُمُ كَثِيرًا فِي الدَّوْلَةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَجَّ
بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْفَضْلُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَاشِمِيُّ .

وَدَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ :

(١) هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْبِيِّ الْأَمِيرِ مَنصُورِ الْمُتَمُتِّدِ الْخَزَرِيِّ ، وَقَدْ أُضِيغَتْ إِلَيْهِ دِمَشْقُ

(٢) فِي الْمُنْتَظَمِ ٦ : ٨٩

(٣) قَهْرْمَانَةُ : سَيْطَرَةٌ وَحَفِيفَةٌ ، قَالَ سَيَّبُوهِي الْقَهْرْمَانُ فَارِسِيٌّ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ

الْقَهْرْمَانُ مِنْ أَمْنَاءِ الْمَلِكِ وَخَاصَّتَهُ فَارِسِيٌّ مَعْرُوبٌ (اللِّسَانُ مَادَّةُ قَهْرَم)

(٤) زِيَادَةٌ لَسِيَّتِ فِي الْأَصْلِ وَلَا فِي غَيْرِهِ وَلَكِنْ السِّيَاقُ يَقْتَضِيهَا . ٩

ذكر القبض على ابن الفرات

ووزارة الخاقاني

في هذه السنة قبضَ المقتدر بالله على وزيره ابن الفرات ،
ووكل بداره ، وهتك حرمة ، وهب أمواله ودور أصحابه ومن
يتعلق به فافتتحت بغداد لقبضه ، وكانت مدة وزارته - وهي الأولى -
ثلاث سنين وثمانية أشهر / ، وثلاثة عشر يوماً . وقُلد أبو
علي محمد بن يحيى بن عبيد الله بن خاقان الوزارة ، فرتب
أصحاب الدواوين ، وتولى مناظرة ابن الفرات (١) . ثم انجلت
أمور الخاقاني لأنه كان ضجوراً (٢) ضيق الصدر ، مهملاً لقراءة كتب
العمال ، وجباية الأموال ، وكان يتقرب إلى الخاصة والعامه ؛
فكان إذا رأى جماعة من الملاحين والعامه يصابون - جماعة - ينزل
ويصلي معهم ، وإذا سأله أحد حاجة دق صدره وقال : نعم وكرامة !
فسمى « دق صدره » إلا أنه قصر في إطلاق الأموال للقواد والفرسان
فنفروا عنه . وكان أولاده قد تحكّموا عليه وكل منهم يسمي لمن
يرتشي منه ؛ فكان يؤلّى في الأيام القليلة عدة من العمال حتى إنه
ولّى ماه الكوفة (٣) في مدة عشرة أيام (٤) سبعة من العمال ،

١٤ - ١

(١) في الكامل ٦ : ١٣٩ أن الذي تولى مناظرته أحمد بن يحيى بن أبي البغل .

(٢) نقول ناقة ضجور فتعني التي ترعز عند الحلب ، وفي س ، ف « صحور » نقول
أتان صحور فتعني أن نفوحا برجلها وقد تعني أن فيها بياضا وحريرة (المحيط) .

(٣) الماء : لفظ فارسي معناه الزمام والحوز .

(٤) كذا في الأصل وفي ك صفحة ٦ وفي ف صفحة ٨ - ١ ، إلا أن ابن الأثير يقول

في الكامل ٦ : ١٣٩ « عشرين يوماً وهو أكثر قبولا .

فاجتمعوا في الطريق فعرضوا توقيعاتهم ، فصار الأخير وعاد الباقيون يطلبون ما خلعوا به أولاده ، ففعل في ذلك :

وزيرٌ قد تكاملَ في الرقاعه يُؤلى ثم يعزل بعد ساعه (١)
 إذا أهل الرثما اجتمعوا لديه فقخيرُ القوم أوفرهم بضاعة (٢)
 وليس يُلام في هذا بحالٍ لأنَّ الشيخَ أفلتَ من مجاعه (٣)

قال (٤) : ثم زاد الأمر حتى تحكّم أصحابه ، فكانوا يطلقون الأموال ويفلسون الأحوال ؛ فانحلّت القواعد ، وخبثت النيات / واشتغل الخليفة بعزل وزرائه والقبض عليهم والرجوع إلى قول ١٤ - ب النساء والخدم والتصرف على مقتضى إرادتهم ، فخرجت الممالك وطعم العمال في الأطراف ، فصار مآل الأمر إلى ما ذكره إن شاء الله تعالى .

قال (٥) : ثم أحضر المقتدر الوزير ابن الفرات من محبسه ، وجعله في حجره - من ضمن الحجر - مكرّماً ، فكان يعرض عليه مطالعات العمال وغير ذلك باراً به بعد أن أخذ أمواله .

وفي هذه السنة غزا رستم أمير الثغور الصائفة من ناحية

(١) في صلة الطبرى ٨ : ٢٩ « وزير ما يضحق من الرقاعه »

(٢) في الطبرى « إذا أهل الرثما صاروا إليه . فأحظى القوم أوفرهم بضاعة »

(٣) في الطبرى « وليس بمنكر ذا الفعل منه »

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٣٩

(٥) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٤٠ .

طَرَمُوس (١) ومعه دُمَيَانَةُ (٢) ، فحصر حِصْنَ مَلِيحِ الأَرَمْنِي ، ثم دخل بلده وأحرقه .

قال ابن الجوزي (٣) : وفي هذه السنة وَرَدَ من مصر أربعة أحمال مال ، وقيل إنه وُجِدَ هناك كنزٌ قديم . وكان معه ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبراً في عرض شبر ، وزعموا أنه من قوم عاد . وكان مبلغ المال خمسمائة ألف دينار ، وكان مع ذلك هدايا عجيبة - قال - وذكر الصولي أنه كان في الهدايا تيس له ضرعٌ يحلب اللبن ووردت رُسُلُ أحمد بن إسماعيل هدايا فيها بدنة (٤) مرصعةٌ بِفَاخِرِ الجوهِرِ ، وتاجٌ من ذهبٍ مُرَّصَعٌ بجوهرٍ له قيمةٌ كبيرة ، ومناطقٌ ذهبٍ مرصعة ، وخِلْعٌ سلطانيةٌ فاخرة ، وربعة ذهبٍ مرصعة فيها شَمَامَاتٌ مسكٍ وعنبرٍ كلُّهُ مرصع ، وعشرون أفراسٍ بِمُسْرُوجِهَا وإِحْدَاهَا سرج ذهب . ووردت هدايا ابن أبي السَّاجِ وهي أربعة حائِثَةٌ دَابَّةٌ وثمانون ألف دينار وقرشٌ أَرَمْنِي لم يُرَ وِثْلُهُ ، فيه بِمِطَاطٌ طوله سبعون ذراعاً في عَرْضِ ستين ، لا قيمةَ له ! وَحَجَّ بالناسِ الفضلُ بن عبد الملك الهاشمي .

ودخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية

(١) طرسوس : مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (معجم البلدان)
(٢) هو أحد القواد المشهورين يلقب بالبحري لأن المكتف حين طلب إليه التوجه إلى مصر أمره بركوب البحر ، وكان قبل غلام يازمان الخادم .

(٣) المنتظم ٦ : ١٠٩

(٤) البدنة من الإبل أو البقر كالأضحية من الفم تهدي إلى مكة (المهبط)

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة

وزارة علي بن عيسى

في هذه السنة ظهر للمقتدر بالله تخليطُ الخاقاني وعجزه عن الوزارة ، فأراد عزله وإعادة أبي الحسن بن الفرات ، فمنعه مؤنس الخادم وقال له : متى أعدته ظنَّ الناس أنك إنما قبضت عليه شرها في ماله ! وأشار عليه باستدعاء علي بن عيسى من مكة وتقليده الوزارة وشكره مؤنس الخادم وأثنى عليه .

فأمر المقتدر باحضاره ، فوصل إلى بغداد في أول سنة إحدى وثلاثمائة ، فجلس في الوزارة وسُلم إليه الخاقاني فأحسن إليه ووسع عليه . ولما تولى علي بن عيسى لازم العمل والنظر في الأمور وردَّ المظالم ، وأطلق من المكوس شيئاً كثيراً ، وأسقط زيادات كان الخاقاني قد زادها / للجند ؛ لأنه عمل معدل الدخل والخرج ١٥-ب فرأى الخرج أكثر من الدخل ، فأسقط الزيادات . وأمر بعمارة المساجد والجوامع وتبييضها وبسطها بالحصر وإشعال الأضواء فيها . وأمر بإصلاح البيمارتانات وعمل ما تحتاج إليه ، وغير ذلك من وجود البر والقربيات (١) .

قال (٢) : ولما عزل الخاقاني أكثر الناس التزوير على خطه .

الخاقاني بصلات وإدرات ، فنظر علي بن عيسى في ذلك فانكر

(١) لخص مسكوية في تجارب الأمم ١ : ٢٨ ، ٢٩ سياسة هذا الوزير العامة بحيث ظهر لنا بوضوح أنه ينجح في إصلاح الوضع المالي وفي إقامة لون من العدل المنشود ، وقرر بصرامة أنه ساس الدنيا أحسن سياسة فاستقام أمر السلطان وصلح أمر الرعية .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٤١

الخطوط. وأراد إسقاطها ، فخاف ذمّ الناس ، فأنفذها للخاقاني فقال : كلُّها خَطِيٌّ وأنا أمرت بها فلما عاد الرسول إلى علي بن عيسى قال : والله لقد كذب ، وقد علم المزور من غيره ولكنه اعترف بها لتحمده الناس ويذموني ! وأمر بإحراقها (١) ، وقال الخاقاني لولده : يا بني ، هذه ليست خطي ولكنه أنفذها إليّ وقد عرف الصحيح من السقيم وأراد أن نأخذ الشوك بأيدينا ويبغضنا إلى الناس ، وقد علمت مقصوده ، وعكسته عليه !

قال ابن الجوزي (٢) : وفيها لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور يعرف بالثل وخرج من تحته ماء كثير أغرق عدّة من القرى ، ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر (٣) .

وفي هذه السنة خرج أهل صقلية عن طاعة المهدي صاحب / أفريقية ، وخطب للمقتدر بالله بها . وكان الذي قام بهذه الدعوة أحمد بن قرهب ، فسير إليه الخلع السود والألوية ، ثم خرج أهل الجزيرة عليه وقبضوه وبعثوه للمهدي فقتله . وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخات سنة إحدى وثلاثمائة : وفي هذه السنة خلع المقتدر بالله على ابنه أبي العباس وقتله أعمال مصر والمغرب وعمره أربع

(١) في الكامل ٦ : ١٤١ « وأمر بها فأجيزت »

(٢) المنتظم ٦ : ١١٥ وقد أورد عريب الخبر نفسه في صلة الطبرى صفحة ٢٨ .

(٣) أورد الخبر ابن تفرى يردى في النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٠ .

سنوات ، واستخلف [له] (١) على مصر مؤنس الخادم . وهذا أبو العباس الذي ولي الخلافة بعد القاهر ولقبَ الراضى بالله على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وخلقَ أيضا على ابنه على وولاه الرى (٢) ودنباوند (٣) وقزوين وزنجان (٤) وأهر (٥) .

وفيهما خالف أبو الهيجاء بن حمدان بالموصل على المقتدر بالله ، فسير إليه المظنم مؤنسا ، فاتاه ابن حمدان مستأما ، وورد [مؤنس] (٦) معه إلى بغداد فخلع المقتدر عليهما .

وفيهما استولى الحسن بن على بن عمر بن الحسين بن على على برستان ، وتلقب بالناصر على ما ذكره - إن شاء الله تعالى - في أخبار الظالبيين .

وفيهما جهز المهدي - صاحب أفريقية - الساكر مع ابنه القائد إلى الديار المصرية ، فسار إلى برقة واستولى عليها ، وسار إلى مصر فملك الإسكندرية والفيوم ، وصار في يده أكثر البلاد فسير المقتدر لحربه مؤنسا الخادم في جيش كثيف ، / فحارب عمداكر ١٦ - ب

(١) زيادة من الكامل ٦ : ١٤٤ يقتضيا السياق .

(٢) من أمهات البلاد كما يقول ياقوت وكانت قصبه بلاد الجبال أى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمدان والدينور وقرميسين وكان المصم يطلقون على هذه المناطق خطأ اسم العراق (٣) جبل من نواحي الرى وهو من فتوح سعيد بن العاص أيام عثمان لما ولي الكوفة ، ذلك بين ٢٩ ، ٣٠ للهجرة .

(٤) بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها وهى قرية من قزوين وأهر .

(٥) أهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل (مصم ياقوت)

(٦) زيادة ضرورية السياق .

المهدى وأجلاهم عن الديار المصرية ، فعادوا إلى المغرب منهزمين .
وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك أيضا

ودخلت سنة اثنتين وثلاثمائة : في هذه السنة أمر المقتدر
بالقبض على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله الجوهري المعروف
بابن الجصاص وأخذ ما في بيته من صنوف الأموال ؛ فأخذ منه
ما قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وكان هو يدعى أن ما أخذ منه
عشرون ألف دينار ، وأكثر من ذلك (١) .

وفيها أنفذ الملقَّب بالمهدى - صاحب أفريقية - جيشا إلى الد
يار المصرية مع قائد من قواده يقال له حياصة (٢) في البحر ، فغلب
على الاسكندرية ثم سار منها إلى مصر . فأرسل المقتدر
لحربه مؤنسا الخادم في عسكر فالتقوا في جمادى الأولى
واقتملوا قتالا شديدا ، فقتل من الفريقين وجرح خلق كثير . ثم كانت
بينهم وقعة ثانية ، ثم وقعة ثالثة ورابعة انهزم فيها المخاربة وقتل
منهم وأسير سبعة آلاف وذلك في سبغ جمادى الآخرة . وعاد من
بقي إلى المهدي فقتل حياصة .

(١) قال أبو المظفر في مرآة الزمان : وأكثر أموال ابن الجصاص المذكور من قطر الندى
بنت خمارويه صاحب مصر ، فإنه لما حملها من مصر إلى زوجها المعتضد ، كان معها أموال
وجواهر عظيمة ، فقال لها ابن الجصاص : الزمان لا يدوم ولا يؤمن على حال ، دعى عندي
بعض هذه الجواهر تكن ذخيرة لك ! فأودعته ، ثم ماتت فأخذ الجميع .

(٢) في الأصل « حياصة » وكذلك في س ، ف وأما الطبري وابن الأثير وماقوت
فقالوا « حياصة » . وقال صاحب القاموس في مادة « حبس » وكفراب وبهاء قائد من قواد
المبيدين . وقال الهورثي شارحه : وقد ضبطه الحفاظ بن حجر بفتح الحاء المهملة والثين المعجمة ا

وفيها غزا بشمر الخادم والى طرسوس بلاد الروم ، ففتح فيها وغزا وسبى وأسرى ما ثمة وخمسين بظريقاً ، وكان السبى نحواً من ألفى رأس .

وفيها قلد أبو الهيجاء [عبد الله] بن حمدان الموصل [والجزيرة] (١)

١٧-١ قال ابن الجوزى (٢) : وفيها في جمادى الأولى ختن المقتدر خمسة أولاد له ، ونشر عليهم خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم ورقاً - قال - ويقال إنه بلغت النفقة في هذا الختان ستائة ألف دينار ، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وفرقت فيهم دراهم كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي . ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة :

ذكر خروج الحسين بن حمدان

عن طاعة المقتدر

في هذه السنة خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن الطاعة ، وسبب ذلك أن الوزير علي بن عيسى طالبه بمال عليه من ديار ربيعة - وهو يتولأها - فدافعه فأمر بتسليم البلاد إلى العمال ، فامتنع ، فجهز الوزير رائقا الكبير في جيش لمحاربتة ، وكتب إلى مؤمن الخادم - وهو بمصر - يأمره بالمسير إلى الجزيرة لقتال ابن حمدان بعد فراغه من أصحاب المهدي . فسار رائق إلى الحمسين بن حمدان

(١) ما بين حاصرتين زيادة عن النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٥ .

(٢) المتظم ٦ : ١٢٧ .

فالتقيا واقتتلا قتلاً شديداً ، فانهزم رائق ، وغنم الحسين سواده ،
وسار رائق إلى مؤنس فآهروه بالمقام بالمَوْصِل ، وجدَّ مؤنس في
السَّير في طلب الحسين . فلما قارب منه راساه الحسين واعتذر
وتكرَّرت الرسائلُ بينهما ، فلم يستقر حال . فرحل مؤنس نحو
الحسين ، فسار إلى أرمينية بثقله وأولاده ، وتفرق عسكرُ الحسين
عنه ، وصاروا إلى مؤنس .

ثم جهز مؤنس جيشاً في أثره مُقدِّمُهُم يلبق^(١) فتبعوه إلى تلِّ
فافان ، فإذا هي خاويةٌ على عروشها قد قتلَ أهلها ، وأحرقها
فجلبوا في أتباعه ، فأدر كوه فقاتلوه ، فانهزم من بقى معه من أصحابه ،
وأسر هو وابنه عبدالوهاب وجميعُ أهلِه وأكثرُ من صحبِه وقبض
أملاكهم . وعاد مؤنس إلى بغداد على طريق الموصل والحسين معه ،
فأركبَ على جملٍ هو وابنه وعليهما اللُّبُود^(٢) الطَّوَالُ وقمصانُ
من شعرٍ أحمر . وحبسَ الحسين وابنه عند زيدان القهرمانة ، وقبضَ
المقتدر على أبي الهيجاء بن حمدان وعلي جميع إخوته وحبسوا .
وكان بعضُ أولاد الحسين بن حمدان قد هرب فجمع جمعاً ومضى
نحو آمِد^(٣) ، فأوقع بهم مُستَحفظُها وقتلَ ابنَ الحسين وأنفذ
رأسه إلى بغداد .

(١) كذا في التنبيه والإشراف للمسعودي ، وفي صلة الطبري وفي تجارب الأمم لابن
سكويه ، وفي «ا» وفي ك صفحة ٨ وفي ف صفحة ١٠ - ١ ، والكامل (يلبق) ويقال له
يلبق المؤنسي لأنه كان غلام مؤنس . !

(٢) أردية من شعر الصوف للمطر ، والبادية (كرمانة) ما يلبس من اللبود ..

(المحيط)

(٣) أعظم مدن ديار بكر وأشهرها ذكرا ، تحيط دجلة بأكثرها ، وفي وسطها هيون
وأهار قرية الغور ، قال ياقوت إنها حصينة مبنية بالحجارة السوداء على نثر .

وفيهما خرج مليح الأرنؤى إلى مرعش ، فعاث فى بالدها ، وأسر جماعة بمن حولها . وحج بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك . ودخلت سنة أربع وثلاثمائة :

ذكر وزارة ابن الفرات الثانية

وعزل على بن عيسى

١٨ - ١ فى هذه السنة فى ذى الحجة عُزل على بن عيسى عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن على بن الفرات . وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن الفرات كان محبوبا ، وكان المقتدر بالله يُشاوره فى الأمور وهو فى محبته ، ويرجع إلى قوله . وكان على بن عيسى يُمشى أمر الوزارة ولم يتبع أصحاب ابن الفرات ولا أسبابه ولا غيره وكان جميل المحضر قليل الشر ، فبلغه أن ابن الفرات قد تحدث له جماعة من أصحاب الخليفة فى إعادته إلى الوزارة ، فاستعفى من الوزارة ، وسأل فى ذلك فأذكر المقتدر عليه ومنعه من ذلك .

فلما كان فى آخر ذى القعدة جاءت أم موسى القهرمانة لتتفق معه على ما يحتاج إليه حرم الدار والحاشية التى للدار من الكسوات والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه : إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه فأجلى فى الدار حتى يستيقظ . فغضب من هذا وعادت ، واستيقظ الوزير فى الحال فأرسل إليها حاجبه وولده ، تذر فلم تقبل منه ، ودخلت إلى المقتدر وخاطبته فى عزله وحرصته على ذلك فعزله عن الوزارة وقبض عليه فى ثامن ذى الحجة (١) .

(١) فى الكامل ٦ : ١٥٤ « فى ثامن ذى القعدة والخلاف ليس كبيرا حل أهله حال ، ويكن أن نعلم أن هذا الوزير مكث فى منصبه أكثر من ثلاث سنوات برغم اضطرابه »

وأعيد ابنُ الفرات إلى الوزارة وضمِّنَ على نَفْيِهِ أن يحْمَلَ في كلِّ يومٍ ألفَ دينارٍ إلى بَيْتِ المالِ وخمسمائةَ دينارٍ ، فقبض على أصحاب الوزيرِ عليَّ بنِ عيسى وعاد فقبض على الخاقاني الوزيرِ وأصحابِهِ ، واعترض العُمَالُ وغيرُهُم / وعادَ عليهم بِنُءِوالٍ عظيمةٍ . وكان أبو عليَّ بنِ مُقَلَّةٍ قد استخَفَى منذ قُبِضَ على ابنِ الفرات إلى الآن ، فلما عاد ابنُ الفرات إلى الوزارة ظَهَرَ فأشخصه ابنُ الفرات الوزيرِ وقَرَّبَهُ وأخسَنَ إليه

١٨- ب

وحكى عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه المنتظم (١) أنه لما قُلِدَ الوزارة خُلِعَ عليه سَبْعُ خَلَعٍ وحَمَلَ إليه من دار السلطان ثلاثمائة ألفِ درهمٍ ، وعشرون خادماً ، وثلاثون دابةً لِرَحْلِهِ ، وخمسون دابةً لِعِلمانه ، وخمسون بغلاً لنقله ، وبغلان للعمارية بقبيباها وثلاثون جَمَلًا ، وعَشْرُ تُخُوتِ نِيَابٍ (٢) وأنه ركب معه مئزرُ الخادم ، وغلمانُ المقتدرِ ، وصار إلى داره بسوق العَطَشِ ، ورُدَّتْ إليه خِيباغُهُ ، وأقطع الدارَ التي بالمخرم فسكنها . وأنه سَقَى النَّاسَ في ذلك اليومِ وتلك الليلةَ أربعين ألفَ رطلِ ثاجٍ ، وزاد ثَمَنُ الشَّمْعِ والكاغِدِ (٣) وكانت هذه عادته ! قال : (٤)

= أحوال المقتدر ، وربما كانت الفرصة أمامه مهيأة ليقبى لولا ضجره من سوء أدب الحاشية ، ويقال إنه استنى أكثر من مرة (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ١٩١) .

(١) راجع الجزء السادس صفحة ١٣٨

(٢) تخوت : مفردها تحت أى خزانة الملابس ، ويقال تحت الملك أى عرشه كما يقال

المقعد والسرير تحت .

(٣) الكاغد : الورق (فارسية)

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٥٤

وكانت مدة اعتقاله إلى أن رجع إلى الوزارة خمسين سنين وأربعة أيام . قال : وسمع بعض العوام يقول يوم خلع علي ابن القرات : والله خذلونا ، أخذوا منا مصحفاً وأعطونا طنبوراً ! فبلغ ذلك إلى الخليفة ، فكان ذلك سبباً للإحسان إلى علي بن عيسى وحسن القية فيه إلى أن خرج من الحبس [والله تعالى أعلم]

ذكر أمر يوسف بن أبي الساج

19 - 1 كان يوسف بن أبي الساج على أذربيجان وأرمينية قد ولي الحرب والصلاة والأحكام وغيرها منذ أول وزارته ابن القرات الأولى ، فلما عزل ابن القرات وتولى الخاقاني طمع فأخر حمل بغض المال ، فاجتمع له من المال ما قويت به نفسه على الامتناع ، وبقي كذلك إلى هذه السنة . فلما بلاغه القبض على علي الوزير علي بن عيسى أظهر أن الخليفة أنفذ إليه عهد الرى وأن الوزير علي بن عيسى سعى له في ذلك ، وجمع العساكر وسار إلى الرى وبها محمد بن صعلوك يتولى أمرها لصاحب خراسان نصر بن أحمد الساماني . وكان ابن صعلوك قد تغلب على الرى وما يليها أيام وزارة علي بن عيسى ، ثم أرسل إلى ديوان الخلافة يقاطع عليها مال يحمله ، (١) فلما بلغه مسير يوسف نحوه سار إلى خراسان ، فدخل يوسف الرى واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وأبهر ، فلما اتصل فعلمه بال مقتدر بالله أنكره

وكتب يوسف إلى الوزير ابن الفرات يعرفه أن علي بن عيسى أنفذ إليه بالهدء واللواء وأنه افتتح هذه الأماكن وطرد عنها المتغلبين عليها واعتد بذلك، وذكر كثرة ما أخرج عليه من الأموال، فعظم ذلك على المقتدر وأمر ابن الفرات أن يسأل

علي بن عيسى عن الذي ذكره يوسف فأحضره وسأله فأنكر ذلك فصدقه. وكتب ابن الفرات إلى ابن أبي الساج ينكر عليه تعرضه إلى هذه البلاد وكذبه على الوزير وجهاز المسافر لمحاربتة. فسارت في سنة خمس وثلاثمائة وعليها خاقان الفلحي ومعه جماعة من القواد (١)، فساروا ولقوا يوسف واقتتلوا، فهزمهم يوسف وأسّر منهم جماعة وأدخلهم الرى مشهرين على الجمال.

١٩ - ب

فسير الخليفة مؤنسًا الخادم في جيش كثيف لمحاربتة، فسار وانضم إليه من كان مع خاقان، فصرف خاقان عن أعمال الجبل ووليها تحرير الصغير وسار مؤنس وأتاه أحمد بن علي - وهو أخو محمد بن صلوك - مستأمنًا فأكرمه، ووصلت كتب ابن أبي الساج يسأل الرضى عنه وأن يقاطع على أعمال الرى وما يليها على سبعمائة ألف دينار لبيت المال سوى ما تحتاج إليه الجند وغيرهم، فلم يجبه المقتدر إلى ذلك وقال: لو بذل ملك الأرض لما أقررتة على الرى يومًا واحدًا لإقدامه على التزوير فلدا عرف ابن أبي الساج ذلك سار عن الرى بعد أن أخرجها وجبى خراجها في

(١) يقول ابن الأثير في الكامل (٦ : ١٥٥) منهم أحمد بن سرور البلخي وسبا

الجزدى ونحير الصغير.

عشرة أيام . وقد المقتدر الرى وقزوين وأبهر وصيفا البكتري (١) ،
 وطلب يوسف بن أبى الساج أن يقطع على ما كان بيده من الولاية
 فأشار ابنُ الفرات بإجابته إلى ذلك ، فعارضه نصر الحاجب
 وابن الحواري وقالوا : لا يُجاب إلى ذلك إلا بعد أن يطاء البساط .
 ونسب الوزير ابنُ الفرات إلى مواظبه والميل معه . فامتنع
 / المقتدر بالله من إجابته إلا أن يحضر إلى الخدنة بنفسه .
 فلما رأى يوسف ذلك حارب مؤنسًا فانهزم مؤنس إلى زنجان ،
 وقتل من قواده جماعة (٢) وأبهر جماعة منهم هلال بن بدر ،
 فأدخلهم أردبيل مشهورين على الجمال .

٢٠-١

وأقام مؤنس بزنجان بجمع من الساكر ويمتد الخليفة ،
 وكاتبه يوسف في الصلح وراسله فيه ؛ فكتب مؤنس إلى الخليفة فلم
 يُعجه إليه . فلما كان في المحرم سنة تسع (٣) وثلاثمائة اجتمع
 لمؤنس خلق كثير فسار نحو يوسف ، فتواقعا على باب أردبيل ،
 فانهزم عسكر يوسف ، وأبهر هو وجماعة من أصحابه فماد بهم
 مؤنس إلى بغداد فدخلها في المحرم .

وأدخل يوسف مشهوراً على جملٍ وعليه برنس بأذنان الثعالب ،
 فأدخل على المقتدر ، ثم حبس عند زيدان القهرمانه .

(١) هكذا ضبط عند ابن تفرى يردى في النجوم الزاهرة ٣ : ١٢٨ وفي الطبرى
 « البكتري » بفتح الباء وإسكان الكاف وكسر التاء .

(٢) في الكامل ٦ : ١٥٥ أن الذى قتل هو سيبا

(٣) في الكامل ٦ : ١٥٥ « سنة سبع »

وفي سنة أربع وثلثمائة نوّقى الناصر المأمون صاحب طبرستان .
 وفيها خالف أبو يزيد خالد بن محمد على المقتدر بكرمان - وكان
 يتولى الخراج - وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس ،
 فحاربه بدر الحمامي وقتله وحمل رأسه إلى بغداد .

وفيهما سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم للغزاة ، فسار إلى
 ملطية وغزا منها ، وكتب إلى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام .
 أَنْ يَغزُوا مِن طرسوس فِي أهلها ، ففعل وفتح مؤنس حصونا
 كثيرةً من الروم وأثر آثاراً جميلةً وعاد إلى بغداد فأكرمه
 الخليفة وخلّع عليه .

٢٠- ب

قال أبو الفرج [عبد الرحمن بن الجوزي] (١) وفيها ورد
 الخبر من خراسان أنه وجد بالقندهار في أبراج سورها أزج (٢)
 متصل بها ، فيه ألف رأس في سلاسل ، من هذه الرؤوس تسعة
 وعشرون رأساً (٣) في أذن كل رأس رقعة مشدودة بخيط .
 لإبريسم (٤) مكتوب فيها اسم الرجل . قال وكان من الأسماء
 شريح بن حيان وخباب بن الزبير والخليل بن موسى وطلق
 ابن معاد ، وحاتم بن حسنة ، وهاني بن عروة ، وفي الرقاع تاريخ
 من سنة [سبعمين من] (٥) الهجرة ، ووجلوا على حاليهم لم
 لم يتغير شعرهم إلا أن جلودهم قد جفت .

(١) الإضافة من كصفحة ١٠ وهي ليست في ف ١٢ - أو الخبر في المنتظم ٦ : ١٣٩

(٢) أزج : ضرب من الأبنية ، الجمع أزج وأزاج (المهبط)

(٣) يعني رأس شهيد .

(٤) الإبريسم : يفتح السين أو ضمها الحرير (المهبط)

(٥) في الأصل وفي كوف « من سنة الهجرة » والزيادة من المنتظم .

ودخلت سنة خمس وثلثمائة : قال أبو الفرج (١) : في هذه السنة وَرَدَ عَلَى السُّلْطَانِ هَدَايَا جَلِيلَةً مِنْ أَحْمَدَ بْنِ هَلَالٍ صَاحِبِ عُمان ، وفيها أنواعٌ مِنَ الطَّيِّبِ وَطرائِفٌ مِنَ طرائِفِ الْبَحْرِ وَطائرِ أسودٍ يتكلم بالفارسية والهندية أَفْصَحَ مِنَ الْبِغَاءِ وَطَبَّاءِ سَوْدٍ

قال : ابنُ الأثيرِ : (٢) وفي هذه السنة مِنَ الْمُحْرَمِ وَصَلَ رَسُولانٌ مِنَ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْمُقْتَدِرِ يَطْلُبَانِ الْمَهَادَنَةَ وَالْفِدَاءَ فَأَجَابَ الْمُقْتَدِرُ إِلَى مَا طَلَبَ مَلِكُ الرُّومِ مِنَ الْفِدَاءِ ، وَسِيرَ مُؤَسِّمًا الْخَادِمَ لِيَحْضُرَ الْفِدَاءَ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرًا عَلَى كُلِّ بَادٍ يَدْخُلُهُ ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ عَلَى مَا يَرِيدُ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ عَنْهُ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ / مائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِفِدَاءِ أَسَارِي الْمُسْلِمِينَ .

قال [أبو الفرج] بِنُ الْجَوْزِيِّ فِي خَبَرِ الرِّسْلِ (٣) لِنَهْمَا أَذْخِلًا وَقَدْ عُيِّيَ الْعَسْكَرُ بِالْأَسْلِحَةِ التَّامَةِ وَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفًا ، وَكَانُوا مِنْ أَعْلَى بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ إِلَى الدَّارِ ، وَبَعْدَهُمُ الْغُلَّامانِ الْحُجْرِيَّةُ وَالْخُدَمُ الْخَوْصُ بِالْبِزَّةِ الظَّاهِرَةِ (٤) وَالْمَنَاطِقُ الْمُحَلَّاةُ ، وَكَانُوا سَبْعَةَ أَلْفِ خَادِمٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ بَيْضُ وَثَلَاثَةُ أَلْفِ سَوْدٍ ، وَكَانَ الْحُجَّابُ سَبْعِمِائَةَ حَاجِبٍ ، وَفِي دَجَلَةِ الطَّيَّارَاتِ وَالزَّبَابِ وَالسَّمِيرِيَّاتِ بِأَفْضَلِ زِينَةٍ . فَسَارَ الرُّسُولانِ قَمْرًا عَلَى دَارِ نَصْرِ الْقَشُورِيِّ الْحَاجِبِ ، فَرَأَى مَنظَرًا عَجِيبًا فَظَنَّاهُ الْخَلِيفَةَ وَهَابَاهُ حَتَّى

(١) راجع المنتظم ٦ : ١٤٥

(٢) في الكامل ٦ : ١٥٨

(٣) راجع المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦ : ١٤٣

(٤) في المنتظم ه بالسنة الظاهرة ه

قيل إنه الحاجب ، ثم حملا إلى دار الوزير فرأيا أكثر من ذلك ولم يشكوا أنه الخليفة فقيل إنه الوزير .

قال : وزينت دار الخلافة ، وطيف بهما فيها فثماهدا ما هالهما ، وكانت الستور ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديقاج ، المذهبة منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة ، وكانت البسط والنخاخ (١) اثنين وعشرين ألفا وكان في الدار من الونش قطعان تأنس بالناس وتأكل من أيديهم ، وكان هناك مائة سبوع كل سبوع بيد سباع . ثم أخرجنا إلى دار الشجرة ، وكانت شجرة في وسط بركة فيها ماء صاف ، والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة . وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهبة وهي تتأيل ، وبها ورق مختلف الألوان ، وكل من هذه الطيور تصفر . ثم أدخلنا إلى الفردوس ، وكان فيه من الفراش والآلات ما لا يحصى ، وفي دهاليزه عشرة آلاف جوشن (٢) مذهبة معلقة

٢١ = ب

قال : وبطول شرح ما شاهدنا من العجائب إلى أن وصلنا إلى المقتدر وهو جالس على سرير أبينوس قد فُرتس بالديبقي المطرز وعن يمينه السرير تسعة عقود معلقة وعن يسارته تسعة أخرى من أفخر الجواهر يضيء ضوءها على ضوء النهار .

(١) في ١ ، ك لفظ غير منقوطة ، وضحت في صفحة ١٢ - ب ، والنخاخ : جمع نخ وهو البساط . الذي يكون طوله أكثر من عرضه ، وهو لفظ فارسي معرب : (إيمان العرب)
(٢) جوشن ، ودع ، وقيل أن الجوشن من السلاح زبرد يوضع حل الصلر .

قال : فلما وصل الرسولان إلى الخليفة ، وقفوا على نحو مائة ذراع وابن الفرات قائم بين يديه والترجمان قائم يخاطب الخليفة . ثم أخرجوا وطيفهما في الدار حتى أخرجوا إلى دجلة وقد أقيمت على الشطوط. الفيلة والسباع والفهود !

قال : ثم خلع عليهما وحمل إليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم .

قال : وفيها ورد كتاب من رُو أن نقرأ عشروا على نقب في سور المدينة فكشفوا عنه فوصلوا إلى أزج فأصابوا فيه ألف رأس ، وفي أذن كل رأس رقعة قد أثبت فيها اسم صاحبها (١)

/ وفيها أطلق أبو الهيجاء بن حمدان وإخوته وأهل بيته من العيس ، وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك .

ودخلت سنة ست وثلاثمائة :

ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة

ووزارة حامد بن العباس

في هذه السنة في جمادى الآخرة قبض على الوزير أبي الحسن ابن الفرات ، وكانت مدة وزارته هذه - وهي الثانية - سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما وكان سبب ذلك أنه آخر إطلاق أرزاق الفرسان ، واحتج عليهم بضيق الأموال وأنها خرجت في محاربة ابن أبي الساج وأن الارتفاع نقص

(١) ما أشبه هذه الواقعة بما ذكر في سنة أربع وثلاثمائة على ما مر هنا .

يَأْخُذُ يَوْسُفَ أَمْوَالَ الرِّئْ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ شَغَبًا عَظِيمًا وَخَرَجُوا
إِلَى الْمَصَلَّى فَالتَمَسَ الْوَزِيرُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ إِطْلَاقَ مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ لِيُضِيفَ إِلَيْهَا مَائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ يُحْصِلُهَا وَيُصَرِّفُ
الْجَمِيعَ فِي أَرْزَاقِ الْجُنْدِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ :
إِنَّكَ ضَمَنْتَ أَنْ تُرْضِيَ جَمِيعَ الْأَجْنَادِ وَتَقُومَ بِجَمِيعِ النِّفَقَاتِ
وَتَحْمَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا ضَمَنْتَ حَمْلَهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَأُرَاكَ الْآنَ تَطْلُبُ مِنْ
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ ! فَاحْتَجَّ بِقِلَّةِ / الارتفاع وما أخذه ! ابْنُ أَبِي
السَّمَاكِ مِنْهُ وَمَا خَرَجَ عَلَى مَحَارِبَتِهِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ الْمُقْتَدِرُ حُجَّتَهُ وَتَنَكَّرَ
لَهُ . وَقِيلَ كَانَ سَبَبَ قَبْضِهِ أَنْ الْمُقْتَدِرَ قَبِلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ الْفَرَاتِ يَرِيدُ
إِرْسَالَ الْحَمْسِينَ بِنِ حَمْدَانَ لِمَحَارِبَةِ ابْنِ أَبِي السَّمَاكِ فَلِذَا صَادَ عِنْدَهُ
اتِّفَاقًا دَلِيلِكَ . ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الْفَرَاتِ قَالَ لِلْمُقْتَدِرِ أَنْ يَرْسَلَ ابْنَ حَمْدَانَ
لِحَرْبِهِ فَقَتَلَ ابْنَ حَمْدَانَ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَبِضَ ابْنَ الْفَرَاتِ فِي
جُمَادَى الْآخِرَةِ .

٢٢- ب

قال : (١) وكان بعض العمال قد ذكّر لابن الفرات ما يتحصّل
لِحَالِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ أَعْمَالِ وَاسِطِ . زِيَادَةً عَلَى ضَمَانِهِ فَامْتَكَّرَهُ ،
وَكَاتَبَهُ فِي ذَلِكَ ، فَخَافَ حَاسِدًا أَنْ يُؤْخَذَ وَيَطَالَبَ بِالْمَالِ ، فَكَتَبَ
إِلَى نَصْرِ الْحَاجِبِ وَإِلَى وَالِدَةِ الْمُقْتَدِرِ وَضَمِنَ لهُمَا مَا لَا لِيَّةَ حَدُّثًا لَهُ
فِي الْوَزَارَةِ . فَمَذَّكَرَ الْمُقْتَدِرَ حَالَهُ وَسَعَةَ نَفْسِهِ وَكَارَةَ أَتْبَاعِهِ وَأَنَّ لَهُ

(١) في الكامل ٦ : ١٦٠ و تسعة عشر يوما ،

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٦٠

أربعمائة مملوك يحملون السلاح ، ووافق ذلك فقرة المقتدر عن ابن الفرات فأمره بالحضور من واسط ، فحضر وقبض على ابن الفرات وولده المحسن وأصحابهما وأتباعهما .

ولما وصل حامد إلى بغداد أقام ثلاثة أيام في دار الخلافة ، فكان يتحدث مع الناس ويضاحكهم ويقوم لهم ، ديان للخدم وحاشية الدار قلة معرفته بالوزارة ، وقال له - حاجبه / يامولانا .. الوزير يحتاج إلى لبسة وجلسة وعيصة ! فقال له : نعى أنه يلس ويقوم ويقعد ولا يةوم لأحد ولا يضحك في وجه أحد ؟ قال نعم ! قال حامد : إن الله تعالى أعطاني وجهاً ظلقاً وخلقا حسناً وما كنت بالذي أعجب وجهي وأقبح خلقى لأجل الوزارة (١) ! فأمر المقتدر بإطلاق علي بن عيسى من محبسه ، وجعله يتولى اللواوين شبه النائب عن حامد (٢) فكان يراجعه في الأمور ويصدر عن رأيه .

ثم إنه استبد بالأمور دون حامد ، ولم يبق لحامد غير اسم الوزارة ومعناها لى حتى قيل فيها :

أعجب من كل ما تراد أن وزيرين في بلاد
هذا مواد بلا وزير وذا وزير بلا مواد (٣)

(١) للواقع أن حامد بن العباس - وإن يكن ثوريا فاضلا - كان يجهد آداب البلاط وشئون البرائة ، وقيل في تحليل ذلك إنه كان من أصل رضيع سقاء ويبيع التمر (معجم الأدباء ٣٢٥ : ٥)

(٢) في تحفة الأموال لطلال الصابي ٣٤٧ ، صلة الطبرى ٧٢ ما يدل على أن علي بن عيسى قبل ذلك بمد تردد

(٣) في الكامل ٦ : ١٦٠ بيت واحد على هذا النحو :

هذا وزير بلا مواد وذا مواد بلا وزير

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (١) : وفي هذه السنة أمرت السيدة أم المقتدر . قهرمانة لها تعرف بشمك أن تجلس بالتربة التي بنتها بالرصافة للمظالم ، وتنظر في رقاع الناس في كل جمعة (٢) ، فجلست وأحضرت القاضي أبا الحسين الإسناني (٣) وخرجت التوقيعات على السداد - قال - وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ : قَعَدَتْ تَمَلُّ القهرمانة في أيام المقتدر بالله للمظالم ، وحضر مجلسها القضاء والفقهاء .

/ وفيها غزا يُسْرُ الأفسيني بلاد الروم فافتتح عدة حصون وغنم وسليم ، وغزا شمال (٤) في بحر الروم فغنم وسبي وعاد . وفيها أدر المقتدر ببناء بيا رستمان فبني وأجرى عليه النفقات الكثيرة ، وكان يُسمى المقتدرى ، وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي (٥) .

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة :

في هذه السنة وصل القارم بن المهدي من أفريقية من قبل أبيه بجيش كثيف فكان وصوله إلى الإسكندرية في شهر ربيع

(١) في المنتظم ٦ : ١٤٨

(٢) كذلك في الأصل نقلا عن المنتظم ، وفي صلة الطبرى ٧١ : يوماً في كل جمعة .

(٣) في المنتظم ٦ : ١٤٨ . وأحضرت القاضي أبا الحسن بن الإسناني ، وفي التمام

قال المحقق « في ترجمته من تاريخ بغداد كناه أبا الحسين » وهو على أية حال من الفقهاء حفاظ الحديث ، ولى القضاء للمقتدر ثلاثة أيام ثم عزل وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد !

(٤) كان متولى الغزو في البحر ، وقد حطم مراكب المهدي العلوي صاحب أفريقيا

(٥) في النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٤ . وقيل أحمد بن العباس أخو رام موسى

الآخر (١) ، فخرج عنها عاملُ المقتدر (٢) ودخل القائم ، ثم رحل إلى مصر فدخل الجيزةَ وملك الأشمونيين وأكثر الصعيد . وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يُجيبوه ، فبعث المقتدر بالله مؤنسًا الخادم في ثعبان وجدّ في المير فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات .

ووصل من أفريقية ثمانون مركبانجدة للقائم ، فأمر المقتدر بالله أن تسيّر مراكب طرسوس إليهم ، فسارت خمسة وعشرون مركبًا وفيها النّفط . والعُدُدُ ومقدمها أبو اليمن ، فالتفت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد ، فظفر أصحاب مراكب المقتدر بالله وأحرقوا كثيرًا من مراكب أفريقية وأسروهم كثير . وكان ممن أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي وهما مقدمه المراكب / فمات سليمان في الحبس بمصر ، وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية .

٢٤-١

وفيها ضمّن حامدُ بنُ العباسِ الوزير أعمالَ الخراج والضّياع الخاصّة والعامةِ والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة والبصرة وواسط . والأهواز وأصبهان . وسبب ذلك أنه رأى أنه قد تعطلّ عن الأمر والنهي وتفردّ به عليُّ بنُ عيسى ، فشرع في هذا ليصير له حديثٌ وأمرٌ ونهيٌ ، ثم استأذن المقتدر في الانحدار إلى واسط . ليُدبّر أمرَ ضمّانه الأولِ فأذن له فأنحدر إليها ، واسم

(١) في النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٦ . وأمامسكرو المغاربة فان مقدمة القائم بن المهدي دخلت الإسكندرية في صفر هذه السنة .
(٢) هو تكين بن عبد الله الحربى .

الوزارة عليه ، وعلى يدبر الأمور ! وأظهر حامد زيادة عظيمة ظاهرة في الأموال ، فسُرَّ المقتدرُ بذلك وبمسط. يد حامد في الأعمال حتى خافه على بن عيسى .

ثم تحرك السعير (١) ببغداد فثارت العامة والخاصة ، لذلك ، واستغاثوا وكسروا المناير ، وكان حامد يخزن الغلال ، وكذلك غيره من القواد ، فأمر المقتدر بإحضار حامد فحضر من الأهواز ، فعاد الناس إلى شغبهم . فأنفذ حامد جماعة لمنعهم ، فقاتلهم العامة ، وأحرقوا الجسرين وأخرجوا المحبسين من السجن ونهبوا دار صاحب الشرطة ، فأنفذ المقتدر جيشا مع غريب الخال فقاتل العامة ، فانهزموا بين يديه ودخلوا الجامع بباب الطاق ، فأخذ وحسوا ، ثم ضرب بعضهم وقطعت أيدي من عرف بالفساد .

ثم أمر المقتدر من الغد فنودي / في الناس بالأمان فسكنت الفتنة ، ثم ركب حامد إلى دار المقتدر في الطيار (٢) فرجمه العامة ، فأمر الخليفة بفتح مخازن الحنطة والشعير التي لحامد ولأم المقتدر وغيرها ، وبيع ما فيها فرخصت الأسعار وسكنت الناس ، فقال على بن عيسى للمقتدر : إن سبب غلاء الأسعار ضمان حامد ، فإنه منع بيع الغلال في البيادر وخزنها ! فأمر المقتدر بفسخ الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد ، وأمر على بن عيسى أن يتولى ذلك ، فسكن الناس واطمأنوا .

٢٤ - ب

(١) تحرك السعير : ارتفع

(٢) باب الطاق : حلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرق وتعرف بطاق أسماء

(٣) الطيار : ضرب من السفن الخفيفة السريعة

وفيها قُلتُ إبراهيمُ بنُ حمدانَ ديارَ ربيعة ، وحجَّ بالناسِ في هذه السنة أحمدُ بنُ العباسِ أخو أمِّ موسى القهرمانة .

ودخلت سنة ثمانٍ وثلاثمائة : في هذه السنة خلع المقتدر بالله على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، وقلَّده طريق خراسانَ والدينورَ ، وخلع على إخوته أبي العلاء وأبي السرايا

وفيها توفي إبراهيمُ بن حمدان في المحرم ، وحجَّ بالناس في هذه السنة أحمدُ بن العباس .

ودخلت سنة تسعٍ وثلاثمائة :

ذكر قتل الحسين بن منصور الحلاج

وشيء من أخباره

وفي هذه السنة قُتل الحسينُ بنُ منصور الحلاجِ الصوفي ، وأُحرق بالنار (١) / وكان ابتداء حاله أنه كان يظهر الزهدَ والتصوِّفَ ، ويظهر الكرامات ويُخرج للناس فاكهةَ الصيف في الشتاء وفاكهةَ الشتاء في الصيف . ويمدُّ يده في الهواء فيعبيدها مملوءةً دراهاً وعليها مكتوبٌ « قل هو الله أحد » ويسميها دراهاً القدرة . ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه في بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائرهم . فافتتن به خلقٌ كثيرٌ واعتقدوا فيه الحلول ، واختلفت فيه اعتقاداتهم ؛ فمن قائلٍ إنه حلٌّ فيه جزءُ إلهي ويدعى فيه الربوبية ، ومن قائلٍ إنه وليُّ الله تعالى وإنَّ الذي

(١) أفاض ابن كثير في بسط سيرة الحلاج وأقواله وأسانيب عيشه وضروب حيله (راجع للهداية والنهاية ١١ : ١٢٢ وما بعدها)

يُظَهَرُ مِنْهُ مِنْ جُمْلَةِ كَرَامَاتِ الصَّلْحَاءِ ، وَمَنْ قَائِلٌ إِنَّهُ مُشْعَبٌ
وَمُخْرِقٌ وَسَاحِرٌ كَذَابٌ وَمَتَكَهَنٌ وَإِنْ الْجَنُّ تَطِيعُهُ فَتَأْتِيهِ بِالْفَاكِهِةِ
فِي خَيْرِ أَوَانِهَا .

وَكَانَ قَدِيمٌ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى الرَّاقِ وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَ بِهَا
سَنَةً فِي الْحَجْرِ لَا يَسْتَتِظِلُّ تَحْتَ سَقْفٍ صَيفًا وَلَا شِتَاءً ،
وَكَانَ يَصُومُ الدُّفْرَ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعِشَاءِ أَحْضَرَ لَهُ الْقَوْمَ
كُوْزًا مِنْ مَاءٍ وَقَرَصًا فَيَشْرَبُ وَبَعْضُ مِنَ الْقُرْصِ ثَلَاثَ عَضَاتٍ مِنْ
جِرَانِبِهَا فَيَأْكُلُهَا وَيَتْرَكُ الْبَاقِيَّ فَيَأْخُذُونَهُ ، وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا آخَرَ
إِلَى وَقْتِ الْفِطْرِ مِنَ اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ . وَكَانَ شَيْخَ الصُّوفِيَةِ يَوْمَئِذٍ
مَكَّةَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَغْرِبِيَّ فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَجَاءَ لِرِيَاةِ الْحَلَاجِ فَلَمْ
يَجِدْهُ فِي الْحَجْرِ ، وَقِيلَ قَدْ صَعِدَ إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ ، فَصَعِدَ
إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ عَلَى صَخْرَةٍ حَافِيًا / مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَالْعَرَقُ يَجْرِي مِنْهُ
إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ أَصْحَابَهُ وَعَادَ وَلَمْ يُكَلِّمَهُ وَقَالَ : هَذَا يَتَوَصَّيِّرُ عَلَى
قِضَاءِ اللَّهِ وَسَوْفَ يَبْتَالِيهِ اللَّهُ نَا يَعْجِزُ عَنْهُ صَبْرُهُ وَقُدْرَتُهُ ! وَعَادَ
الْحَمْسِينَ إِلَى بَغْدَادِ .

٢٥-ب

وَأَمَّا سَبَبُ قَتْلِهِ فَبِتَّهِ نَقِيلٌ عَنْهُ عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَى بَغْدَادِ إِلَى الْوَزِيرِ
حَامِدِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ أَحْيَا جَمَاعَةً وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّ الْجَنُّ يَخْلَعُونَهُ
فِيحْضُرُونَ عِنْدَهُ بِنَا يَشْتَهِي . وَإِنَّهُ قَدَّمَهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ خَاشِعِيَةِ
الْخَلِيفَةِ ، وَإِنَّ نَصْرًا الْحَاجِبِ قَدِمَ إِلَيْهِ هُوَ وَغَيْرُهُ . فَالْتَمَسَ حَامِدُ
مِنَ الْمُقْتَدِرِ أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْحَلَاجَ وَأَصْحَابَهُ فَدَفَعَ عَنْهُ نَصِيرَ الْحَاجِبِ
وَأَلْحَ الْوَزِيرَ فِي طَلْبِهِ ، فَأَمَرَ الْمُقْتَدِرُ بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ وَأَخَذَ ٥٥٠

إنّمان يعرف بالشميمري وغيره - قيل إنهم كانوا يعتقدون أنه إله - فقررهم حامد فاعترفوا أنهم قد صحّ عندهم أنه إله وأنه يحيى الموتى ، وقابلوا الحلاج على ذلك . فأنكره وقال : أعوذ بالله أن أدعى الربوبية والنّبوة وإنما أنا رجل أعبد الله عزّ وجل ! فحضر الوزير القاضي أبو عمر والقاضي أبا جعفر بن البهاول وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم فقالوا : لا نفى في أمره بشيء إلا أن يصحّ عندنا ما يوجب قتله ، ولا يجوز قبول قول من يدعى عليه ما ادّعه إلا ببينة أو إقرار !

وكان حامد يُخرج الحلاج إلى مجلسه ويمتنطقه فلا يظهر منه / ما تكرهه الشريعة ، وطال الأمر وحامدٌ مُجدُّ له في أمره ، وجرى له معه قصصٌ يطول شرحها . وفي آخرها أن الوزير رأى له كتابا حكى فيه أن الإنّمان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتا لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يدخله أحد ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع ثلاثين يتيما ويعمل أجود طعام يمكنه ويطعمهم في ذلك البيت ويتولّى خدمتهم بنفسه ، فإذا فرغوا كساهم وأعطى كل واحد منهم مائة دراهم ، فإذا فعل ذلك كان كمن حج . فلما قُرئ هذا على الوزير قال القاضي أبو عمر للحلاج : من أين لك هذا ؟ قال من كتاب الإخلاص للحسن البصرى . قال له القاضي : كذبت بإحلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا . فلما قال له « بإحلال الدم » وسمعها الوزير قال له : اكتب هذا رقعة ،

فدافعه أبو عمر فألزمه حامدٌ فكتب بإباحةٍ ديهٍ وكتب بعده من حضر المجلس . قال : (١) ولما سمع الحلاج ذلك قال : ما يحل لكم دمي وإعتقادی الإسلام ومذهبي السنة ولي فيها كتب موجودة فآله الله في دمي !

وتفرق الناس ، وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله وأرسل إليه الفتاوى فأذن في قتله فسلمه الوزير إلى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط. فما تآوه ثم قطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم قتل / وأحرق في النار، فلما صار رماداً ألقى في دجلة ونصب رأسه ببغداد وأرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب ، وأقبل بعض أصحابه يقولون : إنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه على دابة وإنه يعود بعد أربعين يوماً ! وبعضهم يقول : لقبته على حمارٍ بطريق النهروان وإنه قال لهم « لا تكونوا مثل هؤلاء النفر الذين يظنون أني ضربت وقتلت » !

٢٦- ب

وفيهما استعمل المقتدر على حرب الموصل ومعاونتها محمد بن نصر الحاجب ، فسار إليها وأوقع بمن خالفه من الأكراد فقتل وأسر ، وأرسل إلى بغداد نيفاً وثمانين أسيراً فشهروا ، وفيها قلد داود بن حمدان ديار ربيعة .

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة : في هذه السنة أطلق يوسف بن أبي الساج من الحبس بشفاعة مؤنس الخادم ، ودخل إلى المقتدر وخلع عليه ، ثم عقده على الرمي وقزوين وزنجان وأبهر . وقرر

عليه خمسمائة ألف دينار محمولة إلى بيت المال في كل سنة سوى أرزاق العساكر الذين بهذه البلاد .

وفيهما وصلت هدية أبي زنبور الحسين الماذراني ^(١) من مصر ، وفيها بخلّة معها فلو ^(٢) يتبعها ويرضع منها و غلام طويل اللسان يلحق لسانه أرنبّة أنفد !

وفيهما قبض المقتدر على أم موسى القهرمانه وكان سبب ذلك أنها / زوّجت ابنة أخيها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله وكان يُرثع للخلافة ، فلما صاهرته أكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالاً جليلاً ، فتكلم أعداؤها وسعوا بها إلى المقتدر وقالوا : إنها قد سمعت لأبي العباس في الخلافة ، وحأقت له القواد ، وكثرت القول فيها ، فقبض عليها وأخذ منها أموالاً جليلاً وجواهر نفيسة ^(٣) ، قال ابن الجوزي : صحّ منها لبيت المال ألف ألف دينار ^(٤) ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة :

(١) في روى ك صفحة ١٤ وفي ف صفحة ١٧ - ١ : الماذراني وماها هنا من النجوم الزاهرة ١ : ١٠١ ، ١٤٨ وأبو زنبور الحسين هو ابن أحمد بن رسم أبو على الكاتب - على ما يقول حريب والكندي وابن الأثير - وفي بعض الأثبات الحسن بن أحمد ، وفي بعضها أبو منصور ، وكلاهما تحريف ، وكان عامل الخراج على مصر يسميه ابن كثير الحسين ابن المارداني (البداية والنهاية ١١ : ١٤٥)

(٢) فلو : جحش (المحيط)

(٣) يروى أنها سلمت إلى ثمل القهرمانه ومعها أخوها وأختها فبسطت عليهم ثمل مر العذاب فقد كانت هذه مشهورة بالشر والقسوة

(٤) المتظم ٦ : ١٦٦

ذكر عزل حامد بن العباس

وولاية ابن الفرات

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر نزل المقتدر حامد بن العباس عن الوزارة ، وعلى بن عيسى عن الدواوين ، وخلع على أبي الحسن بن الفرات وأعيد إلى الوزارة . وكان سبب ذلك أن المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخير أرزاقهم ؛ فإن علي بن عيسى كان يؤخرها ، فإذا اجتمع لهم عدة شهور أعطاهم البعض ، وحظ من أرزاق العمال في كل سنة شهرين وكذلك من أرزاق من له رزق فزادت عداوة الناس له . وكان حامد بن العباس قد ضجر من المقام ببغداد وليس له من الأمر شيء غير لبس السواد ، وأنف من أطراح علي بن عيسى لجانبه ؛ فإنه كان يهينه في توقيعاته بالإطلاق عليه لزمانه بعض الأعمال ، فكان يكتب ليطلق جنداً^(١) الوزير أعزّه الله ، وليبادر نائب الوزير ، وكان إذا شكأ إليه بعض نواب حامد يكتب على القصة « إنا عقيد الضمان على النائب الوزير عن الحقوق الواجبة السلطانية فأينقدم إلى عماله بكف الظلم عن الرعية » .

٢٧ ب

فاستأذن حامد وسار إلى واسط لينظر في ضمانه فأذن له ، وجرى بين مفلح الأسود^(٢) وبين حامد كلام فقال له حامد :

(١) في الأصل « يطلق جهة الوزير » ولا معنى له لأن الجهة التقاد الخير ، وفي ك صفحة ١٤ « جند » وهو ما أثبتناه .

(٢) كان مفلح من أقرب الناس إلى المقتدر وكان خصيصاً به على ما يقول ابن

لقد همت أن أشتري مائة خادم أسود أسميهم فليحا وأهبيهم
 فلما نى فحقدها مُفلح - وكان خصيصا بالمقتدر - فسعى معه
 المحسنُ بنُ القراتِ لوالده بالوزارة وضمن أموالاً جليلاً ، وكتب
 على يده رقعة يقول إن سُلِّمَ إليه الوزيرُ وعلى بن عيسى وابن الحواري
 وشفيع اللؤلؤى ونصر الحاجب وأم موسى القهرمانه والمأذرائيون
 استخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار ! وكان المحسن مطلقا ،
 وكان يواصل السعاية بهؤلاء الجماعة ، وذكر ابنُ القراتِ
 للمقتدر ما كان يأخذه ابنُ الحواري في كل سنة من المال
 فاستكثره .

فقبضَ على علي بن عيسى في شهر ربيع الآخر وسُلِّمَ إلى
 زيدان القهرمانه فحبسته في الحجرة التي كان ابن القرات محبوبا
 فيها ، وأطلق ابنُ القراتِ وخلع عليه ، وتولى / الوزارة وخلع على ابنه
 المحسن ، وهذه الوزارة الثالثة لابن القرات .

٢٨ - ١

قال (١) : وسيرَ ابنُ القراتِ إلى واسط من يقبض على
 حامدٍ فهرب واختفى ببغداد ، ثم إن حامدا لبس زي رهاب
 وخرج من مكانه الذي كان فيه ومشى إلى نصر الحاجب ودخل عليه
 وسأله لإرسال حاله إلى الخليفة إذا كان عند حرمه ، فاستدعى
 نصر مفلحا الخادم فلما رآه قال : أهلا بولانا الوزير أين
 ممالكُ السودان الذين سميت كل واحد منهم فليحا ؟

فسأله نصر أن لا يؤاخذه وقال له : حامد يسأل أن يكون مجسماً
في دار الخلافة ولا يسلم إلى ابن القرات .

فدخل مُفْلِحٌ وقال ضد ما قيل له فأمر المقتدر بتسليمه إلى ابن
القرات ، فأرسل إليه فحبسه في دارٍ حسنةٍ وأجرى له من الطعام
والكسوة والطيب وغير ذلك ما كان له وهو وزير ، ثم أحضره
وأحضر الفقهاء والعمال وناظره على ما وصل إليه من المال وطالبه
به ، فأقر بجهاتٍ تُقارب ألف ألف دينار ، . وصمته المحسن بن
أبي الحسن بن القرات الوزير من المقتدر بخمسمائة ألف دينار
فسلمه إليه فعذب به بأنواع العذاب ، وأنفذه إلى واسط . مع بعض
أصحابه ليبيع ماله هناك ، وأمرهم أن يسقوه سُماً فسقوه سُماً في
بيض مشوي كان طلبه ، فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط . أفرط .
القيام به . وكان قد / تسلمه محمد بن علي البروجري^(١) فلما رأى حاله
أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه أنه ليس له في أمره صنع ! فلما
حضروا عند حامد قال لهم : إن أصحاب المحسن سقوني سماً في بيض
مشوي فإنا أموت منه وليس لمحمد في أمرى صنع ، لكنه أخذ قطعة
من أهوالى وأمتعتى وجعل يحشو بها في المساور وتباع المسورة بحضرة
من أميين الساطان بخمسة دراهم فيضع من يشتريها ويحملها إليه
فيكون فيها أمتعة تساوي ثلاثة آلاف درهم ، فانشهدوا على

٢٨ - ب

(١) كذا في ١ ، وفي ٢ ، ف « البروجري » وذكره ابن الأثير في الكامل ٦ ، ١٧٤ .

ذلك ! وكان صاحب الخبر حاضرا فكتب بذلك ، ثم مات حامداً في شهر رمضان من هذه السنة .

وصودر على بن عيسى بثلاثمائة ألف دينار وعذبه المحسن بن الفرات وصفعه فما نكر عليه أبوه لأن عليا كان محسنا إليهم في أيام ولايته وأعطى المحسن في أيام نكبته عشرة آلاف درهم ، فلم يبرح له حق إحدائه . قال : (١) ولا أدى على بن عيسى مال المصادرة ميره ابن الفرات إلى مكة وكتب إلى أميرها أن يسيرة إلى صنعاء ، ثم قبض ابن الفرات على أبي علي بن هائلة لأنه بلغه أنه سعى به أيام نكبته وتقلد بعض الأعمال في أيام حامد ثم أطلقه ابن الفرات

وقبض أيضا على ابن الحواري وكان خصيصا بالمقتدر وسلمه إلى ابنه المحسن فعذبه عذاباً شديداً - / وكان المحسن وقحا ظالما مبيء الأدب ذا قسوة شديدة ، وكان الناس يسمونه الخبيث بن الطيب ، وسير ابن الحواري إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال فضربه الموكل به حتى مات . وقبض أيضا على الحسين بن أحمد وهحمد بن علي الماذرائيين (٢) فصادرهما على ألف دينار وسبعمائة ألف دينار ، ثم صادر جماعة من الكتاب ونكبتهم . ثم إن

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ ٤ ١٧٤

(٢) في الأصل وفي من صفحة ١٤ و المحسن بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيين . وهو

حريف صوابه ما أثبتناه عن ابن الأثير .

ابن الفرات - خُوفَ المقتدر من مؤنس الخادم وأشار عليه أن
يسيره إلى الشام فأخرجه عن الحضرة في يوم شديد المطر ،
ثم سمى ينضِر الحاجب وأطمع المقتدر في ماله وكثرته فالتجأ
نصر إلى أم المقتدر فحمته من ابن الفرات

وفيهما غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح حصونا وغزا
شمال في البحر فغنم من السبي ألف رأس ، ومن الغنم ألف
رأس ، ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا .
وفيهما دخل القرمطي^١ البصرة وقتل عاملها (٢) وأقام بها مائة
عشرَ يوماً يقتل وينهب ويأبسر .

ودخلت سنة اثنى عشرة وثلاثمائة : في هذه السنة ظهر في دار
الخليفة إنسان أعجمي عليه ثياب فاخرة وتحتة مما يلي بدنه
قميص صوفٍ ومعه قَدَاحَةٌ وكبريتٌ ودواةٌ وأقلامٌ وسكينٌ
وكاغدٌ ، وفي كيسٍ سويقٌ وسكرٌ وحبلٌ / طويل من
القنّب ، فأحضر إلى ابن الفرات الوزير فسأله عن حاله فقال :
لا أخبر إلا صاحب الدار ! فأمر بضربه ليقر فقال : بسم الله
بدأتم بالشر ! ولزم هذا القولَ ثم جعل يقول بالفارسية
ما معناه : لا أدري ، ثم أمر به فأحرق ، وأنكر ابن الفرات على
نصر الحاجب هذا الحالَ وعظّم الأمرَ بين يدي المقتدر ونسبه إلى
أنه أخفاه ليقتل المقتدر ، وتفاوضا فقال الحاجب : لِمَ أسمى في

٢٩ - ب

(١) يقول أبو الفرج عبد الرحمن في المستظم ٦ : ١٨٨ إنه أبو طاهر سليمان بن أبي

سعيد الجنابي .

(٢) عن ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٧٥ ، ١٧٧ أنه سبك المفلحي .

قَتَلَ أمير المؤمنين وقد رفعني من الثرى إلى الثريا ؟ إنما يسمى في قتله مَنْ صادَره وأخذ أمواله وضياعه وأطال حَبْنَه !

وفيهما أخذ القرمطي الحاجُّ بعد عودتهم من الحجاز - وكان لأبي الهيجاء طريقُ مكة - فسار إلى القرمطي فأوقع به ، وأسير أبو الهيجاء وأحمدُ بن كشمرد ونحريُّ وأحمد بن بدر عمُّ والدة المقتدر وغيرهم ، وأخذ القرمطي جمال الحاجِّ جميعها وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان ، وعاد إلى هَجَرَ (١) وترك الحاجَّ في مواضعهم فمات أكثرُهم جوعاً وعطشاً ، فاجتمع حرم المأخوذِين إلى حرم المنكوبين (٢) الذين نكبهم ابنُ الفرات وجعلنَ ينادين : القرمطي الصغير (٣) قَتَلَ المسلمين بطريقِ مكة والقرمطي (٤) الكبير قتل المسلمين ببغداد اوشنَعُوا عليه وكَسَرَ العائَةَ منابرَ الجوامع وسَوَّدُوا المحارِبَ يوم الجمعة لِسِتْ خَلَوْنَ من صفرٍ ، / فَضَعَفَتْ ١ - ٣٠ .

وحضَرَ نَصْرُ الحاجبِ المشورةَ فانبسط. لسأته على ابنِ الفرات وقال : الساعة تقول : اى شيء نصنع وما هو الرأى بعد أن زعزعتَ أركانَ الدولة وعرضتها للزوالِ ؛ في الباطن بالليل مع

(١) هجر : مدينة تعتبر قاعدة البحرين إلا إذا ذكرت القفيف (ياقوت) ، وكتاهما للقرمطي المذكور

(٢) في ك صفحة ١٥ « فاجتمع حرم المأخوذِين إلى حرم المسلمين بطريق مكة الذين نكبهم »

(٣) كان هذا القرمطي إذ ذاك في السابعة عشرة على مايقول ابن الأثير

(٤) العبارة عن المتظم ٦ : ١٨٩ « بابن الفرات القرمطي الكبير ، ولما قبض عليه

قال العامة « قد قبض على القرمطي الكبير » ..

كل عَدُوٌّ يظهر ومكاتبته ومهاداته ، وفي الظاهر بإبعادك مؤنسا ومن معه إلى الرقّة وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآن هذا الرجل إذا قصَدَ الحضرة أنت أم ولدك ؟ وقد ظهر الآن مقصودك بإبعاد مؤنسٍ وبالقبض على وعلى غيري ، أن تستضعف الدولة وتُقوى أعداءها لتشفى غيظك ممن صادرك وأخذ أموك ! ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفق ؟ وقد ظهر أيضا أن ذلك العجمي من أصحاب القرمطي وأنت أوصلته ! فحلف ابنُ الفراتِ أنه ما كاتب القرمطي ولا هاداه ولا رأى ذلك الأعجمي إلا تلك الساعة ، والمقتدر مُعْرِضٌ عنه . وأشار نصرٌ على المقتدر بالله أن يحضر مؤنسا ومن معه ففعل ذلك ، وكتب إليه بالحضورِ ففعل وسارع ، وقام ابنُ الفراتِ فركب فرجماُ العامة ، ثم وصل مؤنسُ المظفر إلى بغداد ، ولما رأى المحسن . ابنُ الفراتِ انحلالَ أمورهم أخذ كل من كان محبوبا فقتله ، لأنه كان قد أخذ متهم أموالا / جليلا ولم يوصلها إلى المقتدر فخاف أن يقرؤا عليه بما أخذه منهم .

ذكر القبض على ابن الفرات الوزير

وولده المحسن

قال (١) : ثم كثر الإرجافُ على ابن الفراتِ فكتب إلى المقتدر يُرْفقه بذلك ، وأن الناس إنما عادوه لشفتيته ونُضجِهِ وأخذ حقوقه منهم فأنقذ المقتدرُ إليه يسكنه ويطيّب قلبه فركب هو وولده إلى المقتدر

فطِيبَ قلوبهما ، وخرجا من عنده فمئنهما نَصْرُ الحاجبُ ووكل
بهما ، فدخل مُفْلِح على المقتدر وأشار عليه بتأخير عزله فأمر
بإطلاقهما فخرجا ، فأما المحسن فإنه اختفى ، وأما الوزير فإنه
جلس عامة نهاره يقضى الأشغال إلى الليل ثم بات مفكراً ، فلما
أصبح سمع بعض خدمه ينشد :

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدمه خير له أم وراءه

فلما ارتفع النهار وهو الثامن من شهر ربيع الأول أنه
نازوك (١) ويلقب في عدة من الجند فدخلوا عليه وهو عند
حرمة فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس فألقى عليه يلبق طيلسانا
غطى به رأسه وحمل إلى طيار فيه مؤنس المظفر ومعه دلال/ بن
بدر (٢) فاعتذر إليه ابن الفرات وألان كلامه له فقال له : أنا
الآن الأستاذُ وكنتُ بالأمس الخائن الساعى في فساد الدولة
وأخرجتني والمطرُ على رأسي ورووس أصحابي ولم تهتني أو سلم إلى
تفيع اللؤلؤى فحيس عنده ، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر
وعمانية عشر يوماً ، وأخذ أصحابه وأولاده ولم ينج منهم إلا المحسن ،
وصودر ابن الفرات على ألف دينار .

(١) نازوك من أخطر الشخصيات التركية التي كانت في بلاط المقتدر ، فقد كان خادمه
ثم أصبح عامله على دمشق ، ثم صاحب شرطه ببغداد . وفي سنة ٣١٧ اشترك في خلمه فقتل ،
وكان قد قتل ابن الفرات شر قتلة (عن مسكويه وعريب وابن الأثير)

(٢) هو الأمير أبو الحسن ولي إمرة مصر كما يقول ابن تفرى بردى في النجوم الزاهرة

ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني

قال (١) : ولما تغيّر حال ابن الفرات سَمِيَ عبدُ الله بن أبي علي محمد بن عبد الله (٢) بن يحيى بن خاقان في الوزارة ، وكتب خطه أنه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألف دينار . وسعى له مؤنس الخادم وهارون بن غريب الخال ونصر الحاجب فتولى أبو القاسم الوزارة في تاسع شهر ربيع الأول ، وكان المقنن يكرهه فلما سمع ابن الفرات وهو محبوب بولايته قال: الخليفة هو الذي نكب لأنا! يعني أن الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة، ولما ولي الخاقاني شَمَعَ إليه مؤنس الخادم في إعادة علي بن عيسى من صنعاء إلى مكة ، فكتب بإعادته وأذن له في الاضلاع على أعمال مصر والشام .

ذكر مقتل ابن الفرات وولده

٣١-ب

قال كان المحسن بن الوزير أبي الحسن بن الفرات (٣) مختفياً كما ذكرنا ، وكان عند حماته خنزيرة - (٤) وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات - وكانت تأخذه كل يوم وتوجهه به إلى المقبرة في زِيِّ النساء وتعود به إلى المنازل التي تشق بها ، فمضت به يوماً إلى مقابر قريش . وأدركها الليلُ فبهدت عليها الطريق وأشارت

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٧٨

(٢) في ك صفحة ١٦ « عبيد الله »

(٣) في ك صفحة ١٦ « كان الحسن بن أبي الحسن بن الفرات »

(٤) في ك « خنزيرة » وفي تجارب الأمم « خنزيرة » وفي الكامل « حزانة »

عليها امرأة معها أن تقصد امرأة سالحة تعرفها بالخير ، فأخذته وقصدت به تلك المرأة وقالت لها : معنا صبية [بنت] (١) بكر نريد منك بيتا تكون فيه ! فأمروهم بالدخول إلى بيتها وسلمت إليهم قبة في الدار ، فدخلوا المحسن إليها ، وجلس النساء الذين معه في صفه أمام القبة ، فجاءت جارية سوداء فرأت المحسن فأخبرت مولانها أن في الدار رجلا ، فجاءت المرأة صاحبة الدار فرأته وعرفته - وكان المحسن قد أخذ زوجته ابصاره فلما رأى الناس يمدبون في داره مات (٢) فجأة - فلما رأت المرأة المحسن ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة وقالت عندي نصيحة .

فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته الخبر فطاع به المقتدر ، فامر صاحب الشرطة أن يسير معها فسامر معها إلى منزلها وأخذ / المحسن وجاء به إلى المقتدر ، فبعث به إلى دار الوزارة فعذب ٣٢ - ١
بأنواع العذاب ليحجبه إلى مال يخممه فقال : لا أجمع بين الروح والمال ! فامر المقتدر بحمله مع أبيه (٣) إلى دار الخلافة فقال الوزير أبو القاسم مؤنس ودارون بن غريب الخال ونصر الحاجب : إن نقل ابن القرات إلى دار الخلافة يذل أمواله وأطمع المقتدر في أموالنا وضجبتنا منه وتدمرتنا فأهلكنا فوضعوا القواد

(١) زيادة من ك. صفحة ١٦

(٢) في ك « فلما رأى الناس يمدبون في داره فمات » والجار مضطربة

(٣) في ك صفحة ١٧ « ابنه »

والجند وقالوا : لا بُدَّ من قتل ابن الفرات وولده فإننا لا نأمن على أنفسنا ما دامنا في الحياة ! فأمر المقتدر نازوكًا بقتلها فبدأ بقتل المحسن فذبحه كما تُذبحُ الشاة وحمل رأسه إلى أبيه فارتاع لذلك ، ثم عرض أبوه على السيف فقال : راجعوا في أمري فإن عندي أهوالاً جمةً وجواهر كثيرة ، فقبل له جلَّ الأمر عن ذلك . ثم ذُبح في يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الآخر منها ، وكان عمره إحدى وسبعين سنةً وعمر ولده ثلاثاً وثلاثين سنةً وحمل رأسهما (١) إلى المقتدر فأمر بتغريفهما

والاقتدار ركب هارون بن غريب الخال مسرعاً إلى الوزير الخاقاني وهنئه بقتلها فأغضب عليه حتى ظنَّ هارونُ ومن هناك أنه مات ، وصرخ عليه أنه قتله ، ثم أفاق من غشيته وأعطى هارون ألفي دينار . وشفع / مؤنس في إبنتي ابن الفرات عبد الله وأبي نصر فأطلقا له ، فخلع عليهما ووصلهما بعشرين ألف دينار من أهله .

٣٢- ب

قال : (٢) وكان ابن الفرات كريماً ذا ريادة وكفاية في عمله ، حسن السؤال والجواب ، وكان مصطنعاً للناس ، فإن جميع كتابه الذين اصطنعهم صاروا وزراء . وكان يتمتع من ضياعه في كل سنة ألفي دينار وينفقها ، وكان إذا وزر غلا السَّمْع والكاغذ والسكر والكافور لكثرة استعماله لذلك ! وكان يجري على

(١) في رأسهما ، وهو خطأ اعتاد الزويري أن يقع في مثله ، وفيك صفحة ١٧

و رأسهما

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ١٨٠

خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوتات والفقراء ، قال
الصولي ^(١) : ومن فضائله التي لم يُسَبَقْ إليها أنه كان إذا رُفِعَتْ
له قضية فيها سعايةً بأحدٍ خرج ^(٢) من حضرته غلاماً فينادى .
ابن فلانُ بنُ فلانٍ الساعي ! فامتنع الناس من السعاية بأحد ، ولم
يكن فيه ما يعاب إلا أن أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون
ويظلمون فلا يمنعهم ؛ فمن ذلك أن بعضهم ظلم امرأة في وِلكٍ
لها فكتبت إليه نشكو غير مرة ولا برد لها جواباً فلقيته يوماً
فقلت : أسألك بالله أن تسمع كلامي ! فوقف لها فقلت :
قد كتبت إليك في ظلاتي غير مرة فلم تُجِبْنِي وقد تركتك وكتبتها
إلى الله تعالى ! فلما رأى تغيُّر حاله قال لمن معه : قد خرج جوابُ
رقعة تلك المظلومة .

١ - ٣٣ / وفي هذه السنة دخل أبو ظاهر القرمطي الكوفة وأقام بها ستة
أيام يقيم بالجامع نهارة فإذا أمسى خرج إلى عسكره وحمل منها
ما قدر على حمله من الأموال وغيرها وعاد إلى هجر ، ولم يحج في
هذه السنة أحد .

وفيهما ظهر ^(٣) عند الكوفة رجل ادعى أنه محمد بن إسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي
الله تعالى عنه - وهو رئيس الإسماعيلية وجمع جمعا عظيما من الأعراب

(١) في كتابه الوزراء ، والصول هو أبكر محمد بن يحيى الشطرنجي توفي سنة ٢٣٥

(٢) في ك ، ف ، يخرج ،

(٣) في ك ، ف ، وفيها ظهر رجل عند الكوفة .

وأهل السواد واستفحل^(١) أمره في شموال ، فَمُسِيرٌ إليه جيش من
بهداد ، فقاتلوه وظفروا به وانهزم وقتل كثيرٌ ممن معه .

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة

ووزارة أبي العباس الخصيبي

في هذه السنة في شهر رمضان ، عزل أبو القاسم الخاقاني عن الوزارة .
وكان سبب ذلك أن أبا العباس الخصيبي عَلِمَ مكانَ امرأة المحسن بن
الفرات فسأل أن يتولى النَّظَرَ في أمرها فذِنَ له المقتدرُ في ذلك ، فاستخلص
منها سبعمائة ألف دينارٍ إلى المقتدر ، وصار له معه حديث . فخافه الخاقاني
فوضع من وقع عليه وسعى به فلم يُصْغِرِ المقتدر إلى ذلك ، فلما علم
الخصيبي بالحال كتب إلى المقتدر يذكروه عائب الخاقاني وابنه عبد الوهاب
وعجزهما وضياع الأموال وطمع العمال . ثم مرض الخاقاني مرضاً
شديداً وطال به ، فوقفَت الأحوال وطلب الجند أرزاقهم وشغبوا
فأرسل المقتدر إليه في ذلك فلم يقدر على شيء فعزله ، واستنوزر أبا
العباس وخلع عليه . وكان يكتب لأُم المقتدر قبل ذلك ، ولما ولي
أقر على بن عيسى على الإشراف على أعمال مصر والشام فكان
يتردد من مكة إليهما في الأوقات .

وفيها كتب ملكُ الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج
إليه فإن فعلوا وإلا قصدتهم فقتل الرجال وسبي الذرية ، وقال :
إنني صَحَّحْتُ عندي ضعفٌ ولأيتكم ! فلم يفعلوا ذلك ، فسمار إليهم

(١) في الأصل وسائر المخطوطات « واستفحل » صوابه ما أثبتناه بمعنى تفاقم .

وأخرب البلاد ، ودخل مَلْطِيَةَ في سنة أربع عشرة وثلاثمائة ،
فأخربها وسبي ونهب ، وأقام بها ستة عشر يوماً .
ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل أبي العباس الخصبي

ووزارة علي بن عيسى

في هذه السنة في ذى القعدة عَزَلَ المقتدرُ أبا العباس / الخَصْبِيَّ
عن الوزارة ، وسبب ذلك أنه أضاق (١) إِضْاقَةً شَدِيدَةً . ووقفت
أُمُورُ السُلْطَانِ ، واضطرب أمرُ الخَصْبِيِّ ، وكان حين وُلِيَ
الوزارة قد انتغل بالشرب كلَّ ليلةٍ ويصبح وهو سُكْرَانٌ
لا فَضْلَ فيه لعمل . وكان يترك الكُتُبَ الوارِدَةَ عليه من العمال ، فلا
يقرؤها إلا بعد مُدَّةٍ وَيُهْمِلُ الأَجُوبَةَ عنها فضاغت [الأموال] (٢)
وفانت المصالح ، ثم وكَّلَ الأُمُورَ إلى نُوَابِهِ وأهمل الإطْلَاعَ عليهم
فباعوا مصلحته بمصلحة نفوسهم .

فلما صار الأمر إلى هذه الصورة أشار مؤنس المظفر بعزله
وتولية علي بن عيسى ، فقبض عليه (٣) ، فكانت وزارته سنة
وشهرين ، وأخذ ابنه وأصحابه فحبسوا . وأرسل المقتدر يستدعي
علي بن عيسى ، وأمر أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني بالنيابة
عن علي إلى أن يحضر وقدم عليُّ بغداد في أوائل سنة خمس عشرة ،

(١) أضاق : (لازم) ذهب ماله .

(٢) زياده من الكامل ٦ : ١٨٤

(٣) في المنتظم ٦ : ٢٠٢ أن المقتدر باثه بعث فازوك فقبض عليه هو وكاتبه إسرائيل

ابن عيسى وابنه .

واستغل بأمور الوزارة ، (١) ولازم النظر فيها . فمشت الأمور واستقامت الأحوال . وكان قد اجتمع عند الخصىي عدَّة من رِقاع المصادرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال بما ضمنوا من الأموال بالسواد وفارس والأهواز والمغرب (٢) ، فنظر فيها وأرسل في طلب الأموال فاتته شيئا بعد شيء فَأَدْرَ الأرزاق وأخرج المطاء ، وأسقط . من الجند من لا يحمل السلاح ، ومن أولاد المرتزقة مَنْ هو / في المهدي فأنَّ آباءهم أثبتوا أماعهم ! ومن أرزاق المغنين والمساخرة (٣) والصفاغنة (٤) والندماء . وتولى الأعمال بنفسه ليلاً ونهاراً ، فاختار الكفاة (٥) من العمال واستعملهم في الولايات . وأمره المقتدرُ بالله بمناظرة أبي العباس الخصىي ، فأحضره ، وأحضر الفقهاء والقضاة والكتَّاب وغيرهم فسأله عما ضحَّ من الأموال والمصادرات والبيواتي القديمة وغير ذلك فقال : لا أعلم ! وما أجاوب عن شيء ، فنزَّكر عليه كونه دخل في الوزارة وهو لا يعرفها ، وويحَّه توبيخا كبيرا .

٣٤ - ب

وفيها في شهر ربيع الأول خرجت الروم إلى ملطية وما يليها

(١) هذه هي وزارته الثانية والأخيرة .

(٢) في من ورقة ١٨ « والغرب »

(٣) يقال سخروا منه فهو مسخرة من المساخر أي يضحكون منه والناه زائدة كما في

جهازة وجهاذة

(٤) في شئى المخطوطات « الصفاغنة » ولا وجه لها إلا أن تكون ما اثبتناه ، لأن الصفاغنة

(كسابة) من الملاهي كلمة معربة فيها الصغان ويجمع على الصفاغنة .

(٥) كذا في ا وما نقل عنها وهو جمع غريب فنحن نقول كفاء وأكفاء وكفاء (كنضال)

وفي ك صفحة ١٨ « فاختار من الكفاة من المال »

مع اللُّمستق ومعه مليح الأرمي صاحب الدروب ، فحاصروا ملطية
 ودخلوا الرِّبَض فقاتلهم أهلُه وأخرجوهم منه ، فلم يظفروا من
 المدينة بشيء ، وخربوا قرى كثيرةً من قراها ، ونبشوا الأموات
 ومثّلوا بهم ثم رحلوا ، وقصد أهلُ ملطية بغدادَ مستغيثين فلم
 يُغاثوا ، فعادوا إلى بلدهم بغير مقصودٍ !
 ودخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة :

ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله

وبين مؤنس

في هذه السنة هاجت الروم وقصدوا الثعور ودخلوا شمشاط. (١)
 / وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك ، ودقّوا الناقوسَ
 في الجامع ثم خرج المسلمون في أثر الروم فقاتلوهم وغنموا منهم
 غنيمة عظيمة ، فأمر المقتدر بالله بتجهيز العساكر مع مؤنس
 المظفر ، وخلّع عليه في شهر ربيع الآخر ولم يبق غير الوداع ،
 فامتنع مؤنس من الدخول إلى دار الخليفة واستوحش من المقتدر
 بالله وظهر ذلك . وكان قد أتاه بعض خُدّام المقتدر وقال له :

(١) في « شيشاط » وفيه صفحة ١٨ وفيه صفحة ٢١ - ١ « شيشاط » كما في
 عقد الجمان ، فهي شمشاط التي يقول عنها ياقوت مدينة بالروم على شاطئ الفرات شرقها
 بالوية وغربها خرزبرت ، ولكن ابن الأثير وابن الجوزي ومسكويه يثبتون « شيشاط »
 المدينة التي من أعمال الشام على الفرات أيضا والأولى أولى ذكر الشاعر أبو الحسن على الشمشاط
 وكان على أيام سيف الدولة - بقوله :

خضمت رقاب بني العداوة إذ رأته آثارها تنقد تحت سيات
 حتى إذا ركضت على أعقابها دلف النيط إلى من شمشاط
 صدق المثل ، إنهم من أسرة نجب توسم بنو شمشاط

إِنَّ الخليفة أمر خَوَاصَّ خَدَمِهِ أَنْ يَحْفَرُوا جُبًّا فِي دَارِ الشَّجَرَةِ وَيُغَطُّوه بِبُرَايَةٍ (١) وَتَرَابٍ فَإِذَا حَضَرَتْ أَلْقَيْتَ فِيهِ وَخُنِقَتْ !
فَامْتَنَعَ وَرَكِبَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الأَجْنَادِ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْدَانَ وَإِخْوَتُهُ
وَخَلَّتْ دَارُ المَقْتَدِرِ بِاللهِ ، وَقَالُوا المُوْنَسُ : نَحْنُ نَقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى
تَنْبُتَ لَكَ لَحْيَةٌ ! فَوَجَّهَ المَقْتَدِرُ رِقْعَةً بِخَطِّهِ يَحْلِفُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِهِ
سُوءًا ، فَصَرَفَ مَوْئِسَ الجَيْشِ وَكَتَبَ الجَوَابَ أَنَّهُ العَبْدُ المَمْلُوكُ ،
وَأَنَّ الَّذِي أبلغه ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَضَعَهُ مَنْ يَرِيدُ إِيجَاشَهُ « مِنْ مَوْلَانَا »
وَأَنَّهُ مَا اسْتَدْعَى الجَنْدَ وَإِنَّمَا هُمْ حَضَرُوا وَقَدْ فَرَّقَهُمْ !

ثُمَّ قَصَدَ دَارَ الخليفةِ فِي جَمِيعِ القُوَادِ وَدَخَلَ إِلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَهُ
وَخَلَّفَ لَهُ المَقْتَدِرَ عَلَى صَفَاءِ نِيَّتِهِ لَهُ وَوَدَّعَهُ وَسَارَ إِلَى الثَّغْرِ وَخَرَجَ
لِوَدَاعِهِ أَبُو العَبَاسِ بْنِ المَقْتَدِرِ وَالوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ عَيْسَى .

وَفِيهَا قَتَلَ أَبُو طَاهِرٍ القَرْمَطِيُّ يوسُفَ بْنَ أَبِي السَّاجِ فِي وَقْفَةٍ
/ كَانَتْ بَيْنَهُمَا . وَكَانَ يوسُفٌ قَدْ نُذِبَ لِقِتَالِ القَرَامِطَةِ فَأَسْرَهُ القَرْمَطِيُّ ،
ثُمَّ قَتَلَهُ .

وَفِيهَا سَارَ الدَّمِستِقُ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ إِلَى مَدِينَةِ
دَبِيلِ (٢) وَبِهَا نَصَرَ السَّبْكِى فِي عَسْكَرٍ يَحْمِيهَا وَكَانَ مَعَ الدَّمِستِقُ
دَبَابَاتٌ وَمَجَانِيقٌ ، فَحَاصَرُوا المَدِينَةَ وَنَقَبُوا السُّورَ وَدَخَلُوهَا فَقَاتَلَهُمْ

(١) فِي اأَوَّلِ ك ١٨ وَفِي ف ٢١ - ١ « وَيَنْظُرُونَهُ بِبُرَايَةٍ » وَهُوَ خَطَأٌ شَنِيعٌ لَا يَتَجَبَّ
مِنْ النُّوَيْرِ ، وَالبُرَايَةُ كَالْبِرَاءِ (بِفِصْهَمَا) النِّحَاةُ .

(٢) فِي اِغْيَرِ مَنقُوطَةٍ وَفِي ك صَفْحَةُ ١٩ « دَبِيلٌ » وَلَمَّا دَبِيلُ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ السَّنَدِ
(مَجْمَعُ البُلْدَانِ لِياقُوتِ)

أهلها ومن فيها قتالا شديداً ، فانتصر المسلمون وأخرجوا الروم منها وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف رجل .

ودخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة :

ذكر عزل علي بن عيسى عن الوزارة

ووزارة أبي علي بن مقله

في هذه السنة عُزِلَ عليُّ بنُ عيسى عن وزارة الخليفة ورُتِبَ فيها عليُّ بنُ مقله ، وكان سبب ذلك أن علياً لما رأى نقص الارتفاع واختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي وزيادة النفقات استغضى من الوزارة واحتج بالشيخوخة وقلة النهضة ، فأمره المقتدر بالصبر وقال له : أنت عندي بمنزلة والدي المتضد ! فالتج في الاستعفاء ، فشاور المقتدر مؤنساً في ذلك فأشار بمداراة وإبقائه . ثم لقي مؤنس الوزير ولاطفه وسكّنه فبني / إلا العزل ، وبلغ الخبر ابن مقله فسعى وضمن الضمانات الكثيرة وواصل بالهدايا واستمال نصرأ الحاجب ، فساعدته عند المقتدر ، فأمر في نصف شهر ربيع الأول بالقبض على علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، وخلع على أبي علي بن مقله واستوزره وأعانها عليها أبو عبد الله البريدي لمودّة كانت بينهما .

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب الخال

واستيحاش مؤنس

في هذه السنة وقعت الفتنة بين نازوك - صاحب الشرطة - وهارون بن غريب ، وأدت إلى خلع المقتدر . وسبب ذلك أن سامية

دَوَابُّ هَارُونَ وَسَاسَةٌ دَوَابُّ نَازُوكُ تَغَايَرُوا^(١) رَعَى غَلَامٌ أَمْرَدٌ^(٢)
وَتَضَارَبُوا بِالْبَصِيِّ ، فَضَرَبَ نَازُوكُ سَاسَةَ هَارُونَ وَحَبَسَهُمْ . فَسَارَ
أَصْحَابُ هَارُونَ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرْطَةِ ، وَوَجَّهُوا عَلَى نَائِبِ نَازُوكِ وَانْتَزَعُوا
أَصْحَابَهُمْ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَكِبَ نَازُوكُ وَشَمَكَا إِلَى الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ فَقَالَ :
كَلَاكَمَا عَزِيزٌ وَلَسْتُ أَدْخُلُ بَيْنَكُمَا !

فَعَادَ وَجَمَعَ رِجَالَهُ وَجَمَعَ هَارُونَ رِجَالَهُ ، وَزَحَفَ أَصْحَابُ
نَازُوكِ إِلَى دَارِ هَارُونَ فَأَغْلَقَ بَابَهُ ، وَبَقِيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ خَارِجَ الدَّارِ
فَقَتَّلَ فِيهِمْ أَصْحَابُ نَازُوكِ وَجَرَحُوا . فَفَتَحَ هَارُونُ الْبَابَ ، وَخَرَجَ
أَصْحَابُهُ فَوَضَعُوا السِّلَاحَ فِي أَصْحَابِ نَازُوكِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ
وَجَرَحُوا ، وَاتَّسَبَّكَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ . وَأَرْسَلَ الْمُقْتَدِرُ يَنْكُرُ عَلَيْهِمَا
ذَلِكَ فَكَفَّ ، وَسَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَاسْتَوْحَشَ نَازُوكُ . ثُمَّ رَكِبَ إِلَيْهِ
هَارُونَ وَصَالِحُهُ ، وَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ وَنَزَلَ بِالْبِسْتَانِ النُّجْمِيِّ لِيَبْعَدَ
عَنْ نَازُوكِ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْأَرَاجِيْفَ وَقَالُوا : قَدْ صَارَ هَارُونُ
أَمِيرَ الْأَمْرَاءِ !

فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ مَوْئِسٍ وَكَتَبُوا لَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالرَّقَّةِ ،
فَأَسْرَعَ الْعَوْدَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَنَزَلَ بِالشَّمَّاسِيَّةِ فِي أَعْلَى بَغْدَادَ . وَلَمْ يَلْقَ
الْمُقْتَدِرَ فَصَعِدَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُقْتَدِرِ وَالْوَزِيرُ ابْنُ مَقْلَةَ فَأَبْلَغَاهُ
سَلَامَ الْمُقْتَدِرِ وَاسْتِيحَاثَتَهُ لَهُ ثُمَّ عَادَا وَاسْتَشْعِرَ كُلُّهُ مِنَ الْمُقْتَدِرِ

(١) إِذَا كَانَتْ مِنَ الْغَيْرَةِ فَلَا وَجْهَ لَهَا هُنَا ، وَأَقُولُ غَايَرَتْهُ بِسَلْمَى أَيْ بَادَتْهُ ، وَغَارَ
عَلَى امْرَأَتِهِ غَيْرَةً وَغَيْرًا وَغَارًا وَغِيَارًا .

(٢) أَمْرَدٌ : طَرَّ شَارِبُهُ وَلَمْ تَتَبَّطَّ لِحْيَتُهُ ، نَقُولُ مَرْدٌ (كَفْرَج) مَرْدًا إِذَا بَقِيَ زَمَانًا
ثُمَّ التَّمَى (الْقَامُوسُ الْمَهْجِيُّ) .

ومؤنس من صاحبه (١) فأحضر المقتدر هارون بن غريب الخال - وهو ابن خاله - فجعله معه في داره . فلما علم مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاشاً وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل في عسكر كبير فنزل [عند] (٢) مؤنس وترددت المراسلات من الخليفة إلى مؤنس ، وانقضت السنة وهم على ذلك .

ودخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة :

١ - ٣٧

إ ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهرة

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد ، فبقى يومين ثم أعيد المقتدر بالله . قال (٣) : ولما نزل مؤنس باب الشمسية وانضم إليه ابن حمدان ونازوك صاحب الشرطة وغيرهما جمع المقتدر عنده هارون بن غريب وأحمد بن كبة وأحمد بن كبة وأحمد بن كبة والعلمان الحجرية والرجالة المصافية وغيرهم . فلما كان آخر النهار مستهلاً المحرم انفض أكثر من عند المقتدر ، وخرجوا إلى مؤنس . ثم كتب إلى المقتدر رقعة يذكر أن الجيش عاتب منكر للسرف فيما يطلق باسم الخدم والحرم من الأموال والضياع ، وللدخولهم في الرأي وتدبير المملكة ، ويطالبون بخروجهم من الدار وأخذ ما في أيديهم من الأموال

(١) كذا في ارقى الكامل ٦ : ١٩٥ وفي ك صفحة ١٩ « واستشعر كل منهما من المقتدر

ومؤنس من صاحبه » والعبارة مختلفة .

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ١٩٥ .

(٣) بين الأثير و الكامل ٦ : ٢٠٠ .

والأملاك ، وإخراج هارون بن غريب من الدار . فجاباه المقتدر أنه يفعل من ذلك ما يمكنه ويقتصر على ما لا بد له منه ، واستعطفه وذكره ومن معه ببيعته التي في أعناقهم مرة بعد أخرى وخوفهم عاقبة النكث . وأمر هارون أن يخرج من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزيرية فخرج في تاسع المحرم ، فعندها دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغداد ، وأرجف الناس أن مؤنسا ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر .

فلما كان في الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس بالجيش إلى باب الشامسية فتشاوروا ساعة ثم زحفوا^(١) / بأسرهم إلى دار الخليفة ، فلما قربوا منها هرب الدظفر بن ياقوت الحاجب وسائر الحجاب والخدم والوزير ابن مقله ، ودخل مؤنس والجيش إلى دار الخليفة وأخرج المقتدر والدته وخالته وخواص جواربه وأولاده من دار الخلافة ، وحملوا إلى دار مؤنس واعتقلوا بها . وبلغ الخبر هارون وهو يقطربيل^(٢) فدخل بغداد واستتر ، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فاحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ولقبوه القاهر بالله ، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهدوا عليه بالخلع وعنده مؤنس ونازوك وابن حمدان وبني بن يعيش^(٣) فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من

٣٧ - ب

(١) في ك صفحة ٢٠ « ثم رجعوا » .

(٢) قطر بل : أسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها النمر الجيد ، وقيل أسم لطوج من طساسيج بغداد أى كورة كما يقول ياقوت .

(٣) في الكامل ٦ : ٢٠١ « ابن نفيس »

الخلافة فَنَجَابَ وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْقَاضِي بِالْخَلْعِ ، فَقَامَ ابْنُ حَمْدَانَ وَقَالَ
 لِلْمَقْتَدِرِ : يَا سَيِّدِي يَعْزُّ عَلِيٌّ أَنْ أَرَاكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَقَدْ كُنْتُ
 أَخَافُهَا عَلَيْكَ وَأَحْذَرُهَا وَأَنْصَحُ لَكَ وَأَحْذَرُكَ عَاقِبَةَ الْقَبُولِ مِنْ
 الْخُدْمِ وَالنِّسَاءِ فَتَوَثَّرَ أَقْوَالَهُمْ عَلَى قَوْلِي ، وَكَأَنِّي كُنْتُ أَرَى هَذَا ،
 وَبَعْدُ فَنَحْنُ عَبِيدُكَ وَخَدَمُكَ ! وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَعَيْنَا الْمَقْتَدِرِ وَشَهِدَ
 الْجَمَاعَةُ عَلَى الْمَقْتَدِرِ بِالْخَلْعِ وَأَوْدَعُوا الْكِتَابَ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي عَمْرٍ
 فَكْتَمَهُ وَلَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَلَمَّا عَادَ الْمَقْتَدِرُ إِلَى الْخِلَافَةِ سَلَّمَ
 إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدًا ، فَاسْتَحْصَنَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَوَلَّاهُ
 قِضَاءَ الْقِضَاءِ

قال (١) : ولما استقرَّ / أمرُ القاهرِ باللهِ أخرج مؤنسُ المظفرُ عليَّ بنَ عيسى
 من الحبس وأقرَّ أبا عليَّ بنَ مقلَّةَ عليَّ وزارته ، وأضاف نازوك مع الشرطة
 حَجَبَةَ الْخَلِيفَةِ وَأَقْطَعَ ابْنَ حَمْدَانَ مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَعْمَالِ طَرِيقِ
 خَرَسَانَ حُلْوَانَ (٢) وَالْدِّيْنُورَ وَهَمْدَانَ وَكِنْكُورَ (٣) وَكِرْمَانَ شَاهَانَ (٤)

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

(٢) حلوان : مدينة في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، ولم يكن بأرض العراق
 بعد البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسر من رأى ، كما يقول ياقوت ، مدينة أكبر منها .

(٣) كينكور : بليدة بين همدان وقرميسين التي تقع قرب الدينور ، بها قصر عجيب
 يقال له قصر اللصوص وكانت لصاحب الموصل قبل أن تخرب .

(٤) كرمان شاهان : يقصد بها قرميسين قرب الدينور .

والراذانات ودقوقا^(١) وخانيجار^(٢) ونهاوند والصيجرة^(٣) والسيروان^(٤) وما سبذان^(٥) وغيرها . ونُهيت دار الخليفة ومضى بُنَيُّ بن يعيش إلى بَرِيَّةِ لوالدة المقتدر فأخرج من قَبْرِ فيها سَمائة ألف دينارٍ وَحَمَلَهَا إلى دار الخليفة . وكان خَلَعُ المقتدر للنصف من المحرم منها ، ثم سَكَنَ النَّهْبُ وانقطعت الفتنة .

قال^(٦) : ولما تَقَلَّدَ نازوكُ حِجْبَةَ الخليفة أمرَ الرِّجَالَةَ المصافية^(٧) بِقَلْعِ خِيَامِهِمْ من دارِ الخليفةِ وَأَنْ لَا يَعْجُرَ الدارَ إِلَّا مَنْ لَهُ وَطْرٌ ، وَأَمَرَ رِجَالَهُ وَأَصْحَابَهُ أَنْ يَقِيمُوا مَقَامَ المصافية ، فعَظُمَ ذلكَ عليهم وتقدم إلى خلفاءِ الحُجَّابِ أَنْ لَا يَمَكَّنُوا أَحَدًا أَنْ يَدْخُلَ إلى دارِ الخليفةِ إِلَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَرْتَبَةٌ ، فاضطرب الحجريةُ من ذلك .

ذكر عود المقتدر بالله الى الخلافة

وقتل نازوك وابن حمدان

٣٨-ب / قال^(٨) : ولما كان في يوم الإثنين سابع عشر المحرم بكَرَّ

(١) دقوقا : مدينة معروفة بين إربل وبغداد وقد تمد فيقال دقوقاه .

(٢) خانيجار : في ك صفحة ٢٠ « خانيجان » والصواب ما اثبتناه ، بليدة قرب دقوقاه بين بغداد وإربل .

(٣) الصيجرة : سقطت من ك ، وهى بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان بها نخل وزيتون وفواكه وثلج .

(٤) السيروان : بلد أو كورة بالجبل ، قال الاصطخرى « الصيجرة والسيروان مدينتان صغيرتان غير أن بنيانها الغالب عليه الجص والحجارة وفيها الليمون والجوز » .

(٥) ماسبذان : قرب حلوان والصيجرة .

(٦) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

(٧) فرقة من فرق الحرس خيمت في ساحة القصر بدعوى حماية الخليفة ، وكانت تكره نازوك فأراد استبدال الحجرية بها .

(٨) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠١

النَّاسُ إِلَى دَارِ الْخِلاَفَةِ لِأَنَّهُ يَوْمَ مَوْكِبِ وَدَوْلَةِ جَدِيدَةٍ ، فَامْتَلَأَتْ
 الْمَرَاتُ وَالرَّحَابُ وَتَسَاطَىءُ دَجَلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَحَضَرَ الرَّجَالَةَ
 الْمَصَافِيَةَ فِي السَّلَاحِ يَطَالِبُونَ بِحَقِّ الْبَيْعَةِ وَرِزْقِ سِنَةِ وَهُمْ حَاقِقُونَ
 لِمَا فَعَلَ بِهِمْ نَازُوكٌ ، وَلَمْ يَحْضُرْ مُؤَنَسُ الْمَظْفَرِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . وَارْتَفَعَتْ
 الْأَصْوَاتُ وَزَعَقَاتُ الرَّجَالِ ، فَسَمِعَهَا نَازُوكٌ فَأَشْفَقَ أَنْ يَقَعَ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فَتَنَّتْ وَقِتَالٌ . فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا
 لَهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوهُمْ ، فَزَادَ تَسَعَّبَ الرَّجَالَةَ وَهَجَمُوا يَرِيدُونَ الصَّخْرَ
 التَّسَعِينِي ، فَلَمْ يَمْنَعَهُمْ أَصْحَابُ نَازُوكٍ . وَدَخَلَ مَنْ كَانَ عَلَى الشُّطِّ
 بِالسَّلَاحِ ، وَقَوِيَتْ زَعَقَاتُهُمْ مِنْ مَجْلَسِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ وَعِنْدَهُ الْوَزِيرُ
 ابْنُ مَقْلَةَ وَنَازُوكُ (١) وَأَبُو الْهَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ ، فَقَالَ الْقَاهِرُ
 لِنَازُوكٍ : أَخْرِجْ إِلَيْهِمْ فَسَكَّنَهُمْ وَطَيَّبْ قُلُوبَهُمْ ! فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ نَازُوكٌ
 وَهُوَ مَخْمُورٌ قَدْ شَرِبَ طَوِيلَ لَيْلَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجَالَةَ تَقْدَمُوا
 إِلَيْهِ لِيَشْكُوا إِلَيْهِ حَالَهُمْ بِسَبَبِ أَرْزَاقِهِمْ فَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَهَرَبَ
 مِنْهُمْ ، فَطَمَعُوا فِيهِ وَتَبِعُوهُ ، فَانْتَهَى بِهِ الْهَرَبُ إِلَى بَابِ كَانَ هُوَ
 سَدَّهُ بِالْأَمْسِ فَقَتَلُوهُ عِنْدَهُ ، وَقَتَلُوا خَادِمَهُ عَجِيْبًا وَصَاحُوا : مَقْتَدِرٌ
 يَأْمَنُ صُورُ ! فَهَرَبَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي الدَّارِ مِنَ الْوَزِيرِ وَالْحُجَّابِ وَسَائِرِ
 الطَّبَقَاتِ وَبَقِيَتْ الدَّارُ فَارِغَةً . وَصَلَبُوا نَازُوكَ وَعَجِيْبًا بِحَيْثُ يَرَاهُمَا مَنْ
 عَلَى شَاطِئِ دَجَلَةَ ، ثُمَّ صَارَ الرَّجَالَةُ إِلَى دَارِ مُؤَنَسٍ يَصِيحُونَ وَيَطَالِبُونَهُ
 بِالْمَقْتَدِرِ بِاللَّهِ . وَبَادَرَ الْخَدْمُ فَغَلَقُوا أَبْوَابَ دَارِ الْخَلِيفَةِ وَكَانُوا جَمِيعًا
 خَدَمَ الْمَقْتَدِرِ وَمَا إِلَيْكَ وَصَنَائِعُهُ .

١-٣٩

(١) من هنا إلى قوله « فخرج إليهم نازوك وهو . » سقط من ك صفحة ٢١ وهو ثابت في

وأراد ابن حمدان الخروج من الدار فَمَلَقَ به القاهرُ وقال :
 أنا في ذمامك فقال : والله لا أَسْلُمُكَ أبداً ! وأخذ بيده وقال : قم
 بنا نخرج جميعاً ، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون دونك !
 فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقةً ومعهما فائقُ المعروفِ بِوجهِ
 القُصعةِ ، فأشرف القاهرُ من سطحِ فرأى كثرةَ الجمعِ ، فنزل هو
 وابنُ حمدان وفائقُ فقال ابن حمدان للقاهر : قِفْ حتى أعود إليك !
 ونزع سواده وثيابه وأخذ جُبَّةً صوفٍ لَغلامٍ هناك فلبسها ومشى نحو باب
 النوبى^(١) فرآه مغلِقاً والناسُ حوله . فعاد إلى القاهر وتناخرا عنهما
 وجه القصة ، وأمر مَنْ معه من الخدم بقتلهما أخذًا بِشَأْرِ المقتدرِ
 وما صنعا به ، فعاد إليهما عشرةٌ من الخدم بالسَّلاح^(٢) ، فعاد إليهم
 أبو الهيجاء وسَيِّفُهُ بيده فقاتلهم فقتلوه ، وهرب القاهرُ إلى آخر
 البستان واختفى .

وأما الرَجالةُ فإنهم لما انتهوا إلى دارِ مؤنسٍ وسمع زعماتهم
 قال : ما الذى تريدون ؟ قالوا : نريد المقتدر ! فأمر / بتسايجه إليهم
 فامتنع المقتدرُ من ذلك وخاف أن تكون حيلة ، فحَمِلَ وأُخْرِجَ إليهم
 فحملوه على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخِلافةِ . فلَمَّا حَصَلَ فى الصُّمْنِ
 التسهينى اطمأنَّ وجلس وسأل عن أخيه القادر وعن ابن حمدان
 فقيل لهما حيَّان فاهنُهما بِخَطِّه ، وأمر خادماً بالسَّرعَةِ بكتاب الأمان
 لكلا يحدث على أن الهيجاء حادثٌ ، فدضى بالخط. إليه فلقية خادمٌ

٣٩-ب

(١) في ك صفحة ٢١ « باب النوبة »

(٢) في س ، ف « عشرة من الخدم من السلاح »

ومعه رأسه فرجع به إلى المقتدر، فلما رآه استرجع وقال : ما كان يدخل إلى ويسليني ويُطَهِّر لي الغمَّ غيره ! ثم أخذَ القاهر وأخضر إلى المقتدر فأجلسه إلى جانبه وقبَّل جبينه وقال : قد علمت أنك لا ذنب لك وأنت قهرت ولو لقبوك بالمقهور كان أولى بك من القاهر ! والقاهر يبكي ويقول : يا أمير المؤمنين نفسي نفسي اذكرنَّ الرَّحِمَ التي بيني وبينك ! فحلف له أنه لا يناله بسوء أبداً (١) ، فسكن .

قال (١) : ثم أخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشورا ، ونودي عليهما « هذا جزاء من عصى مولاه وأما بنى بن يعيش فيأذه كان من أشدَّ القوم على المقتدر بالله ، فهرب عن بغداد وغير زيه وسار حتى بلغ الموصل ومنها إلى أرمينية ، وسار حتى دخل القسطنطينية وتنصَّر . وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبي الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة . وعاد الوزير ابن مقلَّة إلى /وزارته ، وكتب إلى البلاط بهذه الحادثة ، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم وباع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر ، وأذن في بيع الأملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الأثمان لستم أعطيات الجند . وقيل إن مؤنما المظفر لم يكن مؤثرا لما جرى على المقتدر من الخلع ، وإنما وافق الجماعة مغلوباً على رأيه ولعلمه أنه إن خالفهم لم ينتفع به المقتدر فوافقهم ليأمنوه وسعى مع الغلمان المصافية والحجربة ووضع قوادهم على أن عملوا ما عملوا ، فلهدأ آمنه المقتدر . وأما القاهر

(١) فيك ، ف « لا يناله سوءاً » كذا !

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٠٢

فإن المقتدر حبسه عند والدته فأنحسنت إليه وأكرمه ووسعت عليه النفقة واشترت له السراري والجواري للخدمة وبالغت في إكرامه

نعود إلى بقية حوادث سنة ست عشرة [وثلاثمائة] فيها وصل اللمستق (١) في جيش كبير (٢) من الروم إلى أرمينية فحاصروا خلط (٣) فصالحه أدلها ، وأخرج المنبر من الجاه وجبل مكانه صليبا. ورحل إلى بدليس (٤) ففعل بها مثل ذلك وخافه أهل أرزن (٥) الروم وغيرهم ، ففارقوا بلادهم ، وانحدر أعينهم إلى بغداد فلم يثابروا .

وفيهما وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل ، ثم ظهر أن ملبحا الأرمني صاحب الدروب / وضعهم ليكونوا بها ، فإذا حضر سلموها إليه ، فلم يهم أهل ملطية فقتلواهم [عن آخرهم (٦)]

٤٠ - ب

وفي سنة سبع عشرة جاء أبو طادر القرمطي إلى مكة يوم التروية (٧) فنهب أموال الحجاج ، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت ، وقلع الحجر الأسود ، وفعل ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخباره .

(١) في «ا» وفي ك صفحة ٢١ «الدمستيق» وما هنا من ف صفحة ٢٤ - ب

(٢) في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٠ أن الجيش كان ثلاثمائة ألف .

(٣) خلط : قصبة أرمينية الوسطى

(٤) بدليس : قال ياقوت « إنه اسم بطن من النخع . وأما في العجم ففيه تفلين وتبريزة ، بلدة من نواحي أرمينية قرب خلط ذات بساتين .

(٥) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلط . كانت من أحر نواحي أرمينية

(٦) ليس في «ا» ولكنه في ك صفحة ٢٢

(٧) يوم التروية : كان القوم يرتوون فيها من الماء لما بعد ، وقهر أسى كذلك لأن إبراهيم الخليل كان يتروى ويتفكر في رؤياه (المحيط)

ودخلت ستة ثمانى عشرة وثلثمائة :

ذكر هلاك الرجال المصافية

في هذه السنة هلك الرجال المصافية في المحرم . ومبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة - كما ذكرنا - زاد إدلائهم واستطائتهم ، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء ، منها أنهم يقولون : من أعان ظالماً سُلط عليه ، ومن يضعد الحمار إلى السطح يقبيل أن يحطه وإن لم يفعل المقتدر ^{عينا ما نستحقه} قاباناه بما يستحق ! إلى غير ذلك ، وكثر شغبهم ومطاولتهم وأدخلوا في الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم ، فصار لهم في الشهر مائة ألف وثلثون ألف دينار .

واتفق أن الفرسان ذهبوا في طلب أرزاقهم فقيل لهم إن بيت المال فارغ وقد انصرفت الأموال إلى الرجال ، فثار بهم الفرسان واقتتلوا (١) / فقتل من الفرسان جماعة فاحتج المقتدر على الرجال بقتلهم وأمر محمد ابن ياقوت (٢) صاحب الشرطة فطرد الرجال من دار المقتدر ونودي فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام حيس ، وهُدِّمت دور عرفانهم وقبضت أملاكهم ، وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضر بهم وحلق لحاهم وشعورهم

(١) في يارويه عريب في الصلة ١٤٨ ، ومسكويه في تجارب الأمم ١ : ٢١٢ ما يوحى بأن المقتدر كان يدبر خطا للإيقاع بفرق الجيش

(٢) كان قبل أن يتولى الشرطة واليا على فارس وكانت الشرطة إذ ذاك مع ابن رائق الذين حينها مؤنس (تجارب الأمم ٢ : ٢٠٢ ، صلة الطبرى ١٤٥)

وشهرهم . وهاج السودان تَعْصِباً لِلرَّجَالَةِ فركب محمد أيضاً في الحجرية وأوقع بهم وأحرق منازلهم ، فاحترق فيها جماعةٌ منهم ومن أولادهم ونسائهم ، فخرجوا إلى واسط. واجتمع منهم جمع كبير وتغلبوا عليها وطردها عامل الخليفة ، فسار إليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم ، فلم يبق لهم بعدها قائمة .

ذكر عزل ابن مقله ووزارة سليمان

في هذه السنة عزل أبو علي محمد بن مقله عن وزارة الخليفة . وكان سبب عزاه أن المقتدر كان يتهمه بالميل إلى مؤنس المظفر وكان المقتدر مستوحشاً من مؤنس ويظهر له الجميل ، فانفق أن مؤنسا خرج إلى أوانا وعكبرا ، فركب ابن مقله إلى دار المقتدر آخر جمادى الأولى فقبض عليه وكان بين ابن مقله وبين محمد بن ياقوت عداوة فانفذ إلى داره من حرقها ليلاً .

قال : وأراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبد الله وكان [مؤنس قد عاد ، فأنمذ إلى المقتدر يسأل أن يعاد ابن مقله فلم يجبه إلى ذلك وأراد قتله ، فردد علي بن عيسى عن ذلك فسأل مؤنس أن لا يستوزر الحسين ، فتركه واستوزر سليمان بن الحسن في منتصف جمادى الآخرة ، وأمر المقتدر علي بن عيسى بالاطلاع على الدواوين وأن لا ينفرد سليمان عنه

بشيء . وصودر ابن مقلّة بمائتي ألف دينار ، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة (١) أيام

وفيها أمر المقتدر بالقبض على أولاد البريدى . وكان ابن مقلّة لما وثى الوزارة قلدهم الأعمال ، فقلد أبا عبد الله الأهواز جميعها سوى السوس (٢) وجنديسابور وقلد أخاه الحسين الفراتية ، وقلد أخاهما يوسف الخاصة والأسافل ، وارتشى منهم على ذلك عشرين ألف دينار من أبي عبد الله . فلما قبض على ابن مقلّة كتب المقتدر بخطه إلى أحمد بن نصر القشورى الحاجب يأمره بالقبض عليهم ، ثم استحضرهم إلى بغداد ، وصودروا على أربعمائة ألف دينار ، وكان لا يطمع منهم بهذا المبلغ وإنما طلب منهم ليحببوا إلى بعضه فجابوا إلى الجميع .

ذكر خروج صالح والأغر

في هذه السنة في جسادى الأولى خرج خارجى من بجيلة من أهل البوازيج (٣) بها اسمه صالح بن محمود وعبر إلى البرية ، واجتمع إليه جماعة من بني مالك . وسار إلى سنجار (٤) فآخذ من أهلها مالا وخطب بها ، فذكر بأمر الله وحذر وأطال في هذا

(١) راجع المنتظم ٦ : ٢٣١ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٢٧

(٢) السوس : بلدة بمخوزستان ، ويقال إنها تعريب الشوش ومعناه الحسن واللطيف والنزه

(٣) البوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، ويقال لها بوازيج الملك وهي الآن - كما يقول ياقوت - من أعمال الموصل .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لطف

جبل عال سميت باسم بانها كهيت وآند ، وقيل هي تعريب سنكار مدينة طيبة في وسطها نهر جار ويكثر بها الشجر والنخيل والموالج

ثم قال : نتولّى الشيخين ونبرأ من الخبيثين ولا نرى المسح على الخفين ! وسار منها إلى الشجاعة من أرض الموصل فطالب أهلها بالعشر ثم انحدر إلى الحديثة تحت الموصل وطالب المسلمين بركاة أموالهم والنصارى بجزية رؤوسهم فجرى بينهم حربٌ فقتل من أصحابه جماعة ، فعبر إلى الجانب الغربي فأسر أهل الحديثة ابناً له اسمه محمد فأدخلوه الموصل . ثم صار صالح إلى السن (١) فصالحه أهلها على مال أخذه ، وانحدر إلى تكريت فحاربه أهلها فقتل منهم جماعة ثم صالحوه على مال أخذه منهم ، وانصرف إلى البوازيج وتنقل في بلاد الموصل فسار إليه نصر بن حمدان لخمسين خلون من شعبان من السنة فقاتله قتالاً شديداً فقتل من رجال صالح نحو مائة رجل ، وأسر صالح وابنان له فأدخلوا إلى الموصل ، وحملوا إلى بغداد فأدخلوا مشهريين .

وخرج في شعبان خارجي بارض الموصل اسمه الأغر بن مطر (٢) الثغلي ، وسار من رأس عين إلى كفر توثا واجتمع عليه ألف رجل فدخلها ونهبها وقتل فيها ، وسار إلى نصيبين فنزل بالقرب منها فقاتله أهلها ومعهم جمع من الجندي فقتل منهم مائة رجل وأسر ألف رجل فباعهم نفوسهم ، وصادر أهلها على أربع مائة ألف درهم . وبلغ خبره ناصر الدولة بن حمدان - وهو أمير ديار ربيعة -

٤٢ ب

(١) السن : مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وبها جامع ضخم للمسلمين وكنائس للنصارى وفي أهلها علماء ، وعندها مصب الزاب الأسفل ، وقد يقال لها سن بارما
(٢) يقول ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢١٠ إنه كان يذكر أنه من ولد عتاب بن كلثوم الثغلي أخى عمرو بن كلثوم الشاعر .

فسيّر إليه جيشاً فقاتلوه فقتلوه فظفروا به وأسروه فسبّره ناصرُ الدولة إلى بغداد .

وفيها خلع المقتدرُ بالله على ابنه هارون ، وركب معه الوزير والجيش وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران . وفيها أيضاً خلع على ابنه أبي العباس الراضي وأقطعه بلاد المغرب وحصر والشام وجعل مؤنساً المظفر يخلفه فيها ، وحجج بالناس عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي .

ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل سليمان عن الوزارة

وتولية أبي القاسم الكلوذاني الوزارة

في هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سليمان . وسبب ذلك أن الأموال ضاقت عليه ، وكثرت المطالبات من الجند وغيرهم بأرزاقهم ، واتصلت رقاع من يُرثح للوزارة بالسعاية فيه والضمان بالقيام بأرزاق الجند وأرباب الوظائف ، فأمَرَ المقتدر بالقبض عليه / وكان المقتدر يميل إلى وزارة الحسين بن القاسم ، فامتنع مؤنس من الموافقة عليه ، وأشار بتولية أبي القاسم الكلوذاني فاستوزره المقتدر بالله لثلاث بقين من شهر رجب ، فكانت وزارة سليمان ممتدة واحدة وشهرين ، ولم يستمر الكلوذاني في الوزارة غير شهرين وثلاثة أيام .

ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين

في هذه السنة عُزِلَ أبو القاسم الكاودانيُّ عن وزارة الخليفة ،
 ووزر الحسينُ بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . وكان
 سبب ذلك أنه كان ببعداد إنساناً يعرف بالدانيالي وكان زردافاً
 ذكياً محتالاً ، فكان يُعْتَقُ الكاغدَ ويكتب فيه أشياء قد وقعت فيما
 مضى من الزمان وأشياء تقع في المستقبل ويُرِي ذلك للناس . واتصل
 هذا الدانيالي بمفليح الخادم وأظهره على أشياء استماله بها . فتوصل
 الحسينُ لهذا الرجل حتى جعل اسمه في جملة كتاب وضعه وعتقه ،
 وذكر فيه علامة في وجهه وما فيه من الآثار ويقول « إنه يزرُ
 للخليفة الثامن عشر من الخلفاء العباسيين وتستقيم الأمور على يديه
 ويقهر الأعادي ، وذكرني هذا الكتاب حوادث وقعت وحوادث
 تقع في المستقبل ، ونسب ذلك إلى دانيال . وقرأ الكتاب على
 مفليح فأخذه / منه وأوقف المقتدر عليه فقال له : أتعرف في الكتاب
 من دوهذه الصفة ؟ فقال : ما أعرف إلا الحسين بن القاسم قال :
 صدقت ، قلبي يميل إليه ، فإن جاءك رقعة منه فاغرضها علي واكتم
 حاله .

٤٣ - ب

فخرج مفليح إلى الدنيالي وقال : هل تعرف في الكتاب من دوهذه
 الصفة ؟ قال : لا ! قال : فمن أين لك هذا الكتاب ؟ قال :
 ورثته عن أبي ، وورثه أبي عن آباءه ، وهو من ملاحم دانيال عليه
 السلام ! فأعاد ذلك إلى المقتدر بالله فقبله . فكتب الحميين

رقعة إلى مفلح وهو يطلب الوزارة ، فكان ذلك من أعظم الأسباب لوزارته مع كثرة الكارهين له .

ثم اتفق أن الكأوذاني عمل حِسبة بما يحتاج إليه من النفقات ومالهم (١) من الأموال وعليها خطوط الدواوين فبقى يحتاج إلى سبعمائة ألف دينار لاجهة لها ، فعرضها على المقتدر وقال : ليس لهذا جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين من بيت مال الخاصة ! فعظم ذلك على المقتدر ، وكتب الحسينُ رقعةً عندها بلغه ذلك مسأل فيها الوزارة وأنه بضمن جميع النفقات ويستخرج بسوى ذلك ألف ألف دينار تكون في بيت المال ، فاستقال الكأوذاني ، فعزل الليثين بقبنا من شهر رمضان ، واستوزر المقتدر بالله الحسين بن القاسم في هذا التاريخ

ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

1- ٤٤ / في هذه السنة في ذى الحجة تجددت الوحشة بينهما . وسبب ذلك أن مؤنسا بلغه أن الوزير قد وافق جماعة من القواد في التدبير عليه ، فتنكر له مؤنس . وبلغ الوزير أن مؤنسا يريد أن يكبس داره ليلا ويقبض عليه ، فتنقل في عدة مواضع ثم انتقل إلى دار الخلافة . وطلب مؤنس من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فأجابته إلى عزله ولم يصادده ، وأمر الحسين بلزوم داره فلم يقنع مؤنس بذلك فبقى في وزارته . فأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنسا

(١) أي أصحاب الدواوين كما في الكامل ٦ : ٢١٥

يريد أخذ ولد أبي العباس ويسيرد إلى الشام وبياع له ، فَرَدَّه
المقتدر إلى دارِ الخلافة فعلم ذلك أبو العباس ، فلما أَفْضَتْ إليه الخِلافةُ
فعل بالحسين ما ذكره إن شاء الله تعالى . وكتب الحسين إلى هارون
- وهو يريد العاقول - بعد انصرافه من حرب مرداويج وانهازمه وهو
يستقدمه إلى بغداد ، وكتب إلى محمد بن باقوت - وهو
بالأهواز - يأمره بالإسراع إلى بغداد ، فَصَحَّ عند مؤنس أن الوزير
يدبر عليه وزاد مؤنسا نقارا .

ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير مؤنس إلى الموصل

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضبا ،
للمقتدر لما صحَّ عنده إرسال الوزير إلى هارون بن غريب
الخال ومحمد بن باقوت يستحضرهما . قال : (١) وسير مؤنس
خادمه بشرى (٢) برسالة إلى المقتدر ، فسأله الحسين عن الرسالة
فقال : لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين . فأنفذ إليه المقتدر يأمره بذكر
رسالته للوزير فامتنع وقال : ما أمرني صاحبي بهذا ! فسبه الوزير وشتم
صاحبه وأمر بضربه وصادره بثلاثمائة ألف دينار وأخذ خطه بها
وحبسه ونهب داره . فلما بلغ مؤنسا ما جرى على خادمه وكان ينتظر
أن المقتدر يطيب قلبه ويعيده ، سار معه جميع قواده ومماليكه ،
ومعه من الساجية ثمانمائة رجل . فتقدم الوزير بقبض إقطاع

٤٤ - ب

(١) ابن الأثير في الكامل : ٦ : ٢١٩

(٢) يذكر في بعض الأثبات بشرى ، وفي كصفحة ٢٨ يرسم مكة

مؤنس وأملاكه وأملاك من معه ، فَحَصَّلَ من ذلك أموالاً عظيمة فزاد ذلك في محطه عند المقتدر ولقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدنانير والدرهم وتمكَّن من الوزارة وولى وعزل ثم أخذ في التهوير فعزله المقتدر بالله .

ذكر عزل الحسين عن الوزارة

ووزارة ابن الفرات

كان سبب عزله أنه ضاقت عليه الأموال وكثر الخرج ، فاستسلف جملة من مال هذه السنة وأخرجها في سنة تسعة عشر . فأنهى هارون / بن غريب ذلك إلى المقتدر ، فرتب معه الخصيمي . فلما تولى معه نظر في أعماله فرآه قد عمل حسبةً للمقتدر ليس فيها عليه [وجه] (١) فأظهر ذلك للمقتدر ، فأمر بجمع الكُتُب وكشِف الحال . فاعترفوا بصدق الخصيمي وقابلوا الوزير ، فقبض عليه في شهر ربيع الآخر فكانت وزارته سبعة أشهر إلا أياماً . واستوزر المقتدر بالله الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات (٢) ، وسلم إليه الحسين بن القاسم فلم يؤاخذه بإساءته .

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قال (٣) : ولما سار مؤنس إلى الموصل كتب الحسين الوزير إلى سعيد وداود ابني حمدان وإلى ابن أخيها ناصر الدولة الحسن

(١) زيادة من الكامل ٦ : ٢٢٠ يقتضها السياق

(٢) في « ١ » وك ٢٥ وف ٢٧ - ب « أبا الفضل بن جعفر » لكنه الفضل ، على ما يذكر سكويه وعريب وابن تغري بردى والحسين المذكور هو الحسين بن القاسم بن عبيد الله .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٠

ابن عبد الله بن حمدان يأمرهم بمحاربتهم وصلبهم عن الموصل ، فاجتمع بنو حمدان على محاربتهم إلا داود فإنه امتنع لإحسان مؤنس إليه ؛ فإنه قد كان رباه في حجره بعد أبيه فما زال به إخوته حتى وافقهم ، ولما أجازهم قال لهم : إنكم لتحملوني على البغي وكفران النعمة والإحسان وما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني ! فلما التقوا أتاه سهم كما وصف فقتله ، ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس . واجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفا فالتقوا واقتتلوا فانهمز بنو حمدان / ودخل مؤنس الموصل واستولى على أموال بني حمدان وديارهم ، فخرج إليه كثير من العساكر من بعداد والشام ومصر ، وعاد إليه ناصر الدواة بن حمدان فصار معه وكان دخول مؤنس إلى الموصل في ثالث صفر ، وأقام بها سبعة أشهر ، وعزم على الانحدار إلى بغداد .

٥٥ ب

ذكر مقتل المقتدر بالله

قال (١) : ولما اجتمعت العساكر إلى مؤنس بالموصل قالوا له : اذهب بنا إلى الخليفة فإن أنصفنا وأجرى أرزاقنا وإلا قاتلناه فانحدر مؤنس من الموصل في شوال ، وبلغ خبره جند بغداد فشتغيوا وطلبوا أرزاقهم ، ففرق المقتدر فيهم أموالا كثيرة إلا أنها لم تسعهم وأنفذ المقتدر أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافيا البصرى في خيل عظيمة إلى سامراء . وأنفذ أبا بكر محمد

ابنُ ياقوت في ألقى فارسٍ ومعه الغلمان الحجرية إلى المشوق .
فلما وصل مؤنس إلى تكريت جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت
يتسللون ويهربون إلى بغداد ، ونزل مؤنس بباب الشماسية ،
فلما رأى ذلك رجع ابن ياقوت إلى عكبرا ، وسار مؤنس فتأخر
ابنُ ياقوت وغيره وعادوا إلى بغداد . ونزل مؤنس بباب
الشماسية ، ونزل ابنُ ياقوت وغيره مُقابِلَهُم واجتهد المقتدرُ

بخاله (١) هارون بن غريب / ليخرج فلم يفعل وقال : أخاف من
٤٦ - ١ عسكري فإنَّ بعضهم أصحابُ مؤنس وبعضهم قد انهزم أمس
من مرداويج فأخاف أن يسلموني وينهزموا عني ! فلم يزل به حتى
أخرجه ، وأشار الناس على المقتدرِ بإخراج المال منه ومن أمه ليرضى
الجند وقالوا : إنه متى سمع أصحاب مؤنس بتفريق الأموال
تفرقوا عنه ، فاضطرَّ إلى الهرب فقال : لم يبق لي ولا لوالدتي
شيء !

وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط . وبكاتب العساكر من
البصرة والأهواز وفارس وكرمان وغيرها ويترك بغداد لمؤنس إلى أن
يجتمع إليه العساكر ويعود إلى قتاله ، فردَّ ابن ياقوت عن
ذلك ، وزين له اللقاء وقوى نفسه أن القوم متى رأوه عادوا بجمعهم
إليه فرجع إلى قوله ودو كارد ، ثم أشار عليه بحضور الحرب فخرج
وهو كارد وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة (٢)

(١) كذا في أ، ك، ف ، وفي الكامل ٦ : ٢٢١ « باین خاله » وهو الأصح

(٢) أي بردة الخلافة

والناس حوله ، فوقف على تل عال بعيد من المعركة فإرسل إليه قواده يسألونه التَّمَقُّدَمَ مرة بعد أخرى ، فلما ألحوا عليه أتقدم من موضعه فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم . وكان قد أمر فتوودي . « من جاء بأسير فلله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة » . فلما انهزم أصحابه لقيهم علي بن يلبق - وهو من أصحاب مؤنس - فترجل وقبل الأرض وقال له : أين تمضي ؟ ارجع ، فلعن الله من أشار عليك / بالحضور !

٤٦ - ب

فأراد الرجوع ، فلحقه قوم من المغاربة والبربر ، فتركه على وسار ، فشهروا سيوفهم فقال : ويحكم أنا الخليفة ! فقالوا : قد عرفناك ياسفلة ، أنت خليفة إبليس ، تبذل في كل رأس خمسة دنانير وفي كل أسير عشرة دنانير . وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض ، وذبحه بعضهم - وقيل إن علي بن يلبق رمز إلى بعضهم فقتله - وذلك في يوم الأربعاء الثالث بتمين من تدوال سنة عشرين وثلاثمائة .

قال (١) : ولما قتل رفعوا رأسه على خشبية ودم يكبرون ويلعنونه ، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مكشوف العورة إلى أن مر به رجل أكار فستره بحشيش ، ثم حفر له في موضعه ودفن ، وعفا قبره . هذا ومؤنس في الراشدية لم يشهد الحرب ، فلما حُمِلَ رأس المقتدر إليه بكى واطم وجهه ورأسه وقال : يا مفسدون ما هكذا أوصيتكم ، والله لننقتلن كلنا ، وأقل ما في الأمر أن تظهروا أنكم قتلتموه خطأ ولم تعرفوه !

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢١ وفي مرآة الجنان ٢ : ٢٧٩ عرض للموقف الأخير له

وتقدم مؤنسٌ إلى الشَّامِسيَّة ، وأنفذَ إلى دارِ الخِلافة من عندها من النَّهْب . ومضى عبد الواحد بن المقتدر ودارونُ بنُ غريبٍ ومحمَّدُ ابنُ ياقوتٍ وابنا راتقٍ إلى المدائن . وكان ما فعله مؤنسٌ سبباً لجرأة أصحابِ الأطرافِ على الخلفاء وطمعهم واستبدادهم ، وانحرفت حرمة الخِلافة لقتل المقتدر ، وضعف أمرها حتى انتهت إلى ما نذكره إن شاء الله تعالى (١) .

قال (٢) : وقتل وعمره ثمان وثلاثون سنةً وخمسةً أيام ، وكان مُدَّةَ خِلافته أربعاً وعشرين سنةً وأحد عشر شهراً وستةً عشر يوماً ، وكان ربيعَ (٣) القمامةِ دُرِّيَّ اللونِ أحورٍ أصهب ، وكان نقش خاتمة « الحمد لله الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع خالق كل شيء » ويقال إن المقتدر بَدَّرَ من الأموال تضييعاً في غير وجهها نيفاً وتسعين ألفَ ألفِ دينارٍ (٤) سوى ما أنفقه في الوجوه ، وكان يصرف إلى الحرمين وفي طريقهما في كلِّ سنةٍ ثلاثمائة ألفٍ وخمسةً عشرَ ألفَ دينارٍ وأربعمائة وستةً وعشرين ديناراً ، وإلى الثغور أربعمائة ألفٍ وواحدًا وتسعين ألفاً وأربعمائة وستةً وخمسين ديناراً وكان يُجرى على القضاة في كلِّ الممالك ستةً وخمسين ألفاً

(١) يستحسن أن يراجع هنا هرب في الصلة ١٧٤ وما بعدها وسكويه في تجارب الأمم ٢٣٤ وما بعدها

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) يقال الربع أي الرجل بين الطول والقصر ، كالربعة والمربوع .

(٤) في المنتظم ٦ : ٢٤٣ « نيفاً وسبعين ألف ألف دينار » وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٣٤

وخذرات الذهب ٢ : ٢٨٥ « ثمانين ألف ألف دينار » وما يأتي بعد ذلك حتى قوله « خمسة عشر ألف دينار » سقط من س ، ف .

وخمسمائة وواحدًا وأربعين دينارًا : وعلى الفقهاء بالحضرة
ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة وتسعة وستين دينارًا ، وعلى من يتولى
الحسبة والمظالم في جميع البلاد أربعة وثلاثين ألفًا وأربعمائة وتسعة
وثلاثين دينارًا ، وعلى أصحاب البريد تسعة وسبعين ألفًا وأربعمائة
دينار ، وغير ذلك من الجرايات على أصناف الناس وطبقاتهم . وعجز ارتفاع
مملكه عن نفقاته ألفي ألف وتسعة وثمانين ألفًا وثمانمائة وأربعة وسبعين
دينارًا ، ولم ينقص أحدًا شيئًا فأنفق ما كان في بيوت الأموال
قبله (١) .

قال (٢) : ومات في أيامه خمسة عشر ألف أمير ومقدم مذكور
فكانت والدته تطوي عنه الرزايا والفجائع وتقول : إظهارها يؤلم
قلبه ! فأدى ذلك إلى انتشار الفساد في مملكه (٣) .

وكان الناس قد ملؤوا أيامه لطولها ، حتى إذا تصرمت تمنوا
ساعة منها ، فأعوزتهم ، وشملتهم الحوادث والطوارق . وكان له
من الأولاد الراضى والمتقى والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلى
وإسماعيل وعيسى وموسى وأبو العباس (٤) .

(١) في عقد الجمان للمبني وتجارب الأمم لسكويه وشذرات الذهب لأبي الفلاح الحنبلي أنه بدد
جميع جواهر الخلافة عدا الذهب والتحف الأخرى ، وأعطى « الدرة اليتيمة » التي تزن ثلاثة مثاقيل
لواحدة من حظاياها ، وأخذت زيدان القهرمان سبعة قيمتها ثلاثمائة ألف دينار .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) المعروف أن شغب أمه - الإغريقية الأصل - كانت تشجعه على الأنهك في الملاذ
وعلى التبذير أيضًا . . كانت تدقه وكان هو ينصاع لها ويحترمها ، غير أن غفلتها وضعفها
الناجم عن تدينها جعلها تقف في سلبية دمرت الخليفة الصغير ! راجع ما كتبه هـ . بوين
Bowen في كتابه The life and Times of Ali b. Isa وما كتبه Le Strange

في كتابه Lands of Eastern Caliphate

(٤) قال ابن الجوزي في المنتظم ٦ : ٢٤١ إن مؤنسا لما رأى رأس المعتدر وروح طلب =

ووزر له من ذكرنا وهم : العباسُ بن الحسين (١) ، وأبو الحسن بن الفرات ثلاثَ دفعاتٍ وقد ذكرنا أخباره ، ومحمد بن عبد الله بن خاقان . وعلى بن عيسى دفعتين ، وكان موصوفاً بالعلم والدين والعقل ، وساس الدنيا السياسةَ التي عمّرت البلاد ، وكان يستغلُّ ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينارٍ يُخرج منها في وجوه البرِّ ستمائة ألف دينارٍ وينفق أربعين ألفَ دينارٍ على خاصته ، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله ، ولما حُبِسَ كان يلبس ثيابه ويتوضأُ ويقوم ليخرجَ إلى صلاة الجمعة فيرده الموكلون به فيقول : اللهم اشهد ! وكانت له آثارٌ حسنةٌ ومآثرٌ جميلةٌ منها أنه أشار على المقتدر / أن يوقف المستغلاتِ ببغدادَ على الحرس والثغور - وغلّتها في كلِّ شهرٍ ثلاثة عشرَ ألفَ دينارٍ - والضياعَ الموروثةَ بالسواد وارتفاعها نيِّفَ وثمانون ألفَ دينارٍ سوى الغلة ، ففعل ذلك وأفرد لهذا الوقف ديواناً سمّاه ديوان البرِّ ، وكان يُجرى على خمسة وأربعين ألفَ إنسانٍ جراياتٍ تكفيهم ، وخدم السلطان سبعين سنةً لم يُزل فيها نعمةً أحد ولم يقتلُ أحداً ، ولم يسمع في ذمّه ولم يهتك حرمةً أحد ، ومات في آخر ذى الحجة سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة (٢) وله تسعُ وثمانون سنةً وستة أشهرٍ ويوم واحد ، رحمه الله !

٤٨ - ١

= أن ينصبوا ابنه أبا العباس « فإنه إذا جلس في الخلافة سمحت نفسه ونفس جده والدة المقتدر باخراج الأموال » ولكنهم - غيروا رأيه !

(١) في المنتظم ٦ : ٦٧ أنه بقى في وزارته أربعة أشهر وسبعة أيام ثم قتل .

(٢) في صفحة ٢٦ « ستة خمس وثلاثين وخمسة » وهو خطأ واضح .

ووزر له حامد بن العباس ، وأبو القاسم الخاقاني ، وأحمد بن عبد الله الخصبى ، وأبو علي بن مقله ، وسليمان بن الحسين بن مخلد ، وعبد الله الكلوذاني ، والحسين بن القاسم بن عبيد الله ، والفضل ابن جعفر بن الفرات .

قضاته : يوسف بن يعقوب ثم ابنه محمد^(١) بن يوسف ، ثم أبو عمر ، ثم عيد الله بن أبي الشوارب ، ثم ابنه محمد ، ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول ، ثم عمر بن محمد بن يوسف ، والحسن بن عبد الله ، وعمر بن الحسن بن أبي الشوارب .

حجابه : سوسن مولى المكتفى ، ونصر القشورى ، وياقوت مولى المعتضد ، وغيرهم .

الأمرء بمصر : عيسى النوشري ، ثم تكين الخزرى^(٢) ، ثم وصل مؤنس / إلى مصر فصرف تكين وولأها ذكاء الأعور ثم مات فأعيد تكين ، ثم هلال بن بدر ، ثم أحمد بن كيغلف^(٣) ، ثم تكين مرةً ثالثة .

القضاة بها : أبو عبيد الله بن علي بن الحسين البرزاز^(٤) إلى أن ورد كتاب ابن الفرات بصرفه وردّ القضاء إلى عبد الله بن

(١) بعد ذلك إلى « ثم أحمد بن إسحاق بن البهلول » سقط من ك صفحة ٢٦

(٢) في الأصل وفي س ، ف « الجزرى » وهو تصحيف ، وفي بعض الأثبات « الخزرى »

وهو تصحيف أيضا

(٣) في الأصل « ثم هلال بن بدر بن أحمد بن كيغلف » والخطأ فيه واضح ، وقد تولى الأول سنة ٣٠٩ بعد عزل تكين ، وتولى الثاني من قبل المقتر سنة ٣١١ بعد عزل هلال (راجع النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠١ ، ٢٠٦)

(٤) في ك ، ف « أبو عبد الله » ولعله أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب كما يقول الكتلى ، وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٠٧ أنه يعرف بابن حربويه ، ولما صرفه ابن الفرات عن القضاء خلفه أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم ، وهذا ما أثبتته النويرى بعد .

مُكْرَمٌ شابٌّ من شهود أبي عمر ، فاستخلف له أبو الذكر محمد بن يحيى التَّمَار ، ثم ورد إبراهيم بن محمد الطبري خليفة لعبد الله ، ثم صُرف عبد الله وولي إبراهيم بن حماد فاستخلف أبا علي عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم صرف هارون وولي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن رزين ، وولي تكينُ أبا هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرُّبَعي .

ذكر خلافة القاهر بالله

هو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد و [قد] (١) تقدم ذكرُ نسبه ، وأمه أمٌ ولد اسمها قبول . وهو التاسع عشر من الخلفاء العباسيين ، بويح له بعد مقتل أخيه المقتدر في يوم الخميس ليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة . قال (٢) ولما قتل المقتدر بالله عظم قتله على مؤنس كما ذكرناه فقال : / الرأي نصب ولده أبا العباس في الخلافة فإنه تربيتي ، وهو صبيٌّ عاقلٌ فيه دين وكرم ووفاء بما يقول ، فإذا جلس في الخلافة سمحت نفسُ جدته والدة المقتدر وإخوته وغلما ن أبيه ببذل الأموال ولم ينتطح في قتل المقتدر عنزان !

فعارضه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي (٣) وقال : بعد الكد استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحالة ، لا والله لا نرضى إلا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا !

(١) زيادة من ك صفحة ٢٦

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٣) بضم الباء نسبة إلى الجد نوبخت .

وما زال حتى ردّ مؤنسماً عن رأيه ، وذكر له أبا منصور محمد فأجابه مؤنس إلى ذلك . وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حقيقته بظلفه ! فإنّ القاهر قتله كما نذكر إن شاء الله تعالى ، فأمر مؤنس بإحضاره فبايعوه بالخلافة ، ولقبوه القاهر بالله . وكان مؤنس كارها لخلافته والبيعة له ويقول : أنا عارف بشرّه وسوء نيته ولكن لا حيلة ! قال : (١) ولما بويح استحلّفه مؤنس لنفسه ولحاجبه عليّ بن يلبق ، وأخذ خطّه بذلك .

ولما استقرّت الخلافة له وبايعه الناس استوزر أبا عليّ بن مقلّة وكان بفارس فاستقدمه ، واستحجب عليّ بن يلبق . وشرع القاهر في البحث عن استتر من أولاد أخيه المقتدر وحرمه ، وأحضر والدته (٢) - وكانت مريضة بالاستسقاء - وسألها عن المال فاعترفت له بما عندها من المصوغ والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجوهر ، فضربها أشدّ ما يكون من الضرب وعلّقها برجلها وضرب المواضع المستورة من بدنها فحلقت أنها لا تملك غير ما أطلّعت عليه وقالت : لو كان عندي مال لما سلّمتُ ولدي للقتل ! ولم تعترف بشيء .

٤٩ - ب

وصادر جميع حاشية المقتدر بالله وأصحابه ، وأخرج والدته لتشهد على نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلّت أوقافها ووكلت في بيعها ، فامتنعت من ذلك وقالت : قد أوقفتها على أبواب البرّ والقربات

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٢) والدة المقتدر ولم تكن أما للقاهر ، و قد أدخلت بعض القديما - منهم أبو محمد عبد الله

ابن أسد الهنسي - حين قرروا أنها أم الخليلتين (راجع مرآة الجنان وهدية اليقظان ٢ : ٢٧٩)

مكة والمدينة والشُّغورِ وعلى الضفء والمساكينِ ولا أستحل حُلها
ولا بَيْعها ، وإنما أوكل في بيع أملاكى ! فلما علم القاهرُ بذلك أحضر
القاضى والشهود وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقوفها جميعها
ووكل في بيعها ، فبيع ذلك كله واشتراه الجُنْدُ من أرزاقهم .

وتقدم القاهر بكبس الدار التى سعى إليه أن أولاد المقتدرِ
اختفوا بها ، فلم يزل كذلك إلى أن وجد منهم أبا العباس الراضى
وعلياً والعباسَ وهارون وإبراهيم والفضل فحُمِلوا إلى دارِ الخلافة
فصودروا على مالٍ كثير ، وسلّمهم على بن يلبق لكاتبه الحسن بن
هارون ، فأحسن صُحبَتهم وخدمهم . قال : (١) وقبض الوزير على
جماعة من العمال وعزل بنى البريدى وصادرهم .

/ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة :

١٠٥٠

ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

كان عبد الواحد بن المقتدر بالله قد هرب عند قتل أبيه ومعه
هارون بن غريب ومفلح ومحمد بن ياقوت وابنارائق إلى المدائن
كما قدمنا ، ثم انحدروا منها إلى واسط . فخافهم الناس .
فأما هارون بن غريب فإنه كتب إلى بغداد في طلب الأمان لنفسه
ويبذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه وينزل

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٢

(٢) في ك صفحة ٢٧ « ومعه هارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت »

عن الأملاك التي استأجرها ، ويؤدى من أملاكه حقوق بيت المال القديمة . فأجابه القاهر ومؤنس إلى ذلك ، وكتب له كتابُ أمان . وقلد أعمالَ ماد الكوفة وما سبذان ومِهْرْجَانْتَقَدَق ، وسار إلى بغداد

وأما عبد الواحد فإنه خرج من واسط . فيمن بقيَ معه ومضوا إلى السوس وسوق الأهواز فجنوا المالَ وطرَدوا العمالَ ، وأقاموا بالأهواز ؛ فجهز مؤنس إليهم جيشا كثيفا وجعل عليه يلبق . وكان الذى حرَّضَهُمْ على إيفادِ الجيشِ أبو عبد الله البريدى وبذل مساعدته معجلةً خمسين ألف دينار على أن يُولى الأهوازَ وعند استقراره فى الولاية يعجل ما بقى . فسنار الجيشَ وفيهم أبو عبد الله ، وكان محمدُ بن ياقوت قد استبدَّ / بالأموالِ والأمر ، فنفرت قلوبُ من معه من القواد لذلك . فلما قرب يلبق من واسط . أظهروا ما فى نفوسهم وفارقوه . ولما وصل إلى السوس فارق عبدُ الواحدِ ومحمدُ بنُ ياقوتِ الأهوازَ وسار إلى تستر ، وفارقهما من معهما من القواد إلى يلبق بآمان .

٥٠ - ب

وبقى مُفْلِحٌ وسرورُ الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت : أنت معتصم بهذه المدينة وبمالك ورجالك ونحن لا مالَ معنا ولا رجالَ ومقامنا يضرُّك ولا ينفعك وقد عزمنا على أخذِ الأمان لنا ولعبيدِ الواحدِ بنِ المقتدر ، ! فأذن لهما فى ذلك فكتب إلى يلبق فأمنهم ، فعبروا إليه . وبقي محمد بن ياقوت منفردا فتحيرت وضعفت نفسه فتراسل هو ويلبق واستقر بينهما أن يلبق يؤمنه ويضمن له أمان مؤنس والقاهر ، ففعل . وخرج محمد بن ياقوت

معه إلى بغداد ولما وصلوا وفي لهم القاهر بالله ، و أطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التي كان صادرها بها . واستولى أبو عبد الله البريدي على البلاد ، وعسف أهلها ، وأخذ أموال التجار وعمل بأهل البلاد ما لا تعلمه الفرنج ولم يمتعه أحد عما يريد وأعاد إخوانه إلى أعمالهم .

ذكر استيحاء مؤنس وأصحابه من القاهر

٥١ - ١ في هذه السنة استوحش مؤنس المظفر ويلقب الحاجب وولده عليّ والوزير أبو علي بن مقلّة من القاهر بالله وضيقوا عليه وعلى أسبابه . وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلت منزاته وصار يخاوبه ويشاوره ، فعظم ذلك على ابن مقلّة لعداوة كانت بينه وبين ابن ياقوت ، فالتقى إلى مؤنس أن محمداً يسعى به عند القاهر وأن عيسى الطيب يسفر بينهما في التدبير عليه ، فوجه مؤنس عليّ بن يلبق لإحضار عيسى الطيب فوجده بين يدي القاهر ، فأخذه وأحضره عند مؤنس فسيره من ساعته إلى الموصل ، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت وكان في الخيام . فركب عليّ ابن يلبق في جند ليكرسه ، فوجده قد اختفى فنهب أصحابه ، واستمتر محمد بن ياقوت .

ووكل علي بن يلبق على دار الخليفة أحمد بن زيرك (١) وأمره بالتضييق على القاهر بالله وتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها ،

(١) في شذرات الذهب ٢ : ٢٨٧ « ابن زيرك » و« هنا عن ف صفحة ٣٢ ب وفي « ١ »

وأن يكشف وجود النساء ، وإن وجد رقعةً رفعها إلى مؤنس ففعل ذلك وزاد عليه حتى إنه حُبل إلى دار القاهر لئِنُ فادخل يده فيه . ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوساً إلى دارد كوالدة المقتدر وغيرها ، وقطع أرزاق حاشيته . فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد وأن ذلك برأى مؤنس وابن مقلّة ، فأخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم . وكان قد عرف فساد قلب طريف السبكرى وبشرى خادم مؤنس (١) وحسدتهما ليابق وولده على مراتبهما ، فشرع في إغرائهما بيليق وابنه . وعلم أيضا أن مؤنسا ولبق أكثر اعتمادهما على الساجية أصحاب يوسف بن أبي الساج وغللمان المنتقلين إليها بعده ، وكانا قد وعداهم بالموصل مواعدا أخلفاها فأرسل القاهر إليهم وأغرامهم بها وحلف لهم على الوفاء بما أخلفاها ، فتغيرت قلوب الساجية . ثم أرسل أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وكان صاحب مشورة ابن مقلّة ، ووعدته بالوزارة فكان يظالمه بالأخبار .

ذكر القبض على مؤنس المظفر

ويلبق الحاجب وابنه

وسبب ذلك أنه صحّ عندهم أن القاهر يُدبر عليهم فخافوه ، وحلّهم الخوف على الجد في خلعه ، وانفق رأيهم على البيعة لأبي أحمد بن المكتفى ، فاستخلفوه وعقدوا له البيعة يداً ، وحلف له بلبق وابنه على الوزير ابن مقلّة والحسن بن هارون ثم كشفوا الأمر لمؤنس فقال : لست أشك في شر القاهر وخبيثه ، ولقد كنت كارهها

(١) في ك صفحة ٢٨ « بشر خادم مؤنس »

٥٢ - ١ / لخلافته وأشمرتُ بابن المقدر بالله فخالفتهم رأيتُ ، وقد بالغتُم في الاستهانة به وما صبر على الهوانِ إلا من خُبثِ طويته ليديرُ عليكم ، فلا تعجلوا حتى تؤنسود وينبسطَ إليكم ثم تعرفوا من وطأه بن القواد والساجبة والحجرية واعملوا بعد ذلك ! فقال علي بن يلبق والحسن بن هارون : ما يحتاج إلى هذا التطويل فإن الحجة لنا والدار في أيدينا وما نحتاج [إلى] (١) أن نستعين في القبض عليه بنحْدٍ لأنه بمنزلةِ ضائرٍ في قفصٍ ! وعملوا على معالجه .

فاتفق أن سقطَ يلبقُ من الدابة فاعتلَّ ولزم بيته ، فاتفق علي وابن مقلّة وحسنًا لمؤنسٍ خلع القاهر وهونًا عليه أمرد ، فأذن لهما . فاتفق رأيهما على أن يُظهِرَ أنَّ أبا ظاهرٍ القرمطي دخل الكوفة وأن علي بن يلبق سائر لِقِتَالِهِ ومنعه من بغداد ، فإذا دخل لوداع القاهر بالله قبض عليه ، فأشاعا ذلك ، وكتب ابن مقلّة رقعةً إلى الخليفة يُعرفه ذلك ويقول : « إنني قد جهزتُ علي بن يلبق ليمسير في هذا اليوم وأن يحضر العَصْرَ للخدمة ليأمرد مولانا بما يراه » فكتب القاهر في جوابه يشكره ويأذن في حضور ابن يلبق . فجاء جواب الخليفة وابن مقلّة نائم فتركود ولم يوصلوه إليه . فلما استيقظ . كتب رقعةً أخرى في المعنى ، فأنكر القاهرُ الحال .

فهو في هذا إذ وصلته رقعة طريف السبكي يذكر أن عنده نصيحة وأنه قد حضر في زِي النِّساء لينهيها إليه ، فاجتمع به القاهر ، فذكر له جميع ما عزموا عليه [وما هم فيه] (٢) وما فعلوه من

(١) زيادة يقضيها السياق .

(٢) زيادة من ك صفحة ٢٩ .

التدبير . فأنفذ القاهرُ إلى الساجية فأحضرهم متفرقين وكنهم في الدهاليز والممرات والرواقات ، وحضر على بن يلبق بعد العصر وفي رأسه نبيذٌ ومعه عددٌ يسير من أصحابه في طيارٍ له . وأمر جماعةً من أصحابه بالركوب إلى الأبواب وصعد من الطيارِ وطلب إذنَ القاهر فلم يأذن له فغضب وأساء أدبه وقال : لا بدُّ من لقائه شاء أو أبى ! فأمر القاهرُ الساجيةَ برده ، فخرجوا إليه وشتمود وشتموا أباه ، وشهروا سلاحهم واتقدموا إليه ، ففَرَّ أصحابُه عنه وألقى نفسه في الطيارِ وعبر إلى الجانب الغربي واختفى من مساعته

وبلغ ابن مقلة الخبير فاستتر ، واستتر الحسن بن هارون ، فلما سمع طريفُ الخبير ركب في أصحابه بالسلاح ، وحضر إلى دار الخليفة ووقف عند القاهر بالله . فهظم الأمر حينئذ على ابن يلبق وجماعتهم وأنكر يلبق ما جرى على ابنه ، وسبَّ الساجيةَ وركب إلى دار الخليفة في جميع القوادِ الذين بدار مؤنس ، فلم يصل إلى القاهر وقبض عليه وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وحبسهما وحصلَ الجيش / كلُّهم في الدارِ فأنفذَ القاهر إليهم وطيبَ قلوبهم ووعدهم الزيارة ، وأنه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن إليهم فعادوا

١ - ٥٣

وراسل القاهرُ مؤنسًا في الحضور عند لي عرض عليه ما وقع عليهم ليفعل ما يراه وقال : : إنه عندي بمنزلة الوالد ، وما أحبُّ أن أعمل إلا عن رأيه ! فاعتذر مؤنس عن الحركة . ونهأ أصحابه عن الحضور إليه فلما كان من الغد أحضر القاهر طريفًا السبكري وناوله خاتمه

وقال له : قد قَوَّضْتُ إلى ولدي عبيد الصَّمَد ما كان المقتدر فَوْضَهُ إلى ابنه محمد وقلدتك خِلافته ورئاسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال كما كان ذلك إلى مؤنسٍ فأنض إليه واحمله إلى الدار فإنه مادام في منزله يجتمع إليه من يريد الشر ولا نأمن أمره ! فمضى إلى دار مؤنس وعنده أصحابه في السلاح فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوء صنيع يلبق وابنه فكلُّهم سببهما ، وعرفهم ما أخذ لهم من الأمان والعهود فمكثوا . ودخل إلى مؤنس وقد استولى عليه الكبرُ والضعفُ وأشار عليه بالحضور عند القادر وقال : إن تأنخت طمع ولو رآك نائمًا ما تجاسر أن يوقظك ! / فسار إليه ، فلما دخل الدار قبض عليه وحبسهُ ، وذلك في ممتهل شهر شعبان .

٥٣-ب

وأمر القادر بالختم على دور مَنْ قَبِضَ عليهم ونقل دونهم وروكل بحريمهم ، وأمر بنقل ما في دار ابن مقله وحرقتها ، ونهبت دور المعتقلين بها . وظهر محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، ثم رأى كراهة طريف والساجية له فاختمى وهرب إلى ابنه بفارس ، فكانت به القاهر يلومه على عجاته بالمهرب وقلده كور الأذواز ، واستقدم القاهر عيسى الطبيب من الموصل ، وجدَّ القادرُ بالله في ضلب أحمد بن المكتفى ، ففقر به ، فبني عليه حائطا وهو حَيٌّ فمات . وظفر بعلي بن يلبق ، واستعمل على الحجبة ملائمة الطوائف وعلى الشرطة أحمد بن خازن .

ذكر مقتل مؤنس ويلبق

وابنه علي والنوبختي

كان مقتل هؤلاء في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .
 ومسبب ذلك أن أصحاب مؤنس نخبوا وثاروا ، وتبعهم سائر الجند ،
 ونادوا بتهنئة مؤنس ، وقالوا لا نرضى إلا بإطلاقه . وكان القاهر
 قد ظفر بعلي بن يلبق ، وأفرد كل واحد منهم في بيت ،
 فلما / تسبب الجند دخل القاهر إلى علي بن يلبق فأمر به فذبح
 وجعل رأسه في طست . ومضى والطمست بين يديه حتى دخل علي
 يلبق ، فلما رأى رأس ابنه بكى وقبَّله ، فأمر به القاهر فذبح
 وجعل رأسه في طست . وحمل بين يديه ، ومضى حتى دخل علي
 مؤنس فوضعهما بين يديه .

١٥٤ - ١

فلما رآهما تشهَّد واسترجع ولعن قاتلهما ، فقال القاهر :
 جروا برجل الكلب الملعون ! فَجَرُّوا برجله وذبحوه ، وجعلوا رأسه
 في طست . وطيف بالرووس في جانبي بغداد وثودي عليها « هذا
 جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته » ثم أعيدت فنظفت وجعلت في
 خزانة الرووس على العادة (١) . ولما قتلهم القاهر بالله اشتد أمره ،
 وقويت نفسه ، وخافه من حوله بمن وافقه وباطنه على قتلهم . وقتل
 أبابعمقوب النوبختي ، ولقب نفسه بعد ذلك « القاهر بالله المنتقم من
 أعداء الله لدين الله » . وضرب ذلك علي الدنانير والدرهم .

(١) راجع مرآة الجنان ٢ : ٢٨١ وشنرات الذهب ٢ : ٢٨٧ وعبارة صاحب
 الشنرات « بدت من القاهر شهامة وإقدام فتحيل حتى قبض على مؤنس ... » وهي توحى
 بما كان لدى هؤلاء من سلطان وما أقدم عليه القاهر من خطر !

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم

وعزله وولاية الخصيبي

قال (١) : ولما قبض القاهر بالله على مَنْ ذكرناه وعرب ابن مقلّة سأل : / من يصلح للوزارة ؟ فدلّ على أبي جعفر ابن القاسم بن عبيد الله ، فاستوزره في شعبان فبقي وزيراً إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة ، فقبض القاهر بالله عليه وعلى أولاده وأخيه عبيد الله وحرمه ، وكان مريضاً بقولنج ، فبقي محبوباً ثمانية عشر يوماً ومات ، فحُبل إلى منزله وأطلق أولاده . واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي فكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً [والله تعالى أعلم] (٢) .

ذكر القبض على طريف السبكري

كان طريف كما ذكرناه قد أعان القاهر بالله على القبض على مَنْ ذكرناه ، وثبتت قواعده دولته . فلما قوي القاهر بالله لم يقف عند إيمانه لطريف وبقي يُسمِّعُه ما يكره ، ويستخفُّ به ، ويعرض له بالأذى . فلما رأى ذلك خافه وتيقن السوء ، فلما قبض القاهر على الوزير أبي جعفر أحضر طريفاً وقبض عليه ، فبقي محبوباً يتوقع القتل صباحاً ومساءً إلى أن خلع القاهر بالله .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٩

(٢) زيادة من ك صفحة ٢٠

وفي هذه السنة أمر القاهر بتحريم الخمرة والغناء (١) وسائر
الأنبذة ، ونَفَى بَعْضَ مَنْ كَانَ يُعْرِفُ بِذَلِكَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ
وَأَمَرَ بِبَيْعِ الْجَوَارِي وَالْمَغْنِيَاتِ عَلَى أَنَّهِنَّ سَوَاجِحٌ لَا يُعْرِفْنَ / الْغِنَاءَ ،
ثُمَّ وَضَعَ مَنْ يَشْتَرِي لَهُ كُلَّ حَازِقَةٍ فِي صِنْعَةِ الْغِنَاءِ ، فَاشْتَرَى
لَهُ مِنْهِنَّ مَا أَرَادَ بِبُخْشِ الْأَثْمَانِ . وَكَانَ الْقَاهِرُ مُشْتَهَرًا بِالْغِنَاءِ
وَالسَّمَاعِ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى تَحْصِيلِ غَرَضِهِ ، وَهَذِهِ نَهَايَةُ
فِي الْخِصْمَةِ وَالْتِمَاحِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ !

وفيها كان ابتداء الدولة الديلمية البويهية ، وسيأتي ذكرها
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) . وفيها أمر علي بن يلبق - قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ -
بِإِعْزَازِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَمْنِيَانَ وَابْنِهِ يَزِيدَ عَلَى الْمَنَابِرِ (٣) .

ودخبت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة :

ذكر خلع القاهر وسمله وشيء من أخباره

كان خلع القاهر وسمله في يوم الأربعاء ليست خلون من جمادى
الأولى من هذه السنة ، وسبب ذلك أن أبا علي بن مقله والحسن بن

(١) يروى أنه أمر بكسر آلات الطرب (مرآة الجنان ٢ : ٢٨١) ،
(٢) في المنتظم ٦ : ٢٠٧ أن بدء ظهور الديلم كان سنة ٣١٥ بتغلب لنكي بن النعمان على لاي ،
وفيه أيضا ٦ : ٢٤١ وفي شذرات الذهب ٢ : ٧٨٣ أن مرداويج الديلمي لما قوى وخافه
الخليفة عقده سنة ٣٢٠ على أذربيجان وأرمينية وإيران وقم ونهاوند وسجستان . واهروف
أن بلاد الديلم الأصلية هي ما بين طبرستان والجيلال وجيلان وبحر الخزر كما يقول القسري ،
إلا أن توسعهم في القرن الرابع الهجري جعل الجنترافين يضيفون إليهم الأراضي المحيطة
ببحر الخزر والتي تحدها خراسان شرقا وأذربيجان غربا .
(٣) راجع المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٦ : ٢٤٩ وفيه أن العامة اضطربت من

هارون كانا قد استترا من القاهر ، وجد في طلبهما فلم يظفر بهما فكانا يرسلان قواد الساجية والحجرية ويخوفانهم من شره ويذكران غدره ، وأنه لا يغمسك بيانه ، وأنه قبض على طريف بعد نضجه له ، إلى غير ذلك . وكان ابن مقله يجتمع بالقواد ليلاً - تارة في زى أعمى وتارة في زى مكدي وتارة في زى امرأة - ويغريهم بالقاهر . ثم إنه أعطى منجماً كان لسيما رئيس الساجية ومقدمهم مائتي دينار ، / وأعطاه الحسن مائة دينار فكان يذكر لسيما أن ضالعه يقتضى أن القاهر ينكبه ويقتله . وأعطى ابن مقله . أيضا شيئاً لمُعبر^(١) كان لسيما ، فكان يُحذره من القاهر [بالله]^(٢) فازداد نفوراً ونقل إلى سيما أن القاهر يريد القبض عليه ، فجمع الساجية وأعطاهم السلاح ، وأنفذ إلى الحجرية فاجتمعوا وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقتل من خالف منهم . فاتصل ذلك بالقاهر وبوزيره الخصبى فأرسل إليهم « ما الذى حملكم على هذا ؟ » فقالوا : قد صح عندنا أن القاهر يريد القبض على سيما وقد عمل مظامير ليحبس قوادنا فيها .

فلما كان في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى اجتمع الساجية والحجرية عند سيما وتحالفوا على القبض على القاهر ، فقال سيما : قوهوا بنا الساعة حتى نفضى العزم ، فإنه إن تنخر حليم به واحترزوا وأهلكنا ! وبلغ ذلك الوزير فأرسل سلاًداً الحاجب

(١) المر : مفسر الأعلام .

(٢) زيادة من ك صفحة ٢٠

وعيسى الحاجب وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك ، فوجداه نائماً قد شرب أكثر ليلته ، فلم يقدر على إعلامه بذلك ، وزحف الحجرية والساجية إلى دار الخلافة ، ووكل سيماً بأبوابها من يحفظها ، وبقي هو على باب العامة وداجموا الدار من سائر الأبواب . فلما جمع القادر الأصوات والجلبة امتيقظ . وهو مخمور ، وطلب باباً يهرب منه ، فقيل له إن الأبواب جميعها مشحونة بالرجال / فهرب إلى سطح حمام ودخل القوم فلم يجدوه ، فدللهم خادمٌ صغير على موضعه فقصده . فإذا بيده سيف فألأنوا له واجتهدوا به ، فلم ينزل وقال : من صعد إلى قتاتة ! فأخذ بعضهم سهماً وقال : : إن نزلت وإلا وضعت في نحرك ! فنزل حينئذ إليهم وساروا إلى الموضع الذي فيه طريف السبكري فأنخرجوه وحبسوا القاهر مكانه ^(١) واستدعوا في تلك الليلة أحمد بن أبي الحسين الصائغ فكحل ^(٢) القاهر بعد أن أقيم بين يدي الراضى بالله ، وسلم عليه بالإمارة .

وقيل في سبب خلعه إنه لما تمكن من الخلافة تنقص الساجية والحجرية على مر الأيام حتى كان لا يقضى لأكابرهم حاجة ، ويلزمهم التوبة في داره ، ويؤخر أعطيائهم ويغفل لمن يخاطبه منهم في أمر ، فأقبل بعضهم ينذر بعضاً ويتشاكون . ثم كان يقول

(١) راجع واقعة القبض عليه في مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وفي شذرات الذهب ٢ : ٢٩٢

وفي المنتظم ٦ : ٢٦٥ .

(٢) كان كحل العينين وسيلة للسل ، وقد ذكر ابن تفرى بردى أن عيني القاهر بعد الكحل سالتا على خديه فمسي ، وذكر مسكويه أن بختيشوع بن يحيى المتطلب هو الذي دل المتأمرين إلى

للى سله !

لسلامة حاجبه : أنت بين يديّ كنز مال يمشي فأى شيء يتبين في مالك لو أعطيتني ألف ألف دينار ! فيحمل ذلك على الهزل ، وكان وزيره الخصيبي خائفا لما يرى منه

ثم إنه حفر في الدار نحو خمسين مطمورة وأحكم أبوابها ، فقيل إنها لمقدمي الساجية والحجرية ، فازدادوا نفورا ، ثم إن جماعة من القرامطة أخذوا من فارس وأرسلوا إلى بغداد فحبسوا في تلك المطاير ، فتقدم القاهر يبراً بفتح الأبواب / عليهم والإحسان إليهم ، وعزم على أن يتقوى بهم بالقبض على مقدمي الساجية والحجرية . فأنكروا حال القرامطة وكونهم معه في داره وهو يحسن إليهم ، وذكروا ذلك لوزيره وحاجبه فقالا له ، فأخرجهم من دار الخلافة وسأهمهم إلى محمد بن ياقوت وهو على شرطة بغداد فأنزلهم في دار وأحسن إليهم . ثم صار القاهر يذم الساجية والحجرية في مجلسه ويظهر كراهتهم ، فلما تبينوا ذلك من وجهه وحركاته أظهروا أن لبعض قوادهم عرسا ، فاجتمعوا بحجبتيه (١) وقرروا بينهم ما أرادوا وافترقوا . وأرسلوا إلى سابور خادم والدة المقتدر (٢) وكان قد اختص به فقالوا له : قد علمت ما فعل القادر بمولاتك وقد ركبت في موافقته كل عظيم فإن وافقتنا على ما نحن عليه وقدمت إلى الخدم بحفظه فعفا الله عما سلف منك وإلا فنحن نبدأ بك !

(١) في الأصل « فاجتمعوا بحجبه » وذلك صفحة ٣١ « فاجتمعوا لحجه » وهو تصحيف

(٢) في ك ، ف ٢٣ - ب « خادم أم المقتدر بالله » .

فأعلمهم ما عنده من الخوف والكراهة للقادر ، وأنه • وانقمهم •
هذا وابن مقلّة يسمى كما ذكرنا

قال (١) : ولما قُبِضَ على القادر درب وزيره الخَصِيْبِي وحاجبِه
سلامة ، فكانت خلافةُ القاهر بالله سنةً واحدةً وستةً أشهرٍ وثمانيةً أيام
وهو أولُ خليفةٍ سُمِعَ ، ولم يزل في دار السلطان إلى أن أخرج
المستكفي بالله في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
ورددّه إلى داره فأقام / مدةً ثم خرج إلى جامع المنصور في يوم الجمعة ،
وقام فعرفَ النَّاسَ نَفْسَهُ وتصدَّقَ منهم وقال : أنا خليفةكم بالأمر
وسانلكم اليوم ! فأعطاه ابنُ أبي موسى ألفَ درهم (٢) وردّه إلى
داره وتوفي في خلافة المضعيع في يوم الجمعة ثالثَ جمادى الآخرة سنة
تسع وثلاثين ، ودُفِنَ في دار طاهر وله اثنتان وخمسون سنة . وكان
أبيضَ يعلوه حمرة ربوعا أعين وافر اللحية أثلغَ تسليدُ
الإقدام على سَفْكِ الدِّماء ، أدوجَ مُحبياً لجمع المال قبيحَ السيامة .
وقد تقدم من أفعاله وضرِّبه لوالدة أخيه المقندر ومصادرتيها
ومصادرة أولاد أخيه وأمّهات أولاده ما يستدل به على قبح أفعاله
وسوء طوريّته وعدم تمسكه بما يبذله من الأيمان المغلظة والعهود
المؤكدة ثم لا يقف عند ذلك . وكان نقش خاتمه « محمد رسول الله »
وكان له من الأولاد أبو الفضل عبد الصمد وأبو القاسم عبد العزيز
وهو ولي عهده .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٢٧

(٢) في المعظم ٦ : ٢٦٥ • فرآه أبو عبد الله بن أبي موسى فسنمه من ذلك وأعطاه خمسين

وزراؤه : أبو علي بن ممتلة ، ثم محمد بن القاسم ، ثم أحمد بن عبد الله الخَصِيبي .

حُجَّابُهُ : علي بن بلبق ، ثم سلامة الطولوني .

قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف .

الأمرء بمصر : تَكِينٌ ثم محمد بن ضُجج التَّرْخَانِي (١) المعروف بالإخشيدي ، ثم أحمد بن كَيْغَلِيع ، وتغلَّب محمد بن تَكِين في أيامه ثم عاد الأمر إلى ابن كَيْغَلِيع .

٥٧ - ب

القضاة بها: ولي القاهر محمد بن الحسين بن أبي الشوارب فاستخلف أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن قُتَيْبَةَ فشمغب الرعية عليه ولم يزل إلى أن صُرِف ابن أبي الشوارب ، ورد القضاء إلى أبي عثمان أحمد ابن إبراهيم بن حداد وإلى عبد الله بن موسى السرخسي .

ذكر خلافة الراضي بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، وأمه أم ولد اسمها ظُوم ، وهو الخليفة العشرون من الخلفاء العباسيين بويع له بعد خلع عمه القاهر في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وذلك أنه لما قبض القاهر كما ذكرناه سألوا الخدم عن المكان الذي هو فيه وكان محبوساً هو ووالدته ، فدُلُّوهم عليه فقصدوه وفتحوا عليه وسلموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر بالله ولقبوه الراضي

(١) في ك صفحة ٣١ محمد بن مفلح الفرغاني ، وهو تصحيف ، وعن النجوم الزاهرة . ٢٢٥ محمد بن طنج بن جف بن يلكين بن فوران بن فوري الأمير أبو بكر الفرغاني التركي

بالله ، وبإيعة القواد والناس ، وأقيم القاهر بين يديه وسلّم عليه
بالإمارة ..

قال (١) : ولما ولى أمر بإحضار علي بن عيسى وزير المقتدر بالله
وأخيه عبد الرحمن وصدر / (٢) عن رأيهما فيما يفعله . وأراد
علي بن عيسى على الوزارة فامتنع ، ليكرهه وضعفه ، وأشار
بابن مقلّة ثم قال سيما للراضى بالله : إن الوقت لا يمحتمل أخلاق
علي وابن مقلّة أليق ، فكتب له أماناً فحضر واستوزره .

١- ٥٨

فلما وزر أحسن إلى كل من أساء إليه وقال عاهدت الله عند
استيتاري بذلك ! وأرسل إلى الخصيب وعيسى الطيب بالأمان فظهرا ،
فأحسن ابن مقلّة إليهما ، فاستعمل الخصيب واستعمل [أبا] (٣)
الفضل بن جعفر بن الفرات نائبا عنه على سائر الأعمال بالموصل والجزيرة
وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزيرية والشامية ، وأجناد
الشام ومصر . واستعمل الراضى بالله على الشرطة بدار الخرشني
واستعمل محمد بن ياقوت على الحجية ورئاسة الجيش ، وأدخل
يده في أمر الدواوين ، وتقدم إليهم بأن لا يقبلوا توقيعاً
بولاية وعزل وإطلاق إلا إذا خطّه عليه ، وأمرهم بحضور مجلسه
فصبر ابن مقلّة على ذلك وألزم نفسه بالمصير إلى دار ابن ياقوت
في بعض الأوقات كالمعتاد .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٣٧

(٢) سقطت هذه الصفحة ٥٨ بأكملها من الأصل ، واستغنينا عنها بما ورد في ك ٣٢ وف

صفحة ٣٥ - ١

(٣) زيادة من الكامل ٦ : ٢٣٨

ذكر مقتل هارون بن غريب

في هذه السنة قُتل هارون بن غريب الخال ، وسبب ذلك أن القاهر بالله كان استعمله على ما الكوفة وما سبذان وغير ذلك كما ذكرناه . فلما استخلف الراضى بالله رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لِقرابته من الراضى بالله . وكتب القواد ببغداد يعلمهم الإحسان والزيادة في الأرزاق ، ثم سار من الدينور إلى خانقين (١) ، فعظم ذلك على ابن مقله وابن ياقوت والحجرية والساجية ، وشكوا ذلك إلى الراضى بالله فأعلمهم أنه كاره له وأذن لهم في منعه . فراسلوا له وبذلوا طريق خراسان زيادة على ما بيده ، فلم يقنع وتقدم إلى النهروان وشرع في جباية الأموال ، وظلم الناس ، سفهم وقويت شوكته . فخرج إليه محمد بن ياقوت في سائر جيوش بغداد ونزل قريبا منه ، فهرب بعض أصحاب محمد ابن ياقوت إلى هارون . فراسله ابن ياقوت يستميله ، ويبذل له فقال : لا بد من دخول بغداد !

فلما كان في يوم الثلاثاء ليست بقيين من جمادى الآخرة تراحف العسكران واشتد القتال فاستنظر أصحاب هارون لكثرتهم ، وانهمز أكثر من مع ابن ياقوت ونهب أكثر سوادهم وكثر فيهم القتل والجراح ، فسار محمد حتى قطع قنطرة نهر هناك . فبلغ ذلك هارون ، فسار نحو القنطرة منفردا عن أصحابه طمعا في أسر محمد بن ياقوت وقتله ،

(١) بلدة في السواد بطريق همدان يقول ياقوت إنه كان بها عين نפט ، وقال الياشري وخاقين أيضا بلدة بالكوفة .

فتقنطربه فرسه فسقط. عنه في ساقية فلحقه غلام له اسمه يمن
فضربه بالطبرزين حتى أثخنه / وكسر عظامه ثم نزل إليه فذبحه ، ثم
رفع رأسه وكبر فانهزم أصحابه وتفرقوا ودخل بعضهم بغداد
مسرًا . ونهب سوادُ هارون ، وقتل جماعة قواده ، وأسر جماعة ،
وسار محمد إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضره وأمر
بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه ، ودخل بغداد ورأس
هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قواد هارون فنصبت ببغداد ا

١-٥٩

ذكر مقتل ابن الشلمغاني ومذهبه

في هذه السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني
المعروف بابن أبي العراقيد (١) ، وشلمغان التي ينسب إليها قرية
بنو احي واسط. ، وكان سبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً في
التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك ، وكان ظهوره
في مبدأ وزارة حامد بن العباس أحد وزراء المقتدر بالله ، ثم اتصل
الشلمغاني بالمحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة ، ثم طلب
في وزارة الخاقاني فاستتر وهرب إلى الموصل . وبقي سنين عند
ناصر الدولة بن حمدان ، ثم انحدر إلى بغداد واستتر ، ثم ظهر
عنه أنه يدعى الربوبية لنفسه . وقيل إنه أتبعه على ذلك
الحسين ابن القاسم بن عبيد الله (٢) بن سليمان بن وهب / الذي

٥٩-ب

(١) في الكامل ٦ : ٢٤١ المعروف بابن أبي القراقير ، وفي المنتظم ٦ : ٢٨١

ويعرف بابن المزاقير ، وقد ورد ذكره في مرآة الجنان ٢ : ٢٨٤ وشنرات الله

٢ : ٢٩٣ .

(٢) في الكامل ٦ : ٢٤١ « عبد الله »

وزر للمقتدر بالله ، وأبو جعفر ، وأبو علي ابنا بسطام ، وإبراهيم ابن محمد بن أبي عون ، وابن شبيب ويزيد وأحمد بن محمد بن عبدوس .. كانوا يعتقدون ذلك فيه وظهر ذلك عنهم ، وطلبوا في وزارة بن مقله للمقتدر فلم يوجدوا .

فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر ابن السُّلَمْغَانِيَّ قَبَضَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ابْنُ مَقْلَةَ وَسَجَنَهُ وَكَبَسَ دَارَهُ فَوَجَدَ فِيهَا رِقَاعًا وَكُتُبًا مِمَّنْ يَدْعِي فِيهِ الرَّبُوبِيَّةَ يَخَاطِبُونَهُ بِمَا لَا تَخَاطَبُ بِهِ الْبَشَرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ . وَفِيهَا خَطٌّ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، فَعَرَضَتْ الْخَطُوطُ عَلَيْهِ فَأَقْرَأَ أَنَّهَا خَطُوطُهُمْ وَأَنْكَرَ مَذْهَبَهُ ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَتَبَّرَ أَمَّا يُقَالُ فِيهِ . فَأَخَذَ ابْنُ أَبِي عَوْنٍ وَابْنُ عَبْدِوَسٍ فَأَحْضَرَا مَعَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَأَمْرًا بِصَفْعِهِ فَاْمْتَنَعَا ، فَلَمَّا أَكْرَهَا صَفَعَهُ ابْنُ عَبْدِوَسٍ ، وَمَدَّ ابْنُ أَبِي عَوْنٍ يَدَهُ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسَهُ فَارْتَعَدَتْ يَدُهُ فَقَبَّلَ لِحْيَتَهُ وَرَأْسَهُ وَقَالَ : إِلَهِي وَسَيِّدِي وَرَازِقِي ! فَقَالَ لَهُ الرَّاضِي : قَدْ زَعَمْتَ أَنَّكَ لَا تَدْعِي الْإِلَهِيَّةَ فَمَا هَذَا ؟ فَقَالَ : وَمَا عَلَيَّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَا قُلْتُ لَهُ إِنِّي إِلَهٌ قَطُّ ! فَقَالَ ابْنُ عَبْدِوَسٍ : إِنَّهُ لَمْ يَدْعِ الْإِلَهِيَّةَ وَإِنَّمَا ادَّعَى أَنَّهُ الْبَابُ إِلَى الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ مَكَانَ الْحُسَيْنِ بْنِ رُوحٍ !

ثم أحضروا عدة مراتٍ ومعهم القضاة والفقهاء وغيرهم ، وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء ببإباحة دمه / فُصِّلِبَ هُوَ وَابْنُ أَبِي عَوْنٍ ، ٦٠ - ١ وأحرقا بالنار في ذى القعدة . وكا "حسين بن القاسم بالرقعة فأرسل الراضي بالله إليه فقتل في ذى القعدة ، وحُيِّلَ رَأْسُهُ فِي بَغْلَادِ .

وكان مذهب الشلمغاني أنه إله الآلهة بحق الحق ، وأنه الأول القديم ، الظاهر الباطن ، الرازق التام ، الموماً إليه بكل معنى . وكان يقول : إن الله سبحانه وتعالى يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل ، وإنه خلق الضد ليدل على المضدود ، فمن ذلك أنه حل في آدم عليه السلام لما خلقه ، وفي إبليس لما خلقه وكلاهما ضد لصاحبه لمضادته إياه في معناه ، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق ، وأن الضد أقرب إلى الشيء من شبيهه ، وأن الله عز وجل إذا حل في جسد ناسوتي أظهر من المقدرة المعجزة ما يدل على أنه هو ، وأنه لما غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر في خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة ، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس وإبليس وتفرقت بعدما كما تفرقت بعد آدم ، واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليس وتفرقت بعدما ، واجتمعت في صالح وإبليس عاقرة الناقة وتفرقت بعدما ، واجتمعت في إبراهيم عليه السلام وإبليس ثمود وتفرقت لما غابا واجتمعت في موسى وإبليس / فرعون وتفرقت بعدما ، واجتمعت في سليمان وإبليس وتفرقت بعدما ، واجتمعت في عيسى وإبليس فلما غابا تفرقت في تلاميذ عيسى وأبالستهم ، ثم اجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليس .

٦٠- ب

وإن الله يظهر في كل شيء وكل معنى ، وإنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر في قلبه فيتصور له ما يغيب عنه حتى كأنه يشاهده . وإن الله اسم لمعنى ، وإن من اجتاح الناس إليه فهو إله ،

ولهذا المعنى يستوجب كل أحد أن يسمى إلهًا ، وأن كل أحد من أتباعه لعنه الله يقول : إنه ربُّ لن هوى دون درجته . وأن الرجل منهم يقول : أنا رب فلان وفلان رب ربي ، حتى يقع الانتهاء إلى ابن السلماني فيقول : أنا رب الأرباب لاربوية بعده ! ولا ينسبون الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما إلى عليٍّ ، لأن من اجتمعت له الربوبية لا يكون له ولد ولا والد .

وكانوا يسمون موسى ومحمدًا صلوات الله عليهما الخائنين ، لأنهم يدعون أن هارون أرسل موسى وعليًا أرسل محمدًا فخاناها . ويزعمون أن عليًا أمهل محمدًا عدة سنين أصحاب الكهف فإذا انقضت العدة وهي ثلاثمائة وخمسون سنة أنتقلت البرية .

ويقولون : إن الملائكة كل من ملك نفسه وعرف الحق ، وإن الجنة معرفتهم وانتحال مذهبهم والنار الجهل بهم والعدول عن مذهبهم / ويعتقدون ترك الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات ، ولا يتناكحون بعقد ويبيحون الفروج ، ويقولون : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم بعث إلى كبراء قريش وجهابذة العرب ونفوسهم أبية فأمرهم بالسجود ، وإن من الحكمة الآن أن يُمتحنَ الناس بإباحة فروج نسائهم ، وإنه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوى رحمه وحرم صديقه وابنه بعد أن يكون على مذهبه ، وإنه لأبد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه ، ومن امتنع من ذلك قُلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأة ؛ إذ كان مذهبهم التناسخ .

وكانوا يعتمدون إهلاك الظالمين والعباسيين ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون عاواً كبيراً ! وذند المقالة شبيهةً بالمقالة النصيرية ، فإنهم يعتمدون في ابن انقرات ، ويجعلونه رأساً في مذهبهم .

ذكر ظهور انسان ادعى النبوة

وفي هذه السنة ظهر بباسند^(١) من أعمال الصفغانيان رجل ادعى النبوة فقصده فوج بعد فوج وأتبعه خلقٌ كثير وحارب من خالقه ، فقتل خلقاً كثيراً ممن كذبه ، وكثر أتباعه خصوصاً من أهل الشاش . وكان صاحباً حَيَّيلاً ومخاريق ، وكان يدخل يده في حوض ماء فيخرجها مملوءةً دنانير إلى غير ذلك من المخاريق ، فكثر جمعه . فانفذ إليه ، أبو علي بن المظفر ، جيشاً فحاربوه وضيقوا عليه - وهو فوق جبلٍ عالٍ - حتى قبضوا عليه ، وقتلوه وحملوا رأسه إلى أبي علي ، وقتلوا خلقاً كثيراً ممن اتبعه وآمن به . وكان يدعى أنه متى مات عاد إلى الدنيا ، فبقى جماعة كبيرة بتلك الناحية مدةً طويلةً على مادعاهم إليه ثم اضمحلوا وفتوا .

٦١- ب

وفيهما سار الدمستق قرقاش في خمسين ألفاً من الروم فنازل ملطية وحصرها مدةً طويلةً حتى هلك أهلها بالجوع ، وضرب خيمتين

(١) باسند : مدينة فيما وراء النهر ، وهي في الصفغانيان الولاية الضخمة التي تتصل بأصال ترمذ ، ومشاربها من أنهار تمد إلى جيحون ، وهي شديدة العمارة كثيرة الخيرات (ماقوت في معجم البلدان)

على إحداهما صليبٌ وقال : من أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب ليُردَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وله الأمان على نفسه ونبلغه وأمنه ، فانحاز أكثر المسلمين إلى خيمة الصليب طمناً في أهلهم ومالهم . وسير مع الباقين بطريقاً يبلغهم مأمنهم ، وفتحها بالأمان في مستهل جمادى الآخرة ، وملكوا شمشاط. (١) وخربوا الأعمال ، وأكثروا القتل ، وفعلوا الأفاعيل الشنيعة ، وصار أكثر البلاد في أيديهم .

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

ذكر القبض على ابني ياقوت

١- ٦٢ / في هذه السنة في جمادى الأولى قبض الراضى بالله على محمد والمظفر ابني ياقوت ، وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مقله كان قد قلَّبَ لتحكُّم محمد بن ياقوت في الدولة بأسرها ، وأنه هو ليس له حكم في شيء ، فسعى به إلى الراضى وأدام السعاية . فلما كان في خامس الشهر ركب جميع القواد إلى دار الخليفة على عادتهم ، وحضر الوزير وأظهر الراضى أنه يريد يقلد جماعة من القواد أعمالاً ، وحضر محمد بن ياقوت للحجبة ومعه كاتبه أبو إسحاق القراريطى . فخرج الخدم فاستدعوا محمد بن ياقوت إلى الخليفة فدخل مبادراً ، فعدلوا به إلى حجرة هناك فحبسوه ، ثم استدعوا القراريطى فدخل فعدلوا به إلى حجرة ، ثم استدعوا

(١) في الأصل : سيطاطونك صفحة ٣٤ شيساط وقد آثرنا شمشاط لقرها من ملطية .

المظفر من بيته وكان مخمورا فحبسوه أيضا ، . وأنفذ الوزير ابن مقله إلى دار محمد من يحفظها من النهب ، وكان ياقوت حينئذ مقيما بواسط ، فلما بلغه القبض على ابنه انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بويه ، وكتب إلى الرازي بالله يستعطفه ويسأل إفاد ولدته ليساعده على حربه .

ذكر حال أبي عبد الله محمد البريدي وتقدمه

في هذه السنة قوى أمر أبي عبد الله البريدي وعظم شأنه ، / وسبب ذلك أنه كان ضامنا لأعمال الأهواز ، ثم استولى عليها عسكريا مرداويج الديلمي (١) ، وهزم ياقوت ، فجاء إلى البصرة وصار يتصرف في أسافل أعمال الأهواز مضافا إلى كتابة ياقوت . وادعى أخواه وكان إليهما ضمان السوس وجند يسابور أن دخل البلاد لسنة اثنتين وعشرين أخذ عسكريا مرداويج وأن دخل البلاد لسنة ثلاث وعشرين لا يحصل منه شيء ، لأن نواب مرداويج ظلموا الناس فلم يبق لهم ما يزرعونه . وكان الأمر يصد ذلك في السنتين ، فبلغ ذلك الوزير ابن مقله فأنفذ نائبا له ليحقق الحال فواطأ ابني البريدي وكتب بصد قهما فحصل لهما بذلك مالا عظيما وقويت نفوسهما وكان مبلغ ما أخذاه أربعة آلاف ألف دينار .

وفيها قتل ناصر الدولة بن حمدان عمه أبا العلاء بن حمدان ،

(١) كان كبير الديلمية ، وفي ظله تمت السلالة البويهية بالأخوة الثلاثة عماد الدولة وركن الدولة وممزر الدولة وكان مرداويج يقول : أنا أرد دولة المعجم وأبطل ملك المنتظم (٢٦٨٦)

وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيداً ضمن الموصل وديار ربيعة سرا ، وكان بها ناصر الدولة أميراً . فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه للقاءه فخالفه في الطريق قَصْداً منه ، فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وقعد ينتظره ، فَأَنْفَذَ ناصر الدولة جماعةً من غلمانهِ فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه .

ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل

وما كان بينه وبين ناصر الدولة

قال (١) : لما قَتَلَ ناصرُ الدَّوْلَةِ عمَّهُ أبا العلاء واتَّصَلَ خَبْرُهُ بِالرَّاضِي بِاللَّهِ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ ، وَأَمَرَ الْوَزِيرَ ابْنَ مَقْلَةَ بِالمَسِيرِ إِلَى المَوْصِلِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي شَعْبَانَ بِالْعَسَاكِرِ . فَلَمَّا قَارَبَهَا رَحَلَ عَنْهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ وَدَخَلَ الزُّوزَانَ (٢) ، وَتَبِعَهُ الْوَزِيرُ إِلَى جَبَلِ التَّنِينِ (٣) ثُمَّ عَادَ عَنْهُ ، وَأَقَامَ بِالمَوْصِلِ يَجِيبِي أَمْوَالَهَا . فَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ بِالمَوْصِلِ احْتَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ ابْنِ حَمْدَانَ عَلَى وَلَدِ الْوَزِيرِ - وَكَانَ يَنْوِبُ عَنْهُ فِي الْوِزَارَةِ بِبَغْدَادٍ - فَبَدَّلَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ لِيَكْتَسِبَ إِلَى أَبِيهِ بِمُسْتَدْعِيهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ : إِنَّ الْأَمْوَالَ بِالْحَضْرَةِ قَدْ اخْتَلَتْ وَإِنَّ تَأَخُّرَهُ لَمْ يُوْمَنَ مَعَهُ حَدُوثُ مَا يَبْطُلُ أَمْرُهُمْ . فَانزَعَجَ الْوَزِيرُ لِذَلِكَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَوْصِلِ عَلِيَّ بْنَ خَلْفِ بْنِ

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٤٩

(٢) الزوزان : مدينه أهلها أرمن في كورة بين جبال أرمينية وبين أذربيجان وديار بكر الموصل .

(٣) جبل التنين : مشهور كما يقول ياقوت قرب جبل الجودي من أعمال الموصل

طباب (١) وما كرد الدَيْلَمِي - وهو من الداجية - وانحدر إلى بغداد في منتصف شوال . فلما فارق الموصل عاد إليها [ناصر الدولة] (٢) بن حمدان فاقتتل هو وما كرد الديلمي ، فانهزم ابن حمدان . ثم عاد وجمع عسكرا آخر ، والتقوا على نصيبين في ذي الحجة فانهزم ما كرد إلى الرقة ثم إلى بغداد ، وانحدر ابن طباب أيضا ، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد وكتب إلى الخليفة يسأله الصلح وأن يضمن البلاد فأجيب إلى ذلك . وفيها في المحرم قلّد الراضي بالله وأمه أباجعفر وأبا الفضل ناحيتي المشرق والمغرب مما بيده ، وكتب بذلك إلى البلاد .

ب - ٦٣

وفيها في ليلة الثاني عشر من ذي القعدة انقضت الكواكب انقضاضاً دائماً مستمرا من أول الليل إلى آخره ، وهي الليلة التي أوقع القرمطي فيها بالحجاج .

وفيها مات محمد بن ياقوت في الحبس ، وانهم ابن مقله أنه سمه وأطلق أخوه المظفر من الحبس بشفاعته ابن مقله ، وحلّف للوزير أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكروه فلم يف له .

وفيها أرسل الوزير ابن مقله رسولا إلى محمد بن رائق بواسط . وكان قطع الجمل عن الخليفة فطالبه بارتفاع أهوال واسط . والبصرة

(١) في ١ ، ك صفحة ٣٥ ب بن طباب . وما ها هنا من ف صفحة ٣١ - ب موافقا لابن الأثير .

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٥

وما بينهما فأحمن إلى رسوله وَرَدَّهُ بِرِسَالَةٍ ظَاهِرَةٍ إِلَى ابْنِ مَقْلَةَ
يُغَالِطُهُ ، وَأُخْرَى بَاطِنَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاضِي بِاللَّهِ مَضْمُونُهَا أَنَّهُ
إِنْ اسْتُدْعِيَ إِلَى الْحَضُورِ وَقُوِّضَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ وَتَدْبِيرُ الدَّوْلَةِ ، فَام
بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْخَلِيفَةِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ . وَمَا سَمِعَ
الْخَلِيفَةُ ، لَمْ يُعِدْ إِلَيْهِ جَوَابَهَا .

ودخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة :

ذكر القبض على الوزير ابن مقلة

ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره

٦٤ - ١ في هذه السنة عَزَمَ الْوَزِيرُ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى ابْنِ رَاقٍ لَمَّا عَادَ رَسُولُهُ / بَغِيرِ
مَالٍ ، وَحَضَرَ إِلَى دَارِ الرَّاضِي فِي مَنْتَصَفِ جُمَادَى الْأُولَى . فَلَمَّا حَضَرَ الدَّارَ
قَبِضَ عَلَيْهِ الْمُظْفَرُ بْنُ يَاقُوتَ وَالحَجْرِيَّةَ وَأَعْلَمُوا الرَّاضِي بِذَلِكَ ، فَوَافَقَ رَأْيَهُ
فِيهِ ، وَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُمْ ^(١) . وَاخْتَفَى أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ بِنِ مَقْلَةَ
الْوَزِيرِ ، وَسَائِرَ أَوْلَادِهِ ، وَحُرْمَهُ وَأَصْحَابَهُ . وَطَلَبَ الْحَجْرِيَّةَ وَالسَّاجِيَّةَ مِنْ
الْخَلِيفَةِ أَنْ يَشِيرَ بِوَزِيرٍ فَرَدَّ الْإِخْتِيَارَ إِلَيْهِمْ ، فَأَشَارُوا بِوِزَارَةِ عَلِيِّ بْنِ
عَيْسَى ، فَأَحْضَرَهُ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، فَامْتَنَعَ وَأَشَارَ بِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَاسْتَوَزَرَهُ . وَسُلِّمَ إِلَيْهِ ابْنُ مَقْلَةَ فَصَادَرَهُ ، ثُمَّ عَجَزَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ تَمْشِيَةِ
الْأُمُورِ وَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَالُ فَاسْتَعْفَى مِنَ الْوِزَارَةِ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ
فِي سَبَاحِ شَهْرِ رَجَبٍ ، وَاسْتَوَزَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكِرْحِي ،

(١) في ك صفحة ٣٥ و استحسن فعله »

وخلع عليه وسُلِّمَ إليه على بن عيسى فصادره على مائة ألف دينار ،
 وصادر أخاه عبد الرحمن بمسبعين (١) ألف دينار .

وفيهما قتل ياقوت ، وعظم البريدى وإخوته ، وكان من أمره
 ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن (٢)

قال (٣) : ولما تولى أبو جعفر الكرخي الوزارة رأى قلة الأموال
 وانقطاع / المواد فعجز عن تدبير الحال ، وضاق الأمر عليه ، وقطع
 ابن رائق حِمْلَ واسط. والبصرة ، وقطع البريدى حِمْلَ الأهواز
 وأعمالها . وكان ابن بويه قد تغلب على فارس ، فتحير أبو جعفر
 وكثرت المطالبات عليه ونقصت هيئته ، فاستتر بعد ثلاثة أشهر ونصف
 من وزارته ، فاستوزر الراضي أبا القاسم سليمان بن الحسن فكان في
 الوزارة كتابي جعفر في وقوف الحال وقلة المال (٤) !

ذكر استيلاء ابن رائق على العراق وتغلب الملوك على الأعمال
 وخروجهم عن الطاعة وتغيير أحوال الوزارة وإبطال الدواوين
 قال (٥) : لما رأى الراضي بالله وقوف الحال بالحضرة ألقائه

(١) في ك صفحة ٣٦ « تسعين ألف دينار »
 (٢) في ا ، ك ، ف « سليمان بن الحسين » وذكرته المصادر التاريخية « ابن الحسن »
 (٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٥٤
 (٤) يعلن ابن الجوزي على ذلك بقوله « وكان هذا كله من عمل الأتراك والغلمان »
 المتظلم ٦ : ٢٨١ .
 (٥) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٥٤

الضرورة إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط. يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد . فلما أتاه الرسول فرح بذلك وشرع يتجهز للمسير إلى بغداد ، فأنفذ إليه الراضى بالله الساجية وقلده إمارة الجيش وجعله أمير الأمراء وولاه الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين . وأمر أن يُخطَب له على جميع المناابر ، وأنفسد إليه الخلع وانحدر إليه أصحاب الدواوين / والكتّابُ والحُجّابُ وتأخر الحجرية . فلما استقر الذين نزلوا إلى واسط. بها قبض على الساجية في ذى الحجة ونهب أموالهم ودوابهم ، وأظهر أنه إنما فعل ذلك ليتنوّف أرزاقهم على الحجرية ، فاستوحش الحجرية من ذلك وقالوا: اليوم لهؤلاء وغد لنا وخيموا بدار الخلافة . وصعد ابن رائق إلى بغداد ومعه بجكم ، فخلع الخليفة عليه في أواخر ذى الحجة ، وأتاه الحجرية يسألون عليه فأمّهم بقلع خيامهم فقلعوها وعادوا إلى منازلهم .

وبطلت الدواوين من ذلك الوقت ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور ، إنما كان ابن رائق وكتابه ينظران في الأمور جميعها (١) ، وكذلك كل من تولّى إمرة الأمراء بعدد ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنها فيتصرفون فيها كما يريدون ، وبطلت بيوت الأموال . وتغلب أصحاب الأطراف وخلعوا الطاعة ، ولم يبق بيد الخليفة غير بغداد وأعمالها ، والحكم في جميعها لابن رائق ليس

(١) يحسن هنا مراجعة تجارب الأمم ١ : ٣٤٠ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٨ والبداية

والنهاية ١١ : ١٨٤ وكتاب

للخليفة حُكْمٌ . وأما باقي الأطراف فكانت البصرة بيد ابن رائق ،
 وخوزستان والأهواز في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة
 ابن بويه ، وكرمان في يد أبي محمد علي بن إلياس ، والرى وأصفهان
 والجيل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخى مرداويج يتنازعان
 عليها ، / والموصل وديار بكر ربيعة ومُضَرَّ في يد بنى حمدان ، ومصر
 والشام في يد إلاخشيدي أبي بكر محمد بن طُغْج والمغرب وأفريقية في يد
 أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن
 محمد الملقب بالناصر الأموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن
 أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليهامة في
 في يد أبي ظاهر القرمطي (١) .

٦٥ - ب

ذكر وزارة الفضل بن جعفر

[ابن الفرات]

قال (٢) : ولما ولي ابن رائق كتب كتابا عن الراضى بالله إلى
 أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستقدمه للوزارة . وكان
 يتولى الخراج بمصر والشام ، فظن ابن رائق أنه إن استوزر جبي
 له أموال الشام ومصر ، فنفذت إليه الخِذْلَع قبل وصوله فلقينه بهيت ،
 فلبسها ودخل بغداد وتولى وزارة الخليفة ووزارة ابن رائق جميعا .
 ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة :

(١) راجع المظم ٦ : ٢٨٨

(٢) زيادة من ك صفحة ٣٦

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٥٦

ذكر مسير الراضي بالله لحرب البريدي

في هذه السنة أشعار ابن رائق على الراضي بالله بالانحدار
 / معه إلى واسط ليقرب من الأهواز ويراسل أبا عبد الله البريدي ،
 - ٦٦ - فإن أجاب إلى ما يطلب منه وإلا قرب قصده عليه ، فأجاب الراضي
 بالله إلى ذلك . وانحدر أول المحرم فمخالف الحجرية وقالوا :
 هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية ! فلم يلتفت
 ابن رائق إليهم ، وانحدر ومعه بعضهم ، ثم انحدروا بعده .
 فلما صاروا بواسط اعترضهم ابن رائق فأسقط أكثرهم ،
 فاضطربوا وثاروا فقاتلهم قتالا شديداً ، فاهزم الحجرية وقتل
 منهم جماعة . ولما وصل المنهزمون إلى بغداد ركب لؤلؤ صاحب
 الشرطة ببغداد ، ولقيهم وأوقع بهم ، فاستتروا ، فنُهبت دورهم
 وقبضت أملاكهم ، وقطعت أرزاقهم .

ولما فرغ ابن رائق منهم قتل من كان قد اعتقله من الساجية
 سوى صافي الخازن وهارون بن موسى ، ثم أخرج مضاربه ومضارب
 الراضي بالله نحو الأهواز ، وراسل البريدي في تأخير الأموال وما
 قدر تركبه من الاستبداد وإفساد الجيوش إلى غير ذلك ، ثم قال له
 بعد ذلك : إنه إن حمل الواجب عليه وسلم الجند الذين أفسدهم
 أقر على عمله وإن أبي قوبل بما يستحق . فلما سمع الرسالة
 جدد ضمان الأهواز في كل سنة بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار
 يحمل كل شهر بقسطه وأجاب إلى تسليم الجيش إلى من
 / يؤمر بتسليمه إليه ، ممن يسير بهم إلى قتال ابن بويه إذ كانوا
 - ٦٦ - ب

كارهين للعود إلى بغداد لضيق الأموال بها واختلاف الكلمة . فعقد عليه الضمان وعاد الراضي وابن رائق إلى بغداد فدخلها في ثامن صفر ، وكان هذا القول من البريدي خديعة ومكرا ؛ فإنه ما حمل من المال درهما واحدا ولا سلم الجيش .

قال (١) : ثم سعى ابن مقاتل عند ابن رائق في غزله وزيره الحسين بن علي التوبختي ، وأشار عليه بالاعتضاد بالبريدي وأن يجعله وزيراً ، وبذل له ثلاثين ألف دينار ، فأجاب ابن رائق إلى ذلك بعد امتناع شديد وأمر ابن مقاتل أن يكتب إلى البريدي أن يرسل من ينوب عنه في وزارته فكتب إليه بإنفاذ أحمد الكوفي لينوب عنه في وزارة محمد بن رائق فأنفذه واستولى على الأمور هو وابن مقاتل ، وشرعا في تضمين البصرة من أبي يوسف أخى أبي عبد الله البريدي . فامتنع ابن رائق فخذعاه حتى أجاب إليه ، وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزيد ، وقد أساء السيرة وظلم أهلها ، فوعدهم يوسف ومنأهم وذم ابن رائق عنده بما كان يفعله ابن يزيد ، فدعوا له . ثم أنفذ أبو عبد الله البريدي غلامه إقبالا في ألقى رجل وأمرهم بالمقام بحصن مهدي إلى أن يأمرهم بأمره ، فلما علم ابن يزيد بهم علم أن البريدي يريد التغلب على البصرة ، وأمر البريدي بإسقاط بعض ما كان ابن يزيد يأخذه من أهل البصرة ، فاطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابن

رائق ، ثم عطف عليهم بعد ذلك وعمل بهم أعمالاً تمنوا أيام ابن رائق وعدوها أعياداً !

ذكر الوحشة بين محمد بن رائق والبريدى والحرب بينهما

في هذه السنة ظهرت الوحشةُ بينهما ، وكان لذلك أسبابٌ منها أن ابن رائق لما عاد إلى بغداد أمر بظهورٍ من اختفى من الحجرية ، واستخدم منهم نحو ألفي رجلٍ ، وأمر من بقي يطلب أرزاقهم ؛ فخرجوا [من بغداد] والتحقوا بأبي عبد الله البريدى فأكرمهم وأحسن إليهم وذمَّ ابن رائق وعابه ، وكتب إلى بغداد يقول : إني خفتمهم فلهمنا قبلتهم ! وجعلهم طريقاً إلى قطع ما استقر عليه من المال ، وذكر أنهم انفقوا مع الجيش الذي عنده ومنعوه من حمل المال ؛ فأنفذ إليه ابن رائق يلزمه بإيفادهم فاعتذر ولم يفعل . ومنها أنه بلغه ما ذمَّه به عند أهل البصرة فسأه ذلك وبأغه مقام إقبال

في جيشه بحصن مهدي فعظم عليه ، فأمر الكوفي أن يكتب / إلى البريدى يعاتبه على هذه الأشياء ويأمره بإعادة عسكره من حصن مهدي ، فكتب إليه في ذلك فاجاب « أن أهل البصرة يخافون القرامطة وأن ابن يزيد عاجزٌ عن حمايتهم وقد تمسكوا لخوفهم بأصحابي »

فسار ابن رائق إلى واسط. فبلغ البريدى ، فكتب إلى عسكره بحصن مهدي يأمرهم بدخول البصرة وقتال من منهم (١) ،

(١) في ك صفحة ٣٨ « قتال ابن رائق من منهم »

وأنفذ إليهم جماعةً من الحجرية ففقدوا وقاتلوا ابن يزاداد مرة بعد أخرى وهزموهم إلى الكوفة ، فكتب ابن رائق إلى البريدي يأمره بإعادة أصحابه من البصرة وتهدده إن لم يفعل ، فاعتذر إليه وغالطه !

ذكر استيلاء بَجْجَم على الأهواز

وخروج ابن البريدي منها

قال (١) : ولما وصل جوابُ رسالة ابن البريدي إلى محمد بن

رائق بالمخالطة عن إعادة جنده من البصرة استدعى بدرًا الخرشني وخلع عليه وعلى بَجْجَم وسيّرها في جيش وأمرهما أن يقيما بالجامدة ، فبادر بَجْجَم ولم يتوقف على بدرٍ وسار إلى السوس ، فأخرج إليه البريدي جيشًا مع غلامه المعروف بالحمال عدته ثلاثة آلاف مقاتل ، فالتقوا واقتتلوا بظاهر السوس . وكان مع / بَجْجَم مائتان وسبعون رجلًا من الأتراك فانهزم أصحابُ البريدي وعادوا إلى صاحبهم فضرب الحمال وسبه ووبخه على انهزاه ثم ردّد وأضاف إليه من لم يشهدوا الواقعة فبلغوا ستة آلاف رجل .

٦٨ - ١

فلما التقوا انهزموا من غير قتال ، فلما رآهم البريدي ركب هو وإخوته ومن يلزمه في سفينة (٢) ومعه ما بقى عنده من المال وهو ثلاثمائة ألف دينارٍ ففرقت السفينة بهم ، فأخرجهم الغواصون وقد كادوا يهلكون ، وأخرج الغواصون باقي المال لبَجْجَم ووصل

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٠

(٢) في ك صفحة ٢٨ . في ستة آلاف سفينة وهي إحالة ظاهرة .

أولاد البريدي إلى البصرة وأقاموا بالأهلة^(١) وأعدوا المراكب للهرب إن هزم إقبال ، وسير أبو عبد الله البريدي غلامه إقبالا إلى مطارا فالتقوا مع أصحاب ابن رائق فانهزمت الرائقية وأسر منهم جماعة فاطلقهم البريدي ، وكتب إلى ابن رائق يستعطفه ، وأرسل إليه جماعة من أعيان البصرة فلم يجيبهم وطلبوا منه أن يحلف لأهل البصرة ليكونوا معه ، فامتنع وحذف لئن ظفر بها ليحرقنها ويقتل كل من فيها فازدادوا بصيرة في قتاله واطمأن البريدي وأقام بالبصرة .

ثم جهز ابن رائق جيشاً آخر وسير في البر وفي الماء ، فالتقى عسكره الذي في البر مع عسكر البريدي فانهزم الرائقية ، وأما عسكر الماء فانهم استولوا على الكلاء^(٢) فلما رأى أبو عبد الله البريدي ذلك ركب في السفن وهرب إلى جزيرة أوال ، وترك أخاد أبا الحسين بالبصرة في عسكر يحميها . فخرج أهل البصرة مع أبي الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فقاتلهم وأجلوهم عنه فسار ابن رائق بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجمكم ليلحق به فاتاه فيمن عنده من الجند ، فتقدموا وقاتلوا أهل البصرة فاشتد القتال . فرجع ابن رائق وبجمكم إلى معسكرهم ، وأما أبو عبد الله البريدي فإنه سار إلى عماد

(١) الأهلة : فرسة البصرة وأحد أحيائها يقال بناها اليونان ولما جاء العرب وعسروا الخريبة أعادوا بناها ويقول عنها القزويني في « آثار البلاد » صفحة ١٩٠ إنها طيبة جداً نضرة الأشجار متفحة الأنهار (راجع الحياة الأدبية في البصرة صفحة ٣٦ للدكتور أحمد كمال زكي ، وكذلك الخريطة الملحقة بالكتاب

(٢) حتى مشهور من أحياء البصرة كانت تصل إليه المراكب من الأهلة من طريق نهر محفل وفيه دار الرزق !

الدولة بن بويه واستجار به وأطمعه في العراق وهون عليه أمر الخليفة وابن رائق ، فنمَّذَّ معه أخاه معز الدولة وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

قال : ^(١) ولما سمع ابن رائق إقبالهم من فارس إلى الأهواز سيرَ بَجْكَم إليها ، ثم قَصَد جماعة من أصحاب البريدي عسكر ابن رائق ليلا فصاحوا في جوانبه ، فانهزموا . فلما رأى ابن رائق ذلك أمر بإحراق سواده وآلاته لثلا يغنمه البريديون . وسار إلى الأهواز جريدة ^(٢) وأقام بها أياما ، وعاد إلى واسط . وكان باقى عسكره قد سبقه إليها .

ودخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز

في هذه السنة سار معز الدولة أبو الحسين بن بويه ^(٣) إلى الأهواز وتلك النواحي فملكها ، وسبب ذلك ما

٦٩ - ١

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦١

(٢) في نسخة ورقة ٢٨ « جرنده » وفي الأصل غير منقوطة ، وبيانها « جريدة » وهي الفرقة من الخيل لارجالة فيها .

(٣) في عقد الجمان والكامل إشارات قوية إلى الدبلوماسية لاسيما منذ بدء حوادث ٣٢١ وفي المتظم ٦ : ٢٦٨ تلخيص لابتداء البويهيين ، وقد أثبت ابن تغرى بردى في النجوم الزهرية ٣ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ موجزاً طيباً لكل ذلك مع اختلافات لا بأس من الإلمام بها هذا ويعتبر في مينورسكى V Minorsky في كتابه « دولة الديلمية » La Domination de Dailamites خير من كتب عن هذا الموضوع موجهاً روايات القدماء كالمسعودى والمقدسى وابن مكيو وجمرة الأصفهاني وجهات ذكية ، هذا ويحسن مراجعة Browne, E.G.U. في كتابه

ذكرناه من مسير أبي عبد الله البريدي إلى عماد الدولة بن بويه وترك البريدي ولديه أبا الحسن محمداً وأبا جعفر الفياض عند عماد الدولة رهينة . وساروا فبلغ الخبر بجمكم بنزولهم أرجان (١) ، فسار لحرهم فانهم من بين أيديهم إلى الأهواز ، ثم إلى واسط . وأرسل إلى ابن رائق يعلمه الخبر ويقول له « إن العسكر يحتاج إلى المال فإن كان معك مائتا ألف درهم فاقم بواسط حتى نصل إليك وتنفق فيهم المال وإلا فالرأى أن تعود إلى بغداد » فعاد ابن رائق من واسط إلى بغداد ، ووصل بجمكم إلى واسط .

قال (٢) : ودخل [معز الدولة] (٣) بن بويه الأهواز

فأقام بها خمسة وثلاثين يوماً ، ثم هرب البريدي خوفاً منه على نفسه ، وأمر جيشه الذين بالسوس فصاروا إلى البصرة ، وكاتب معز الدولة أن يُفْرِجَ له عن الأهواز حتى يتمكن من ضمانه ؛ فإنه كان قد ضمن الأهواز والبصرة من عماد الدولة في كل سنة بمائتي ألف درهم . فرحل عنها عسكر مكرم (٤) وأنفذ البريدي خليفته إلى الأهواز وأنفذ إلى معز الدولة يذكر خوفه ويطلب منه أن ينتقل إلى السوس ليعده عنه ويؤمن بالأهواز ،

(١) أرجان : هامة العجم يسونها أرخان كما يقول ياقوت ، ويقول الإصطخرى إنها مدينة شهيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه ، وهي بيرة بحرية ، سهلية جبلية مازها يسبح ، بينها وبين البحر مرحلة ، وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً أيضاً .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٣

(٣) زيادة من ك صفحة ٣٩

(٤) أحد قواد الديالة وكان في صف بجمكم قال ابن كثير عنه في البداية والنهاية ١١ : ٢٠٠

نه أمير الأمراء ببغداد قبل بني بويه يفهم العربية ولا يتكلم بها خشية أن يخطئ .

٦٩ - ب

فامتنع / معز الدولة من ذلك وعلم بجحكم بذلك فأنفذ جماعة من أصحابه واستولوا على السوس وجنديسابور وبقية الأهواز بيد البريدي ، ولم يبق مع معز الدولة من كور الأهواز إلا عسكر مكرم فامتد الحال عليه وفارقه بعض جنده وأراد الرجوع إلى فارس فكتب إلى أخيه عماد الدولة يعرفه الحال فأنفذ إليه جيشاً تقوى بهم ، وعاد استولى على الأهواز ، وهرب البريدي إلى البصرة . واستقر ابن بويه بالأهواز ، وبجكم بواسط . طامعا في الاستيلاء على بغداد ومكان ابن رائق ، وهو لا يظهر ذلك .

قال (١) : ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأمور أطمع

ابن رائق في مصر والشام ، وصاهره وعقد بينه وبين ابن طغج عهداً وصهرا وقال لابن رائق : أنا أجبي لك مال مصر والشام إن سيرتني إليهما ! فسيره إلى الشام في شهر ربيع الآخر .

ذكر العرب بين بجكم والبريدي

والصلح بعد ذلك

قال : ولما أقام بجكم بواسط . وعظم شأنه خافه ابن رائق أن يتغلب على العراق ، فراسل أبا عبد الله البريدي وطلب منه / الصلح على بجكم ، فإذا انهزم تسلّم البريدي واسطاً وضمنها بستمائة ألف دينار في السنة . فسمع بجكم بذلك

٧٠ - ا

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٤

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٤

فاستشار أصحابه فيما يفعله فأشاروا عليه أن يبتدي بأبي عبد الله البريدي وأن لا يهجم إلى حضرة الخلافة ولا يكاشف ابن رائق إلا بعد الفراغ من البريدي . فجمع عسكره وسار إلى البصرة يريد البريدي ، فسير أبو عبد الله البريدي جيشاً بلغت عدتهم عشرة آلاف رجل عليهم علامة أبو جعفر محمد الحمال ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر البريدي فلم يتبعهم بجكم وكف عنهم . ثم أرسل إلى البريدي في ثلثي يوم الهزيمة يعتذر إليه مما جرى ويقول له : أنت بدأت وتعرضت لي وقد عفوت عنك وعن أصحابك ولو تبعتهم لقتلت أكثرهم (١) ، وأنا أصالحك على أن أقلدك واسطاً إن ملكت الحضرة وأصاهرك ! فسجد البريدي شكراً لله تعالى وحلف لبجكم وتصالحا ، وعاد إلى واسط . وأخذ في التدبير على ابن رائق

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه

في هذه السنة في منتصف شوال قطعت يد الوزير أبي علي بن مقلة (٢) وكان سبب ذلك أن الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرّات لما عجز عن الوزارة وسار إلى الشام استوزر الراضي بالله أبا علي / بن مقلة وليس له من الأمر شيء ، وإنما الأمر والنهي لمحمد بن رائق . وكان ابن رائق قد قبض على أموال ابن مقلة وأملاكه وأملاك ابنه ،

٧٠ - ب

(١) في ك صفحة ٣٩ « ولو تبعهم لقتلهم »

(٢) رددت كتب التاريخ هذه الحادثة منها المنتظم ٦ : ٢٩٣ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢

فخطبه في ردها فلم يفعل ، فاستمال أصحابه وسألهم مخاطبته في ردها فوعده ولم يفعلوا . فلما رأى ذلك سعى بابن رائق فكتب بجمعكم يطعمه في موضع ابن رائق ، وكتب إلى وشمكير مثل ذلك ، وكتب إلى الراضي بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأصحابه ويضمن أنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار ، وأشار باستدعاء بجمعكم وإقامته مقام ابن رائق فأطعمه الراضي وهو كاره لما قاله ، فعجل ابن مقله وكتب إلى بجمعكم يعرفه إجابة الراضي ويستحثه على الحركة والمجيء إلى بغداد . وطلب ابن مقله من الراضي بالله أن ينتقل ويقيم عنده بدار الخلافة إلى أن يتم على ابن رائق ما اتفقا عليه ، فأذن له في ذلك فحضر متنكرا في آخر ليلة من شهر رمضان . فلما حضر إلى دار الخلافة لم يصل إلى الراضي وأمر باعتقاله فاعتقل في حجرة .

فلما كان من الغد أرسل الراضي إلى ابن رائق يعرفه الحال ، وعرض عليه خط ابن مقله ، وما زالت الرسائل تتردد بينهما في المعنى إلى منتصف شوال ، فأخرج ابن مقله من محبسه وقطعت يده ، وعولج فبرأ .

ثم كاتب الراضي يخطب الوزارة ويذكر / أن قطع يده لم يمنعه من عمله ، وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب ، فلما قرب بجمعكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بذلك فقال : إن وصل بجمعكم فهو يستخلصني وأكافي ابن رائق ! وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده ، فوصل خبره إلى الراضي بالله وابن رائق فأمر

بقطع لسانه ، ثم نُقِلَ في محبسٍ ضيقٍ ولم يكن عنده من يخدمه ، فألت به الحال إلى أن كان يستقي الماء من البئر بيده اليسرى ويمسك الجبل بفيه وناله شقاء شديدٌ إلى أن مات في حادي عشر شوال سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة ودفن بدار الخلافة ثم إن أهله سألوا فنبش وسُلم إليهم فدَفنوه ، ثم نبشته زوجته ودفنته في دارها . ومن العجب أنه ولي الوزارة ثلاث دفعات ، ووَزَرَ الثلاثة خلفاء وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفياً إلى شيراز وواحدة إلى الموصل في وزارته ، ودفن بعد موته ثلاث مرات وخصَّ به من خدامه ثلاثة ، وكان في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر ضرب ابن شنبوذ^(١) سبع دررٍ لقراءات أنكرت عليه ، فدعا عليه بقطع اليد وتشتيت الشمل ، فاستجاب الله له ا

ذكر استيلاء بجكم على بغداد /

٧١-ب

وشيء من أخباره وكيف تنقلت به الحال إلى أن بلغ هذه المرتبة^(٢)

قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل^(٣) : كان بجكم هذا

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المقيمي البغدادي ، ويعرف بابن شنبوذ بتشديد الترن وضم الباء على ما ذكر في الأصل ، س ، ف وفي ثورات الذهب ٢ : ٢٩٧ والمتنظم ٦ : ٢٧٥ وابن شنبوذ على ما ذكر في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٨ وقد توفي سنة ٢٧٤ ، وأثر عنه قراءات استكراها علماء عصره كابي بكر بن مجاهد وعمر بن أبي عاصم محمد بن يوسف القاضي ، وأجبر على أيام ابن مقلد أن يقر بخطه غصبا ويستيب ومن ثم نفي إلى البصرة . ومن القراءات التي أخذ بها « فامضوا إلى ذكر الله في الجمعة » و « تبت يدا أبي لهب وقد تيب » وه تكون الجهال كالمصروف المتخوش .

(٢) كتاب في الأصل وفي . ف وأما في كصفحة ٤٠ فالعنوان « ذكر استيلاء بجكم على بغداد : وشيء من أخباره ، وابتداء أمره ، وكيف تنقلت به الحال إلى أن بلغ هذه المرتبة »

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٦

من غلمان أبي العارض وزير ما كان بن كالي الديلمي فطلبه ما كان منه فوهبه له ، ثم فارق ما كان مع من فارقه . من أصحابه ، والتحق بمرداويج ، وكان من جملة من قتله ، وسار إلى العراق والتحق بمحمد بن رائق . وكان من أمره ما ذكرناه ، فلما استقر بواسط. تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة ، وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق ، وكان على أعلامه وتراسه بجكم الرائقي . فلما وصلته كتب [الوزير] (١) ابن مقله تذكر أنه استقر مع الراضي أن يقلده إمرة الأمراء زاد طمعه في ذلك وكاشف ابن رائق وقلع نسبه إليه من أعلامه ، وسار من واسط. نحو بغداد في غرة ذي القعدة . واستعد ابن رائق لحربه وسأل الراضي أن يكتب إلى بجكم بأمره بالعود إلى واسط. ، فكتب إليه فلما قرأ الكتاب ألقاه من يده وسار حتى نزل شرفي نهر ديبالي . وكان أصحاب ابن رائق على خير تعبئة ، فألقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء فانهم أصحاب ابن رائق ، وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد ، وخرج ابن رائق عنها إلى عكبرا . وكان دخول بجكم بغداد في ثالث عشر ذي القعدة ، ولقي الراضي من الغد وخلع عليه وجعله أمير الأمراء ، وكتب كتابا عن الراضي إلى القواد الذين كانوا مع ابن رائق بالرجوع إلى بغداد ، ففارقوه جميعهم وعادوا . فلما رأى ابن رائق ذلك عاد

١ - ٧٢

إلى بغداد واستتر ، فكانت مدة إمارته سنةً واحدةً وعشرة أشهرٍ وستة عشرَ يوماً .

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة :

ذكر مسير الراضي بالله وبجكم إلى الموصل

وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

في هذه السنة في المحرم سار الراضي وبجكم إلى الموصل وديار ربيعة لِقَصْدِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ ابنِ حمدان ، فإنه كان قد أختَر المَالَ المُقَرَّرَ عليه من ضمان البلاد ، فلما بلعا تَكَرَّبت (١) أقام الراضي بها وسار بجكم ، فلقبه [ناصر الدولة] (٢) بن حمدان على سِتَّةِ فراسخ من الموصل ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم ابن حمدان إلى نصيبين وتبعه بجكم إليها ، فسار إلى آمد ثم وقع الصلح بينهما على أن يحمل ابن حمدان خمسمائة ألف درهم معجلة فأجابه إلى ذلك .

قال (٣) : وفي هذه الغيبة ظهر ابن رائق ببغداد واستولى

عليها ولم يتعرض لدار الخليفة / فعاد الراضي وبجكم إليها فراسلها ابن رائق في طلب الصلح فأجابا إلى ذلك ، فعقد له الخليفة على طريق الفرات ، وديار مضر حَرَّان والرَّها وما

(١) في «غير منقوطة وفي ك صفحة ٤٠» «تكرنت» بنصحيح وما هنا عن ف صفحة

٤٣ - ب

(٢) زيادة من ك صفحة ٤٠

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٦٩

جاورهما ، وجند قنسرين والعواصم ، فلجاب ابن رائق أيضا وسار عن بغداد إلى ولايته ، ودخل الراضى وبجكم بغداد فى تاسع شهر ربيع الآخر ، ثم استولى ابن رائق على الشام وملكَ مدينةَ حمص ثم سار إلى دمشق وبها بدر بن عبد الله الإخشيدى المعروف ببُدَيْر واليا عليها من قبل الإخشيد ، فأخرجه ابن رائق وملكها . وسار إلى الرملة وإلى عريش مصر يريد الديار المصرية ، فلقى الإخشيد وحاربه فانهمز الإخشيد . واستغل أصحابُ ابن رائق بالنهب ونزلوا فى خيم الإخشيدية ، فخرج عليهم كمينٌ للإخشيد فأوقع بهم وهزمهم ، فنجا ابن رائق فى سبعين رجلا ووصل إلى دمشق فى أقيح صورة .

فسير إليه الإخشيد أخاه أبا نصر بن ضج فى جيش كثيف ، فالتقوا فى رابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين فانهمز الإخشيدون وقتل أبو نصر فأخذه ابن رائق وكفنه وحمله إلى أخيه بمصر ، وأنفذ معه ابنه مزاحما ، وكسب إلى الإخشيد يعزبه بأخيه ويعتذر مما جرى ويحلف أنه ما أراد قتله ، وأنه قد أنقذ ابنه ليقيده به إن أحب ذلك ، / فلقي الإخشيد مزاحمَ بن محمد بن رائق بالجميل وخلع عليه وردّه إلى أبيه واصطلحا ، على أن تكون الرملة وما راعها إلى مصر للإخشيد وباقى الشام لمحمد بن رائق ، ويحمل إليه الإخشيد عن الرملة فى كل سنة مائة ألف دينارٍ وأربعين ألف دينارٍ .

٧٣ - ١

نعود إلى أخبار الراضى وبجكم .

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي

للخليفة الراضى بالله

وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة سعى أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد (١) وزير بحكم في الصلح بين بَجَكَم والبريدى (٢) حتى تمّ وضمن البريدى أعمالَ واسطٍ بستائة ألف دينارٍ في كل سنة . ثم شرع ابن شيرزاد في تقليد البريدى الوزارة ، فأرسل إليه الراضى في ذلك فأنجاب إليه ، وذلك في شهر رجب واستتاب بالحضرة عبد الله بن علي النقري .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٣) كان الحج قد بطلَ من سنة سبع عشرة وثلاثمائة . فقام يحج أحد من العراق ، فلما كان في هذه السنة كاتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي القرامطة وسألهم أن يؤمنوا الحاج ليسير بهم ويعطيهم من كل جمل خمسة دنائير ومن المُحمّل سبعة دنائير ، فأذنوا له في الحج فحج الناس . وهي أول سنة مكس (٦) فيها الحاج . وخرج في تلك السنة القاضي أبو علي بن أبي هريرة الشافعي فلما طولب بالخفارة لوى راحلته

(١) في ك ، ف « وأبو عبد الله البريدي » والخطأ اللغوي واضح .

(٢) كذا في ا ، ف - وفي ك صفحة ٤١ « شيرازاد » وقد رسمه ابن الأثير بما أثبتناه .

وقال إنه أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد .

(٣) في المنتظم ٦ : ٢٩٦

(٤) مكس : مكس في البيع يمكس إذا جبي مالا ، والمكس دراهم تؤخذ من بالمي السلع في السوق أو درهم كان يأخذه المصدق بعد دفع الصدقة ، ولكنه ها هنا ضريبة ، وقد قال ابن تفرى بردي في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٤ « وهي أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج »

ورجع وقال : لم أرجع شحاً على الدراهم ولكن قد سقط الحج
بهذا المكس !

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة : في هذه السنة سار ركن
الدولة أبو علي الحسن بن بويه إلى واسط. فنزل بالجانب
الشرقي ، وكان البريدي بالجانب الغربي فاستأمن من أصحاب ابن بويه
مائة إلى البريدي (١) . ثم سار الراضي وبجكم من بغداد نحو واسط.
يريدان حرب ابن بويه فعاد إلى الأهواز ثم إلى رامهرمز (٢) .

وفيها استولى بجكم على واسط. في ذي الحجة ، وسار إليها
ففارقها ابن البريدي إلى البصرة ، وأسقط. بجكم اسم البريدي
من الوزارة ، وجعل مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد .
ودخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر وفاة الراضي بالله وشيء من أخباره

كانت وفاته في منتصف شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وكانت مدة
خِلافته بِسِتِّ سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وعمره / اثنتان
وثلاثون سنة وأشهرًا (٣) ، وكانت علته الاستسقاء ، وكان أديبا
شاعراً ، فمن شعره :

٧٤ - ١

(١) في لك صفحة ٤١ في هذه السنة سار ركن الدولة أبو علي الحسين إلى واسط فنزل
بالجانب الشرقي ، وكان البريدي بالجانب الغربي ، فاستأمن من أصحاب ركن الدولة بن بويه
مائة إلى البريدي ، والخطأ والزيادة واضحان !

(٢) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج ،
والعامة يسمونها رامز ، هي بالفارسية مراد هرمز لأن رام بالفارسية المراد والمقصود .

(٣) في البداية والنهاية والنجوم الزاهرة أن عمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة
أشهر ، وفي المنتظم إحدى وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، ودفن في تربته بالرصافة .

يَضْفَرُ وجهي إذا ماتاه له طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا
 حتى كأنَّ الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقِلَا (١)
 وقال يرثي أباہ المقتدر بالله :

ولو أنَّ حيًّا كان قبراً لميَّتْ لصيرتُ أحشائي لأعظمه قبراً
 ولو أنَّ عمري كان طَوَّع مشيئتي وساعدني التقديرُ قاسمته العمرا
 بنفسي ثرى ضاجعتُ في تربةِ البلي لقدصمَّ منك العَيْثُ والليثُ والبдра
 وكان سَمْحاً سخيا ، يحبُّ محادثةَ الأدياءِ والفضلاء . وكان
 الراضي بالله أَسْمَرَ أعينَ ، خفيفَ العارضين . وختمَ الخلفاءَ في عِدَّةِ
 أشياء فمنها أنه آخرُ خليفةٍ له شعرٌ يُدَوِّنُ ، وآخرُ خليفةٍ خطبَ على
 المنبرِ كثيراً - وإن كان غيره خطبَ نادراً - وآخرُ خليفةٍ جالسِ الجلساءِ
 ووصلَ النُدماءَ ، وآخرُ خليفةٍ كانت [له] (٢) نفقاته وجوائزه
 وعطاياه وخزائنه ومطابخه وجراياته وخدامه وحجابه وأموره على
 ترتيب الخلفاء المتقدمين (٣) . وكان له من الأولاد أبو جعفر
 أحمد ، وأبو الفضل عبد الله .

وزراؤه : أبو علي بن مقلة ، وابنه الحسن ، ثم عبد الرحمن بن
 عيسى ، ثم محمد بن القاسم الكرخي ، ثم سليمان بن الحسين بن

(١) يورد ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٤ البيتين باختلاف جد يسير منسوبين لابن رائق ،
 وفي النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٦ أن الصول ينسبهما لابن رائق أيضا مقررًا أنهما في فتاة
 مشرقية ، ولكن ابن كثير يوافق ابن الأثير ويثبت له أيضا الأبيات الثلاثة التالية (البداية
 والنهاية ١١ : ١٩٧)

(٢) زيادة من الكامل ٦ : ٢٧٧ يقتضها السياق

(٣) يقول ابن كثير : وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، البداية والنهاية

٧٤- ب مخلد ، ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم أبو عبد الله البريدي .

قضاة : عمر بن محمد بن يوسف ، ثم ابنه يوسف بن عمر

حجابه : محمد بن ياقوت ، وذكا مولاة

الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طعيج بن جُفَّ الفرغاني

القضاة بها : محمد بن الحسن بن أبي الشوارب من قبل الراضي
واستخلف أبا بكر محمد بن بدر^(١) ، ثم صرفه بعبد الرحمن بن
أحمد بن الزين ، ثم ولَّى الإخشيد الحسين بن محمد بن أبي
زُرعة القضاء ، واستخلف له أبا بكر محمد بن أحمد بن الحداد الشافعي ،
ثم وزد العهد للحسين بن محمد بن أبي زرعة من قبيل محمد بن أبي
الشوارب ، ثم صرفه محمد بابي نصر يوسف بن عمر بن أبي
عمر القاضي ، وأقرَّ الحسين بن أحمد إلى أن توفى وأبو بكر بن
الحداد خليفته ، ثم صرف يوسف بن عمر عن قضائهما بمحمد بن
أبي الشوارب واستخلف أحمد بن بدر ثانية ، ثم صرف ابن أبي
الشوارب بالحسين بن عيسى بن هارون فأقرَّ محمد بن بدر ، ثم عاد
ابن أبي الشوارب فاستخلف عبيد الله بن أحمد بن رزين ، ثم
استخلف عبد الله بن الوليد من قبيل الحسين بن علي

ذكر خلافة المتقي لله

١- ٧٥

هو أبو إسحاق إبراهيم بن المقنن بالله أبو الفضل جعفر بن
المتنيد بالله ، وأمه أم ولد اسمها خلوب . وهو الخليفة الحادي

(١) في ك صفحة ٤٢ ، ابن زهد ،

والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويغ له يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

قال (١) : ولما مات الراضي بالله بقي الأمر في الخلافة موقوفاً انتظاراً لورود خبر من بجمكم ، فإنه كان بو اسط . واحتيط على دار الخلافة . فورد كتاب بجمكم مع كاتبه أبي العباس عبد الله الكوفي يأمر فيه بأن يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الراضي وكل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والعباسيون والقضاة ووجوه البلد ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ومن يرضى مذهبه وطريقه . فجمعهم الكوفي واستشارهم ، فذكر بعضهم إبراهيم بن المقتدر وتفرقوا على هذا ، فلما كان الغد اتفق الناس عليه فأحضرود إلى دار الخلافة وبويغ له في التاريخ الذي تقدم ، وعرضت عليه ألقاب فاختار منها المتقى لله . وبإيعه / الناس كافة وسير الخلع واللواء إلى بجمكم بو اسط . (٢) وكان بجمكم بعد موت الراضي وقبل استخلاف المتقى أرسل إلى دار الخلافة أخذ منها فرشاً وآلات كان يستحسنها ، وجعل سلامة الطولوني حاجبه ، وأقر سليمان بن الحسين على وزارته وليس له من الوزارة إلا اسمها والتدبير كله للكوفي كاتب بجمكم (٣) .

٧٥-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٧ وفي البداية والنهاية ١١ : ١٩٨ أخبار أخرى

(٢) في ١ هـ إلى بجمكم إلى واسط ، وما هنا من الكامل ٦ : ٢٧٨ .

(٣) في س هـ والتدبير كله لأبي عبد الله الكوفي كاتب بجمكم .

ذكر مقتل بجكم

كان سبب قتله أن أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشاً من البصرة إلى المذار ، نأنفذ بجكم جيشاً إليهم عليه توزون ^(١) فاقتتلوا قتالاً شديداً . كانت الحرب أولاً على توزون فكتب إلى بجكم أن يلحق به فسار من واسط . في منتصف شهر رجب ، فَلَقِيَهُ كِتَابٌ توزون « أنه ظفر بهم وهزمهم » فأراد الرجوع إلى واسط . فأشار عليه بعض أصحابه أن يتصيد فقبل منه وتصيد حتى بلغ نهر جور ^(٢) ، فسمع أن هناك أكراداً لهم مال وثروة فشرهت نفسه في أموالهم فقصدهم في قلة من أصحابه وهو بغير جنة ^(٣) تقيه ، فهرب الأكراد من بين يديه فأتاه غلامٌ من الأكراد من خلفه وضعه في خاصرته فقتله وهو لا يعرفه ، وذلك لأربع بقين من شهر رجب / واختلف عسكره فمضى الديلم خاصة نحو البريدي - وكانوا ألفاً وخمسمائة - فأحسن إليهم وأضعف أرزاقهم وأوصلها إليهم دفعة واحدة ، وعاد الأتراك إلى واسط . وكان تكيذك محبوساً بها - حبسه بجكم - فأخرجوه فسار بهم إلى بغداد وأظهروا طاعة المتقى . وصار أبو الحسين أحمد بن ميمون يدبر الأمور .

١ - ٧٦

قال ^(٤) : واستولى المتقى لله على دار بجكم وأخذ ما فيها ،

(١) في تجارب الأمم « وأنفذ نوشتكين وتوزون في جيش للقائه » وتوزون هو أبو الوفاء التركي وكان متلباً على ما أبقاه بجكم للخليفة من سلطان .

(٢) جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً وأهل فارس تسميها كور ، أي القبر في الفارسية ، ولكنها مدينة نزهة طيبة على قول ياقوت في معجم البلدان

(٣) الجنة : كل ما وقي (المحيط)

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٩

وكان مبلغ ما أخذه من دفائنه ألف ألف ومائتي ألف دينار (١) ، وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ذكر اصعاد أبي عبد الله البريدي الى بغداد

قال (٢) : لما قُتِلَ بجكم وسارت الديلم إلى [أبي عبد الله] (٣)

البريدي تقوى بهم وعظمت شوكته ، فأصعدوا من البصرة إلى واسط. في شعبان ، فأرسل المتقى إليهم يأمرهم أن لا يضععدوا فقالوا : نحن محتاجون إلى مال ! فأنفذ إليهم مائة ألف وخمسين ألف دينار ، فقال الأتراك للمتقى : نحن نقاتل بني البريدي فأطلق لنا مالا وانصب لنا مقدما ! فأنفق فيهم وفي جند بغداد القداماء أربع مائة ألف دينار وجعل عليهم سلامة الطولوني ، وبرزوا مع المتقى لله إلى نهر ديبالي (٤) يوم الجمعة لثمان بقين من شعبان . وسار البريدي من واسط إلى بغداد ، فلما قرب منها اختلفت الأتراك البجكمية ، واستأمن بعضهم إلى البريدي ، وبعضهم [استتر] (٥) وسار إلى الموصل ، واستتر سلامة الطولوني وأبو عبد الله الكوفي ، ولم يحصل الخليفة

(١) في المنتظم ٦ : ٢٢٢ أن المتق لما سمع بمصرعه ركب إلى داره فترطها ونقل ما فيها وحفر بها أماكن حصل منها على ما يزيد على ألفي ألف عينا وورقا وغسل التراب فخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم ، وقيل ظهر ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار عينا ، ويصح له من أصناف الجواهر والأواني والسلاح والكساء والرقيق أمر عظيم ، سوى ما نهب وتلف ، ثم ظهر مال عظيم في داره غير ما ظهر أولا وكان عبارة عن ستة عشر قمحا من الذهب يحمل القمق في الدهق لثقله !

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٧٩

(٣) زيادة من ك ٤٣

(٤) نهر ديبالي : نهر كبير قرب بغداد وهو نهر تامرا بعينه أو نهر بمقوبا الأعظم ويمتد الحد بين طريق خراسان والخالص .

(٥) زيادة من ك ٤٣

إلا على أخراج المال (١) . وَهَمَّ أَرِيَابُ النَّعَمِ وَالْأَمْوَالِ بِالانتقال
من بغدادَ خوفاً من ظلم البريدي وَتَهَوُّرِهِ .

ودخل أبو عبد الله البريدي إلى بغداد في ثاني شهر رمضان ونزل
بالشفيعي ، وَلَقِيَهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ وَالْقَضَاةُ وَالْكِتَابُ وَأَعْيَانُ
الناس . وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمُتَّقَى يُهْنِئُهُ بِالسَّلَامَةِ ، وَأَنْفَذَ لَهُ طَعَامًا
وغيره عدة ليالٍ ، وكان يخاطبُ بالوزير ، وكذلك أبو الحسين بن
ميمون وزير الخليفة ، . ثم عَزِلَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، وكانت مدة وزارته
ثلاثة وثلاثين يوماً ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسَيَّرَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فحبسه بها
إلى أن مات في صفر سنة ثلاثين .

قال (٢) : ثم أنفذ البريدي إلى المتقى الله يطلب منه خمسمائة
ألف دينارٍ ليفرَّقَها في الجند ، فامتنع فأرسل إليه يَتَهَدَّدُهُ وَيذَكِّرُهُ بِمَا
جَرَى عَلَى الْمُعْتَزِ وَالْمُسْتَعِينِ وَالْمُهَنْدِي ، وترددت الرسائل حتى أنفذ
إليه تمامَ خمسمائة ألف دينارٍ ، ولم يلقَ أبو عبد الله البريدي المتقى
مدةً مقامه ببغداد (٣) .

١-٧٧

ذكر عود البريدي الى واسط هارباً

قال (٤) : كان البريدي يأمر الجند بطلب الأموال من الخليفة ،
فلما أنفذ إليه الخليفة المالَ انصرفت أطماعُ الجند عن الخليفة

(١) أخراج المال : جمع كأخروج وأخرجة ، المفرد خرج وخرج وهو

الإتوة

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٠

(٣) في ك ٢٣ ، وترددت الرسائل حتى أرسل إليه تمام خمسمائة ألف دينار ، ولم يلق

أبو عبد الله البريدي الخليفة مدةً مقامه ببغداد .

(٤) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٠

إلى البريدي ، فشغب الجند عليه . وكان الديلم قد قدموا على أنفسهم كورتكين الديلمي ، وقدّم الأتراك عليهم تكينك التركي غلام بجكم . وسار الديلم إلى دار البريدي فأحرقوا دار أخيه أبي الحسين التي كان ينزلها ، وانضاق تكينك التركي إليهم واتفقوا على قَصْدِ البريدي ونهب ما عنده . فساروا إلى النجفي ووافقهم العامة ، فقطع البريدي الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثب العامة بالجانب العربي على أصحاب البريدي ، فهرب هو وإخوته وابنه وانحدروا في الماء إلى واسط ، ونهبت داره ودور قواده ، وكان هربه في سابع شهر رمضان من السنة .

ذكر إمارة كورتكين الديلمي

لما هرب البريدي استولى كورتكين الديلمي على الأمور ببغداد ، ورحل إلى المتقي لله فقلده إمارة الأمراء ، وخلع عليه . واستدعى المتقي / علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن ، فأمر بـ ٧٧ - ب عبد الرحمن فدبر الأمر من غير تسميته بوزارة ، ثم قبض كورتكين على تكينك^(١) التركي في خامس شهر شوال وخرقه وتفرّد بالأمر . ثم اجتمع العامة يوم الجمعة سادس شوال وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم فلم يُنكر ذلك ، فمنعوا الخطيب من الصلاة واقتتلوا هم والديلم فقتل من الفريقين جماعة .

(١) كذا في ف صفحة ٥٦ - ١ ، وفي المصورتين ك ، ا و تكينك و خلاف ما في

ذكر عود محمد بن رائق إلى بغداد

وولايته إمرة الأمراء

كان سبب عودِه أن الأتراك البجكمية لما ساروا إلى الموصل لم يروا عند ابن حمدان ما يريدون ، فساروا نحو الشام إلى ابن رائق ، وكان فيهم من القوادِ توزون وجُحجُح ونوشتكين وصيغون . فلما وصلوا إليه أطمعوه في العودِ إلى العراق ، ثم وصل إليه كُتُبُ المتقي تستدعيه ، فسار من دمشق في العشرين من شهر رمضان واستخلف على الشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل ، وسار حتى وصل إلى الموصل ففتح عن طريقه ناصر الدولة . ابن حمدان ، ثم ترأسلا وتصالحا على مائة ألف دينار يحملها [ناصر الدولة] (١) ابن حمدان إليه

وسار ابن رائق إلى بغداد ، وخرج كورتيكين إلى عكبرا ، ووصل إليه ابن رائق فوَقعت الحربُ بينهما عدةَ أيام . فلما كان ليلة الخميس لتسع بقين من ذي الحجة سار ابن رائق ليلا من عكبرا هو وجيشه فأصبح ببغداد ، فدخلها من الجانب الغربي ، ونزل في النجوى ، وعبر من الغد إلى الخليفة فلقبه ، وركب المتقي معه .

ووصل في هذا اليوم بعد الظهر كورتيكين من الجانب الشرقي بجميع جيشه وهم يستهزئون بأصحاب ابن رائق ويقولون : أين نزلت هذه القافلة الواصلة من الشام ؟ ولما دخل كورتيكين

(١) في اضطراب في النقط وفي ك ٤٤ بلا نقط وما هاهنا عن ف صفحة

بغداد أيس (١) ابن رائق من ولايتها وعزم على العود ، وأمر بحمل أثقاله فرفعت ، ثم عزم على أن يناوشهم شيئاً من قتال قبل مسيره ، فأمر طائفة من عسكره أن يعبروا دجلة ويأتوا الأتراك من ورائهم . ثم ركب هو في سميرية وركب معه عدة من أصحابه في عشرين سميرية ووقفوا يترامون بالشباب ، ووصل أصحابه وصاحوا من خلفهم ، واجتمعت العامة وصاحوا على أصحاب كورتكين فانهمز هو وأصحابه واختفى هو . ورجعتهم العامة بالآجر وغيره ، وقوى أمر ابن رائق ، وقتل من أساء إليه من الديلم وكانوا نحو أربعمائة ، وقتل من قوادهم بضعة عشر رجلاً ، وخلع عليه المتقى وجعله أميراً للأمراء ، ثم ظهر بكورتكين فحبسه بدار الخليفة .

٧٨- ب وفي هذه السنة في شوال استوزر المتقى لله / أبا إسحاق محمد ابن أحمد الإسكافي المعروف بالقراريطي بعد عود البريدي ، وجعل بداراً الخرشني (٢) حاجبه ، فبقى وزيراً إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة فقبض عليه كورتكين واستوزر بعده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ، فبقى وزيراً إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة منها فعزله ابن رائق ، ودبر الأمور أبو عبد الله أحمد الكوفي كاتب ابن رائق من غير تسمية بوزارة .

(١) أيس : لغة في يش

(٢) في « الجوشني » وفي « ٤٤ » الجرشني ، وما هنا من البداية - النهاية ١١ : ٧٠٢ ، بالكامل نسبة إلى غرشة إحدى بلاد الروم قرب ملطية .

وفيها انقطع الغيث بالعراق فاستسقى الناس في شهر ربيع الأول فسقوا مطرا قليلا لم يجز منه ميزاب ، فاشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى دُفِنَ الجماعة في القبر الواحد من غير غسلٍ ولا صلاةٍ عليهم ، ورخص العقار والأثاث ببغداد حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم ، وانقضى تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط. الأول ولم يمطر الناس غير المطرة التي كانت عند الاستسقاء ، ثم جاء المطر في آذر ونيسان .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في سبب هذا المطر بسند رفعه إلى أبي محمد الصليحي^(١) الكاتب أنه قال : لما نادى المتقي في زمن خلافته في الأسواق أن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيتي : إن امرأةً صالحَةً رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منامها فشكت / احتباس المطر فقال لها : « قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى ويستسقون ويدعون فإنه يسقيهم في يومهم » وإن أمير المؤمنين يأمركم كما أمركم رسول الله صلى الله وسلم عليه ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نيأتكم وإقلاع عن ذنوبكم - قال - فأخبرتني الجم الغفير^(٢) أنهم لما سمعوا النداء ضجَّتِ الأسواق بالبكاء والدعاء ، فشق ذلك على وقلت : « منام امرأة لا نذري ما تأويله ، هل يصح أم لا ، ينادى به في الأسواق في مدينة السلام ، فإن لم يسقوا كيف يكون

١-٧٩

(١) في المنتظم ٦ : ٣١٩ وفيه « اله لحي » وما هنا من ا ، ن ٤٦ - ب ،

ك صفحة ٤٤

(٢) في اوغيرها والخير في الجم الغفير وما هنا عن ابن الجوزي في المنتظم .

حالتنا مع الكفار ؟ فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا ، وما زلتُ قَلِيْقًا حتى أتى يوم الثلاثاء فقبيل لي : إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسين أحمد بن الفضل بن عبد الملك إمام الجامع ، وخرج أكثر أصحاب السلطان والفقهاء والأشرف ، فلما كان قبل الظهر ارتفعت (١) سحابة ثم طبقت الآفاق ثم أسدلت غزالتها (٢) بمطر جود ، فرجع الناس حفاة من الوَحْل .

ودخات سنة ثلاثين وثلاثمائة

ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي

٧٩-ب / في هذه السنة وَزَرَ أبو عبد الله البريدي للخليفة المتقى لله ، وسبب ذلك أن ابن رائق استوحش منه لأنه آخر حمل المال وانحدر إلى واسط. عاشر المحرم ، فهرب البريدي إلى البصرة وسعى أبو عبد الله الكوفي للبريدي وإخوته حتى عادوا وضمنوا بقايا واسط. بمائة وتسعين ألف دينار ، وضمنوها كل سنة بمائة ألف دينار . وعاد ابن رائق إلى بغداد فشغب الجنْدُ عليه ثاني شهر ربيع الآخر وفيهم توزون وغيره من القواد ، وتوجهوا إلى البريدي في العُشر الآخر من شهر ربيع الآخر بواسط . فقوى بهم فاحتاج ابن رائق إلى مداراته فكاتبه بالوزارة ، وأنفذ إليه

(١) في ك ٤٥ « انقضت »

(٢) كذا في ف صفحة ٤٧ - او ما في ا ، ك مضطرب عزاليها : مصيات الماء

من الراوية ، المفرد عزلاء وتطلق أيضا على فم الراوية أي الأعلى الذي يصب الماء فيه أولا

(المهبط)

الخِلعَ واستخلف أبا عبد الله بن شيرزاد . ثم وردت الأخبار إلى بغداد فعزم البريدي على الإصعاد إلى بغداد ، فأزال ابن رائق [اسم الوزارة عنه ، وأعاد أبا إسحاق القراريطي ولعين بنو البريدي على المنابر بجانبى بغداد .

ذكر استيلاء البريدي على بغداد

وإصعاد المتقى لله إلى الموصل

قال (١) : وسير أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسين إلى بغداد في / جميع الجيش من الأتراك والديلم ، فعزم ابن رائق على أن يتحصن بدار الخلافة ، فأصلح سورها ونصب عليها العرّادات (٢) والمجانيق وعلى دجلة ، وأنهض العامة وجند بعضهم ، فثاروا في بغداد وأحرقوا ونهبوا ، وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً . وخرج المتقى لله وابن رائق إلى نهر ديبالى في منتصف جمادى الآخرة ، ووافاهم أبو الحسين في الماء والبر ، واقتتل الناس فانهزم أهل بغداد ، واستولى أصحاب البريدي على دار الخلافة ودخلوا إليها من الماء ، وذلك لتسع بقين من جمادى الآخرة . وهرب المتقى وابنه الأمير أبو منصور في نحو عشرين فارساً ، ولحق بهما ابن رائق في جيشه ، وساروا جميعاً إلى الموصل .

وقتل أصحاب البريدي من وجدوه في دار الخليفة من الحاشية ، ونهبوا دور الحرم ، وكثر النهب في بغداد ليلاً ونهاراً .

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٢

(٢) العرّادات : مفرداً العرّادة وهي شيء أصفر من المتجنق وقوم يدور (المحيط)

وأخرجوا كورنكيين من محبسه ، فأنفذه أبو الحسين إلى أخيه
بواسط . فكان آخر العهد به . ونزل أبو الحسين بدار مؤنس
التي يسكنها ابن رائي ، وأقام أبو الحسين توزونَ على الشرطة
بشرقي بغداد ، وجعل نوشتكين على شُرطَةِ الجانبِ الغربيِّ فسكن
الناس ، وأخذ أبو الحسين رهائن القواد فسيرهم إلى أخيه أبي
عبد الله بواسط .

قال (١) : وعسفَ أهل العراق وظلمهم ظلما لم يُسَمَّعَ بِعِثْلِهِ
قَطُّ . ، ذكر / ابن الأثير رحمه الله ذلك في تاريخه الكامل وأفرده
بترجمةٍ وهي « ذكر ما فعله البريديُّ ببغداد » ، ولما انتهى
كلامه قال « وإنما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظَّلمَةُ أن أخبارهم
تُنْقَلُ وتبقى على وجهِ الدهر ، فربما تركوا الظلم لهذا إذا لم
يتركوه لله سبحانه وتعالى (٢) » وأظنه رحمه الله تعالى قال هذا لما
علمه من حال الظلمة في عصره ، وأنهم يستقبحون الظلم .
ويتركونه خشية أن ينقل عنهم . وإنما تركت أن أشرح ما قاله من
ظلم البريدي خوفاً أن يسمعه ظَلمَةُ هذا العصر فيقتدون بأفعاله
ويحملون الناس على مثاله ؛ فإن فيهم من يتحلى بالظلم ولا يتحاشى
من فعله ويردُّ فرع كل مظلمة إلى أصله ويقول : قد فعله فلان
وفلان وجرت عليه القاعدة في كل عصر وأوان ! ويبرز بالظُّم
بروزَ الليث من غابه ، وتصدر عنه الحوادث كصدور الغيث من

(١) راجع ذلك في ٦ : ٢٨٤

(٢) هذا ختام الفصل الصغير الذي عقده صاحب الكامل ٦ : ٢٨٤

سجابه ، ويرى أن ذلك فرصةٌ يغتنمها وكعبةٌ يستلمها ، ثم لا يقنعه ذلك إلى أن يُسمّى المظالمَ بالحقوق الواجبة ، ويرى الملازمةَ عليها من السنن الراتبة . لا جرمَ أن الله تعالى يأخذه من مأمنه ، ويستلبه ما حوله من نِعْمِهِ وَمِنْهُ ، لَأَن مَلِكَ هَذَا الْعَصْرِ (١) - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ وَثَبَّتْ أَرْكَانَهُ وَنَصَرَ جِيوشَهُ وَأَعْوَانَهُ - / ينكر المظالم إذا أنهيت إليه ويزيل اسمها ، ويمحو من دواوين دولته رسمها ، ويكف الأَكْفَ العاديةَ إذا عدت ، ويقبض الأيدي الجارية إذا انبمطت في العالم واعتدت (٢) .

١-٨١

ذكر قتل ابن رائق

وولاية ابن حمدان إمرة الأمراء

كان المتقي لله قد أنفذ إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمده على البريدي ، فأرسل أخاه سيف الدولة (٣) نجدةً في جيش كثيف ، فلقى المتقي لله وابن رائق بتكريت قد انهزما ، فخدم سيف الدولة المتقي خدمة عظيمة ، وسار معه إلى الموصل ففارقها ناصر الدولة إلى الجانب الشرقي وتوجه نحو معلثايا (٤) وترددت الرسائل بينه وبين ابن رائق . ثم تعاهدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي ، فعبر إليه

(١) الناصر محمد

(٢) يلاحظ أن تعليق المؤلف على فصل ابن الأثير أكبر من الفصل نفسه ، ولكننا إذا عرفنا أن للتويري خاض معركة التتار ، ورجع إلى مصر بعد النصر ليكتب كتابه هذا أدركنا مدى حساسيته للظلم ورفضه في دفعه بأى سبيل !

(٣) هو أبو الحسين علي بن عبد الله بن حمدان .

(٤) في ١ ، ك ٤٦ « معلثايا » وما هنا من الكامل ٦ : ٢٨٤ قال ياقوت معلثايا بليد

قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل (معجم البلدان ١٨ : ١٥٨)

الأمير أبو منصور بن المتقى وابن رائق يسلمان عليه ، فنشر
الدنانير والدراهم على ولد المتقى . فلما أراد الانصراف من عنده
ركب ولد المتقى وأراد ابن رائق الركوب فقال له ناصر الدولة :
أقم اليوم عندي لتتحدث فيما تفعله ! فاعتذر بابن المتقى ، فألح
عليه ابن حمدان فامتراب به / وجذب كُفَّه من يسنده فقطعه ،
وأراد الركوب فشَبَّ به قَرَسُه فسقط . فصاح ابن حمدان « أن
اقتلوه » فقتلوه وألقوه في دجلة . وأرسل ابن حمدان إلى المتقى
يقول : إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله ففعل ما فعل (١) ،
فردَّ عليه المتقى ردا جميلا وأمره بالمسير إليه فسار ناصر الدولة
إليه فخلع المتقى عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الأمراء ،
وذلك في مستهل شعبان ، وخلع على أخيه أبي الحسين ولقبه
سيف الدولة ، وكان قتل ابن رائق يوم الإثنين لسبع بقين من
شهر رجب (٢) ، ولما قتل سار الإخشيد من مصر إلى الشام فتسلمها .

ذكر عود المتقى لله الى بغداد

وهرب البريدى عنها

قال (٣) : ولما قتل ابن رائق سارع الجند إلى الهرب من
البريدى لسوء سيرته فهرب جُخْجُخ وتوزون إلى المتقى في
جماعة من الأتراك ، فاتوا الموصل في خامس شهر رمضان فقوى

(١) في ك ٤٦ « أراد أن يغتاله فقتله وفعل به ما فعل »

(٢) راجع البداية والنهاية ١١ : ٢٠٢ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٥ .

بهم ابن حمدان ، وسار هو والمتقى لله إلى بغداد . فلما قاربها هرب أبو الحسين البريدي منها إلى واسط . وكان مقامه ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . ودخل المتقى إلى بغداد ومعه بنو حمدان في / جيوش كثيرة ، واستوزر المتقى أبا إسحاق القراريطي وقلد نوزون جاني بغداد وذلك في شوال .

١-٨٢

ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدي

قال (١) : ثم خرج بنو حمدان نحو واسط . لقتال البريدي ، وسار أبو الحسين البريدي من واسط . أيضا لقتالهم . فأقام ناصر الدولة بالمدائن وسير أخاه سيف الدولة وابن عمه الحسين بن سعيد في الجيش لقتاله ، فالتقوا تحت المدائن بفرسخين واقتتلوا عدة أيام آخرها رابع ذى الحجة فانهزم سيف الدولة إلى أخيه ، فأضاف إليه جماعة ورده ، فقاتل وهزم أبا الحسين البريدي وأسر جماعة من أصحابه وقتل جماعة . وعاد ناصر الدولة إلى بغداد ، فدخلها في ثالث عشر ذى الحجة ، وانحدر سيف الدولة من موضع المعركة إلى واسط . فرأى البريدي قد انحدر منها إلى البصرة ، فأقام سيف الدولة بها . ودخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

ذكر ما اتفق لسيف الدولة بواسط

ورجوع ناصر الدولة إلى الموصل

قال (٢) : ولما أقام سيف الدولة بواسط ، قصد الانحدر إلى

٨٢-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٨٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٠ .

البصرة ليأخذها من البريديين ، فلم يمكنه لقلة المال عنده . فكتب إلى أخيه ناصر الدولة مرة بعد أخرى فأنفذ إليه مالا مع أبي عبد الله الكوفي ليفرّقه في الأتراك فأسمعه توزون وجُخجخ المكرود وثارا به فغيبه سيف الدولة عنهما ، وسيّره إلى بغداد . وأمر توزون أن يسير إلى الجلمدة^(١) ويأخذها وينفرد بحاصلها ، وأمر جُخجخ أن يسير إلى المذار^(٢) ويأخذ حاصلها .

وكان سيف الدولة يُزهد الأتراك في العراق ويحسن لهم قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويقع في أخيه عندهم ، فكانوا يصدقونه في أخيه ولا يجيبونه إلى الشام ويتجنّبون عليه ، ثم ثاروا به في سلخ شعبان وكبسوه ليلا ، فهرب من معسكره إلى بغداد ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه .

وأما ناصر الدولة فإنه لما وصل إليه الكوفي وأخبره الخبر برز للمسير إلى الموصل ، فركب المتقى إليه وسأله التوقف عن المسير ، فأظهر له الإجابة إلى أن عاد ثم سار إلى الموصل ، ونهبت داره ، ودبر الأمر أبو إسحاق القراريطي من غير تسمية بوزارة ، وكانت إمارة ناصر الدولة ببغداد ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام ، ووصل سيف الدولة إلى بغداد |

(١) الجلمدة : قرية كبيرة جامعة بين البصرة وواسط ومن أعمال واسط (معجم البلدان ٥ : ٩٥) .

(٢) المذار : عجمية في بيسان وهي قصبها بينها وبين البصرة أربعة أيام (معجم البلدان ١٧ : ٨٨) .

إذكار حال الأتراك

١ - ٨٣

بعد إصعاد سيف الدولة من واسط.

قال (١) : ولما هرب سيف الدولة عاد الأتراك إلى معسكرهم ، فوقع الخلاف بين توزون وجُخجخج وتنازعا الإمارة ، ثم استقرت الحال أن يكون توزون أميراً وجُخجخج صاحب الجيش ، وتصاهراً . وطمع البريدي في واسط. فأصعد إليها ، وتراسل هو وتوزون ولم يتفقا ، ثم بلغ توزون أن جُخجخج يريد الانتقال إلى البريدي فكبسسه في فراشه في ليلة الثاني عشر من شهر رمضان وسمله (٢) .

ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد

وهربه منها

قال (٣) : ولما هرب سيف الدولة من واسط. قصد بغداد ، وأرسل إلى المتقي لله يطاب منه ما لا ليقاتل توزون إن قصد بغداد ، فأنفذ إليه أربعمائة ألف درهم ففرقها في أصحابه . وكان وصوله في ثالث عشر شهر رمضان ، ولما بلغ توزون وصول [ابن حمدان] (٤) سيف الدولة إلى بغداد ترك كيخلغ بواسط. في ثلاثمائة رجل وأصعد إلى بغداد / ، فلما سمع سيف الدولة بإصعاده رحل من بغداد .

٨٣ - ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٢) استطاع مطهر بن طاهر المقدسي في كتابه « البدء والتاريخ » والمسعودي في كتابه « مروج الذهب » ومسكويه في « تجارب الأمم » أن يقدموا صوراً دقيقة لموقف الأتراك - ولا سيما توزون - من الخلافة ، وبدا واضحاً أن على الخليفة أن يستنجد بأحد ، وفي ترجمة الإخشيد يقفنا ابن تفرى يردى على صفحات من ذلك الصراع - راجع كتاب النجوم الزاهرة

٣ : ٢٥٥ ، ٢٨٠ وسيف الدولة للماريوس كانار. Canard. (M) Sayfal Dawla.

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١ .

(٤) زيادة من ك ٤٧ .

ذكر امارة توزون

قال (١) : ولما فارق سيف الدولة بغداداً دخلها توزون ، وكان دخوله في الخامس والعشرين من شهر رمضان ، فخلع عليه المتقى لله عليه وجعله أميراً للأمرء ، وصار أبو جعفر الكرخي ينظر في الأمور كما كان الكوفي ينظر فيها . ولما سار توزون عن واسط أصعد إليها البريدي ، فهرب من بها من أصحاب توزون إلى بغداد ، فلم يمكنه المبادرة إلى واسط ، حتى استقرت الأمور ببغداد ، ثم انحدر إلى واسط . في ذي القعدة ، قاتاه أبو جعفر بن شيرزاد هارباً من البريدي ، ففرح (٢) توزون به وقلده جميع أموره .

ذكر الوحشة بين المتقى وتوزون

قال (٣) : كان محمد بن ينال الترجمان أكبر قواد توزون - وهو خليفته ببغداد - فلما انحدر إلى واسط سعى بمحمد إليه وقبح ذكره عنده (٤) فبلغ ذلك محمداً ، فنفر منه . وكان الوزير أبو الحسين ابن مقله ضمن القرى المختصة بتوزون ببغداد فحسب فيها جملة ، فخاف أن يطالب بها ، وانضاف إلى ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون / فخافه الوزير وغيره ، وظنوا أن مسيره إلى توزون

١-٨٤

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩١

(٢) في ك ٤٧ « ففرح توزون به وقلده توزون جميع أموره »

(٣) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٢

(٤) في أ « وقبح ذكره لله » ولا معنى له ، وما هنا من الكامل ٦ : ٢٩٢ وفي ك

٤٨ « وقبح ذكره عند المتقى لله »

بإتفاق من البريديّ ، فاتفق الترجمان وابن مقلة ، وكتبوا إلى ابن حمدان لينفذ عسكرياً يسير صُحْبَةَ المتقى لله ، وقالوا للمتقى : قد رأيتَ ما فعل البريديُّ معك بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار وأخرجتَ على الأجناد مثلها ، وقد ضمنك البريدي من توزون بـخمسمائة ألف دينار أخرى رغم أنها في يدك من تركة بجكم ، وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ويخلعك ويسلمك إلى البريديّ ! فانزعج لذلك ، وعزم على الإصعاد إلى ابن حمدان ، وورد ابن شيرزاد جريدة^(١) في ثلاثمائة رجل ، فوصل في خامس المحرم . وفيها تزوج الأمير أبو منصور بن المتقى لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، والحِجْل مائة ألف دينار .

وفيها صرف ناصر الدولة أبا إسحاق القراريطي عن الوزارة وقبض عليه ، واستوزر أبا العباس ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني في شهر رجب ، ثم استوزر المتقى لله بعد إصعاد ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل أبا الحسين بن مقلة في ثامن شهر رمضان .

وفيها أرسل ملك الروم إلى المتقى لله يطلب مندبلاً زعم أن المسيح مَسَّحَ به وجهه فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه في بيعة الرُّها^(٢) ، وذكر أنه إن أرسل إليه أطلق عدداً كبيراً

٨٤ - ب

(١) جريدة : خيلا لا رجالة فيها (القاموس) وراجع أيضا R. Dozy ف

Dictionnaires Arabes (I : 184)

(٢) الرها : مدينة عظيمة في جزيرة أنورينها وبين حران يوم .

من أسارى المسلمين ، فأحضر المتقى لله الفقهاء والقضاة واستفتاهم
فاختلفوا فيه ، فقال بعضهم إن في تسليمه غصاصة على الإسلام ،
وبعضهم رأى تسليمه وفكالك الأمرى أوتى من بقائه ، فقال على
ابن عيسى الوزير : إن خلاص المسلمين من الأسر والضرب والضنك
الذى هم فيه أولى من حفظ. هذا المنديل ! فأمر الخليفة المتقى
لله بتسليمه إليهم وإطلاق الأمرى من بلاد الروم ، فأطلموا^(١) !

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

ذكر مسير المتقى لله إلى الموصل

في هذه السنة أصعد المتقى لله إلى الموصل ، وسبب ذلك
ما ذكرناه من إغراء من أغراه بتوزون وخوفه منه ووصول ابن شيرزاد
إلى بغداد في خامس المحرم جريدة ، فازداد خوف المتقى لله .
وأقام ابن شيرزاد ببغداد يأمر وينهى ولا يراجع المتقى في شيء ،
وكان المتقى قد أنفذ في طلب جيش من ناصر الدولة ليصحبه إلى
الموصل ، فأنفذهم مع ابن عمه الحسين بن سعيد ، فوصلوا إلى
بغداد ونزلوا بباب حرب . فاستتر ابن شيرزاد وخرج المتقى لله
إليهم في حرمه وأهله ووزيره وأعيان بغداد ، ولما سار المتقى
لله من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس وعسفهم وصادرهم / ، وأرسل
إلى توزون وهو بواسط. يخبره بذلك . فلما بلغه الخبر عقد
ضمان واسط. على البريدى وزوجه ابنته وسار إلى بغداد ، وسار

ناصر الدولة للقاء المتقى إلى تكريت فوصل في الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر وركب إليه الخليفة وأكرمه . وأصعد الخليفة إلى الموصل ، وأقام ناصر الدولة بتكريت ، وسار توزون نحو تكريت فالتمقى هو وسيف الدولة بن حمدان تحت تكريت بقرسحين فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزم سيف الدولة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، وغنم توزون سواده وسواد أخيه ناصر الدولة . وعادا من تكريت إلى الموصل ثم التقوا مرة ثانية فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون ، فسار المتقى لله وبنو حمدان إلى نصيبين ودخل توزون الموصل وسار المتقى إلى الرقة ، ولحقه سيف الدولة .

وأرسل المتقى لله إلى توزون يذكر أنه استوحش منه لاتصاله بالبريدى ، فإن آثر رضاه يصالح ناصر الدولة وسيف الدولة ليعود إلى بغداد ، وترددت الرسائل بين المتقى وتوزون حتى تم الصلح ، وعقد الضمان على ناصر الدولة عما بيده من البلاد (١) ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم ، وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتقى لله عند بنى حمدان .

ب / ذكر قتل أبى يوسف البريدى

٨٥-ب

في هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبى يوسف ، وسبب ذلك أن أبى عبد الله كان نفذ ما عنده من المال في محاربة بنى حمدان ومقامهم بواسط . ومحاربة توزون ، فلما رأى جنده

(١) كذا في اوفى ك ٤٨ هـ وعقد الضمان على ناصر الدولة بن حمدان عما بيده من البلاد .

قلّة مالِهِ مالوا إلى أخيه أبي يوسف لكثرة أمواله ، فاستقرض أبو عبد الله منه المال مرة بعد أخرى فكان يعطيه القليل من المال ويعينه ويدكر تضييعه وهوجّه وتهوّرهُ ، فبلغ ذلك أبا عبد الله . ثم صَحَّ عنده أنه يريد القَبْضَ عليه والاستبدادَ بالأمر وحده ، واستوحش كلُّ منهما من صاحبه ؛ فدبّر أبو عبد الله عليه وأقام غلمانَه في طريقٍ مسقفٍ بين داره والشط . ، فدخل أبو يوسف في ذلك الطريق فثار به الغلمان فقتلوه وهو يستغيث : ياأخي قتلوني ! وهو يقول : إلى لعنة الله ! ولما قتل دفنه فثار الجند وشغبوا ظنّاً منهم أنه حي ، فأمر به فَنُبِّشَ وألقاه على الطريق ، فلما رأوه سكتوا فأمر بدفنه . وانتقل أبو عبد الله إلى دار أبي يوسف ، فأخذ ما فيها ونم يحصل من مال أخيه على طائل فإن أكثره انكسر عند الناس !

ذكر وفاة أبي عبد الله البريدي

ومن قام بعده بالأمر

وفي هذه السنة في شوال مات أبو عبد الله البريدي بعد أن قتل أخاه بثمانية أشهر / واستقر الأمر بعده لأخيه أبي الحسين ؛ فأساء السيرة في الجند ، فثاروا به ليقتلوه فهرب إلى هجر واستجار بالقرامطة ، ونصب الجند أبا القاسم بن أبي عبد الله .

قال (١) : وسار أخوان لأبي طاهر مع أبي الحسين في جيش إلى البصرة ، فرأوا أبا القاسم قد حفظها صلحوا بينه وبين ابن

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٢٩٦ -

أخيه ، وعادوا ودخل أبو الحسين البصرة ، فتنجز منها وسار إلى توزون ببغداد ، واستقام أمر أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدي .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ذَكَرَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُتَّقَى لِلَّهِ

إِلَى أَنْ تُخْلِعَ وَتُسَلِّ

كان المتقى لله قد راسل توزون في طلب العود إلى بغداد ، وسبب ذلك أنه رأى من بنى حمدان تضجراً^(١) منه وإيثاراً للمفارقة ، فاضطر إلى مراسلة توزون . فأرسل إليه الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي في الصلح ، فلقيهما توزون وابن شميرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه واستوثقاهن / توزون وحلفاه للمتقى وحضر اليمين خلق كثير من القضاة والعدول ، والعباسيون والملويون وغيرهم . وحلف توزون للمتقى والوزير ، وكتبوا خطوطهم بذلك ، وكان ذلك في سنة الثنتين وثلاثين .

٨٦- ب

وكان أيضاً قد كتب إلى الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يشكو إليه حاله ويستقدمه ، فقدم إليه إلى الرقة في منتصف المحرم من هذه السنة ووقف بين يديه ووقف الغلمان ، ومشي بين يديه ، وحمل إلى المتقى لله هدايا جلييلة وإلى الوزير أبي الحسين بن مقله وسائر الأصحاب ، واجتهد بالمتقى ليسيير معه إلى مصر والشام ويكون بين يديه فلم يفعل ، فأشار عليه

(١) كذا في ف صفحة ٥١ - أوما في ١ ، كما مضطرب .

بالمقام مكانه ولا يرجع إلى بغداد وخوفه من توزون فأبى إلا العود إلى بغداد . وَعَرَّضَ عَلَى ابْنِ مَقْلَةَ الْمَسِيرَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ لِيَحْكُمَهُ فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَوْفَهُ أَيْضًا مِنْ تَوْزُونَ ، فَكَانَ ابْنُ مَقْلَةَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : نَصَحَنِي الْإِخْشِيدُ فَلَمْ أَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ !

ثم انحدر المتقى لله إلى بغداد لأربع بقين من المحرم ، وعاد الإخشيد إلى مصر ، فلما وصل المتقى لله إلى ديت (١) أقام بها وأنفذ من يجده اليمين على توزون ، فحلف وسار عن بغداد لعشر بقين من صفر للقاء المتقى لله ، فلقيه بالسندية ونزل توزون وقبل الأرض بين يدي المتقى وقال : ها أنا قد وعيت بيمينى / والطاعة لك ! ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزلهم فى مضر به مع حرَم المتقى ثم كحلّه فأذهب عينيه ، فصاح وصاح مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْحَرَمِ وَالْخَدَمِ فَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ فَمَرَّ تَوْزُونَ بِضَرْبِ الدَّبَادِبِ (٢) فخفيت الأصوات ، وعمى المتقى (٣)

وانحدر توزون من الغد إلى بغداد ، وكان خلع المتقى لله وسمله فى يوم السبت لعشر بقين من صفر ، فكانت مدة خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا ، وعاش إلى أيام المطيع ، وتوفى فى منتصف شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وله ستون سنة وأمر المطيع أبا تمام الزينبى فصلى عليه وكبر خمسا ، ودفن فى

(١) ديت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

(٢) الدبادب : جمع دبداب وهو الطبل (القاموس مادة دبدب) .

(٣) راجع المتظم ٦ : ٢٣٨ .

داره ثم ابتاعها عز الدولة بختيار من ورثته بثلاثين ألف دينار فنقلوه إلى تربة بإزائها فاحتج في الحياة وفي الممات .

قال أبو الحسين عياش اجتمع في أيام المتقى إسحاقيات كثيرة ، فانسحقت خلافة بني العباس في أيامه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التي كان فخرهم بها ، قيل له ما كانت الإسحاقيات ؟ قال : كان يُكنى أبا إسحاق ، وكان وزيره القراريطي يكنى بأبي إسحاق ، وكان قاضيه ابن إسحاق الخزقي^(١) وكان محتسبه أبو إسحاق بن بطحلاء ، وكان صاحب شرطته أبو إسحاق بن أحمد أمير خراسان ، / وكانت دار القدمة دار إسحاق بن إبراهيم المصعبى وهى دار إسحاق ابن كنداج^(٢)

٨٧-ب

وكان المتقى لله أبيض أشبه العينين^(٣) أشقر الشعر . قال بعض المؤرخين : كان في أيامه غلاء وشدة حتى بيع كُر الحنطة بمائتين وعشرة دنانير ، وخرج عدة من الخدم من قصر الخلافة بالرصافة ينادون : الجوع الجوع !^(٤) وكان نقش خاتمه « المتقى لله » .

ولده ولى عهده : أبو منصور ، وزراؤه : قد تقدم ذكرهم في في أنباء دولته ، ولم يكن لهم من الأمر شيء على ما قدمناه

(١) في ١ ، ك صفحة ٥٠ ، ف صفحة ٥١-ب « الحرمى » وما هنا عن النجوم الزاهرة ٢٧٤ : ٣ والمتظم ٦ : ٣١٩ : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقى ، كان من وجوه البزازين بباب الطاق فمحب الناس لتقلده القضاء .

(٢) راجع الخبر في المتظم ٦ : ٣١٨ .

(٣) الشجل : تشرب الحديقة حمرة ، فهو أقل من الزرق (المسمى) وأحسن منه كما يقول صاحب القاموس (باب اللام فصل الشين) .

(٤) ورد الخبر باختلاف يسير في المتظم ٦ : ٣١٨ وأورده كما هنا ابن قنرى

برهوى في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٣ .

قضائه : أبو نصر يوسف بن عمر ، ثم أخوه أبو محمد الحسين ،
ثم محمد بن عيسى بن إبراهيم ، ثم أبو طاهر محمد بن أحمد بن
نصر ، ثم أبو الحسن أحمد بن أبي موسى .

حجابه : سلامة الطولوني مولى خمارويه ، ثم بدر الخرشني (١)
ثم أحمد بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد محمد بن طنج .
القضاة بها : عبد الله بن الوليد ، ثم محمد بن بدر ، ثم أبو الذر
التمار ، ثم الحسن بن عبد الرحمن بن إسحاق ، ثم أحمد بن
عبد الله الليثي ، ثم عبد الله بن وليد .

ذكر خلافة المستكفي بالله

٨٨ | هو أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله أبي محمد علي
ابن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله بن المتوكل
علي الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق
محمد بن هارون الرشيد أبي محمد بن المهدي أبي عبد الله محمد
ابن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهم . يجتمع هو والمتقي لله في المعتضد بالله ، وأمه أم
ولد اسمها عُمْن ، وهو الخليفة الثاني والعشرون من الخلفاء العباسيين ،
بويح له بعد خلع المتقي لله لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثمائة .

(١) في ا ، ف ، هـ - ب ، ك صفحة ٥٥ « الجوشني » مع النقط والضبط ، وهو
ليس كذلك لأنه ينسب إلى خرشنة (بلد قرب ملطية في الروم) فيقال له الخرفني علي
ها قدسنا .

قال (١) : ولما قَبَضَ توزون على المتقى أحضر المستكفي إلى
السندية وباعه هو وعامة الناس ، وكان سبب البيعة له ما حكاه
أبو العباس التميمي الرازي وكان من خواص توزون قال : أنا كنت
السبب في البيعة للمستكفي ، وذلك أنني دعاني إبراهيم بن
الزوييندار (٢) الديلمي فمضيت إليه ، فذكر لي أنه تزوج إلى قوم
وأن امرأة منهم قالت له : « إن هذا المتقى قد عاداكم وعاديتهمود
وكاشفكم ولا يصفوا قلبه لكم ، وها هنا رجل من أولاد الخلفاء / من ولد
المكتفي ، وذكرت عقله ودينه » تنصبونه للخلافة فيكون صنيعتكم
وغرسكم ، وبدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره ، وتستريحون من
الخوف والحراسة » قال - فعلمت أن هذا أمر لا يتم إلا بك ، فدعوتك
له فقلت : أريد أسمع كلام المرأة ، فجاءني بها فرأيت امرأة عاقلة جزلة
فذكرت لي نَحْوًا من ذلك ، فقلت : لا بد أن ألقى الرجل ! فقالت :
تعود [غدا] (٣) إلى هاهنا حتى أجمع بينكما فعدت من الغد
فوجدته قد أخرج من دار ابن ظاهر في زى امرأة فعرفني نفسه
وَضَمَنَ لي إظهار ثمانمائة ألف دينار منها مائة ألف لتوزون ، وذكر
وجوهها وخاطبني خطاب رجل فهم عاقل ، ورأيت به يتشيع - قال -
فأثيمت توزون فأخبرته فوقع الكلام بقلبه وقال : أريد أبصر
الرجل ! فقلت : لك ذلك ، ولكن اكم أمرنا من ابن شير زاد [فقال :

٨٨-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٠١ .

(٢) في الكامل الزيندار ، وفي تجارب الأمم والرهبة .

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢ .

أفعل !] ^(١) - قال - وعدت إليهم وأخبرتهم الذى جرى ،
 ووعدهم حضور توزون من الغد ، فلما كان ليلة الأحد لأربع
 عشرة خلت من صفر مشيت مع توزون مُسْتَخْفِيَيْن واجتمعنا به ،
 وخطبه توزون وبايه تلك الليلة وكمّ الأمر . فلما وصل المتقى
 قلت لتوزون : أنت على ذلك العزم ؟ قال : نعم ! قلت : فافعله
 الساعة فإنه إن دخل الدار بعد عليك مر أمه ، فوكل به وسمّله وجري
 ما جرى ، وبويع للمستكفى بالخلافة ، / وأحضر المتقى فبايعه وأخذ منه
 البردة والقضيب ، وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفى وسمّت نفسها
 « علم » وغلّبت على أمره كلّهُ ، واستوزر المستكفى بالله أبا الفرج محمد
 ابن على السامري ^(٢) يوم الأربعاء لست بقين من صفر منها ولم يكن
 [له] ^(٣) غير اسم الوزارة وهما لابن شيرزاد ، ثم قبض عليه المستكفى
 فى شهر ربيع الآخر وصادره على ثلاثمائة ألف درهم فكانت وزارته اثنين
 وأربعين يوماً .

قال ^(٤) : وخلق المستكفى بالله على توزون وتوجه ، وطلب
 أبا الفضل بن المقدر بالله - وهو الذى ولى الخلافة ولقب المطيع لله -
 لأنه كان يعرفه بطلب الخلافة فاستتر مدة خلافة المستكفى بالله
 فهلّمت داره حتى لم يبق منها شئ .

(١) الإضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٠٢ وفيه « محمد بن على السارى »

(٣) إضافة من الكامل ٦ : ٣٠٢

(٤) ابن الأثير فى الكامل ٦ : ٣٠٢

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

في هذه السنة في المحرم لُقِّبَ المستكفي بالله نفسه إمام الحق ،
وضرب ذلك على الدنانير والدرهم ، وكان يُحطَّب له بلقبين إمام
الحق والمستكفي بالله .

ذكر وفاة توزون وامارة ابن شيرزاد

في هذه السنة في المحرم مات توزون ببغداد ، وكانت مدة
إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً . ولما مات كان ابن
شيرزاد كاتبه ببغداد بهيت ليخلص أموالها ، فلما بلغه الخبر أراد
عقداً / الإمارة لناصر الدولة بن حمدان فاضطرب الجند ، وعقدوا
الرياسة عليهم لابن شيرزاد فعاد إلى بغداد ونزل بباب حرب (١)
في مستهل صفر . وخرج إليه الأجناد جميعهم وحلفوا له ووَجَّه إلى
المستكفي بالله ليحلف له فأجابته إلى ذلك ، وحلف له بحضور القضاة
والعدول ودخل إليه وولاه إمرة الأمراء . فزاد الأجناد زيادة كثيرة
فضاقت عليه الأموال ، فأرسل إلى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال
زيعه يردُّ الرياسة إليه ، فأرسل له خمسمائة ألف درهم ففرقها في
عسكره فلم تُغنِ شيئاً ، فقسط . أرزاق الجند على العمال والكتَّاب
والتجار وغيرهم ، وظلم الناس ببغداد . واستعمل على واسط . ينال
كوشة وعلى تكريت الفتح الإشكري ، فأما ينال فإنه كاتب معز
الدولة بن بويه واستقدمه وصار معه ، وأما الفتح فإنه التحق بناصر
الدولة بن حمدان وصار معه فأقره على تكريت .

٨٩ - ب

(١) أخذ أبواب بغداد المشهورة .

ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد

قال (١) : لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه وهو بالأهواز ودخل في طاعته سار نحوه ، فاضطرب الناس فلما وصل إلى باجسرى (٢) اختفى المستكفي بالله وابن شيرزاد . فلما استترا سار الأتراك إلى الموصل ، فلما بعدوا ظهر المستكفي بالله وعاد إلى دار الخلافة . وقدم أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى صاحب معز الدولة إلى بغداد فاجتمع بابن شيرزاد بمكانه الذي استتر فيه ، ثم اجتمع بالمستكفي بالله فأظهر السرور بقدم معز الدولة بن بويه وأعلمه أنه إنما استتر من الأتراك ليتفرقوا ليحصل الأمر لمعز الدولة بغير قتال .

ثم وصل معز الدولة إلى بغداد لإحدى عشرة خات من جمادى الأولى فنزل بباب الشماسية ودخل من الغد إلى المستكفي وبايعه ، وحلف له المستكفي . وسأله معز الدولة أن يأذن لابن شيرزاد بالظهور وأن يأذن له أن يستكتبه فأجابته إلى ذلك ، فظهر ولقى معز الدولة فولاه الخراج وجباية الأموال . وخلق الخليفة على معز الدولة ولقبه بهذا اللقب ، وأمر بضرب ألقابه وألقاب إخوته وكناهم على الدنانير والدرهم (٣) . ونزل معز الدولة بدار مؤنس ، ونزل أصحابه

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣١٤ .

(٢) باجسرى : بليدة في شرق بغداد بينها وبين حلوان على عشرة فراسخ من حلوان وهي عامرة نزهة كما يقول ياقوت .

(٣) قال ابن تقي بردى أبو الحسن في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٥ هو أول من ملك من الدهم من بني بويه .

في دور الناس فنال الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم وهو أول من فعله ببغداد ، ولم يعرف بها قبله .

وأقيم للمستكفي بالله في كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته ، وكانت ربما/ تأخرت عنه فأقرت له بعد ذلك ضياعٌ سُلمت إليه تولاهها له أبو أحمد الشيرازي كاتبه !

٩٠ - ب

ذكر خلع المستكفي بالله وسمله

في هذه السنة خلع المستكفي بالله ثمان بقمين من جمادى الآخرة ، وكان سبب ذلك أن علم القهر مائة صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والأترك ، فاتهما معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ البيعة للمستكفي بالله ويزيلوا معز الدولة ، فساء ظنه لذلك . فلما كان في التاريخ المذكور حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ، وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلان من نقيباء الديلم فتناولوا يد الخليفة فظن أنهما يريدان يقبلان يده ، فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه .

ونهب معز الدولة ، واضطرب الناس وأخرج الديلميان المستكفي بالله إلى دار معز الدولة ماشيا واعتقل بها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وأخذت علم القهر مائة فقطع لسانها . وكانت مدة خلافة المستكفي بالله سنة واحدة وأربعة أشهر وما زال مغلوبا / على أمره .

١٩١ -

ولما بويغ للمطيع لله سُلم إليه المستكفي فسمله ، وبقي محبوبا إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وله ست

وأربعون سنة . وكان أبيضَ حسنَ الوجه قد وَخَّطَه الشيب ، ولقَّبَ نفسه في آخر سنة ثلاثٍ وثلاثين إمامَ الحق ، ونقشه على الدنانير والدرهم وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان نقش خاتمه المستكفي بالله .

وزراؤه: محمد بن علي السامري وهو آخر من دُعِيَ بالوزارة ، ثم استكتب أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي . قضاته في الجانبين : أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخَرَقِي وَقَلَّدَ محمد بن أبي الحسن بن أبي الشوارب [الجانب] (١) الشرقي والمدينة ثم صرفه عن الشرقي بأبي الطاهر محمد بن أحمد بن نصر ، وعن المدينة بأبي السائب عتبة بن عبد الله الهمداني ، ثم جمع لعتبة الجانبين بعد وفاة ابن أبي موسى ، وجعل المدينة إلى محمد بن صالح بن شيبان الكوفي الهاشمي . حاجبه : أحمد بن خاقان . الأمير بمصر : الإخشيد بن طنج . القضاة بها : الحسين بن عيسى بن هارون ، ثم الوليد من قبل المستكفي .

ذكر خلافة المطيع لله

هو أبو القاسم الفضل وقيل أبو العباس بن المقتدر بالله /أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد ، وأمه أم ولد اسمها مشعلة ، وهو الخليفة الثالث والعشرون من الخلفاء العباسيين بويج له يوم خلع المستكفي ، وهو يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان مستترا كما قدمناه من

(١) زيادة يقتضها السياق .

أول خلافة المستكفي بالله . فلما قَدِمَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى بغداد قيل إن المطيع انتقل إليه واستتر عنده وأغراه بالمستكفي بالله حتى قَبَضَ عليه وبسمله ، وبويع للمطيع بالله ولقب بهذا اللقب ، وحضر المستكفي عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع .

وزاد أمرُ الخلافةِ إداراً ولم يَبْقَ لهم من الأمر شيء ألبتة ، وقد كانوا يراجعون قبل ذلك والحرمة قائمة بعض شيء ، فلما كان في أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير ، إنما كان له كاتب يدير إقطاعه وأخراجاته لا غير . وصارت الوزارة إلى معز الدولة يستوزر لنفسه من يريه ، وكان الديلم يغالون في التشيع (١) ويعتقدون أن بنى العباس قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن باعث ديني يحثهم على الطاعة حتى قيل إن معز الدولة قصد إخراج الأمر عن بنى العباس والبيعة للمعتز لدين الله العلوي أو لغيره / من العلويين .

١-٩٢

واستشار جماعة من خواص أصحابه فكلهم أشار عليه بذلك إلا بعض خواصه ، فإنه قال : ليس هذا برأى فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أدل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلبت بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ولو أمرتهم بقتله لقتلوك ! فأعرض عن ذلك .

ومن حيث استقل معز الدولة بالأمر اختصرنا الأخبار في أيام

(١) راجع ابن حنبل في تفضيل الأتراك على سائر الأجناد صفحة ٣٢ .

الخلفاء ، ونذكر ذلك في أخبار الدولة البويهية وغيرها من الدول ، فإن الأمر والنهي صار لهم دون الخلفاء ، ولم يبق للخليفة من الأمر شيء إلا ما أقطعه له مُيز الدولة ما يقوم ببعض حاجته . فالذي نذكره الآن في أيام الخلفاء بنى العباس ما يتعلق بحال الخليفة وأتباعه وأقاربه ومن خرج عليه من أهل بيته ، وننبه على ابتداء دول الملوك وانقراضها ونحيل عليها في موضعها الذي تشرح فيه ، ونذكر أيضا في أيام الخلفاء ما غلب عليه الروم والفرنج من البلاد الإسلامية وما وقع من الحوادث العامة كالزلازل العظيمة والسيول ، وما يناسب ذلك على ما يراه المطالع في مواضعه إن شاء الله تعالى .

/ وفي هذه السنة توفي القائم بن المهدي صاحب إفريقية والمغرب ، ٩٢ - ب وولي بعده ابنه المنصور .

وفيها توفي الإخشيد صاحب مصر والشام وولي بعده ابنه أبو القاسم ودبر الأمر كافور الخادم بمصر^(١) ، واستولى سيف الدولة بن حمدان على دمشق .

وفيها اشتد الغلاء ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير ، وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه لياكله ، وأعقبه وباء حتى عجز الناس عن دفن موتاهم فكانت الكلاب تأكل الناس والناس تأكل الكلاب .

(١) في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩١ هـ : أنوجور بن الإخشيد محمد بن جف الفرغاني ، وأنوجور اسم أصحى معناه محمود ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢١٢ هـ « أنوجور » ، وكان كافور المذكور يطلق في كل سنة لابن أستاذه أربعمائة ألف دينار فيصرف هو فيما يبق من أمواله .

قال أبو الفرج بن الجوزي (١) : وفي هذه السنة كثر القملُ
برستاق اليمن الكبرى (٢) حتى يمس الناس من غلاتهم فانحط. من
الطير طائر يزيد على جزم العصفور ، فكان الطائر يغلو على
شجرة فيصفر فتطير الطير أفواجا ، فينحط. كلُّ فوجٍ منها على
ضبعة فيلقط. القمل حتى فني !

ودخلت سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة . في هذه السنة كان الفداء
بين المسلمين والروم على يد نصرٍ الثملي (٣) أميرِ الثغور لسيف
الدولة ، وكان عدة الأسرى ألفين وأربعمائة أسير وثمانين أسيراً .
وفي سنة ستٍ وثلاثين وثلاثمائة استولى معز الدولة بن بويه على
البصرة وهرب أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي منها إلى هجر إلى
القرامة ، ثم / استأمن بعد ذلك ، ووصل إلى بغداد في سنة ثمانٍ وثلاثين
وثلاثمائة فأحسن إليه وأقطعه .

١ - ٩٣

وفي سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة ملك الرومُ مرعش من سيف
الدولة بن حمدان ، وكان قد قاتلهم فهزوه .

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة كانت وفاة عماد الدولة أبي الحسن
على بن بويه بمدينة شيراز (٤) .

(١) في كتابه المنتظم ٦ : ٣٤٥ .

(٢) هكذا في سائر النسخ ، وفي المنتظم « برستاق التيرة الكبرى »

(٣) في ك ٥٣ « نصر الثملي » وفي ٥٤ - ١ « الثملي » وفي البداية والنهاية

١١ : ٢١٦ « نصر المستمل » .

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢٢١ عنه إنه أول من تملك البويهيين وكان
هاقلا حميد السيرة ، بعكس معز الدولة الذي حكى أبو الفرج أن لعامة كانت تشبهه فيها مسرفاً
(المنتظم ٦ : ٣٤٩) .

ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة شرفها الله تعالى وقالوا : أخذناه بآمرٍ وأعدناه بآمرٍ ! وكان بجكم قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوا إلى رده وردوه الآن بغير شيء في ذي القعدة ، وكانوا أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة . ولما أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه بجامعها ، حتى رآه الناس ثم حلوه إلى مكة (١) .

وفي سنة تسع وثلاثين أيضا توفي أبو نصر محمد بن الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف ، وكانت وفاته بدمشق .

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة توفي المنصور العلوي صاحب المغرب / ، وملك بعده ابنه المعز لدين الله .

٩٣-ب

وفيها ملك الروم مدينة سروج (٢) وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وخربوا المساجد .

وفي سنة ست وأربعين تقص البحر ثمانين باعا فظهر فيه جبال وجزائر لم تعرف قبل ذلك . وفيها كان بالعراق وبلاد الجبل وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما ، تسكن

(١) وقف ابن تفرى بردى عند هذه الحادثة وقفة متحسة طويلة ، وقدم دفاعا عن الحق وفنه حجيج القرامطة بمنطق سليم (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٠١ ، ٣٠٢) .
(٢) بلدة قريبة من حران في ديار مصر (معجم البلدان) .

وتعود ، فتهدمت الأبنية ، وغارت المياه وهلك تحت الرّدم ما لا يحصى من العالم ، وكذلك كانت أيضا بالرّبيّ والطاقان (١) .

ذكر ظهور المستجير بالله

وفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ظهر بأذربيجان رجلٌ من أولاد عيسى بن المكتفى بالله وتلقّب بالمستجير بالله وبابيع للوصى من آل محمد ، ولبس الصّوف ، وأظهر العدل ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر . وكثر أتباعه واستفحل أمره . فسار إليه جستان (٢) وإبراهيم ابنا المرزبان صاحب أذربيجان وانتمقوا فاققتلوا ، فانهزم أصحاب المستجير وأخذوا أسيراً فقدم فقيلاً إنه مات ! وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه (٣) .

ذكر ضمان الحسبة والقضاء والشرطة ببغداد

أوفي سنة خمسين وثلاثمائة مات القاضي أبو المسائب (٤) عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه وتولى قضاء القنّاة أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب ، وضمن أن يؤدي في كل سنة مائتي ألف درهم ولم يسمع بشئ ذلك فيما سلف ! فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول إليه ، وأمر أن لا يحضر الموكب لئلا ارتكبه من ضمان القضاء ، ثم ضمنت الحسبة والشرطة . ثم عزل ابن أبي الشوارب عن

٩٤ - ١

(١) الطالقان ؛ يقول ياقوت : إنها بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلغ بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، وقال الاصطخري : الطالقان أكبر مدينة بطخارستان

(٢) في ك صفحة ٤٤ « حسان » وفي غير منقوطة وما هنا عن ف صفحة ٤٤ - ٥٥

(٣) بالفارسية خارقاه ومعناها الخيمة الكبيرة .

(٤) في ك ٤٤ « أبو الشائب » وفي غير منقوطة وما هنا عن ف صفحة ٥٥ - ١ .

القضاء وأمر بإبطال أحكامه وسجلاته ، وذلك في سنة اثنتين وخمسين
وتقلد القضاء بعده أبو بشر بن أكرم بغير ضمان

ذكر استيلاء الروم على عين زربة

وما حولها من الحصون

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في المحرم نزل الدمستق بالروم
على عين زربة^(١) ، وهي في سفح جبل عظيم والجبل مشرف عليها .
وكان في جمع عظيم^(٢) فأنفذ بعض عسكره ، فصعدوا الجبل
وملكوه . فلما رأى أهلها ذلك وأن الدمستق قد ضيق عليهم ووصل
إلى السور وشرع في التقرب طلبوا الأمان ، فأمّتهم الدهستق
ففتحوا أبواب المدينة فدخلها ، فرأى أصحابه الذين في الجبل نزلوا
إلى المدينة فندم على إجابتهم إلى / الأمان ونادى في البلد أن يخرج أهله
إلى المسجد الجامع ومن تأخر في منزله قتل .

٩٤-ب

وكان ذلك في أول الليل ، فخرج إلى الجامع من أمكنه الخروج ،
فلما أصبح أنفذ رجالته إلى المدينة وأمرهم بقتل من يجدونه في منزله ،
فقتلوا خلقا كثيرا . ثم أمر من بالمسجد أن يخرجوا من البلد حيث
شاءوا ، فخرجوا على وجوههم لا يرون أين يتوجهون فماتوا في الطرقات .
وقتل الروم من وجدوه بالمدينة إلى آخر النهار ، وهُدِم سور المدينة .
وأقام الدمستق في بلاد الإسلام واحداً وعشرين يودا ، وفتح حول
عين زربة أربعة وخمسين حصناً للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها

(١) هكذا في الأصل وفي أكثر المصادر ، وعين «زربي» بألف مقصورة .

(٢) كان مائة وستين ألفا ما يقول ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢١) .

بالأمان ، فلما أدركه المصوم انصرف على أن يعود بعد العيد ، وخلف جيشه بقيسارية وراسله أهل بغراس (١) وبذلوا له مائة ألف درهم فآذرههم وترك معارضتهم .

وهيها استولى الدمستق على مدينة حلب وعاد عنها ، على ما نذكره في أخبار ابن حمدان .

ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس

كان استيلاؤهم عليهما في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وذلك أن الدمستق حصر المصيصة في سنة ثلاث وخمسين (٢) وقاتل أهلها ونقب أسوارها واشتد القتال وأحرق الروم رستاقها/ورستاق (٣) أذنه وطرسوس لمساعدتهم أهلها : وقُتِلَ من المسلمين خمسة عشر ألف رجل . ثم ضاقت الحييرة على الروم فرحل الدمستق إلى بلاد الروم ، وأرسل إلى أهل المصيصة وأذنه وطرسوس « أني منصرف عنكم لا بعجز ولكن لضيق العلوقة وشددة الغلاء ، وأنا آئد إليكم ، فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودي قتله » (٤) .

١-٩٥

(١) بغراس : مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ (الفرسخ نحو ثلاثة أميال) على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب .

(٢) راجع الخبر في الكامل ٧ : ١١ .

(٣) ذكر ياقوت الحموي عن حمزة بن الحسن أن الرستاق فارسي مشتق من روزه فستا ، وروزه اسم للسطر والصف والساط ، وفستا اسم للحال . فالمنى أنه على التسطير والنظام ، ولكنه لا يوافق على ذلك ويقول بالحرف الواحد « إنهم يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد ، وهو أخص من الكورة » راجع معجم البلدان صفحة ٣٨ (ط . دار صادر بيروت) .

(٤) راجع الكامل ٧ : ٩ .

ونزل ملك الروم أيضا على طرسوس وحصرها وجري بينه وبين أهلها حروباً كثيرة سقط. في بعضها الدمستق ابن الشمشقيق^(١) إلى الأرض وكاد يؤسر فقاتل عليه الروم وخلصوه. وأسر أهل طرسوس بطريقا كبيراً من بطارقة الروم ، ورحل الروم عنهم لا شتداد الغلاء والعناء .

وكان نقفور^(٢) ملك الروم قد بنى بَقِيَّةَ مَارية^(٣) مدينة وأقام بها بأحله ليقرّب من بلاد الإسلام ، فلما كان في سنة أربع وخمسين أرسل أهل طرسوس والمصيصة إليه يبذلون الطاعة ويطلبون منه أن يُنفذ إليهم بعض أصحابه ليقسيم عندهم ، فعزم على إجابتهم إلى ذلك فاتاه الخبر أنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصر لهم وأن الغلاء قد امتد عندهم وهدموا القوت وأكلوا الكلاب والميتة وكثر فيهم الوباء فموت منهم في اليوم ثلاثمائة نفس ، فرجع نقفور عن إجابتهم وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه فاحترقت لحيته وقال لهم : أنتم كالحية في الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت ، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفاها انتعشت ونهشت ، وأنتم إنما أطعمتم نضعفكم ، وإن تُرِكْتُم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم !

(١) كذا في ف صفحة ٥٥ - ب وفي « الشمشقيق » .

(٢) كذا في ف صفحة ٥٦ - ا وفي ا بلا نقط وفي ك ٥٤ ، ٥٥ « نقفور »

و « نقفور » والرسم الأخير هو ما اختاره ابن الأثير في الكامل في حين رسمه ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣ بالنون بزيادة ألف ولام « النقفور » .

(٣) قال السامد الحنبلي في شذرات الذهب ٣ : ١٢ « وقيل قيسرية » .

وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار إلى المصيصة بنفسه ، فحاصرها وفتحها عنوة يوم السبت ثالث عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ووضع السيف في أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم أمر برفع السيف عنهم ، ونقل كل من بقى منهم إلى بلد الروم ، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان . ثم سار إلى طرسوس فحاصرها فأذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الأمان فأتتهم ، وفتحوا له البلد فلقبهم بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون حمله ففعلوا ذلك براً وبحراً ، وسير مهمهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية .

وجعل الملك المسجد الجامع إسطنبولاً لدوابه ، وأحرق المنبر ، وعمر طرسوس وحصنها ، وجلب إليها الميرة حتى رخصت الأسعار ورجع إليها كثير من أهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم ، وأراد المقام بها ليقرّب من بلاد الإسلام ثم عاد إلى القسطنطينية . وأراد الدمستق وهو ابن الشمشقيق أن يقصد ميافارقين وبها سيف الدولة بن / حمدان فأمره الملك باتباعه إلى القسطنطينية فمضى إليه . ثم فتح نقفور أذنه .

١-٩٦

وفي سنة أربع وخمسين أيضاً قتل التنجي الشاعر واسمه أحمد بن الحسين الجعفي^(١) بالقرب من النعمانية وقتل معه ابنه ، وكان قد عاد من عند عضد الدولة بفارس فقتله الأعراب وأخذوا ما معه .

(١) راجع الكامل ٧ : ١٦٠ وجاهشه أنه ولد في كندة الكوفة ، وفي النجوم الزاهرة أنه ادمي النبوة (٣ : ٣٤٠) سنة ثلاث وثلاثمائة ، وفي البداية والنهاية ١١ : ٢٥٧ أنه زعم أن قرآنا نزل عليه منه « والنجم السيار والفلك النوار والليل والنهار ، إن الكافر لن خسار » .

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة كانت وفاة موز الدولة بن بويه وولاية ابنه عز الدولة بختيار على ما ذكره في أخباره . ومات وشمكير بن زيار ، والحسن بن الفيرزان ، وكافور الإخشيدى (١) ، ونقفور ملك الروم ، وأبو علي محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة بن حمدان .

وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني الأموي ، وهو من ولد مروان بن الحكم وكان شيعياً وهذا من العجب ، وهو صاحب كتاب الأغاني (٢) .

ذكر البيعة لمحمد بن المستكفي

وما كان من أمره

وفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (٣) ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوة إلى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله ، وقيل إنه الرجل الذي وعد به النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحدد ما عفى من أمور الدين ، فمن كان من السنة قال : إنه عباسي . ومن كان من الشيعة قال : إنه

٩٦-ب

(١) كان صاحب مصر في هذا العهد ، اشتراه الإخشيد وجعله أتابك ولده من بعده والمتنبى المذكور مدح فيه وهجاء .

(٢) كان يحفظ من الأغاني والأشعار والأخبار والآثار ما يدل على سعة علمه ، وقيل إنه سلب كتابة مؤلفين غيره ، وقيل كان يمتك مكتبة أعانته على إثبات الأحاديث المستدرة والنسب والروايات الصحيحة والمغازي المختلفة والخرافات العجيبة ، وقد أضاف ذلك كله إلى كتابه في خمسين سنة !

(٣) فات التويري أن يذكر وفاة موز الدولة الذي حطم كبرياء الخلافة وأظهر الرفض وخلع خليفة وسجن آخر (راجع تجارب الأمم ٢ : ٨٦ وما بعدها ، البداية والنهاية ١١ :

٢٦٢ ، المنتظم ٦ : ٤٣٢ ، ٣٤٩ ، ٧ : ٣٩ ، ومواضع مختلفة في كتاب براون

La Domination des Dailamites; p. 11, 12, 13 (Paris 1932) A Literary History of Persia (Cambridge 1928)

علوي . فكثرت دعائته وظهرت بينته ، وكان الرجل بعصر وقد أكرمه كافور الإخشيدى وأحسن إليه . وكان في جملة من بايع له مسبكتكين العجمي (١) من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيع فظنه علويا ، فكتب إليه يستدعيه من مصر . فسار حتى بلغ الأنبار ، وخرج مسبكتكين إلى طريق الفرات وهو يتولى حمايتها فلقى ابن المستكفي وترجل له وخذله وأخذه ، وعاد به إلى بغداد وهو لا يشك في حصول الأمر له . ثم ظهر لمسبكتكين أنه عباسي فعاد عن رأيه فيه ، فخاف ابن المستكفي وهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، ثم أخذ معه أخ له وأخضرا عند بختيار فأمنهما ثم تسلمه المطيع لله من بختيار فجذع أنفه ، ثم خفي خبره (٢) .

وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انقطعت الدعوة العباسية من الديار المصرية والشامية ، وقامت الدعوة العلوية بها للمعز لدين الله صاحب أفريقية والمغرب ، على يد جوهر القائد غلام المنصور ووالد المعز عني ما نذكره - إن شاء الله تعالى - في أخبار الدولة العبيدية .
وفيها مات ناصر الدولة بن حمدان (٣) .

/ ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة

١- ٩٧

في هذه السنة دخل ملك الروم الشام فلم يمتنه أحد ولا قاتله ، فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها ، وملك قلعة عرقة . وكان

(١) Sabuktakin في تاريخ البيهقي الذي ترجمه الدكتور يحيى الخشاب وصادق نشأت صور عن هذا الأمير (ص ٩٨ ، ١٠٢ ، ٢١٥ وما بعدها) .

(٢) راجع الكامل ٧ : ٢٧ ويقول ابن تفرى بردى : وفيها ملك جوهر القائد العبيدي مصر وخطب لبني عبيد (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦) .

(٣) كان صاحب الموصل ونواحيها .

صاحب طرابلس قد أخرجه الرومُ لِشِدَّةِ ضُلْمِهِ ، فقصد عرقة فأخذه الرومُ وجميعَ ماله ، وقصد ملكُ الرومِ حِمصَ وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها ، فأحرقها الرومُ ورجع إلى بلد الساحل ، فأتى عليها نَهَبًا وتخریبًا وملك ثمانيةَ عشرَ شهرًا وما لا يُحصى من القرى ، وأقام بالشام شهرين يقصد أي موضع شاء ويخرب ماشاء فلا يَمْنَعُهُ أحد ، وعاد إلى بلاده ومعه من السبيِّ نحو مائةِ ألفِ رأسٍ ولم يأخذ إلا الصُّبيانَ والصبايا والشبابَ ، وأما الكهول والشيوخ والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه ، وسير سريريَّةً إلى بلد الجزيرة فبلغوا كفر توثا وتعصبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا .

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ملك الروم مدينة أنطاكية ، وسبب ذلك أنهم حصروا حِمصًا بالقرب منها يقال له حصن لوقا ، فوافقوا أهلَه وهم نصارى على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية ، ويظهر أنهم / انتقلوا منه خوفا من الروم فإذا صاروا بأنطاكية أعانوهم على فتحها . وانصرف الروم عنهم بعد هذا التقرير ، وانتقل أهل الحِمصَ ونزلوا بأنطاكية بالقرب من الجبل الذي بها . فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافى الرومُ مع أخى نقفور وكانوا نحو أربعين ألف رجل ، فأحاطوا بالسور وصعدوا الجبل إلى الناحية التي بها أهل الحصن فأخلوا لهم السور ، فملكه الرومُ وملكوا البلد ووضعوا السيف في أهله ، ثم أخرجوا العجائز والأطفال والمشايخ من البلد وقالوا لهم : اذهبوا حيث شئتم ! وأخذوا الشباب من الرجال والنساء

والصبيان والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سببياً ، وكانوا يزدون على عشرين ألف إنسان .

قال (١) : وأنفذ الرومُ جيشاً كثيفاً إلى حلب وبها قرعوية غلام سيف الدولة بن حمدان قد تغلب عليها ونزع يده من طاعة أبي المعالي بن سيف الدولة ، فملك الرومُ المدينةً دون القلعة وحصروا القلعة ، وترددتِ الوسائطُ . والرسائلُ بينهم وبين قرعوية ، فاستقرَّ الأمرُ على هدنة مؤبدة على مالٍ يحمله قرعوية إليهم وأن يكونَ الرومُ إذا أرادوا الغزو لا يُمكن قرعوية أهلَ القرى عن الجلاء عنها ليبتاعَ الرومُ ما يحتاجون إليه منهم . وكان مع حلب في الهدنة حماه وحمص وكفرطاب / والمعرة وأفامية وتبزر (٢) وما بين ذلك من الحصون والقلاع والقرى ، وسَلَّموا الرهائنَ إلى الروم ، وعادوا عن حلب .

٩٨ - ١

ذكر ملك الروم ملاز كرد

وفيها أرسل الروم جيشاً إلى ملاز كرد من أعمال أرمينية ، فملكها عنوةً وقهراً من المسلمين ، وعظمت شوكتهم ، وخافهم المسلمون في أقطار البلاد .

ذكر مقتل ملك الروم نقفور

وفي سنة تسع وخمسين وثلثمائة قتل نقفور ولم يكن من أهل بيت المملكة ، وإنما كان دمستقا والد مستق عندهم الذي يلي بلاد

(١) ابن الأثير الكامل في ٧ : ٣٧ .

(٢) كل هذه من قرى الشام وبلاده ، وقد بسط الخبر عنها ابن كثير في البداية والنهاية

الروم التي هي شرقي خليج قسطنطينية . وكان نقفور هذا شديداً على المسلمين ، وهو الذي فتح طرسوس والمصيصة وأذنه وعين زربة وغيرها ، ولم يكن نصراني الأصل وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الففاس (١) تنصر ، وكان ابنه هذا شهماً شجاعاً حسن التدبير لما يتولاه . فلما عظم أمره وصار دمستقاً قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده ، وتزوج امرأة الملك المقتول على كُرْدٍ منها وكان لها ابنان من الملك / ، فعزم على أن يخصيهما ليقض نسلهما ويبقى الملك فيه وفي ذريته . فلما علمت أمهما ذلك احتالت في قتله ، فأرسلت إليه ابن الشمشقيق - وهو الدمستق حينئذ - ووافقته على أن يسير إليها في زى النساء ومعه جماعة وقالت أزوجها : إن نسوة من أهلها قد زرنها ! فلما سار إليها هو ومن معه جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك . فلما كان في ليلة الميلاد نام نقفور واستثقل في نومه ، ففتحت امرأته الباب وأدخلتهم إليه فقتلوه ، وثار بهم جماعة من خاصته وأهله فقتل منهم نيف وسبعون رجلاً ، وأجلس في الملك الأكبر من ولد كدي الملك المقتول ، وصار المدبر له ابن الشمشقيق ، ويقال : إن نقفورا بات قطاً بغير سلاح إلا في تلك الليلة التي قتل فيها (٢)

(١) في مرآة الزمان ، وفي عقد الجمان « ابن النقاش » وفي آة الففاس وماها هنا من الكامل وف صفحة ٥٦ - ١ .

(٢) الكامل ٧ : ٣٨ ، وشرحات الذهب ٣ : ٢٧ ، ٢٨ ، والنظم ٧ : ٥٦ .

ذكر الفتنة ببغداد

ومصادرة الخليفة المطيع لله

وفي سنة إحدى وستين وثلاثمائة وقعت ببغداد فتنة عظيمة، وكان سببها أن الروم استطالوا على أهل بلاد الجزيرة وامتدوا في البلاد وعظم أمرهم وقويت شوكتهم، فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في المساجد والمشاهد واستنفروا المسلمين وذكروا ما فعله الروم من النهب والأسر والسبي. فاستعظمه الناس واجتمع أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة، وأرادوا أن يهجموا عليه فمُنِعُوا وأغْلِقَتِ الأبوابُ فأسمعوه القبيح، ثم تجمعوا وثاروا في البلد، ونهبت الأموال وقُتِلَتِ الرجال، وأحرقَتِ الدورُ، وفي جملة ما أحرق محلة الكرخ وكانت معدن التجار والشبيعة.

٩٩ - ١

فأنفذ عز الدولة بختيار ^(١) إلى المطيع لله يطلب منه مالا يخرج به على الغزاة فقال المطيع: إنَّ النفقة على الغزاة وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي والأموال تُجبي إلي، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وأنا ليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت!

وترددت الرسائل بينهما حتى بلغا إلى التهديد، فبذل المطيع لله أربعمئة ألف درهم فاحتاج إلى بيع ثيابه وإنقااص داره وغير ذلك. وشاع عند الناس من أهل العراق وحجاج خراسان وغيرهم

(١) هو ابن معز الدولة المتوفى يقول عنه مسكويه في تجارب الأمم ٢ : ٢٣٤ • اشتغل

بالهوى واللحم ومعاشره المسخر والمغنين والنساء •

أن الخليفة قد صودر فلما قبضَ بختيارُ المالَ صرّفه في مصالح نفسه وبطلَ حديث الغزاة ، ولم يسمع بمثل هذا فيما مضى .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة / وقعت الفتنة بين بختيار ٩٩ ب وسبكتكين التركي الحاجب^(١) ، فانتصر الحاجبُ عليه واستولى على بغداد ، وأخرج من فيها من أهل بختيار وأصحابه ، وترك الأتراك في دُور الديلم ، وأخذوا أموالهم على ما نذكر ذلك ميينا في أخبار الدولة البويهية إن شاء الله تعالى .

ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة

وخلافة ابنه الطائع لله

وفي منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقيل في الثالث عشر منه خلع المطيعُ لله نفسه من الخلافة . وكان سبب ذلك أنه أصابه مرض الفالج وثقل لسانه وتعدّرت الحركة عليه ، وكان يستتر ذلك ، فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه إلى خلع نفسه وتسليمها لولده ففعل ذلك وأشهد عليه به . فكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً ، وكان له من الأولاد أبو بكر وهو الطائع وعبد العزيز وجعفر .

وزراؤه : أبو الحسن محمد بن علي بن مقله ، وأبو الفضل أحمد الشيرازي . قضاته : محمد بن الحسين بن أبي الشوارب ، ومحمد بن أم شيبان الهاشمي^(٢) / ، وأبو السائب^(٣) ، وأبو بشر ١٠٠-١

(١) كانت هذه الفتنة شملت الأتراك ضد الديلم بالأهواز ثم عنت العراق كله .

(٢) كذا في المنتظم ٧: ٦٤ ، ٥٨ ، صفحة ٥٨ - ١ ، وفي كصفحة ٥٨ - « محمد بن شيبان » .

(٣) في ١ « وأبو الشائب » مع أنه ذكره قبل بلا تحريف .

عمر بن أكرم . حجابيه : بختيار بن معز الدولة ويخلفه عبد الواحد ابن أبي عمر الشراي (١) . الأمير بمصر : الإخشيد إلى أن مات ، ثم ثم ابنه أنوجور ، ثم أخوه ، ثم كافور الإخشيدى إلى أن مات ، ثم عُقد الأمرُ لأحمد بن علي بن الإخشيد وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم خرجت مصر عن الدولة العباسية باستيلاء المغاربة عليها . القضاة بمصر : أبو الوليد ، ثم عمر بن الحسن بن عبد العزيز العباسي من قبيل أخيه محمد ، واستخلف ابن الحداد ، ثم وليها أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخَصِيب ، ثم ابنه محمد ، ثم أبو طاهر محمد بن نصر .

ذكر خلافة الطائع لله

هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ، وأمه أم ولد اسمها عتب . وهو الخليفة الرابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، وبويع له في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وسنة يوم ذلك ثمان وأربعون سنة ، ولم يل الخلافة أكبر منه سنًا من بني العباسي ، ولم يتقلد الخلافة من له / أب حى بعد أبو بكر الصديق ١٠٠ - ب
رضي الله تعالى عنه غيره (٢) !

ذكر الحوادث في أيام خلافته

في هذه السنة خُطِبَ للمعز صاحب مصر بمكة والمدينة . وفي سنة أربع وستين وثلاثمائة استولى عَضُدُ الدولة على العراق وقبض على

(١) الشراي : كان يتولى تقديم الشراب في القصر كالساق .

(٢) في المنتظم ٧ : ٦٦ تفصيل أكثر .

بختيار ، ثم عاد بختيار إلى مُلْكِهِ على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة توفي المعز لدين الله صاحب مصر ، وقام بعده ابنه العزيز .

وفي سنة ست وستين وثلاثمائة توفي ركن الدولة بن بويه ، وملك ابنه عضد الدولة وفيها كان ابتداء الدولة الغزنوية وأول من ملك منهم بغزنة سَبُكْتِكِين (١) ، وسند كر أخباره في دولتهم إن شاء الله تعالى .

وفيها في جمادى الأولى نُقِلَت ابنة عَزِّ الدولة بختيار إلى الطائع لله ، وكان قد تزوجها .

وفي سنة سبع وستين وثلاثمائة استولى عضد الدولة على العراق وأخرج بختيار عنها ثم قتله ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم (٢) .

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة تزوج الطائع ابنة عضد الدولة ، وكان عضد الدولة قد تزوج بها ، وقال : لعلها / تلد منه ولدا ذكرا فنجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولدهم ! وكان الصداق مائة ألف دينار ، وزُفَّت إليه في سنة سبعين وكان معها من الجواهر والجهاز ما لا يحصى .

(١) في المنتظم ٧ : ٧٦ يموت سبكتكين في حوادث ٣٦٤ فلعل التوربي يقصد ابنه محموداً (أنظر المقرئ في كتاب السلوك ١ : ٢٠ قم أول) .

(٢) راجع هنا تاريخ البيهقي صفحة ٢٠٨ وتجارب الأمم ٢ : ٤٠٦ وما بعدها .

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة تُوفّيَ عضدُ الدولة بن بويه (١) ،
وولى صمصامُ الدولة ولده .

وفي سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة خرج طائر من البحر بعمان وهو
أكبر من الفيل ، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عالٍ ولسان
فصيح : قد قرب قد قرب قد قرب ! ثلاثاً ، ثم غاص في البحر ،
فعل ذلك ثلاثة أيامٍ ثم غاب ولم يُرَ بعد ذلك .

وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة ملك شرف الدولة العراق ،
وقبض على أخيه صمصام الدولة وسَمَلَه في سنة تسع وسبعين ،
ومات شرفُ الدولة في السنة ، وملك بعده أخوه بهاء الدولة وله إخوة .

ذكر القبض على الطائع وشيء من أخباره

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة في يوم السبت لثاني من شعبان
قبض بهاءُ الدولة بن بويه على الخليفة الطائع لله ، / وكان سبب
ذلك أن بهاء الدولة قَلَّتْ عنده الأموالُ وكثر شَغْبُ الجُنْدِ عليه ،
فَقَبَضَ على وزيره سابورَ فلم يُغْنِ عنه شيئاً . وكان أبو الحسن بن
المعلم (٢) قد غَلَبَ على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحَسَّنَ له القَبْضَ
على الطائع وأطعمه في ماله ، وهَوَّنَ ذلك عليه وسَهَّلَه . فَأَقْدَمَ عليه بهاء
الدولة وأرسل إلى الطائع لله وسأله الإِذْنَ في الحضور إليه ليجدد العهد

١٠١-ب

(١) انظر المنتظم ٧ : ١١٣ والبداية والنهاية ١١ : ٢٩٩ وشذرات الذهب ٣ : ٧٨ .
(٢) كذا في ١ ، وفي صفحة ٥٨ - ب وفي الكافي ٧ : ١٤٧ كذلك ، ولكنه ذكر
قبل بأبي الحسين المعلم (٧ : ١٤٥) وفي النجوم الزاهرة (٤ : ١٥٩) أبو الحسين
المعلم .

بخدمته ، فأذن له بذلك . وجلس له كما جرت العادة ، فدخل بهاء الدولة ومعه جمعٌ كبيرٌ فلما دخل قَبْلَ الأَرْضِ . فأجلس على كرمى ، فدخل بعض الديلم كأنه يريد تقييلَ يدِ الخليفة ، فجذبه وأنزله عن سريره والخليفة يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ويستغيث ولا يُلتَفَتُ إليه ، وأخذ ما في دار الخلافة من الذخائر ، ونهب الناس بعضهم بعضاً . وكان في جملتهم الشريف الرضى فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتا من جملتها :

من بَعْدِ ما كان رَبُّ المَالِ مَبْتَمًا

إلى أَدْنُوهِ في النَجْوَى وَيَدْنِي (١)

أَمْسَيْتُ أَرْحَمُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْطِيهِ

لقد تقارب بين العِزِّ والهَوْنِ (٢)

ومنظِرٍ كان بالسراء يُضْحِكُنِي

ياقُرْبَ ما عاد بالضراء يُبْكِيُنِي

هيئاتٍ اعتزَّ بالسُلطانِ ثانياً

قد ضلَّ ولأجُّ أبوابِ السلاطينِ

قال (٣) : ولما حُجِلَ الطائعُ إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع ، فكانت مدة خلافته سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وتسعة أشهر وثمانية أيام ، وبقي في حبس القادر بالله إلى أن توفى في يوم

(١) في ذيل تجارب الأمم ، ف صفحة ٥٩ - ١ « أدنيه » .

(٢) في ذيل تجارب الأمم « من أصبغت أعبطه » .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨ .

الثلاثاء سَلَخَ شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه
القادر بالله في دار الخلافة وكبير خَمَسًا ، وتحدث الناس في ذلك
فقال : هكذا يصلى على الخلفاء ! ودفن بالرصافة ، ويقال : إن القادر
بالله شيع جنازته إليها ورثاه الشريف الرضى بقصيدته التي أولها :

ما بَعَدَ يَوْمِكَ ما يَسْئَلُو به السَّالِي

ومثلُ يَوْمِكَ لم يَخْطُرْ على بَالِي

وكان مولده في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان أبيض مربوعاً
حسن الجسم ، وكان أنفه كبيراً جداً ، وكان شديد القوة كثير
الإقدام ، ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يُعرف به حاله
ويستدلُّ على سيرته .

ذكر خلافة القادر بالله

هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل
جعفر بن المعتضد بالله أبي أحمد بن الموفق ، وأمه أم ولد اسمها دمنة
وقيل نَمَى ^(١) ، وهو الخليفة الخامس والعشرون من الخلفاء العباسيين .

١٠٢ ب

وبويج له في يوم خلع الطائع لثمان / بقين من شعبان سنة إحدى
وثمانين وثلاثمائة وكان يوم ذلك بالبطينة ^(٢) عند مُهَنْب الدولة أميرها .

(١) كذا في ك صفحة ٥٩ وفي ف صفحة ٥٩ - ب .

(٢) أرض ضحلة بالعراق يحدها المسمودي مساحتها بخمسة وثلاثين ألف ميل ، بينما
لا تزيد مساحة العراق كله على خمسة وأربعين ألفاً ، وكان سكانها خليطاً من النبط والزنج
والأساورة والنزط والسباجية يعيشون في فقر شديد (راجع الحياة الأدبية في البصرة صفحة ٥٦
وما بعدها) .

وكان سبب توجهه إليها أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخيه منازعة في ضيعة ، وطال الأمر بينهما . ثم إن الطائع لله مرض مرضاً شديداً أشفي (١) منه ثم أبلى (٢) فسعت إليه بأخيهما القادر وقالت : إنه تفرع في طلب الخلافة عند مرضك ! فتعير رأيه فيه ، وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وغيره ليقبض عليه وكان بالحريم الطاهري ، فأصعدوا في الماء إليه .

وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلاً يقرأ عليه . « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، (٣) فهو يحكى هذا المنام لأهله ويقول : أنا خائف من طلب يطلبنى !

ووصل أصحاب الطائع لله وقبضوا عليه ، فأراد ليس ثيابه فمنعوه ولم يمكنوه من مفارقتهم ، فأخذته النساء منهم قهراً وخرج من داره واستتر وذلك في سنة تسع وسبعين . ثم سار إلى البطيحة فسار فنزل على مذهب الدولة ، فأكرم نزله ووسع عليه وبالغ في خدمته ، ولم يزل عنده حتى أفضى إليه الأمر فجعل علامته « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قال (٤) : ولما قبض على الطائع ذكر/ بهاء الدولة من يصلح ١٠٣ - ١

(١) شق : برأ ، شفاه يشفيه برأه وطلب له الشفاء كأشفاه (القاموس المحيط) .

(٢) بل : نجما ، وأبلى من مرضه حسنت حاله بعد الهزال (المحيط) .

(٣) سورة آل عمران (٣) آية ١٧٣

(٤) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨

للخلافة فاتفقوا على القادر بالله ، فأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضره إلى بغداد .

وَسَعَبَ الْجُنْدُ وَالِدَيْلِمُ بِبَغْدَادَ ، وَمَنْعُوا مِنَ الْخُطْبَةِ لَهُ ، فَقِيلَ عَلَى الْمَنِيرِ : أَلَا هُمْ أَصْلَحُ عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ الْقَادِرُ بِاللَّهِ ! وَلَمْ يُذَكَّرْ اسْمُهُ ، ثُمَّ أَرْضَاهُمْ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ (١) .

قال (٢) : ولما وصل الرسول إلى القادر بالله كان في تلك الساعة يحكى مناً ما رآه في تلك الليلة هو ما حكاه عبد الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال : كنت أحضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين ، فكان يكرمني ، فدخلت عليه يوماً فوجدته قد تأهب لم تجر به عادته ، ولم أر منه ما ألفت من كرامته (٣) فاختلفت بي الظنون ، فسألته عن سبب ذلك فإن كان لزلّة وبني اعتذرت عن نفسي فقال : « بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات ، فسرت على جانبه متعجباً منه ، ورأيت عليه قنطرة عظيمة فقلت من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ؟ ثم صعدتها - وهي محكمة - فبيناً أنا عليها أتعجب منها إذ رأيت شخصاً يتأملني من ذلك الجانب فقال : أتريد أن تعبر ؟ قلت : نعم ، فمد يده حتى وصلت إلي فأخذني وعبرني فهالني ، وتعاطمني فعُدّه ، فقلت : / من أنت ؟ قال : علي بن ١٠٣

(١) يبدو أنه كان من نتيجة ذلك منح الخليفة بهاء الدولة لقباً جديداً هو « غياث الأمة » وخطب له بذلك على المنابر كما يقول ابن الجوزي في المنتظم ٧ : ١٦٣ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ١٤٨ .

(٣) كرامة : عزارة كافي القاموس ، وفي الكامل ٧ : ١٤٨ « من إكرامه » .

أبي طالب وهذا الأمر صائرٌ إليك ويطول عمرك فيه فأخسِنَ إلى ولدي وشيعتي ، ا

قال (١) : فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صباحَ الملاحين وغيرهم فسألنا عن ذلك فإذا هم الوردون إليه لإصعاده ليتولى الخلافةَ ، فخطابته « يا أمير المؤمنين » وقام مهذب الدولة بخدمته أحسنَ قيام ، وحمل إليه من المال وغيره ما يحمله كبارُ الملوك إلى الخلفاء وشيعة ، فسار القادرُ إلى بغدادا ، فلما وصلَ جبَلُ (٢) انحدر بهاء الدولة وأعيانُ الناس إليه واستقبلوه وساروا في خدمته ، فدخل دار الخلافة في ثاني عشر شهر رمضان وبإيعه بهاء الدولة والناس ، وخطب له في ثالث عشر الشهر المذكور .

وجدد أمرَ الخلافةِ وعظم ناموسها (٣) وحمل إليه ما نهبَ من دار الخلافة ، ولم يُخطبَ له في جميع خراسان بل كانت الخطبةُ فيها للطائع لله وحلف له بهاء الدولة على الطاعة والقيام بشروط البيعة ، وحلف القادر له بالوفاء والخلوص ، وأشهد عليه أنه قلده ما وراء بابه .

ذكر تسليم الطائع لله الى القادر

وما علمه معه

ا/ وفي شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سلمَ بهاء الدولة ١٠٤ - ١

الطائع لله إلى الخليفة القادر بالله ، فأنزله في حجرة من خاص

(١) عبد الله بن عيسى ، انظر الكامل ٧ : ١٤٩ .

(٢) بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرق كما يقول ياقوت .

(٣) كانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والأتراك فلما وليها حقق رغائبهم جميعا

فأطاعوه أحسن طاعة ا

حُجْرِهِ ، وَوَكَّلَ بِهِ مِنْ ثِقَاتِ خَدَمِهِ مِنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَبِالْعِزِّ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الطَّائِعُ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ فِي الْخِدْمَةِ كَمَا كَانَ أَيَّامَ الْخِلَافَةِ فَيُؤَمِّرُ لَهُ بِذَلِكَ . حَكَى عَنْهُ أَنَّ الْقَادِرَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ طَيْبًا فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَتَطَيَّبُ أَبُو الْعَبَّاسِ ؟ يَعْنِي الْقَادِرَ فَقَالُوا : نَعَمْ ! فَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ عَنِّي : فِي الْمَوْضِعِ الْقَلَائِي كَنْدُوجٌ ^(١) فِيهِ طَيْبٌ مِمَّا كُنْتُ أَسْتَعْمَلُهُ ، فَلْيُرْسِلْ إِلَيَّ بَعْضَهُ وَيَأْخُذْ الْبَاقِيَ لِنَفْسِهِ ! ففعل ذلك ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْقَادِرُ يَوْمًا عَدْسِيَّةً فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَدْسٌ وَسَلْتُ ! فَقَالَ : أَوْقَدْ أَكَلْتُ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : قَوْلُوا لَهُ عَنِّي : لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ تَأْكُلَ عَدْسِيَّةً لِيَمَّ اخْتَفَيْتُ فَمَا كَانَتْ الْعَدْسِيَّةُ تَعُوزُكَ ، وَلَمْ تَقْلُدْتَ هَذَا الْأَمْرَ ؟ فَأَمَرَ حِينَئِذٍ الْقَادِرُ أَنْ تَفْرَدَ لَهُ جَارِيَةً مِنْ طِبَاخَاتِهِ تَحْضُرُ لَهُ مَا يَلْتَمِسُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَأَقَامَ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عُقِدَ نِكَاحُ الْقَادِرِ بِاللَّهِ عَلَى بِنْتِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ ^(٢) عَلَى صَدَاقٍ مَبْلُغُهُ مِائَةٌ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَمَاتَتْ قَبْلَ النَّقْلِ إِلَيْهِ .

وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِالْعِرَاقِ وَبِيعَتِ الْكَارَةُ الدَّقِيقُ بِمِائَتَيْنِ وَسِتِّينَ دِرْهَمًا ، وَالْكُرُّ الْحَنْظَلَةُ بِسِتِّينَ أَلْفٍ / وَسِتِّمِائَةِ دِرْهَمٍ غِيَاثِيَّةً ^(٣) .

١٠٤ ب

(١) كَنْدُوجٌ : بِالْفَارِسِيَّةِ صَنْدُوقٌ أَوْ مَخْزَنٌ أَصْلُهُ « كَنْدُو » وَعَرَبٌ بِإِضَافَةِ الْجَمْعِ (الْحَيَاةُ الْأَدَبِيَّةُ فِي الْبَصْرَةِ ٣٧٠) .

(٢) اسْمُهَا سَكِينَةُ وَقِيلَ سَيِّتَةُ (رَاجِعِ الْمُنْتَظَمَ ٧ : ١٧٢ وَشَذْرَاتُ الذَّهَبِ ٣ : ١٠٤) .

(٣) غِيَاثِيَّةٌ : نِسْبَةٌ إِلَى غِيَاثِ الْأُمَّةِ لِقَبْلِهَا الدَّوْلَةُ الَّتِي خَلَعَ عَلَيْهِ عَامَ ٣٨١ .

وفي سنة ست^١ وثمانين وثلاثمائة توفي العزيز بالله صاحب مصر ،
 وولي بعده ابنه الحاكم .

وفي سنة تسع وثمانين انقضت الدولة السامانية وملك الترك
 ما وراء النهر (١)

وفيها عمل أهل باب البصرة بيعة دايوم السادس والعشرين من
 ذى الحجة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً ، وعملوا في ثامن عشر
 المحرم مثل ما تعمل الشيعة في يوم عاشوراء . وسبب ذلك أن
 الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب ويعلقون الثياب للزينة
 في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وهو يوم الغدير . وكانوا
 يعملون - يوم عاشوراء - الماتم والنوح ، ويظهرون الحزن لمقتل
 الحسين ، فعمل أهل باب البصرة مقابل ذلك بعد يوم الغدير
 بثمانية أيام مثلهم وقالوا : يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبو بكر رضى الله تعالى عنه الغار ! وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام
 مثل عمل الشيعة يوم عاشوراء وقالوا : هذا يوم قتل مصعب بن
 الزبير رضى الله تعالى عنهما .

وفي سنة تسعين وثلاثمائة ظهر في سجستان معدن
 الذهب الأحمر (٢)

(١) كان الأمير أبو التماس محمود بن سبكتكين قد استولى على أعمال خراسان بعد أن
 هزم الأمير عبد الملك بن نوح الساماني فأزال بذلك السامانية وأقام الدعوة بخراسان للخليفة القادر
 بعد أن كانت للطاغ الذي خلع (راجع البداية والنهاية ١١ : ٣٢٥ وتاريخ البيهقي ٢١٤
 وما بعدها) .

(٢) قال ابن الأثير : فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر (٧ :

ذكر البيعة لولي العهد

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة أمر القادر بالله / بالبيعة لولده أبي الفضل بولاية العهد ، ولقبه الغالب بالله . وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله بن عثمان الواثقى من ولد الواثق بالله كان من أهل نصيبين ، فقصده بغداد ثم سار إلى خراسان وعبر النهر إلى هارون بن أيلك بغراخان ^(١) ، وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي وأظهر أنه رسول من الخليفة إلى هارون يأمره بالبيعة لهذا الواثقى وأنه وليُّ عهده . فأجاب بغراخان إلى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده ، فبلغ ذلك القادر فعظم عليه وأرسل إلى بغراخان في معناه فلم يُصغِ إلى رسالته . فلما توفي هارون وولى بعده أحمد بغراخان كاتبه الخليفة في معناه ، فأمر بإياعده فحينئذ بايع القادر لولده ، وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك .

وأما الواثقى فإنه خرج من عند أحمد بغراخان وقصد بغداد فعرف بها ، فطلب منها فهرب إلى البصرة ثم إلى فارس وكرمان ، ثم إلى بلاد الترك ، فلم يتم له ما أراد ، وأرسل الخليفة إلى الملوك يطلبه فضاقت عليه الأرض ، فسار إلى خوارزم فأقام بها ثم فارقها ، فاخذه يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه إلى أن مات .

(١) في ك ٦١ « بغراخانان » وفي ف صفحة ٦١ - ٦٠ ، كما في « بغراخانان »

وما هاتنا من تاريخ البيعتي صفحة ٢١٤ .

وفي سنة إحدى وأربعمائة خطب قرواش (١) بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم العلوي صاحب مصر بالكوفة / والموصل والأنبار والمدائن وغيرها من أعماله ثم قطعت في السنة (٢).

وفي سنة إحدى عشرة وأربعمائة مات الحاكم صاحب مصر وولي بعده ابنه الظاهر لاغزاز دين الله (٣).

وفي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة توفي علي بن هلال المعروف بابن البواب ، وإليه انتهى الخط . ، ونُقِل عنه إلى وقتنا هذا ، ودفن بجوار أحمد بن حنبل ، وكان يقص بجامع بغداد ، وقيل إنه مات في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ورثاه المرتضى (٤).

ذكر الفتنة بمكة

وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة في يوم النفر الأول وكان يوم الجمعة ، قام رجل من أهل [مصر] (١) بإحدى يديه سيف

(١) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد ويلقب بعمتد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل (انظر المنتظم ٧ : ٢٤٨)

(٢) يقول ابن تفرى بردى : « فلما سمع الخليفة ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيوش في تجهيز العساكر ، فلما بلغ قرواش ذلك أرسل يعتذر للخليفة . وأبطل دعوة الحاكم من بلاده وأعادها للقادر على العادة » (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٧) .

(٣) قيل لم يموت وقيل فقد ، وفي بعض الروايات قتل ، ونرى في النجوم الزاهرة الشيء الكثير عن هذا الموضوع .

(٤) لأبي العلاء شعر فيه من هذا البيت الذي رواه ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٥٧)

ولاح هلال مثل نون أجسادها بماء النصار الكاتب ابن هلال فلم يكن أكتب منه بعد ابن مقلد ! قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ : ١٤ « وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعرييا من خط أبي علي بن مقلد » (١) في كل النسخ يباض فيما نقل بين الحاصرتين والتكملة عن الكامل ٧ : ٢١٤ ويبدو أن التويري =

مسلول والأخرى دبوس ، بعد فراغ الإمام من الصلاة فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات بالدبوس وقال : إلى متى يُعبدُ الحجرُ الأسودُ ومحمدٌ وعليٌّ ؟ فليمنعني مانعٌ من هذا ، فإني أريد هدم هذا البيت ! فخاف أكثر من حضر وتراجعوا عنه وكاد يفلت ، فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله ، وقطعه الناس وأحرقوه ، وقتل مِمَّنْ اتَّهِمَ بِمُصَاحِبَتِهِ جَمَاعَةٌ وَأَحْرَقُوا ، وثارَتِ الفِتْنَةُ ، وَكَانَ الظَّاهِرُ مِنَ القَتْلِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا غَيْرَ مَا أَخْفَى مِنْهُمْ .

وَأَلْحَ / النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الْمَغَارِبَةِ وَالْمَصْرِيِّينَ بِالنَّهْبِ وَالسُّلْبِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدَاةَ اجْتَمَعَ النَّاسُ وَاضْطَرَبُوا وَأَخَذُوا أَرْبَعَةَ مِنْ أَصْحَابِ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقَالُوا : نَحْنُ مِائَةٌ رَجُلٍ ! فَضْرِبْتِ أَعْنَاقَ الأَرْبَعَةِ . وَتَقَشَّرَ بَعْضُ وَجْهِ الحِجْرِ مِنَ الضَّرْبَاتِ ، فَأُخِذَ ذَلِكَ الْفَتَاتُ وَعُجِنَ بِلَبَّكٍ وَأُعِيدَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

١٠٦ - ١

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةَ سَقَطَ بِالْعِرَاقِ جَمِيعُهُ بِرَدِّ كِبَارٍ وَزَنُّ الوَاحِدَةِ رَطْلٌ وَرَطْلَانٌ ، وَأَصْغَرُهُ كَالْبَيْضَةِ ، فَأَهْلَكَ الْغَلَاتِ وَلَمْ يَصِحْ مِنْهَا إِلَى القَلِيلِ ، هَكَذَا حَكَاهُ ابْنُ الأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ الْكَامِلِ (١) .
وَفِيهَا فِي آخِرِ تَشْرِينِ الثَّانِي هَبَّتْ رِيحٌ بَارِدَةٌ بِالْعِرَاقِ جَمَدًا مِنْهَا المَاءُ وَالخَلُّ ، وَبَطَلَ دُورَانُ الدَّوَالِبِ الَّتِي عَلَى دَجَلَةَ .

وَفِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةَ انْقَطَعَ الْحَجُّ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَمَضَى

= استنقل أن يلحق هذا العار واحداً من أهل بلده ! ويلاحظ أن هناك شبه إجماع على أن الواقعة كانت في عام ٤١٣ (راجع شذرات الذهب ٣ : ١٩٧ والبداية والنهاية ١٤ : ١٣) .

(١) جز ٧ صفحة ٢٣٠ .

بعض حجاج خرامان إلى كرمان وركبوا في البحر إلى جدة وحجوا ! .

ذكر البيعة لولي العهد

كان القادر بالله قد جعل ولاية العهد لولده أبي الفضل كما قدمناه فمات (١) فلما كان في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة مرض القادر وأرجف بموته ، فجلس جلوساً عاماً وأذن للخاصة والعامه / فدخلوا عليه . فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال : ١٠٦-ب
 خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له بالبقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الأمير أبي جعفر لولاية العهد ! فقال القادر للناس : قد أذنَّا لكم في العهد له ! وكان أراد أن يبايع له قبل ذلك فنهاه عنه الحسن ابن حاجب النعمان ، فلما عيَّنه القادر الآن جلس على السرير الذي كان قائماً عليه . وألقيت الستارة التي على القادر ، فتقدم الحاضرون وخدموا وليَّ العهد وهنَّسوه ، وتقدم أبو الحسن ابن حاجب النعمان فقبَّلَ يده وهنَّاه فقال له أبو جعفر : « وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال » (٢) يعرض له بإفساده رأى القادر فيه فأكب على تقبيل قدميه وتغيير نخده بين يديه ، فقبَّلَ عنقه . ودُعِيَ لأبي جعفر على المنابر يوم الجمعة ليست بقمين من جمادى الأولى ، ومات أبو الحسن ابن حاجب النعمان في نفس السنة .

(١) أنظر صفحة ٢١٢ من هذا الكتاب ، والكامل ٧ : ٣٥١ .

(٢) سورة الأحزاب (٣٣) آية ٢٥ .

ذكر ملك الروم مدينة الرها

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ملك الروم مدينة الرها وكانت بيد نصير الدولة (١) بن مروان صاحب ديار بكر ، ملكها من صاحبها عطير في سنة ست عشرة وأربعمائة ثم مات عطير فشفع صالح بن مرداس صاحب حلب إلى نصير الدولة في إعادتها إلى ابن عطير وإلى ابن شبل بينهما ، فقبل شفاعته وسلمها إليهما . وكان في الرها برجان حصينان أحدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير ، وبقيت المدينة معهما إلى هذه السنة . فراسل ابن عطير أرماتوس ملك الروم وباعه حصنه من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها القرية التي عرفت بسن ابن عطير ، وتسلموا البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه أصحاب ابن شبل . وقتل الروم المسلمين ، وخربوا المساجد ، فسمع نصير الدولة الخير فسير جيشا كثيفا إلى الرها فحصرها وفتحها عنوة ، واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتوى النصارى بالبيعة التي لهم ، فحصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد ، وبقي الروم بالبرجين . فسير إليهم ملكهم عسكريا نحو عشرة آلاف مقاتل ، فانهزم أصحاب ابن مروان من بين أيديهم ، ودخل الروم البلد ونهبوا ما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثاب [النميري] (٢) على حران وسروج وحمل إليهم خراجا .

(١) في الكامل ٧ : ٣٥٣ نصر الدولة .

(٢) إضافة من الكامل ٧ : ٣٥٣ .

| ذكر وفاة القادر بالله

وشىء من أخباره وسيرته

١٠٧-ب

كانت وفاته رحمه الله في اليوم الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر . وكانت مدة خلافه إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر إلا أياما . وكان حليما كريما خيرا يحب الخير وأهله ويأمر به ، وينهى عن الشر ويبغض أهله . وكان حسن الاعتقاد ، وصنف كتابا على مذهب السنة . وكان يخرج من داره في زى العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف الكرخي ويره .

قال القاضى الحسين بن هارون : كان بالكرخ ملك ليعتيم وكان له قيمة جيدة ، فأرسل إلى ابن حاجب النعمان - وهو حاجب القادر بالله - يأمرنى أفك الحجر عنه ليشتري بعض أصحابه ذلك الملك فلم أفعل فأرسل إلى يستدعيني فقلت لغلامه : « تقدمنى حتى ألحكك » وخفته وقصدت قبر معروف الكرخي فدعوت الله أن يكفينى شره وهناك شيخ فقال : « على من تدعو ؟ » فذكرت له الخبر ووصلت إلى الحاجب فأغلظ لى فى القول ولم يقبل عذري ، فأتاه خادم برقعة ففتحها فقرأها فتغير لونه واعتذر إلى ثم قال : « كتبت إلى الخليفة رقعة ؟ » / قلت : « لا » وعلمت أن ذلك الشيخ كان الخليفة !

١٠٨-ا

وقيل إنه كان يقسم لإفطاره كل ليلة ثلاثة أقسام ؛ فقسم بتركه بين يديه ، وقسم يرسله إلى جامع الرصافة ، وقسم يرسله إلى جامع المدينة بفرقه على المقيمين فيهما . فاتفق أن القراش حمل

الطعام ليلة إلى جامع المدينة ففرقه على الجماعة ، فأخذوا إلا شاباً فإنه رده ، فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش فوقف على باب فاستنظم فأطعموه كسيرات فأخذها وعاد إلى الجامع فقال له الفراش : ويحك أما تستحي . . . يَنْفُذُ إليك خليفةُ الله بطعام حلالٍ فترده وترجع فتأخذه من الأبواب ؟ فقال : والله ما رددته إلا لأنك عرضته على قبل المغرب وكنت غير محتاجٍ إليه فلما احتجت طلبت ! فعاد الفراش وأخبر القادر بالله فبكى وقال له : راعٍ مثل هذا واغتنم أجره وأقم إلى وقت الإفطار .

ومناقبه كثيرة مشهورة وكان أبيض نقي الجسم كث اللحية طويلها يخضب . ودبر الملك في أيامه بهاء الدولة إلى أن مات ، ثم ابنه سلطان الدولة أبو شعاع إلى أن مات ، ثم أخوه أبو علي شرف الدولة إلى أن مات ، ثم أخوه أبو طاهر جلال الدولة .

وكان للقادر بالله من الأولاد أبو الفضل الغالب بالله مات في حياته ،

ب - ١٠٨ . وأبو جعفر عبد الله القائم ، وأبو القاسم ومات في حياة أيضا .

وزراؤه : محمد بن أحمد الشيرازي صاحب : وسعيد بن

نصر بن علي الفيروزبادي ، وسعيد بن الحسن بن برتك (١)

البصري ، وعلي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان ، ثم ابنه أبو

الفضل محمد بن علي .

(١) في ا بلا نقط إطلاقا وفي ك صفحة ٦٣ . « بريك » وفي ف صفحة ٥٩

حجابه : أبو الفتح محمد بن الحسين المبيدي ، ثم أبو القاسم بكران ، ثم ولده أبو منصور وغيرهم ، نقش خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقيل : « حسبي الله ونعم الوكيل » .

ذكر خلافة القائم بأمر الله

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر ، وقد تقدم ذكر نسبه . وأمه أم ولد اسمها بدر الدجى ، وقيل : قطر الندى وقيل : علم ، وكانت أرمنية وقيل : رومية . وهو الخليفة السادس والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويح له البيعة العامة بعد وفاة أبيه في الحادى والعشرين من ذى الحجة في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (١) . وصل بالناس عشاء المغرب في صحن السلام من دار الخلافة ، وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد سنة إحدى وعشرين كما ذكرناه ، وأول / من بايعه الآن الشريف أبو القاسم المرتضى ، وأنشد :

١٠٩ هـ

فإِذَا مَضَى جِبِلٌّ وَأَنْقَضَى فَمِنْكَ لَنَا جِبِلٌّ قَدْ رَسَى
وإِذَا فُجِعْنَا بِبَدْرِ التَّمَامِ فَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ شَمْسُ الضُّحَى
فَكَمْ حَزَنٌ فِي مَحَلِّ السَّرُورِ وَكَمْ ضَحْكٌ فِي خِلَالِ الْبُكَى (٢)
فِي صَارِمًا أَعْمَدُهُ يَدٌ لَنَا بِعَدِكَ الصَّارِمُ الْمُنْتَضَى

(١) في هذه السنة تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، ونهت دور اليهود لأنهم أعانوا أهل الكرخ من الشيعة (البداية والنهاية ١٢ : ٣١) .
(٢) في الكامل والبداية والنهاية « لنا حزن » وفي البداية والنهاية « لكم ضحك في محل البكا » (الكامل ٧ : ٣٥٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٢) .

وأرسل القائم بأمر الله قاضي القضاة أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة ، ويخطب له في بلاده ، فأجاب وبإيع ، وخطب له في بلاده ، وأرسل إليه هدايا جليلة وأموالا كثيرة .

ذكر الحوادث في أيام القائم

في منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة توفي الظاهر صاحب مصر ، وولى بعده ابنه المستنصر (١) .

وفي سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة كان ابتداء الدولة السلجوقية على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم (٢) .

وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر المعز بن باديس الدعوة للدولة العباسية ، وخطب ببلاد الخليفة القائم بأمر الله فسيرت إليه الخلع والتقليد (٣) .

وفي سنة إحدى وأربعين / وأربعمائة في ذي القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلاً فزادت ظلمتها على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالدار المضطربة ، وهبت ريح قلمت روتشن (٤) دار الخليفة ، ثم انكشف ذلك في بقية الليل .

١٠٩ سب

(١) كان الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي في الثالثة والثلاثين يوم مات ، مع أنه كان خليفة لخمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً (الكامل ٨ : ١٠) .

(٢) من خير ما كتب عن السلاجقة ودولتهم وسياساتهم العامة كتاب « راحة الصدور وآية السرور » وضعه بالفارسية محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، ونقله إلى العربية ثلاثة من أساتذة الجامعة بتكليف من وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٦٠ .

(٣) راجع الكامل ٨ : ٣٩ .

(٤) روتشن : شرقة ، وفي الكامل « روتشن » ٨ : ٥٣ .

وفي سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة في يوم الأربعاء سابع صفر وقت العصر ظهر ببغداد كوكب غَلَبَ نورُه على نور الشمس له ذُؤَابَةٌ نحو ذراعين ، وسار سيراً بطيئاً ، ثم انقض والناس يشاهدونه .

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة زلَّزَتِ الأَرْضُ نحو رستان وأرجان وغيرها زلازلٌ كثيرةٌ كان معظمها بأرجان فَخُرِبَ كثيرٌ من بلادها ، وانفرج جبل كبير بالقرب من أرجان فانصدع فظهر في وسطه درجة بالأجرُ والحِصُّ وقد خفيت في الجبل ، فعجب الناس من ذلك !

وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة وصل طغرل بك السُلْجُقى إلى بغداد (١) وخطب له بها ، وانقرضت الدولة البويهية .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة تزوج الخليفة القائم بأمر الله بإرسالن خاتون واسمها خديجة ابنة داود أخى السلطان طغرل بك ، وقبل الخليفةُ النِّكاحَ لنفسه .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة في العشر / الثاني من جمادى الآخرة ١١٠-١ ظهر وقتَ السَّحَرِ في السماء ذُؤَابَةٌ بيضاء طولها نحو عشرة أذرع في رأى العين وعرضها ذراع ، وبقيت كذلك إلى نصف شهر رجب واضمحلت .

(١) في راحة الصدور ١٦٩ أنه خطب له ببغداد ستة سبع وثلاثين وأربعمائة ،

ثم قال المؤلف « وفي رمضان من تلك السنة قصد طغرل بك إلى بغداد » فتأمل ! .

وفيها أمر الخليفة القائم بأمر الله أن يؤذن بالكركخ والمشهد
وغيرهما ، والصلاة خير من النوم ، وأن يتركوا الحى على خير
العمل ، ففعلوا ذلك .

وفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة اشتد الغلاء ببغداد والعراق
حتى بيعت الكارة الدقيق السמיד بثلاثة عشر دينارا والكارة الشعير
والنبرة بثمانية دنائير ، ومقدار الكارة [(١)] وأكل الناس الميتة
والكلاب وغيرها وكثر الوباء ، حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا
يجعلون الجماعة في الحفيرة .

وفيها كثر الوباء ببخارى حتى قيل : إنه مات فى يوم واحد ثمانية
عشر ألف إنسان من أعمال بخارى ، وهلك فى هذه الولاية
فى مدة الوباء ألف ألف وستمائة ألف وخمسون ألفا ، وكان يسمرقند
بمثل ذلك ، ووُجد ميتٌ وقد دخل عليه تركى يأخذ لحافا عليه فمات
التركى وطرف اللحاف بيده ، وبقيت أموال الناس سائبة لا تجد
من يجمعها (٢) |

(١) بياض فى كل النسخ ولكن ابن تفرى بردى يقول : إن الكارة خمسون رطلا
بالمشق ، وأربعا وثلاثين كارة تساوى كرا واحداً ، والكر سبعة عشر قنطارا . (النجوم
الزاهرة ٣ : ٢٨٦) .

(٢) نقل ابن كثير فى عن أى الفرج ابن الحوزى وغيره صوراً « بشمة هذه الكارثة التى كان
الطاعون يلعب الدور الأول فيها (البداية والنهاية ١٢ : ٧٠ ، ٧١) »

١١٠-ب / ذكر أخبار أبي الحارث أرسلان البساسيري

وابتداء حاله وما كان منه إلى أن تغلب على بغداد
وقطع خطبة القائم بأمر الله وخطب للمستنصر
العلوي صاحب مصر

كان أبو الحارث البساسيري مملوكا تركيسا من ممالك بهاء
الدولة بن عضد الدولة البويهى ، وهو منسوب إلى مدينة بساسير
من بلاد فارس ، كان سيده الأول منها فقيل له : البساسيري
لذلك ^(١) . وأما ما وليه من المناصب التي ترقى منها إلى أن صار
منه ما صار ، فإنه ولي في سنة خمس وعشرين وأربعمائة حماية
الجانب الغربى ببغداد ، لأن العيارين كان قد اشتد أمرهم وعظم فسادهم
وعجز عنهم نواب السلطان فاستعمل لكفأته ونهضته وذلك في
سلطنة جلال الدولة أبى طاهر بهاء الدولة بن بويه ، فظهرت كفأته .
وتقلبت به الحال وصحب جلال الدولة في حروبه وأبلى بين يديه
بلاء حسنا ، فعظم شأنه وارتفع محله وعلت رتبته وتقدم على
الجيوش ، وكان بينه وبين العرب الذين خالفو جلال الدولة وخرجوا عن
طاعته وكاشفوه بالعداوة حروب كان [المنصر] في / أكثرها له ، ثم
صار يخلف الملك الرحيم ببغداد . واستولى على الأنبار في سنة

١١١-أ

(١) أبو الحارث أرسلان بن عبد الله بنسب إلى « بسا » وليس إلى بساير لأن هذه
ليست موجودة في بلاد فارس ، والموجود « بسا » وكانت تكون النسبة صحيحة لو قلنا
بسوى إلا أنها هنا نسبة شاذة فقيل « بساسيرى » (راجع شذرات الذهب ٣ : ٢٨٨) .

إحدى وأربعين وأربعمائة وملكها من قرواش بن المقداد ، واستولى على الدرّدار ، وملكها من سعيد بن أبي الشول . ولما استولى الملك الر حيم على البصرة في سنة أربع وأربعين وأربعمائة وأخذها من أخيه أبي علي بن أبي كاليبجار سلّمها إلى البساسيري فنهض فيها وضبطها وأوقع بالأكراد والأعراب في سنة خمس وأربعين وأربعمائة - وكانوا قد أفسدوا في البلاد - فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالهم وأجلاهم عن البلاد . ثم أتى بغداد ووقع بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله وحشة عظيمة في سنة ست وأربعين وأربعمائة لأسباب يطول شرحها أدّت إلى إسقاطه مشاهرات الخليفة ومشاهرات رئيس الرؤساء (١) الوزير وحواشي الدار ، ودام ذلك من شهر رمضان إلى ذى الحجة ! ثم سار إلى الأنبار فمنعه أبو الغنائم ابن المحلبان من دخولها فحاصرها ونصب عليها المجانيق ، وفتحها عنوةً ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة رجل ومائة من بني خفاجة وأسير أبو الغنائم . وعاد إلى بغداد وهو بين يديه على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس وهو مقيد ، وأتى إلى مقابل التاج وقبّل الأرض وعاد إلى منزله وهو يجعل الذنب كلّه لرئيس الرؤساء

١١١ - ب / وزير الخليفة - ويقول لست أشكو إلا منه فإنه أخرب البلاد .

وكتب السذجوقية وأطعمهم في البلاد ، ثم توجه البساسيري إلى واسط . فلما كان في سنة سبع وأربعين وضع رئيس الرؤساء

(١) هو علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة ، وقد وزر لقائم قبل ابن جبير ، ومن أجله وقتت فتنة البساسيري .

الأثر الك البغداديين على البساسيري وطلبه ونسب مايقع من النقص إليه ، ففعلوا ذلك وزادوا عليه حتى حضروا إلى دار الخلافة في شهر رمضان واستأذنوا في قصد دور البساسيري ونهبها فأذن لهم في ذلك ، فنهبوا دُورده وأحرقوها ، ووكلوا بنسائه وأهله ونوابه ، ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد . وأطلق رئيس الروساء لسانه في البساسيري وذهمه ونسبه إلى مكاتبة المستنصر صاحب مصر ، وأرسل الخليفة إلى الملك الرحيم بأمره بإبعاد البساسيري فأبعده ، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طغرل بك العراق .

ووصل السلطان طغرل بك إلى بغداد إثر هذه الحادثة وماكها ، وانقضت الدولة البويهية ، فعند ذلك أظهر البساسيري الخلاف وجاهر بالعصيان ، وانضم إليه نور الدولة دبيس بن مزيد . والتقوا هم وقريش بن بدران (١) صاحب الموصل وكان مع قريش قتلش (٢) السلجوقي - / وهو ابن عم طغرل بك - واقتتلوا فكانت الهزيمة على قريش وقتلش ، وكانت هذه الواقعة عند سينجار في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . ثم صار قريش بن بدران مع البساسيري ونور الدولة دبيس ، فساروا إلى الموصل وخطبوا بها للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر - وكانوا قد كاتبوه بطاعتهم فأرسل إليهم الخلع عن مصر فلما بلغ ذلك السلطان طغرل بك سار إلى الموصل وديار بكر لإخلائها من البساسيري وغيره من المفسدين ، فاستولى

(١) هو أبو المعال العقيل أمير بني عقيل ، توفي سنة ٤٥٣ .

(٢) راجع راحة الصدور ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

على الموصل وأعمالها وسلمها إلى أخيه إبراهيم بنال^(٣) وعاد إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام بها إلى سنة خمسين وأربعمائة . ثم فارقتها وتوجه نحو بلاد الجبل فعاد البساسيري إلى الموصل واستولى عليها وحصر قلعتها أربعة أشهر ، وماكها فهدمها وعفى أثرها ، وكان السلطان قد فرق عساكره فكتب إلى أخيه إبراهيم واستدعاه ، فحضر إليه إلى بلاد الجبل فسار السلطان جريدة^(٢) في ألفى فارس إلى الموصل فوجد البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها .

فسار إلى نصيبين ليتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ، ففارقه أخوه إبراهيم بنال إلى همدان فكتبه البساسيري وأطمعه في السلطنة ، فأظهر إبراهيم العصيان / على السلطان طغرلبيك فسار طغرلبيك إلى همدان في منتصف شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل بحرب أخيه حتى ظفربه ، ثم عرض له ما شغله عن العود إلى بغداد .

١١٢ ب

ذكر استيلاء أبي العارث البساسيري على العراق

وخروج الخليفة القائم بأمر الله من بغداد
والخطبة للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر

وقطع الدعوة العباسية

قال^(٣) : ولما اشتغل السلطان طغرلبيك بحرب أخيه

(١) في النسخ الثلاث يكتب هذا الاسم بأشكال مختلفة مثل نبال ونبال ونبال وبنال وبنال ، وفي راحة الصدور لبنال : ١٦٨ .

(٢) في النجوم الزاهرة : ٨٨ ، مجريدة في ألفين .

(٣) ابن الأثير في الكامل : ٨ : ٨٢ .

قصد البساسيري بغداداً ، فلما وصل إلى هيت أمر الخليفة الناس بالعبور إلى الجانب الشرقي ، وكان الأتراك كلهم قد التحقوا بالسلطان إلى همدان . وكان الخليفة قد كتب إلى نور الدولة دُبَيْس يأمره بالوصول إلى بغداد فورد إليها في مائة فارس ، فلما قوى الإرجاف بوصول البساسيري أرسل دُبَيْس بن مَزِيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء (الوزير يقول : الرأي عندي خروجكما من البلد معي ، فإنني أجمع أنا وهزارسب بواسط. على دفع عدوكما . فاتاه الجواب أن يقيم حتى يقع / الفكر في ذلك ، فقال : العرب لا تطيعني على المقام ، وأنا أتقدم إلى دِيالى فإذا انحدرتم سرت في خدمتكم ! وسار وأقام بدِيالى ينتظرهما فلم ير لذلك أثرا ، فسار إلى بلده .

١١٣ - ١

ثم وصل البساسيري إلى بغداد في يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربع مائة غلام في غاية الضر والفقر ، فنزل بمشرفة الروايا وكان معه قريش بن بدران وهو في مائتي فارس فنزل مشرفة باب البصرة . وركب عميدُ العراق ومعه العسكر والوأم وأقاموا بإزاء عسكر البساسيري وعادوا ، وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر العلوي صاحب مصر فأذِنَ « حى على خير العمل » وعقد الجسر وعبر عسكره إلى الزاهر واجتمعوا فيه ، وخطب في الجمعة الثانية للمصرى بجامع الرصافة ، وجرى بين الطائفتين حروب في أثناء الأسبوع .

وكان عميدُ العراق يشير على رئيس الرؤساء وزير الخليفة بالتوقف عن المناجزة ، ويرى المناجزة ومطاولَةَ الأيام انتظارا لقبوم

طفرليك ، ولما يراه من ميل العوام للباساسيرى . فاذفق فى بعض الأيام
 أن القاضى الهمداني حضر إلى رئيس الرؤساء واستأذنه فى الحرب
 وضمن له قتل البساسيرى فأذن له من / غير علم عميد الدولة ، فخرج
 ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعموم إلى الخليفة فاستخرجهم
 البساسيرى حتى أبعدوا ، ثم حمل عليهم فعادوا منهزمين ، وقتل
 جماعة منهم ، ومات فى الزخمة جماعة ، ونهب باب الأزج . وكان
 رئيس الرؤساء واقفا دوز الباب فدخل الدار وهرب كل من فى
 الحريم ، ورجع البساسيرى إلى معسكره .

١١٣-ب

واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم
 فلم يرعهم إلا والزعقات قد علت ونهب الحريم ، ودخلوا الباب
 التوبى . فركب الخليفة لابسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده
 سيف على رأسه اللواء ، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف
 المسلولة ، فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره ، فزجع
 إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق . فوجده قد استأمن إلى قريش
 فعاد وصعد إلى المنطرة .

وصاح رئيس الدولة « يا علم الدين » يعنى قريشا « أمير
 المؤمنين يستأذنيك » فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء : . قد أنالك
 الله منزلة لم ينلها أمثالك ، وأمير المؤمنين يستأذنيك (١) منك على
 نفسيه وأهليه وأصحابه بذهام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه

(١) نقول استأذنا به وتذمنا به فأذم لنا ، ونقول لفلان ذمة وذمام وذمة أى عهد ،
 وهو فى ذمتنا وذمامنا ، ويقال تذم منه أى استكف واستحيا ، وإنى أتذم من القوم أن أحمول
 من عندهم لى غيرهم (راجع أساس البلاغة ١ : ٣٠٢ طبعة دار الكتب المصرية) .

وسلم وذيَمام العربية . قال : أذَمَّ اللهُ تعالى ! قال : ولي ولين معه ؟
 / قال نعم ! وخلق قُلُوبَهُ وَأَعْطَاهَا الخليفةَ ، وأعطى رئيس الرؤساء
 ١١٤-١ ذِمَامَا . فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء وسارا معه فأرسل
 إليه البساسيري : أتخالف ما استقر بيننا وتَنَقُّض ما تعاهدنا
 عليه ؟ (١) فقال قريش : لا ! وكانا قد تعاهدا على المشاركة في
 الذي يحصل لهما وأن لا يستبدَّ أحدهما دون الآخر بشيء ،
 فاتفقا على أن يُسَلِّم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري لأنَّه
 عدُوُّه ويترك الخليفة عنده !

ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق

قال (٢) ولما أرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري
 قال له : مرحبا بمهلكِ الدول ومخرَّبِ البلاد ! فقال : العفْرُ
 عند المقدرة ! فقال له البساسيري : قدرتَ فما عفوتَ وأنتَ
 صاحب طيلسان ، وركبتَ الأفعالَ الشنيعةَ مع حُرْمِي
 وأطفالي ، فكيف أعفوا أنا وأنا صاحب السيف ؟ وأمر به
 فحُبِس إلى آخر ذى الحجة ، ثم أخرجته من محبسه مقيدا وعليه
 جبة صوف وطرطور من لَبَدٍ أحمر وفي رقبتَه - مُخَنَّقَةٌ / [جلد
 بغير] (٣) وهو يقرأ « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من

(١) يعاتبه البساسيري أن أخذ منه الخليفة ذماما لينه هو وأهله ووزيره القاسم بن مسلمة .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٤ .

(٣) في ١ ، في ك ٦٦ ، في ف ٦٦ - ١ « مخنقة جلود كالتاويد » وما بين حاصرتين من الكامل ٨ : ٨٤ وقد ساق ابن كثير العبارة في البداية والنهاية ١٢ : ٧٨ هكذا « وفي رقبة مخنقة من جلود كالتاويد » .

تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، الآية .. (١) وطيف به محالٌ ببغداد وهو على جمل ووراءه من يصفه .

فلما اجتاز بِالْكَرْخِ بِصَقَ أَهْلَ الْكَرْخِ فِي وَجْهِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعْصَبُ عَلَيْهِمْ ! وَجِئَ بِهِ إِلَى الْبَسَاسِيرِيِّ وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُ خَشْبَةٌ فَانزَلَ مِنْ عَلَى الْجَمَلِ وَالْبَيْسِ جِلْدَ ثَوْرٍ قَدْ سُلِّخَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَجُمِلَتْ قُرُونُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَغُلِّقَ بِكُلُوبَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْطَرِبُ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَمَاتَ ، فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي هَذِهِ الْوَأَقَاعَةِ :

أَقْبَلْتَ الرِّايَاتِ مُبْيَضَّةً يَفْدِمُهُنَّ الْأَسَدُ الْبِاسِلُ
وَوَلَّتِ السُّودَاءُ مَنكُوسَةً لَيْسَ لَهَا مِنْ ذِيَّةٍ سَائِلُ
انظُرْ إِلَى الْبَاغِيِّ عَلَى جَدْعِهِ وَالْدَّمُ مِنْ أَوْدَاجِهِ سَائِلُ

يعنى رئيسَ الرؤساء ، قال : ودخل البساسيري داره ونهب ما فيها وشهر حرمة وأمر ينقض داره وقال عند ذلك : فواحدة بواحدة جزاء ! قال (٢) : وكان رئيس الرؤساء حسن التلاوة جيد المعرفة بالنحو .

وَقَتَلَ الْبَسَاسِيرِيُّ عَمِيدَ الْعِرَاقِ وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَهُ فَتْوَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى رِبَاطَ شَيْخِ الشُّيُوخِ . وَأَمَّا الْخَلِيفَةُ فَإِنَّ قَرِيشًا نَقَلَهُ إِلَى مَعْسُكِرِهِ / أَكْبَأَ وَعَلَيْهِ السُّوَادُ وَالْبِرْدَةُ وَبِيَدِهِ السَّيْفُ وَعَلَى رَأْسِهِ اللَّوَاءُ وَأَنْزَلَهُ فِي خَيْمَةٍ ، وَأَخَذَ أَرْسِلَانَ خَاتُونَ ابْنَةَ أَخِي السُّلْطَانِ طَفْرَلِيكَ فَسَلَّمَهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَرْدَةَ لِيَقُومَ بِخِدْمَتِهَا .

١-١١٥

(١) سورة آل عمران (٣) آية ٢٦ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٤ .

وُنُهَيْبَت دَارُ الْخِلاَفَةِ وَحَرِيْمُهَا أَيَامَا ، ثُمَّ سَلَّمَ قَرِيْشُ الْخَلِيْفَةَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ مَهَارِشِ بْنِ الْمُجَلِّيِّ (١) وَهُوَ رَجُلٌ فِيهِ دِينَ وَهُوَ مَرُوءَةٌ فَحَمَلَهُ فِي هَوْدَجٍ وَسَارَ بِهِ إِلَى حَدِيثَةِ عَانَةَ (٢) فَنَزَلَ بِهَا ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَنْبَارِ شَكَا الْبَرْدَ ، فَأَنْفَذَ إِلَى مَقْدَمِهَا يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا يَلْبَسُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَبَّةً فِيهَا قَطْنٌ وَلِحَافًا .

قال (٣) وركب البساسيري يوم عيد النحر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الألوية المصرية ، فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب ، وأقام بالعراق إلى ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

واشتمغل السلطان طغرل بك في هذا لمدّة بأمر أخيه إبراهيم حتى ظفر به وقتله ، ومات أخوه داود بخراسان فاحتاج طغرل بك إلى المقام حتى قرّر القواعد بعده لئلا يرسلان ابن أخيه داود (٤) ثم عاد إلى العراق

(١) هو أمير العرب محي الدين أبو الحارث مهارش بن الجهل العقيلي صاحب المدينة وعانة (شذرات الذهب : ٣ : ٢٨٨)

(٢) حديثه عانة . لعلمها حديثه الفرات التي تعرف بحديثه النورة وتقع دون الأنبار ، وهناك بلدة مشهورة بين الرقة وهيت تسمى عانة وتمتد من أعمال الجزيرة ، بل هي مشرفة على الفرات قرب حديثه النورة (راجع معجم البلدان ٢ : ٢٣٠)

(٣) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٥

(٤) هو داود جنرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وقد مات سنة ٤٥٠ (انظر سلسلة النسب السلجوقية في راحة الصلور صفحة ١٤٣ وكذلك صفحة ١٦٥)

ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله الى بغداد

وخروج البساسيري منها وقتله

١١٥ - ب / قال : (١) ولما فرغ السلطان طغرلبك من أخيه إبراهيم ينال وقتله ، وقتل ابنه معه - وكان قد خرج عليه مرارا فعفا عنه ، وإنما قتله في هذه الواقعة لأنه علم أن الذي جرى على الخليفة كان بسببه فلماذا لم يعف عنه - عاد إلى العراق وليس له هم إلا إعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى داره . فأرسل إلى البساسيري وقريش لإعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكوة ، فلم يجب البساسيري إلى ذلك ، فرحل طغرلبك إلى العراق ، فلما وصلت مقدمته إلى قصر شيرين خرج حرم البساسيري وأولاده ، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر .

وكان دخول البساسيري بغداد في سادس ذي القعدة سنة خمسين وأربعمائة ، وخروجه منها في سادس ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ووصل طغرلبك إلى بغداد وقد أرسل من الطريق الإمام أبا بكر أحمد المعروف بابن فورك (٢) إلى قريش ابن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه وصيانتته ابنة أخيه امرأة الخليفة ، ويعرفه أنه أرسل أبا بكر بن فورك لإحضارهما . ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل إلى مهارش يقول له : / « إنا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك لينكشف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك ،

١١٦ - ا

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٥ .

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب .

فارحل بأهلك إلى البرية فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا في البرية لم يقصدوا العراق ونتحکم عليهم بما نريد ، فقال مهارش : « إن الخليفة قد استحلقتني بعهودٍ لا أخلص منها » .

وسار مهارش ومعه الخليفة في حادى عشر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين إلى العراق فوافيا ابن فورك في الطريق ، وأرسل إليه طغرلبيك الخيام العظيمة والسراقات والخيل بمراكب الذهب وغير ذلك من التحف فلقوه .

ووصل الخليفة إلى النهروان في الرابع والعشرين من ذى القعدة ، وخرج السلطان إلى خدمته وقبل الأرض بين يديه وهنأه بالسلامة واعتذر من تأخره . فشكر له ذلك وقلده سيفاً وقال : لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك أمير المؤمنين به !

قال : (١) ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبد الله بن الدامغانى وثلاثة نفر من الشهود . وتقدم السلطان في المسير ووصل إلى بغداد ، وجلس إلى الباب النوى مكان الحاجب ، ووصل القائم بأمر الله فقام طغرلبيك وأخذ بلجام بغلته / حتى صار إلى حجرته . وكان وصوله يوم الإثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، وكانت السنة مجدية ، ولم ير الناس فيها مطراً فجاء المطر في تلك الليلة (٢) .

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) راجع راحة الصدور ١٧٥ وما بعدها ثم ما كتبه براون في

قال (١) : ولما استقرَّ الخليفة القائم بأمر الله أنفذ السلطان جيشا عليهم خمار تكوين الطُّغرائي في أَلْفَى فارس نحو الكوفة ، وسار في أثرهم فلم يشعر دُبَيْسُ والبساسيري إلا والمُسرِّية قد وصلت إليهم في ثامن ذي الحجة من طريق الكوفة ، فجعل أصحاب دُبَيْس ابن مزيد يرتحلون بأهليهم فيتبعهم الأتراك فيتقدم دُبَيْس ليردَّ العربَ إلى القتال فلا يرجعون ! فمضى ، ووقف البساسيري وقاتل فسقط عن فرسه ووقع في وجهه ضربة ، ودلَّ عليه بعضُ الجرَّحَى فأخذه كمشتكين ، وأتى عميد الملك الكندري^(٢) وزير السلطان وقتله ، وحمل رأسه إلى السلطان فأمر بحمله إلى دار الخليفة ، فطيف به على قنائة في نصف ذي الحجة ، ومضى ، ومضى نور الدولة دُبَيْس إلى البطيحة .

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة رتب الخليفةُ أبا تراب الأثيري في الأنهار وحضور المواكب ولقبه حاجب الحُجَّاب ، واستوزر أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست ، بعد أن شرط على نفسه أن يخدم بغير إقطاع / ويحمل مالا .

١١٧ - ١

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة عقد السلطان طغرلبيك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وحمل مائة ألف دينار ، ولم يقع مثل هذا فيما تقدّم ، وامتنع الخليفة من ذلك ثم أجاب إليه .

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٨٦ .

(٢) في ١ ، ك ٦٨ ، ف ٦٦ - ب « كشتكين دواني » وكشتكين هذا هو الأتابك كشتكين جاندار قائد جيش بركيارق (راحة الصلور ١٧ ، ٢١٨) الذي سيأت ذكره

وفي هذه السنة عُزِلَ ابن دارست عن الوزارة ووليها أبو نصر
ابن جهير .

وفيها عمَّ الرخصُ جميع الأصقاع ، قبيح بالبصرة ألف رطلٍ
من الثمر بثمانية قراريط (١) .

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة وصل السلطان بائنة الخليفة
في شهر المحرم ، وسار من بغداد في شهر ربيع الأول إلى الرمي فمرض بها
وتوفى لثمان خلون من شهر رمضان . .

وفيها ملك ألب أرسلان بعد عمه طغرل بك (٢) .

وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة عادت ابنة الخليفة زوجة
السلطان طغرل بك وسيّر السلطان في خدمتها الأمير إيتكين السلجوقي
وجعله شحنة (٣) على بغداد وسأل ألب أرسلان أن يُخطب له
ببغداد واقترح أن يخاطب بالولد المؤيد فأجيب إلى ذلك ، ولُقِّب
ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوساعاما وشافه (٤) الرسل
بتقديم ألب أرسلان في السلطنة وسيّر إليه الخلع .

(١) في هذه السنة توفى المزمع بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي ،
وكان سلطان افريقية وما والاها من الغرب (راجع النجوم الزاهرة ٥ : ٧١) وإنما ذكرنا
ذلك لوروده علينا قبل .

(٢) في راحة الصدور ١٨٥ السلطان الأعظم عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان
محمد برهان أمير المؤمنين .

(٣) بلا نقط في أوهمي في ك صفحة ٣٨ « سجنه » وما هنا عن ف ٦٧ - ب لفظه ليست
في القواميس العربية المتداولة ، وهي عند Supp. Dict. or Dozzy رئاسة الشرطة ونقول
« الشحنة » بمعنى وظيفة الشحنة .

(٤) كذا في كل النسخ ، واللفظ عربي بمعنى نظره ، وساقه ابن الأثير في الكامل

١١٧- ب

وفيها / في شهر ربيع الأول ظهر ببغداد والعراق وخوزستان وكثير من البلاد أن جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خِيَمًا سُودًا ، وسمعوا فيها لَطْمًا شديدًا وسمعوا فيها قائلًا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن و أيُّ بلدٍ لم يلطم أهله عليه [ويعملون له الماتم قلع أصله وأهلك أهله ! فخرج كثيرٌ من النساء في البلاد إلى المقابر يلطن وينحن وينشرن شعورهن ، وخرج رجالٌ من سفلة الناس يفعلون ذلك .

قال ابن الأثير ^(٤) : وقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها إلى العراق وغيره أن الناس في سنة ستمائة أصابهم وجعٌ كثير في حُلوقهم ومات منه كثيرٌ من الناس فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وأن كلَّ من لا يعمل له مأتما أصابه هذا المرض ! فكثر فعل ذلك ، وكانوا يقولون :

يا أمَّ عنقودِ اعذرينا - قد مات عنقود وما درينا

وكان النساء يلطن وكذلك الأوباش !

وفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد ، وكمُت عمارتها في ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة . وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في العشر الأوسط من جمادى ظهر كوكبٌ كبير له ذوابةٌ / طويلة ممتدة إلى وسط السماء عرضها نحو ثلاثة أذرع في رأى العين وهو بناحية المشرق ، وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب .

١١٨- ا

(١) في الكامل ٨ : ١٠٠ والمعروف أنه مات حول سنة ٦٣٠ .

وفيهما في جُمادى الآخرة كان بخراسان والجبال زلزلة عظيمة
بقيت تتردد أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقًا كثيرًا ،
وانخسفت منها عدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء .
وفيهما وُلِدَتْ صَبِيَّةٌ بِيَابِ الْأَزْجِ لَهَا رَأْسَانِ وَرَقَبَتَانِ وَوَجْهَانِ
وَأَرْبَعُ أَيْدٍ عَلَى بَدَنِ وَاحِدٍ (١) .

وفي سنة تسع وخمسين وأربعمائة في ذى القعدة قُبِلَ الصُّلَيْحِيُّ
صاحب اليمن (٢) وخطب بها للدولة العباسية .

وفي سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلة عظيمة بمصر وفلسطين
خربت الرملة ، وطلع الماء من رعوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة
وعشرون ألف نسمة ، وانشقت صخرة البيت المقدس ثم عادت
بإذن الله تعالى ، وانحسر البحر عن الساحل مسيرة يوم فنزل الناس
إلى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقًا كثيرًا .

وفيهما عزل فخر الدولة بن جهير عن الوزارة ثم أعيد في سنة إحدى
وستين بشفاعة نور الدولة دُبَيْسِ بْنِ مَزِيدٍ فمدحه أبو الفضل فقال :

أ / قد رَجَعَ الحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ دُونِ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ (٣)
ما كنت إلا السيفَ سلَّته يَدٌ ثم أعادته إلى قِرابه

(١) سبق هذا الخبر وما قبله عن ابن الجوزي في البداية والنهاية ١٢ : ٩٣ .

(٢) يعتبر الصليحي واحداً من الذين حكموا بسداد، وكان طموحاً ففزا مكة عام ٤٥٥
ورفع جور من تقدمه فيها فأمن الحجاج في عهده وكسا البيت بالحرير الصيني الأبيض وابتاع
خليه التي سلها بنو حسن وردها إليه . ويقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥ : ٥٨
إنه في سنة ٤٤٧ «استولى أبو كامل على بن محمد الصليحي على اليمن وانتمى إلى المنتصر صاحب
مصر» .

(٣) في الكامل ٨ : ١٠٧ « وأنت من كل الورى أولى به » .

وهي قصيدة طويلة .

وفيهما في شعبان احترق جامع دمشق ، وكان سبب ذلك أنه وقع بين المغاربة والمشاركة حربٌ فاحرقوا داراً مجاورة للجامع فانصل الحريق بالجامع ، فدثرت محابسه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وفي سنة اثنتين وستين ورد رسولُ صاحب مكة محمد بن أبي داهم بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان بمكة وإسقاط خطبة صاحب مصر وترك الأذان بـ « حتى على خير العمل » فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخملاً نفيسة وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وخطب محمود بن صالح بن مرداس صاحب حلب لهما أيضاً في سنة ثلاث وستين على ما نشرحه في أخبار الدولة السلجوقية فقال أبو عبد الله بن عطية بمدح الخليفة :
 كم طائع لك لم تجلب عليه ولم تعرف لطاعته غير التقي سببا
 هذا البشيرُ بإذعان الحجاز وذا داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا
 وفيها خرج أرمانوس ملك الروم في مائتي ألف إلى / خِلاط. (١) وأسير على ما نذكره - إن شاء الله - في أيام ألب أرسلان .

١١٩ - ١

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة عزل إيتكين السلجوقي من شحنة كية بغداد واستعمل عليها سعد الدولة كوهرايين (٢) ، وكان سبب

(١) يقرر ابن الأثير في الكامل ٩ ؛ ١٠٩ أنه وصل إلى ملازكر من أعمال خلاط وكان معه جند من الروس هزمهم ألب أرسلان وأسر مقدمهم ، ثم أسر ملك الروم نفسه (راجع أيضا راحة الصلور ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٢) في كل النسخ « كوهرايين » وما هنا من راحة الصلور ١٨٩ .

عزل السلجوقي أنه كان قد سار إلى السلطان ألب أرسلان واستخلف ابنه شحنة بغداد فقتل أحد مماليك الداربية فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان ووقع الخطاب في عزله ، فورد إلى بغداد في ربيع الأول من هذه السنة وقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياماً فلم يُجَبَّ إلى ذلك ، وكان نظام الملك يعتنى بالسلجوقي فأضأف إلى إقطاعه تكريت ، فكتب إليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها . فلما رأى السلطان ونظامُ الملك إصرارَ الخليفة على الغضبِ على السلجوقي عزلاه ، وسيراً سعدَ الدولة إليها (١) ، فتلقاها الناس وجلس له الخليفة .

وفي سنة خمس وستين وأربعمائة قتل السلطان ألب أرسلان وملك بعده ابنه السلطان ملكشاه . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس قدسه الله ...

ذكر غرق بغداد

وفي سنة ست وستين وأربعمائة غرق الجانب الشرقي / وبعض الغربي من بغداد ، وسبب ذلك أن دجلة زادت زيادة عظيمة وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة ، وجاء الماء إلى المنازل ونبع من البلايع والآبار بالجانب الشرقي ، وهلك خلق كثير تحت الهدم (٢) ، وشدت الزواريق تحت التاج خوفاً الغرق . وقام

(١) يخطئه التويري دائماً في استعمال الضمائر ، ولكنه هنا قصد بغداد .

(٢) من طريق ما يحكى ما يرويه ابن الأثير من أن الناس شكوا إلى أولي الأمر كثرة المجون وزيادة المواخير ، فلم يفعلوا شيئاً حتى كان الفرق فكان تلبية إلهية لشكواهم (الكامل ٨ : ١١٩) .

الخليفة يتضرّع ويصلى وعليه البردة ويبيده القضيب ، وخرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد بن حنبل ومشهد باب التنين وتهدم سورده ، ودخل الماء من شبابيك البيارستان العضدي .

ذكر وفاة القائم بأمر الله

وشيء من سيرته

كانت وفاته في ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان سبب وفاته أنه كان قد أصابه مأسر فافتصد^(١) ونام ، فانتفخ فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر ، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته . فأيقن بالموت وأحضر ولي عهده ووصاه وأحضر نقيب العباسيين ونقيب الطالبيين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه / أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم ولي عهده .

١٢٠-١

ولما توفى غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي ، وصلى عليه المقتدي بأمر الله . ومات وله من العمر ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر إلا أياما . وقيل كان مولده في ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام .

وكان جميلا أبيض مشربا بحمرة ، حسن الوجه والجسم ، ورعا دينيا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى ، وله عناية بالأدب ومعرفة

(١) في البداية والنهاية ١٢ : ١١٠ أنه افتصد من بواسير كانت تتأده .

حسنةً بالكتابة ، ولم يكن يرضى [عن] أكثر ما يكتب من الديوان
ويُصلح أشياء منه . وكان مؤثرا للعدل والاحسان ، مريداً لقضاء
حوائج الناس ؛ لا يرى أن يمنع ما يطلب منه ، حكى عن محمد بن علي
ابن عامر الوكيل قال : « دخلت يوماً إلى المخزن فلم يبقَ أحدٌ إلا
وأعطاني قصةً فامتلاتُ أكماى فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخي
لأعرض عن هذه كلها فالتقيتها في البركة والقائم ينظر ولا أشعر ،
فلما دخلت عليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت
ووقف عليها ، ووقع بأغراض أصحابها ثم قال لي : يا عاي^(١) ما حملك
على هذا ؟ فقلت : خوف الضجر منها ! فقال : لا تعود إلى مثلها فإننا
ما / أعطيناهم من أموالنا شيئاً .

١٢٠ - ب

١٤٠ يَحْكِي مِنْ جُمْلَةِ كَرَمِهِ أَنْ أَحَدَ السُّلَاطِينِ فِي أَيَّامِهِ سَأَلَهُ
أَنْ يَتَقَدَّمَ بِاعْتِقَالِ وَزَرَانِهِ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ امْتَوَكَّوْا عَلَى أَمْوَالِهِ فَخَرَجَ
تَوْقِيْعَهُ « لَيْسَتْ دَارُنَا دَارَ حَيْبٍ وَسَجْنٍ بَلْ هِيَ دَارُ طَمَأْنِينَةٍ
وَأَمْنٍ » وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ رَائِقٌ فَمِنْهُ قَوْلُهُ :

قَالُوا : الرَّحِيْلُ ، فَأَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا

فِي خَدِّهَا وَقَدْ اعْتَلَقْنَ خِضَابَا

وَاخْضَرَّتْ تَحْتَ بِنَانِهَا فَكَأَنَّهَا

غَرَسَتْ بِأَرْضٍ بِنَفْسِجٍ عِنَابَا

وَفِي أَيَّامِهِ أَسْلَمَ مِنْ كِفَارِ الْأَثْرَاكِ أَلْفَ خِرْكَاهٍ وَضَمَّحُوا بِثَلَاثِينَ

أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ الْغَنَمِ وَقِيلَ : أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) في كل نسخ « يا عاي » أو « يا عاي » وما هنا عن الكامل .

ولم يخلف ولداً لأن ابنه ذخيرة الدين ثوفي في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وعمره خمس عشرة سنة .

وزرلوه وكتابه : كتب له عميد الرؤساء أبو طالب محمد بن أيوب ، ثم رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن بن مسلمة - وزر له ولقبه بهذا اللقب وبجمال الوري - ووزر له بعده أبو الفتح منصور ابن أحمد بن دارست ، ثم فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد ابن جهمير . قضاته : قاضي القضاة أبو عبد الله الحسن بن علي بن ماكولا البصرى إلى أن مات ، فولى أبا عبد الله محمد بن علي الدماغاني شيخ أصحاب أبي حنيفة . / حجابيه : أبو منصور بن بكران ثم أبو عبد الله الحسن بن علي المرדوسى (١) .

١-٢٢١

ذكر خلافة المقتدى بأمر الله

دو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن القائم بأمر الله ، وأمه أم ولد اسمها أرجوان وقيل شراب ، وتدعى قررة العين . وهو الخليفة السابع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بويح له بعد وفاة جده القائم بأمر الله في يوم وفاته وهو يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة . وكان القائم جده قد عهد له كما ذكرنا ، فلما مات القائم حضر مؤيد

(١) يذكره البيهقي في تاريخه ٣١٥ ، ٣٦٤ « الأستاذ أبو عبيد الله الحسين بن ميكائيل » و« الحوارة عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل » وفي هامش راحة الضلوع ١٥٩ « أبو عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل » يقول عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١١ : ١٢٧ « أبو عبيد الله المردوسى كان رئيس أهل زمانه ، وكانت الملوك تمظله وتكاتبه .

الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة [والشيخ أبو اسحاق وأبو نصر الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب العمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الأعيان والأتابكة فبايعوه ، وكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر محمد بن أبى موسى الهاشمى بعد فراغه من غسل القائم وأنشد :

إذا سيّد منا مَضَى قام سيّد

وأرتج عليه فقال المقتدى :

/ قدّول بما قال الكرام فعول .

١٢١ ب

ولما فرغوا من البيعة صلى المقتدى بأمر الله بهم العصر .

ذكر الحوادث فى أيام المقتدى

فى ذى القعدة ملك الأقيسيس دمشق وخطب بها للمقتدى بأمر الله ، وكان آخر من خطب بها للمصريين (١) .

وفىها ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج من الروم .
وفىها قدم سعد الدولة بن كوهرايين شحنة إلى بغداد من قبيل السلطان ملكشاه ومعه العميد أبو نصر ناظرا على أعمال بغداد .

وفى سنة تسع وستين وأبعمائة قدم أبو نصر ابن الأستاذ أبى القاسم القشيري حاجا ، وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس ، وفىه رباط شيخ الشيوخ ، وجرى له مع الحنابلة فتن لأنه كلّم على مذهب

(١) ويروى ابن الأثير أنه طبع فى مصر سنة تسع وستين وأربعمائة وحاصرها فعلا ولكنه انهزم هزيمة شنيعة بغير قتال (الكامل ٨ : ١٢٣) .

الأشعري ونَصَرَد . وكثُر أتباعُهُ والمتعصبون له ، فثار الحنابلةُ
ومن تَبِعَهُم من سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعةً من المتعصبين
للشعري كالشيخ أبي إسحاق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان ،
فَجَرَى بين الطائفتين أمورٌ عظيمة . فنسب أصحاب /نظام الملك
ذلك إلى الوزير فخر الدولة بن جُهير وكتب أبو الحسين محمد
ابن علي بن أبي القصر الواسطي الفقيه الشافعي إلى نظام الملك :

١٢٢-١

يا نظامَ المُلْكِ قد حلَّ ببغداد النِّظامُ
وابنك القاطنُ فيها مبتلانٌ مستضامٌ^(١)
وبها أودى له قتلُ غلامٍ فغلامٌ
والذي منهم تَبَقَّى سالماً فيه سهامٌ
ياقوامَ الدينِ لم يبقَ ببغدادَ قوامٌ
عَظُم الخُطبُ فَلَاحَربِ اتِّصالٌ ودوامٌ
فمَنى لم يُحَسِّمِ الدَّاءَ بأيديك الحسامُ^(٢)
ويكفُّ القومَ في بغدادَ قتلٌ وانتقامٌ
فَعَلَى مدرسةٍ فيها وَمَنْ فيها السلامُ
واعتصامٌ بحريمٍ لك من بَعْدُ حرامٌ

فلما اتَّصل ذلك بنظام الملك عَظُمَ عليه فأعاد سعد الدولة كوهراًيين
شحنةً إلى العراق في سنة إحدى وسبعين ، وحمله رسالةً إلى الخليفة

(١) في الكامل ٨ : ١٢٨ بصحيف « وبق القاطن فيها مستهان مستضام » .

(٢) في الكامل « فمَنى لم تحسم الداء أياديك الحسام » وفيه تصحيف .

تتضمن الشكوى من بنى جُهَيْر ويسأل عزّل فخر الدولة عن الوزارة، فلما وصل إلى بغداد وأبلغ الخليفة الرسالة أمر فخر الدولة بلزوم داره واستوزر بعده أبا شجاع محمد بن الحسين ! / قال: (١) ولما بلغ ابن جُهَيْر تغيير نظام الملك عليه أرسل ابنه عميد الدولة إليه يستعطفه، فسار إليه قبل وصول كوهر آيين إلى بغداد، ولم يزل يستعطفه حتى عاد إلى ما ألفه منه وزوجه بابنته. فعاد إلى بغداد فلم يرّد الخليفة أباه إلى الوزارة وأمرهما بملازمة منازلهما فأرسل نظام الملك إلى الخليفة في إعادة بنى جُهَيْر إلى الوزارة فأعيد عميد الدولة إليها وأذن لأبيه فخر الدولة بفتح بابه، وذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان دمشق على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة السلجوقية .

وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة في شوال توفي نور الدولة أبو الأغرّ دُبَيْس بن علي بن مزيد الأسدي، وولى بعده أبو كامل منصور ولقب بهاء الدولة .

وفيها أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة إلى السلطان ملكشاه بأصبهان يخطب ابنته للخليفة فسار إليه وخطبها، فتقررت القاعدة على أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأن لا يبقى الخليفة سرولا زوجة غيرها فأجيب إلى ذلك .

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

١- ١٢٣

وفي سنة خمس وسبعين كانت الفتنة بين الطائفتين ، وسببها أنه ورد إلى بغداد الشريف أبو القاسم البكري المقرئ الواعظ وكان أشعري المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأجبه ومال إليه وسيره إلى بغداد ، وأجرى عليه الجراية الوفرة . وكان يعظ بالمدرسة النظامية ، ويذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول « وما كفر سليمان ولكن الشاطين كفروا » (١) وما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ثم قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني فجرى بينه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة . وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم ومنها كتاب الصفات لأبي يعلى فكان يقرأه بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ ، وشنع عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن . واقب البكري من الديوان بعلم السنة ، ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري رحمهما الله تعالى .

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق برسالة الخليفة

١٢٣- ب

إلى السلطان ملكشاه

وفي ذى الحجة سنة خمس وسبعين وأربعمائة أرسل الخليفة مقتدى الشيخ أبا إسحاق الشيرازي برسالة إلى السلطان تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق ، وأمره أن ينهى إليه وإلى نظام الملك ما يجري على أهل البلاد من النظر . فسار الشيخ ، فكان الشيخ كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون

(١) سورة البقرة (٢) الآية ١٠٢

من تراب بغلته للتبرك . وكان في صُحْبَتِهِ جماعةً من أعيان أصحابِهِ فلما وصل إلى ساوة خرج إليه جميع أهلها وسأله كلُّ من فقهاها أن يدخل بيته فلم يفعل . ولقبيهُ أربابُ الصناعات ومعهم ما ينشرونه على محفته ، فخرج الخبازون ينشرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا ، وكذلك أصحاب الفاكهة والحلوى وغيرهم ، وخرج إليه الأساكفة وقد عملوا مداسات لطافاً تصلح لأرجل الأطفال ونشروها فكانت تسقط على رؤوس النَّارِ فكان الشيخ يتمعجب ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه ويقول : ما كان حظكم من ذلك النثار؟ فقال بعضهم : ما كان حظ سيدنا منه ! فقال الشيخ : أما أنا فتغطيت بالمحفة ! يقول ذلك وهو يضحك .

قال (١) : ولما وصل الشيخ إلى السلطان وإلى نظام الملك أكرماه ، وأجيب إلى جميع ما التمسه من الخليفة . ولما عاد أهين عميد العراق ، ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة . وفيها قدم مؤيد الملك بن نظام الملك إلى بغداد من أصفهان ونزل بالمدرسة النظامية ، وضرب على بابهِ الطبول في أوقات الصلوات الخمس ، فأعطى مالا جزيلاً حتى قَطَعَ ذلك ، فأرسل الطبول إلى تكريت والله تعالى أعلم .

ذكر عزل عميد الدولة عن الوزارة

وميسر والده إلى ديار بكر

وفي سنةٍ مِثِّتٍ وسبعين وأربعمائة في صفر عزل عميد الدولة فخر الدولة بن جهير عن الوزارة، ووصل في يوم عزله له رسول

من السلطان ومن نظام الملك إلى الخليفة يطلبان [معه] أن يرسل إليهما بنى جهير فأذن لهم فصاروا بجميع أهلهم ونمائهم ، فصادفوا من السلطان ومن نظام الملك الإكرام والاحترام ، وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات (١) وسير معه العساكر وأمره أن يأخذها من بنى مروان ، وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة ، فصار إليها .

قال (٢) : ولما فارق بنو جهير بغداد رتب الديوان أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزله في السنة وولى أبا شجاع محمد ابن الحسين وخلع عليه خلع الوزراء (٣) .

وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة استولى عميد الدولة على الموصل . وفيها فتح سليمان بن قُتَيْبِش السُلْجُقى صاحب الروم أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة .

وفي شهر صفر انقض كوكب من الشرق إلى الغرب كان حجمه وضوؤه كالقمر ، وسار مدي بعيداً على مهل في نحو ساعة .

وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة استولى القَرَنْجُ على مدينة طَلَيْطَلَة وأخذوها من المسلمين على ما ذكره - إن شاء الله تعالى - في أخبار الأندلس (٤) .

(١) الكوسات : الطبول فارسية ، أنظر . Lane (E.W.) : an arabic English Bock I.

Part 7. Dozy : Supplement Dic ar. 2 : 498.

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٢٣

(٣) ولقبه ظهير الدين (البداية والنهاية ١٢ : ١٢٤) .

(٤) سيرد ذلك في هذا الجزء في القسم الخاص بالأندلس .

وفيها في شهر ربيع الأول هاجت ريحٌ عظيمةٌ سوداء بعد العشاء ، وكثر الرعدُ والبرق وسقط على الأرض رملٌ أحمرٌ وترابٌ كثيرٌ ، وكانت النيران تضطرم في أطراف السماء ، وكان أكثر ذلك بالعراق والموصل ، فألقت النخل ، وسقط معها صواعق في كثير من البلاد ثم انجلى ذلك نصف الليل .

وفيها في شهر ربيع الأول توفي أبو المهالي عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجويني إمام الحرمين ، ومولده سنة سبع عشرة وأربعمائة (١) .

وفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة ملك السلطان ملكشاه مدينة حلب واللاذقية وكفر طاب وأفامية (٢) .

وفيها في شهر ربيع الأول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دُبَيْس بن علي بن مزيد الأسدی صاحب الحلة والنيل (٣) وولي ابنه سيف الدولة صدقة .

وفيها أسقط اسم العلوي صاحب مصر من الحرمین الشريفین وذكر اسم الخليفة المقتدى بأمر الله .

وفيها أسقطت المكوس من العراق .

وفي سنة ثمانين وأربعمائة في المحرم زُفَّت ابنة السلطنة نملكشاه إلى الخليفة ، ونُقل جهازها على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج

(١) الجويني : ينسب إلى جوين من قرى نيسابور ، وقد ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ كما ترجم لأبيه إمام الشافعية ١٢ : ٥٥ .

(٢) انظر هنا راحة الصلور ٢٠٢ وما بعدها .

(٣) يقول عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ : ١٣٠ كان أديبا ويروي له شعرا .

الروى ، وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة ، وثلاث عماريات ، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدُها من الذهب ، وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة فيها من الجواهر والحلى مالا تُقدَّر قيمته ، وأمام البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيول السوابق عليها مراكبُ الذهب . وسار أمام الجهاز سعدُ الدولة والأمير برسق وغيرهما ، وكانت ليلة مشهورة ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لِيَسْمَاطِ أمر بعمله حكى أنه عمل فيه أربعون ألف من من السكر . وخلع الخليفة على جميع أمراء السلطان ومن له ذكْرٌ في العسكر ، وأرسل الخلع إلى جميع الخواتين . وولدت في هذه السنة من الخليفة ولداً وهو أبو الفضل جعفر .

١٢٥ ب / وفي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة في شهر ربيع الآخر أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته من حريم دار الخلافة ، وكان سبب ذلك أن تركياً منهم اشترى فاكهة من طواف فتكالموا فشتمه الطواف فضربه التركي فشجّه ، فاجتمعت العامةُ وشنعوا واستغاثوا ، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك فأجرخوا على أقبح صورة .

وفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أرسل السلطان ملكشاه إلى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا يُبد منه ، وسبب ذلك أنها كانت قد أرسلت إليه تشكو من اطراح الخليفة لها وإعراضه عنها فأذن لها في السير ، فسارت في شهر ربيع الأول ومعها ابنتها من الخليفة فوصلت إلى أصفهان فأقامت إلى ذى القعدة وتوفيت .

وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة في شهر ربيع الأول عُزل الوزير أبو شجاع ، وكان عزله في يوم الخميس فقال :

تولاها وليس له عَدُوٌّ وفارقَهَا وليس له صديق

فلما كان من الغد يومَ الجمعة خَرَجَ من دارِهِ إلى الجامع ماشيا فاجتمع عليه خلق كثير ، فأمر أن لا يخرج من بيته ، واستنصب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الإنشاء وأرسل الخليفةُ إلى السلطان يستدعي منه عميد الدولة بن جُهير يستوزره ، فسيرُ إليه فاستوزره / في ذي الحجة من السنة .

١-١٢٦

وفيها ملك الفرنج جزيرةً صِقليةً .

وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثيرٍ من البلاد زلازلٌ ، ففارق النَّاسُ مساكنَهُم وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن والدور ، وهلك تحتها خلق كثير ، وخُرَّب من بروجها تسعون برجًا .

وفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة قُتِلَ نظام الملك في عشر شهر رمضان .

وفيها توفي السلطان ملاكشاه وملك بَعْدَهُ ابنه محمود .

وفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة خطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه ببغداد في يوم الجمعة رابع المحرم (١) .

(١) في كل النسخ « بركيازوق » وماها هنا عن راحة الصدور ٢١٤ ، ويقول الراوندي فيه إنه تولى سنة ست وثمانين وأربعمائة .

ذكر وفاة المقتدى بأمر الله

وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة فجأة ، وكان قد أخضر إليه تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ثم قدم إليه الطعام فأكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها : ما هذه الأشخاص التي قد دخلت علي بغير إذن - قالت - فالتفت فلم أر شيئاً فرأيته قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه / وانحطت قوته فسقط إلى الأرض ، فظننتها غشية لحقته ، فحللت أزرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ، فتماسكت وقلت لجارية عندي : ليس هذا وقت إظهار الجزع والبكاء ! وأحضرت الوزير وأعلمته الحال فشرعوا في البيعة لولي العهد ، وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودُفن .

١٢٦-ب

وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، وخلافته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر ويومين ، وكان عظيم المهمة شديد العزيمة ، ولم يكن له أعوان على ذلك تذب عنه بل كانت له دعوة مجابة ، وكانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق . وعظمت الخلافة فيها أكثر من كان قبله ، وعمر ببغداد عدة محال في خلافته منها البصلية والقطيعية والحلبية والمعيدية والأجمة ودرب القبار وخرانة الهراس والخاتونتين .

قال (١) : وأمر ينفي المغنيات والمفسدات من بغداد ، وأمر

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٧٠ .

ببيع دورهن ومنع دخول الحمام إلا بمئزر، وقلع الهراي والأبراج التي للطيور، ومنع من اللعب بها لأجل الاطلاع على حرم الناس، ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وأنزم أربابها بحضر آبار للمياه، ومنع الملاحين / من حمل النساء والرجال مجتمعين .

١٢٧ - ١

وزر له : من ذكرناهم . قضاته : أبو عبد الله الداماني إلى أن مات ، ثم أبو بكر محمد بن المظفر الشامي الشافعي . حجابيه : أبو عبد الله ابن دوشتي (٢) ثم أبو منصور بن محمد محمد .

ذكر خلافة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن القائم بأمر الله ، وهو الخليفة الثامن والعشرون من الخلفاء العباسيين قال (١) : ولما مات المقتدي بأمر الله أخضر ولده المستظهر بالله وأُعْلِمَ بموته فبايعه الوزير ، وركب إلى السلطان بركيارق فأعلمه الحال ، وأخذَ بَيْعَتَهُ للمستظهر بالله . فلما كان في اليوم الثالث من وفاة المقتدي أظهر موته ، وحضر عزُّ المُلْكِ بن نظام الملك وزير بركيارق ، وأمر السلطان جميع أرباب المناصب بالجلوس للعرزاء والبيعة للمستظهر بالله . فبويع له البيعة العامة في السادس عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وله من العمر ستة عشر سنة وشهران .

(١) كذا في ١ ، ك ٧٤ ، ف ٧١ - ب فلعله هكذا ولعله « ابن دوست » كأحمد بن محمد بن دوست صاحب الرباط المشهور (انظر شذرات الذهب ٣ : ٣٦٣) وقد سبق أن وقفنا عند اسمه في حوادث سنة ٤٦٧ .
(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٧٠ .

ذكر الحوادث في أيام المستظهر بالله

١٢٧ - ب

في سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة كان بين الملوك السلاجقة وبين بعضهم حروب كثيرة نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبارهم (١) .

وفيهما شرع الخليفة في عمل سورٍ على الحرير ، وأمر الوزير عميد الملك بالجِدِّ في عمارته .

وفيهما في شهر ربيع الأول خُطِبَ لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله .

وفي سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة اجتمع ستةٌ كواكبٍ في برج الحوت ، وهي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفانٍ يكون في الناس ، وأحضر الخليفة ابن عسّون المنجم فسأله فقال : إن في طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع منها فيه ستة وليس فيها زحل ، فلو كان فيها لكان مثل طوفان نوح ، ولكن أقول إن مدينة أوبقعة من الأرض يجتمع فيها عالمٌ كثير من بلادٍ كثيرة فيغرقون ، فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها ! فأحكمت المواضع التي يُخشى منها الانفجار والغرق . واتفق أن الحجاج نزلوا في المناقب (٢) فاتاهم سيل عظيم فمأغرق أكثرهم ، ونجا من تعلق بالجبال ،

(١) في هذه السنة يقول ابن الأثير: إن شاهلك توجه إلى مصر ثم رحل عنها إلى المغرب وفيها قتل تتش بن ألب أرسلان بعد هزيمة بركيارق (الكامل ٨ : ١٧٤ ، ١٧٥)
وي سجل الراوندي هذه الواقعة ويمقها بوقائع أخرى في راحة الصدور ٢١٩ وما بعدها .

(٢) في اوفى ك ٧٥ « المناقب » وما هنا عن ف ٧٣ موافقا لما جاء في البداية والنهاية

وذهب المال والدواب والأزواد وغير ذلك ، فخلع الخليفة على المنجم !

وفي سنة تسعين وأربعمائة كان ابتداء الدولة الخوارزمية/ وفيها ١٢٨ - ١
خطب الملك رضوان بولايته بالشام للمستعلى صاحب مصر^(١) ، ثم
رجع عن ذلك وأعاد الخطبة للدولة العباسية^(٢) .

وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة كان ابتداء استيلاء الفرنج
على بلاد السواحل الشامية ، وملكوا مدينة أنطاكية ومعرة النعمان
وبيت المقدس ، وغير ذلك على ما ذكره في أخبار العلويين ملوك
مصر ، فإن أكثر ذلك كان في ولايتهم .

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمين
أبي المعالي الجويني بنيسابور - وكان خطيبها - فاتهم العامة أبا البركات
الشعبي أنه هو الذي سعى في قتله ، فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه .

وفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة في شهر رمضان عزل عميد
الدولة من وزارة الخلافة ونُحِذَ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار ،
وتوفي في سادس عشر شوال .

وفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج مدينة سروج
من ديار الجزيرة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، ونهبوا أموالهم وسبوا
حريمهم ، ولم يسلم إلا من انهزم ، وملكوا مدينة حيفا وهي بقرب

(١) راجع الكامل ٨ : ١٨٤ وأما رضوان المذكور فهو ابن تاج الدولة تش بن
أب أرسلان السلجوق ومنه أخذت الفرنج أنطاكية .
(٢) قيل في سبب إعادة الخطبة للعباسيين أن سقمان بن أرتق التركاني وباغيسيان صاحب
أنطاكية زارا الملك رضوان وأنكرا عليه دعوته للمصريين فرجع .

١٢٨- ب عكا ، وملكوا أرسوف بالأمان وأخرجوا منها أهلها / ، وملكوا قيسارية
بالسيف وقتلوا أهلها (١) .

وفيها تقدم أمر الخليفة للمستظهر بالله بفتح جامع القصر
وأن يصل في التراويح ولم تجر بذلك عادة ، وأمر الخليفة بالجهر
بالبسملة وبالفتوات على مذهب الإمام الشافعي .

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة في شهر رمضان استوزر
الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق ولقبه عضد الدولة .
وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحطة بالجامعين
وسكنها [وإنما كان يسكن هو وآبائوه في البيوت العربية] (٢)

وفي سنة ست وتسعين وأربعمائة في منتصف شهر رجب قبض على
الوزير سديد الملك وحبس بدار الخليفة ، وأعيد أمين الدولة أبو سعيد
ابن موصلايا إلى الوزارة ، ثم استوزر في شعبان زعيم الرؤساء أبا القاسم
ابن جهمير واستقدمه من الحلة ، وكان عند سيف الدولة صدقة ، ولما
حضر خلع عليه وجلس في الديوان ولقب قوام الدين .

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج جبيل (٣) وعكا .
وفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة توفي السلطان بركيارق بأصفهان

(١) كان المسلمون بقيادة سقان بن ارتق التركاني حينما ضامت سروج وكان ضياعها
لهذا ضياع غيرها !

(٢) إضافة من الكامل ٨ : ٢١٤

(٣) جبيل : بلد خارج دمشق على ثمانية فراسخ من بيروت شرقها كما يقول بقوت

وخطب لابنه ملكشاه^(١) بالجوامع ببغداد .

١٢٩-١ وفي سنة خمسمائة في صفر عزل الوزير أبو القاسم ابن جهمير فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئاً إليها فأرسل من أخذه وحمله إليه ، فأمر الخليفة بنقض داره ، وكان في ذلك عبرة لمن يعتبر ، فإن أباه أبا نصر كان قد بناها بأنقاض دور الناس فخربت عن قريب ، ولما عزل استنوب في الوزارة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ثم تقررت الوزارة في المحرم سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمد عبد المطلب وخلع عليه .

وفي سنة إحدى وخمسمائة في شهر رجب قُتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزِيد الأندلسي أمير المراب ، وهو الذى بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه واتسع جاهه واستجار به كبار الناس وصغارهم .

١٢٩ ب وفيها في شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام إلى بغداد مستنفرًا على الفرنج ، فأنزله الخليفة وأكرمه وأجرى عليه الجرايات العظيمة ، وأحضر معه من التقدمة والهدية من الأعلام النفسية والخيال العربية ، وغير ذلك ما لم يوجد مثله عند ملك ، وأقام ببغداد إلى أن رحل السلطان محمد عن بغداد في شوال . فتقدم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلتغتكين أن يسير معه العساكر التى سيرها إلى الموصل مع أولاد مردود ، وخلع عليه السلطان خلعاً سنياً وأعطاه شيئاً كثيراً وودعه : وسار مع الأمير حسين فلم يجد ذلك نفعا .

(١) يحسن مراجعة مادة Malik shah في Encyclopaedia of Islam علماء بأن أبا برقيارق كان اسمه ملكشاه أيضا .

وفيها عَزَلَ الخليفةُ وزيرَه مَجْدَ الدين هبةَ الله بن المطلب برسالةٍ من السلطان، ثم أعيد إلى الوزارة بإذن السلطان محمد، وشُرَطَ عليه شروطاً منها العدلُ وحُسنُ السَّيرَةِ وأن لا يستعمل أحدًا من أهل الذمة .

وفي سنة اثنتين وخمسمائة في نيسان زادت دجلةُ زيادةً عظيمةً انقطعت منها الطرق ، وغرقت الغلالُ الشَّتوية والصيفية ، وحدث غلاءٌ عظيمٌ بالعراق ، وعدم الخيرُ ، وأكل الناس الثمرَ والباقلاء الأخضر ، وأما أهل السَّواد فإنهم لم يأكلوا في شهر رمضان ونصف شوال إلا الحشيشَ والثُّوتَ .

وفيها في شهر رجب عَزَلَ وزيرُ الخليفةِ أبو المعالي هبةَ الله ابن المطلب ، ووَزَرَ أبو القاسم علي بن نصر بن جهير .

وفيها في شعبان تزَوَّج الخليفة المستظهر بالله ابنةَ السلطان ملكشاه وهي أخت السلطان محمد ، وتولَّى قبولَ العقد بوكالة الخليفة نظامُ الملك وزير السلطان ، والصداق /مائة ألف دينارٍ ، ونشرت الجواهرُ والدنانير ، وكان العقدُ بأصفهانَ ، وخطبَ خطبةَ النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي .

١٣٠-١

وفيها تولى مجاهدُ الدين بهروز سُحنكيةَ بغداد .

وفي سنة ثلاثٍ وخمسمائة في حادي عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وجبيل وبيروت وبانياس (١) .

وفي سنة أربعٍ وخمسمائة ملكوا صيدا في شهر ربيع الأول ، وفيها

(١) بانياس : رسمها ياقوت باناس وقال من أنهار دمشق .

في شهر رمضان المبارك زُفَّت ابنةُ السلطان ملكشاه إلى الخليفة المستظهر
بالله فزُوِنَتْ بغداد لذلك

وفي سنة خمس وخمسة توفى الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله (١)

وفي سنة سبع وخمسة توفى أبو القاسم علي بن جهير وزير
الخليفة ، ووزر بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع
محمد بن الحسين [وزير السلطان] (٢) .

وفي سنة ثمان وخمسة في جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة
بديار الجزيرة والشام وغيرها : فَخَرَّبَتْ كثيراً من الرها وحران
وسميساط ويالس وغيرها ، وهلك كثير من الخلق تحت الرتم .

وفي سنة إحدى عشرة وخمسة توفى سلطان محمد بن ملكشاه
وملك ابنه محمود بن محمد .

وفيها غرقت مدينة سنجار وكان سبب / ذلك أن المطر دام فيها ليلاً
ونهاراً واشتد ، وجاء السيل في واديا وأفسد الشباك الذي يجري فيه الماء
في سورها ، فاجتمع الماء وعظم على السور حتى ألقاه ، وهَجَمَ على المدينة
بشدّة وقوة فلم يطق الناس ينتقلون عنه ، فخرّب كل ما مرّ به من البلد ،
وغرق جمع كثير من من الناس . ومن عجيب ما حكى أن الماء حمّل مهذاً
فيه مولود فتعلّق المهدي بشجرة زيتون ، ثم نقص الماء والمهدمعلّق بالشجرة ،
فدلى المولود .

وفيها تناثرت النجوم بديار الجزيرة جميعها - الموصّل وغيرها -

(١) راجع ما كتبه عنه كل من ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٤ : ١٠ وابن كثير
في البداية والنهاية ١٢ : ١٧٣ .

(٢) زيادة من الكامل ٨ : ٢٦٧ .

وكثير من البلاد ، وكانت الكواكب تنزل حتى تقرب من الأرض ثم تضمحل فلا يوجد لها أثر .

وفيهما في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد ، وخربت ببغداد دواراً كثيرةً بالجانب الغربي .

ذكر وفاة المستظهر بالله

وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر . خلافته خمس وعشرون سنة وثلاثة أشهر ، وكانت دعوته قائمةً بالمغرب ، قام بها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولم تنزل إلى أن ظهر محمد بن تومرت على ما نذكره في أخبار ملوك المغرب إن شاء الله تعالى .

١٣١ - ١

وكان المستظهر بالله - رحمه الله - لين الجانب كريم الأخلاق مشكور المساعي ، يحب اصطناع المعروف ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البرِّ والثوبات ، لا يرد مكرمة تطلب منه . وكان كثير الوثوق بمن يؤليه ، غير مصغ إلى سعاية ساعٍ ولا راجعٍ إلى قوله . وكانت أيامه أيام سرور للرعية ، وكان يسره ذلك ، وكان حسن الخط جيد التوقيعات . ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله ، وكبر أربعاً ، ودُفن في حجرة له كان يألفها .

أولاده : أبو منصور الفضل المسترشد ، وأبو عبد الله محمد المقتضى ، وأبو طالب ، وأبو الحسن . وكان له من الوزراء من قدمنا ذكرهم في أخباره ، ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم : تاج

الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وبركيارق ومحمد بن ملكشاه . ومن عجب الاتفاق أنه لما توفى السلطان ألب أرسلان توفى معه القائم بأمر الله ، ولما توفى السلطان ملكشاه توفى بعده المقتدي بأمر الله ، ولما توفى السلطان محمد توفى بعده الخليفة المستظهر بالله .

١ ذكر خلافة المسترشد بالله

١٣١-ب

هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد ، وهو الخليفة التاسع والعشرون من الخلفاء العباسيين ، بزوع له بالخلافة بعد وفاة أبيه في سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنى عشرة وخمسمائة . وكان ولي عهد أبيه الخليفة المستظهر وخطب له في خلافة أبيه ثلاثا وعشرين سنة .

قال (١) وبإيعه أخواه أبو عبد الله محمد - وهو المقتضى لأمر الله - وأبو طالب العباسي ، وعمومتهم بنو المقتدي بأمر الله ، وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان . وكان المتولي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغانى - وكان نائبا عن الوزارة - فآقر المسترشد عليها ، ثم عزله (٢) واستوزر أباشجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان محمود .

٢ ذكر هرب الأمير أبي الحسن

أخى المسترشد بالله ، وعوده

قال (٣) ولما اشتغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الأمير أبو الحسن ابن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدروا إلى المدائن ، وسار

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٢٨١ .

(٢) أى أن المسترشد عزل لقاضى القضاة عن نهاية الوزارة .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٢٨٢ .

منها إلى دُبَيْس بن صَدَقَةَ بالحلة فأكرمه دُبَيْس ورتب له الإقامة الكثيرة . فلما علم المسترشد بالله خبره أهّمه ذلك وأقلقه ، وأرسل إلى دبيس يطلب منه إعادته فأجاب « إنني عبد الخليفة وواقفٌ عند أمره وقد استنمّ بي ودخل منزلي ولا أكرهه على أمرٍ أبداً » . وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي (١) ، فقصد الأمير أبا الحسن وتحدث معه في العود وضمن له كل ما يريد ، فأجاب إلى ذلك وقال : إنني لم أفارق خِدْمَةَ أَخِي لِشَرِّ أُرِيدِهِ ، وإنما الخوف حَمَلَنِي على ذلك ، فإذا أمّنتني قصدته !

وتكفل له دُبَيْس إصلاح الحال والمسير معه إلى بغداد ، فعاد النقيب وأعلم الخليفة فأجاب إلى ما طلب ثم تأخر بعد ذلك ولم يحضره وأقام عند دُبَيْس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة . وسارعن الحلة إلى واسط وكثر جمعه وقوى الإرجافُ بأمره ، وملك مدينة واسط وخيف جانبه ، فتقدّم الخليفة المسترشد بالله بالخُطْبَةِ لولده أبي جعفر المنصور وجعله وليّ عهده وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة . فخطب له في ثاني شهر ربيع الأول ببغداد وكتب إلى البلاد بذلك ، وأرسل إلى دُبَيْس في معنى الأمير أبي الحسن وأنه الآن فارق جواره ومدّ يده إلى بلاد الخليفة وأمره بقصدته ومُعَاجَلَتِهِ قَبْلَ قُوْتِهِ . فأرسل دُبَيْسُ العساكر إليه ففارق واسط وقد تحير هو وأصحابه ففضلوا الطريق ، وصادفتهم عساكر دُبَيْس فنهبوا أثقاله وهرب الأكراد من أصحابه والأتراك ، وعاد الباقون .

١٣٢-ب

(١) ينتهي نسبه إلى عبد الله بن العباس ، وهو من الزينبيين لأن أمهم كانت زينب بنت سليمان العبّاسية وقد عرفوا بها .

وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ ، وكان الزمان قيظاً فأيقن بالتلف . وكان معه بدويان فراد الهرب منهما فلم يقدر ، وأخذه وقد اشتد به العطش فسقياه الماء وحملاه إلى دُبَيْس فسيره إلى بغداد وسلمه إلى الخليفة بعد أن بذل له عشرة آلاف دينار . وكان بين خروجه وعوده أحدَ عشرَ شهراً ، ولما دخل على المُسترشد بالله قبل قدمه وقبله المُسترشدُ وبكيا ، وأنزله في دار حسنة كان يسكنها قبل أن يلي الخلافة ، وحمل إليه الخلع والتحف وأمنه .

وفيها نُقِل الخليفة المُسترشد بالله من دار الخلافة إلى الرصافة ، ونُقِل كلُّ من كان مدفوناً بها .

ذكر ظهور قبور الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام :

قال ابن الأثير وأحال على حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (١) ١٣٣-١
أنه ذكر في تاريخه : وفي سنة ثلاث عشرة وخمسة ظهر قبر إبراهيم الخليل وقبرا ولديه إسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلّم بالقرب من المقدس ، ورآهم الناس ولم تبَلْ أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة . وفيها توفى قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدماغي ، ومولده في شهر رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وولى القضاء بباب الطاق من بغداد إلى الموصل وعمره ست عشرة (٢) سنة ولم يكن

(١) راجع الكامل ٨ : ٢٩١

(٢) في الكامل ٨ : ٢٩١ ست وعشرون

ذلك لغيره . ولما توفي ولى القضاء بعده الأكمل أبو القاسم على بن طراد بن محمد الزينبي ، وخطب عليه في ثالث صفر .

وفي سنة أربع عشرة وخمسة مائة خرج الكرج^(١) - وهم الخزر - إلى دار الإسلام ومعهم القفجاق وغيرهم من الأمم ، وحاصروا مدينة تفليس ، ودام الحصار إلى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة .

وفي سنة خمس عشرة كانت زلزلة تضعض منها الركن اليماني في البيت الحرام - زاده الله شرفا - وانهدم بعضه وتشتت بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم .

وفيها ظهر بمكة إنسان علوي^١ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكثر جمعه ونازع / أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره ، وعزم على أن يخطب لنفسه ، ثم ظفر به ابن أبي هاشم ونفاه عن الحجاز إلى البحرين ، وكان هذا العلوي^٢ من فقهاء المدرسة النظامية ببغداد .

١٣٣-ب

وفي سنة ست عشرة وخمسة مائة قبض الخليفة المسترشد بالله على وزيره جلال الدولة صدقة^(٢) وأقيم نقيب النقباء على بن ضراد في نيابة الوزارة ، فأرسل السلطان إلى الخليفة أن يستوزر نظام الدين أحمد بن نصر بن نظام الملك فاستوزره وخطع عليه^(٣)

وفيها ظهر بديار بكر بالقرب من قلعة ذي القرنين معدن نحاس .

(١) في ابلا فقط ، وجعلتها صفحة ٧٨ « الكرخ » وماها هنا من ف ٧٦ - ١ .
 (٢) في الكامل ٨ : ٣٠٩ « جلال الدين صدقة » ويحكى ابن طباطبا أن القبض عليه كان ضرورة وأما المسترشد لأن الوزير السلطان - آنذاك - كان يتمصب عليه (الفخرى ٢٦٥)
 (٣) يروى أن المسترشد لما عزم على عبارة سور بغداد قسط على الناس خمسة عشر ألف دينار فأداها نظام الدين من ماله عنهم (الفخرى ٢٦٧) .

ذكر مسير المستقر شد بالله

لحرب دبيس بن صدقة

وفي سنة سبع عشرة وخمسة كانت الحرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة ، وكان سبب ذلك أن دبيساً كان عنده عفيف خادم الخليفة مأسورا ، فأطلقه وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة ، وبالغ في وعيده ولبس السواد وجز شعره ، وحلف لينهب بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب ، وتقدم إلى البرسقي بالتبريز إلى حرب دبيس ، فبرز في شهر رمضان منه ست عشرة .

١٣٤ - ١

وتجهز الخليفة وبرز من بغداد ، واستدعى العساكر فاتاه سليمان ابن مهارش صاحب الحديث ، وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما . وأرسل دبيس إلى نهر الملك فنبهه وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهل نهر الملك إلى بغداد ، فأمر الخليفة فنودي ببغداد « لا يتخلف من الجند أحد ومن أحب الجندي فليحضر » فجاء خلق كثير ففرق فيهم الأموال والأسلح فلما علم دبيس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضى عنه ، فلم يجب إلى ذلك . وأخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذى الحجة سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد : النفير النفير الغرارة الغرارة ! وكثر الضجيج من الناس وخرج عالم كثير لا يحرصون كثرة وبرز الخليفة لست بقين من ذى الحجة سنة ست عشرة ، وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحة ، وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منقطة حديد صيني .

وسار في سنة سبع عشرة إلى النيل ونزل بالباركة ، وعباً
 البرسقي / أصحابه ووقف الخليفة وراء الجُنع في خاصته وجعل
 ١٣٤ ب دُبَيْس أصحابه صفًا واحدًا وجعل الرِّجَالَةَ أمام الخيالة بالسلاح
 وكان قد وعد أصحابه بنهبِ وسببِ النساءِ . فلَمَّا تراءتِ الفئتان
 بادر أصحاب ديبس وبين أيديهم الإمام يضرين بالدُّفوف والمخانيثُ
 بالملاهي ، ولم ير في عسكر الخليفة غيرُ تماري ومسيح وداع . فقامت
 الحرب على ساق ، فلما رأى الخليفة ذلك جرد سيفه وكبر وتقدم
 للقتال ، فانهمز دُبَيْس وحملت الأسرى بين يدي الخليفة فأمر
 بِقَتْلِهِمْ فَضْرِبَتْ أَعْنَاقَهُمْ صَبْرًا .

وكان عسكر ديبس عشرة آلاف فارس واثني عشر ألف راجل ،
 وعسكر البرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ، ولم يُقتل
 من أصحاب الخليفة غيرُ عشرة (١) وجُعِلَتْ نساء دُبَيْس وسراريه
 تحت الأسر .

وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة وأما
 دُبَيْس بنُ صدقة فإنه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه واتبعته الخيل
 فقاتها . وعبر الفرات فرأته عجوز فقالت له : دبير جئت ؟ فقال
 دبير من لم يجيء ! واختفى خبره بعد ذلك وأزجف بقتله ثم ظهر أنه
 قصد عُزْبَةَ من عرب نجد ، وطلب منهم أن يحالفوه / فامتنعوا عن
 ١٣٥ - ١ ذلك وقالوا لا نُسخِطُ الخليفةَ والسُّلطان ! ثم رحل إلى طائفة من

(١) في الكل ٨ : ٣١١ • غير عشرين فارما •

الأعراب واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها، فساروا إليها ودخلوها ونهبوها وقتل مقدم عسكرها فتجهز البرسقى لقتاله، فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر إلى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطعمهم في أخذها فلم يظفروا وعادوا عنها في سنة ثمانى عشرة ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد، وأقام معه وحسن له قصد العراق (١).

وفيها في صفر أمر المسترشد ببناء سور بغداد وأن يجي ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس، وجمع منه مال كثير. فلما علم كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك، وقيل إن الوزير أحمد ابن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال «نقسط الباقي على أرباب الدولة» وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه ويتناوبون العمل. وفي سنة ثمانى عشرة وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صور من نواب العلوى المصرى (٢).

ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله

وبين السلطان محمود:

١/ وفي سنة عشرين وخمسمائة وقع الاختلاف بينهما وسببه أن يرشق شحنة بغداد جرى بينه وبين نواب الخليفة منافرةً فهدد الخليفة بسببها فخاف على نفسه، فسار عن بغداد إلى السلطان وشكا إليه وحذرده جانب الخليفة، وأعلمه أنه قاد العساكر وبأشر الحرب وقويت

(١) قتل دبيس بعد ذلك سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

(٢) هكذا في ١، ف صفحة ٧٧ - ١ وفي ٧٩ «مدينة صور وهي من نواب العلوى».

نفسه و « متى لم تعالجه بِقَصْدِ العراقِ ودخولِ بغدادِ ازداد قوة وجمعاً ومنعك عنها ، فتوجه السلطان نحو العراق ، فأرسل إليه الخليفة يعرفه البلاد وما أهلها عليه من الضعفِ والرهنِ بسببِ دُبَيْسِ بنِ صدقةٍ وأن الغلاء قد اشتد لعدم الغلات والأقوات ، وطلب أن تتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح الحال ثم يعود إلى البلاد ولا مانع له عنها وبذل له على ذلك ما لا عظيماً^(١) .

فلما سمع السلطان هذه الرسالة قَوِيَ عنده ما ذكر برنقش وصمم على العزم وجد في السير فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وجيوشه ومن عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهرًا الغضب والانتزاع عن بغداد إن قصدها السلطان ، فبكى الناس بكاءً شديدًا لخروجه من داره فبلغ ذلك من السلطان كل مبلغ واشتد عليه ، وأرسل إلى الخليفة يستعطفه ويسأله العود إلى داره فأعاد الجواب « أنه لا بد من عودة هذه الدفعة فإن الناس هلكت لشدة الغلاء وخراب البلاد » وأنه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم ! فغضب السلطان ورحل نحو بغداد ، وأقام الخليفة بالجانب الغربي وأرسل عفيفا الخادم - وهو من خواصه - في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان ، وكان بها عماد الدين زنكي فقاتله فانهمز عسكر الخليفة وقتل منهم جماعةً وأسير مثلهم ، وتغافل زنكي عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما .

(١) في ، ك ، ف « يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف » وهو خطأ نقل !

ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النبوي ، وأمر صاحب الباب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبتق من حواشي الخليفة بالجانب الغربي سواه . ووصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشامية ودخل بعضُ عسكريه إلى بغداد ونزلوا في دور الناس ، فشكا الناس إليه ذلك ، وأمر بإخراجهم ، وبقي بها من له دار . وبقي السلطان يرسل الخليفة في العود ويطلب الصلح وهو يمتنع ، وكان يجري بين العسكريين مناوشةً والعامَّة من الجانب الشرقي يسبون السلطان أقبح سبِّ وأفحشه .

ثم دخل جماعة من عسكري السلطان إلى دار الخلافة/ ونهبوا النَّاجَ ، ١٣٦ ب
فَصَجَّ النَّاسُ ونادوا : الغزاة الغزاة ! وأقبلوا من كل ناحية ، وخرج الخليفة من السرادق والشمسية على رأسه والوزير بين يديه ، وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته : يا آل هاشم ! وأمر بتقديم السفن ، ونصب الجسر وعبر النَّاسُ دفعةً واحدةً وكان له في الدار ألفُ رجلٍ قد أخفاهم في السرداب ، فظهروا وعسكر السلطان قد اشتغل بالنَّهب فأسر منهم جماعة من الأمراء ، ونهب العامَّة دار وزير السلطان ودور جماعة من الأمراء ودار عز الدين المستوفي ودار الحكم أوحده الزمان ، وقُتِل خالق كثيرٌ ممن في الدروب .

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتلٍ من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحُفِرَت بالليل وحُفِظَت

بغداد من عسكر السلطان ، ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الأمر عليهم وكان القتال كل يوم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة . وعزم عسكر الخليفة أن يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل (١) وخرج كأنه يريد القتال فالتحق بالسلطان !

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين زنكي وهو بواسط بأمره بالحضور بنفسه ومعه /المقاتلة في السفن وعلى الظهر ، فجمع كل سفينة بالبصرة وشحنها بالرجال المقاتلة . وسار إلى بغداد فلما قاربها أمر من معه بلبس السلاح وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة وسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة وقد انتشروا وملأوا الأرض . فرأى الناس ما ملأ قلوبهم هيباً ، وعزم السلطان على الجد في القتال ، فعندها أجاب الخليفة المسترشد بالله إلى الصلح ، وترددت الرسائل بينهما فاصطلحا .

١ - ١٣٧

وأقام السلطان ببغداد إلى عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ، وحمل الخليفة إليه من المال ما استقرت القاعدة عليه ، وأهدى إليه سلاحاً وخيلاً وغير ذلك . ومرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بمفارقتها فرحل إلى همدان فلما وصلها عوق

(١) في Enc.Ist. anl Irbil أنها عاصمة دويلة أقامها زين الدين على كوجك وتقع إلى الجنوب الشرق من الموصل بثمانين كم ، وسرى أن هذا البلد يصعد للتار بعد ذلك ، ولا يستلم إلا بمساعدة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي لؤلؤ الغزاة .

من مرضه ، ودام في الملك إلى سنة خمس وعشرين فتوفى . وملك بعده
ابنه داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه على ما نذكره (١) .
وفي سنة ست وعشرين وخمسة قَبَضَ المسترشد بالله على
وزيره شرف الدين على بن الزينبي واستوزر أنوشران بن خالد
بعد الامتناع منه .

ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل

لوفي سنة سبع وعشرين وخمسة حاصر الخليفة المسترشد بالله
الموصل في العشرين من شهر رمضان المبارك ، وسبب ذلك أنها
كانت قد صارت في مملكة عماد الدين زنكى وكان قد حضر إلى
بغداد لما وقعت الحرب بين السلطان مسعود السلجقى وبين أخيه
سلجوق شاه على ما ذكره في أخبار السلجقية وظهر منه مباينة للخليفة
المسترشد بالله ، فلما كانت هذه السنة واشتغل الملوك السلجقية
بقتال بعضهم بعضاً قصد جماعة من الأمراء السلجقية باب المسترشد
بالله وصاروا معه .

واتفق أن الخليفة المسترشد بالله أرسل الشيخ بهاء الدين
أبا الفتوح الواعظ الإسفرائينى برسالة إلى عماد الدين زنكى فيها
خشونة فادأها أبو الفتوح وزاد عليها ثقةً منه بقوة الخليفة وناموس
الخلافة فقَبِضَ عليه زنكى وأهانته ولقيته بما يكره . فأرسل الخليفة

(١) أشار ابن سليمان الراوندى إلى هذه الواقعة في راحة الصدور ٣٠٢ وسماها « جفوة »
انتهت بمحاصرة السلطان محمود بغداد والاحتلاء عليها ثم الصلح مع الخليفة .

إلى السلطان مسعود بن محمد يعرفه ذلك وأنه على قصد الموصل
وحضرها ، وتمادت الأيام إلى شعبان فمار الخليفة في النصف منه
في ثلاثين ألف مقاتل . ، فلما قارب الموصل فارقها زنكى في بعض
عساكره إلى سنجار ونزل بقية المسكر بها معناتيه نصير اللين
جهر فرددلها (١) فنازلها الخليفة وضيَّقَ على من بها .

وكان عماد اللين يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ويأخذ
من ظفريه من عسكر الخليفة ، ودام الحصار ثلاثة أشهر فتضايقت
الأمور بالعسكر الخليفى ولم يبلغه عن بها أنهم احتاجوا إلى ميرة ولا
وهنوا ، فعاد إلى بغداد في الماء في شبارة فوصل يوم عرفة من السنة .

١٣٨ - ١

وفي سنة سبع وعشرين أيضا اشترى الإسماعيلية بالشام حصن
القدموس من صاحبه ابن عمرو ، وصعدوا إليه ، وقلعوا بحرب
من يحاربهم من المسلمين والقرننج .

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسة عَزَلَ الخليفة أنوشروان بن خالد ،
وألزم داره ، وأعيد إلى الوزارة شرف اللين على ابن طراد الزينبي .

ذكر مسير المسترشد بالله

لحرب السلطان مسعود بن محمد وأمره

وفي سنة تسع وعشرين وخمسة كانت الحرب بين الخليفة
والسلطان في شهر رمضان . وكان سبب ذلك أن السلطان مسعود

(١) دزدلو : حاكم حن بالقارية ، انظر Enc. of Islam and Dix .

توفي أخوه الملك طغرل في المحرم من هذه السنة بهمدان ، وكان بينهما من العداوة والحروب ما نذكره في أخبارهم إن شاء الله . وكان الخليفة يُعين السلطان مسعود على أخيه / ويساعده ويقوّيه ، وكان السلطان مسعود قد انهزم من أخيه طغرل ورحل إلى بغداد ، فأعانه الخليفة لجميع ما يحتاج إليه وأمره بالمسير إلى همدان ووعدّه أن يسير معه ويعينه على حرب أخيه . وكان البقش السّلاحى وغيره من الأمراء قد التحقوا بالخليفة وصاروا معه واتفق أن إنساناً أخذ فوجد معه ملطفات من طغرل إلى بعض الأمراء وخاتمته بإقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة ، فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود ؛ فأرسل الخليفة إليه في إعادتهم فلم يفعل ، فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرةً ووحشةً أوجبت تأخّره عن المسير معه فأرسل إليه يأمره بالمسير معه حتّى .

فبينما هم في ذلك إذ ورد الخبر بوفاة طغرل ، فسار مسعود من يومه واحتوى على مملكة الجبل ، فلما استقرّ بهمدان فارقه جماعة من أعيان الأمراء خوفاً منهم على أنفسهم . منهم يرناقش البازدار ، وقزل ، وسنقر الخمارتكين والى همدان وعبد الرحمن ابن طغايرك^(١) ومعهم دبّيس ، وأرسلوا إلى الخليفة يطلبون أمانة

(١) في راحة الصدور تعريف بهؤلاء الأمراء بختزى منه ما يأتي : يرناقش البازدار هو مظفر الدين ألب أرغون بن يرناقش الحاجب ، وقزل هو الأتابك مظفر الدين قزل أرسلان ابن إيلدكز وسنقر تغلب عليه النسبة لهمدان وهو غير سنقر الطويل شحنة أصفهان ، وعبد الرحمن هو قنر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الحاجب .

١-١٣٩ ليحضروا إلى خدمته فقبل للخليفة إنها مكيدة لأن دُبَيْسَ بنَ صدقة معهم . فساروا نحو خوزستان / وانفقوا مع برسق بن برسق ، فأرسل الخليفةُ إلى الأمراء سديدَ الدولة بن الأنباري بتوقيعات يطيبُ قلوبهم ، وأمرهم بالحضور فعزموا على قبض دُبَيْسَ بن صدقة ليتقربوا به إلى الخليفة ، فهرب إلى السلطان مسعود .

وسار الأمراء إلى بغداد في شهر رجب فأكرمهم وقطع خطبة السلطان مسعود من بغداد . وبرز الخليفةُ في العشرين من شهر رجب على عزم المسير لحرب مسعود ، وأقام بالشنفيي (١) ، فهرب منه بكبه (٢) صاحب البصرة إليها ، فراسله وبذل له الأمان فلم يعد . فتوقف الخليفةُ عن المسير ، فحسّن له الأمراء الرحيل ، وضَمَقُوا أمر السلطان مسعود ، فسير مقلّمته إلى حلوان فنهبوا البلاد وأفسدوا فلم يُنكر عليهم . ثم سار في ثامن شعبان والتحق به الأمير برسق بن برسق فبلغت عدته سبعة آلاف فارس ، وتحلّف بالعراق مع إقبال الخادم ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان في ألف وخمسمائة فارس .

وكان أكثر أصحاب الأطراف يكتابون الخليفةَ ويبدلون له الطاعة فاستصلح السلطان أكثرهم ، فعادوا إليه ، فصار في نحو خمسة عشر ألف فارس . فأرسل الملك داود بن السلطان محمود

(١) في ف صفحة ٧٩ - ١ . وأقام بالسنفيي ، وفي ك صفحة ٨١ . وأقام

بالسنفيي .

(٢) يرد أحيانا مكلما . بك ايه .

إلى الخليفة يشير عليه بالميل إلى الدينور ليحصن نفسه ومن / معه فلم ١٣٩ - ب
يفعل المسترشد بالله . وسار حتى بلغ دإمرج ، وعباً أصحابه .

وسار السلطان مسعوداً إليهم فوافقهم في عشر رمضان ، فانحازت
ميسرة الخليفة إلى السلطان وقاتلت الميمنة قتالاً ضعيفاً ، ودارت
عساكر السلطان حول عسكر الخليفة وهو ثابت لم يحترك
من مكانه ، فانهمز عسكره وأخذ هو أسيراً ومعه جمع كثير من أصحابه
منهم : شرف الدين علي بن طراد الزينبي وقاضي القضاة ، وصاحب
المخزن ابن طلحة ، وابن الأنباري ، والخطباء ، والذمهاء والشهود
وغيرهم . وأنزل الخليفة في خيمة وأخذ ما في عسكره ، وحمل
الأعيان إلى قلعة سرجهان ولم يقتل في هذه المعركة أحد أئمة .

وعاد السلطان إلى همدان ، وأمر فنودي « من تبعنا من البغداديين
إلى همدان قتلناه » فرجع الناس كلهم على أقبح صورة وسير
السلطان الأمير بكبه المحمودي شحنة إلى بغداد فوصلها في رمضان .
فقبض جميع أملاك الخليفة وأخذ غلاتها ، وثار جماعة من عامة
بغداد فكسروا المنبر والشباك ، ومنعوا من الخطبة ، وخرجوا إلى
الأسواق يحنون التراب على رؤوسهم ويصيحون ويبكون ، وخرج
النساء حاسرات في الأسواق يلطنن ويبكين ، واقتتل أصحاب
/ الشحنة والعامة فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين رجلاً .

ذكر مقتل المسترشد بالله

كان مقتله في يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة على باب مراغة ، وذلك أن السلطان سار في شوال من همدان إلى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود ، وكان قد عصى عليه ، فنزل على فرسخين منها والمسترشد معه وقد وكل به من يحفظه . وترددت الرسائل بينهما في تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة للسلطان ، وأنه لا يعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره فأجاب السلطان إلى ذلك . وركب الخليفة وحمل الغاشية ولم يبق إلا عود الخليفة إلى بغداد ، فوصل الخبر أن الأمير قرآن خوان (١) قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتأخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس إلى لقائه مع السلطان . وفارق الخليفة بعض الموكلين به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصدته أربعة وعشرون رجلا من الباطنية (٢) فدخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ، ومثلوا به فجذعوا أنفه وأذنيه وتركوه عرياناً وقُتِلَ نَفَرٌ من أصحابه ، منهم : أبو عبد الله ابن سكينه وبقى الخليفة حتى دفنه أهل مراغة . وقُتِلَ من الباطنية عشرة وقيل بل قُتِلُوا كلهم ، وقد قيل إن السلطان سنجر أرسلهم لِقَتْلِهِ (٣) .

١٤٠-ب

(١) في كل النسخ المصورة بلا نقط وما أثبتناه عن راحة الصدور ٤٨٠ .

(٢) في البداية والنهاية ١٢ : ٢٠٨ « عشرة من الباطنية » ويكتفى ابن سليمان الراوندى في راحة الصدور ٣٣٠ بأن « يقول » قصد جمع من الملاحدة المخاذيل خيمة الخليفة في مراغة وقتلوه ، فنال درجة الشهادة على أيديهم .

(٣) يروى ابن طباطبا في « الفخرى » أن السلطان سنجر كان قد طلب من مسعود الإحسان =

وقُتل رحمه الله تعالى وله ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر .
ومُدَّة خِلافَتِهِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَيَوْمٌ وَاحِدٌ وَكَانَ رَحِمَهُ
اللَّهُ شَهْمًا شُجَاعًا كَبِيرَ الْإِقْدَامِ بَعِيدَ الْهِمَّةِ وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا حَسَنَ
الْخَطِّ .

قال (١) : ولما قُتِلَ حُبَيْلٌ إِلَى بَابِ مِرَاغَةَ وَخَرَجَ أَهْلُهَا حُفَاةً
حَامِسِينَ رُؤُوسَهُمْ فَبَلَفُوا جَنَازَتَهُ وَكَسَرُوا الْمَنَابِرَ . وَقَالَ : وَصَلَ
الْخَبِيرُ إِلَى بَغْدَادَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَيْسَتْ بِقَيْنٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَاجْتَمَعَ
الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَنَاحُوا عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقَاتِ وَكَسَرُوا مَنَابِرَ الْجَوَامِعِ
وَكَثَرُوا الشَّنَائِعَ وَسَبُّوا السُّلْطَانَ سَنَجْرًا وَمَسْعُودًا أَفْبَحَ سَبِّ
مَنْ غَيْرَ مِرَاقِبَةٍ وَلَا حِشْمَةٍ : وَلَمَّا قُتِلَ وَلِيَّ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ
بِاللَّهِ .

ذِكْرُ خِلاَفَةِ الرَّاشِدِ بِاللَّهِ

هو أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن
المستظهر بالله وهو الخليفة الثلاثون من الخلفاء العباسيين ببيع
له عند وصول الخبر بمقتل أبيه في يوم الإثنين السابع والعشرين
من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وكتب السلطان مسعود
ابن محمد السُّلْجُقِيُّ إِلَى بَكْبِهِ الشَّحْنَةَ بِبَغْدَادَ ، فَبَايَعَ لَهُ ، وَحَضَرَ النَّاسُ

إلى الخليفة فاذا صح ذلك جاز أن تقبل الرواية التي تقول إن مسعوداً هو الذي واطأ الباطنية
على قتله (٢٦٤ ، ٢٦٥)

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٤٣٨

البيعة . وحضر بيعته واحدٌ وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء وباريع له الشيخ أبو النجيب ووعظه وبالغ في الموعظة .

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله

وعسكر السلطان مسعود

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة وصل يرناقش الزكوى^(١) من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان استقر على أبيه المسترشد بالله من المال وهو أربعة مائة ألف دينار فقال الخليفة : لا شيء عندي والمال جميعه كان مع المسترشد فنهب ثم بلغ الراشد بالله أن يرناقش يريد الهجوم على دار الخليفة وتفتيشها ليأخذ المال ، فجمع العساكر وأعاد عمل السور . فلما علم يرناقش بذلك اتفق هو وشحنة بغداد على أن يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد فاستعد لِمَنعِهِم وركب يرناقش ومعه الأمراء البكجية^(٢) والعسكر ، واجتمعوا في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاقتتلوا ، وأعان العامة عسكر الخليفة / فأخرجوا عسكر السلطان ونهبت العامة دار السلطنة .

١٤١ - ب

ثم حضر الملك داود بن محمود بعسكر أذربيجان واجتمع الأطراف ببغداد على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وفيهم عماد الدين زنكي وغيره ، وولى الملك دواد يرناقش بازدار شحنة كية بغداد . واتفق أن الخليفة قبض على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن

(١) في « برناقش الزكوى » وفي ك صفحة ٨٢ « يرناقش الزكوى » وما هاهنا من ف ٨٠ - ١ وهو يوافق رسم راحة الصدور الذي بيناه قبل .
(٢) كذا في الكامل وما في النسخ المصورة جميعا « الكنية » نسبة إلى كجة ولاية فيها أوان (راحة الصدور ٣٤١) .

ابن جهير أستاذ الدار وكان هو السبب في ولايته، وقبض على جمال الدولة إقبال المسترشدي وعلى غيرهما من أعيان الدولة، فتفرقت نيات أصحابه عليه فشفع أتاك زنكى في إقبال. وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين أبي الرضى بن صدقة^(١) إلى عماد الدين زنكى يهنئه بالقدوم، فأقام الوزير عنده وسأله أن يمنعه من الخليفة فأجابته إلى ذلك. وعاد الموكب بغير وزير، وأرسل زنكى من حرس دار الوزير ثم أصلح حاله مع الخليفة وأعادته إلى وزارته. ثم جد الخليفة في عمارة السور فأرسل الملك داود من قلع أبوابه وخرّب قطعة منه، فانزعج الناس ببغداد ونقلوا أموالهم إلى دار الخلافة، وقطعت خطبة السلطان، وخطب للملك داود، وجرت الأيمان بين الخليفة والملك داود وعماد الديكى زنكى. ووصلت الأخبار بمسير السلطان مسعود إلى بغداد لقتال ابن أخيه داود وزنكى. ثم وصلت رسل السلطان إلى الخليفة بالبدل من نفيه الطاعة والموافقة والتهديد لمن اجتمع عنده، فعرض الخليفة الرسالة عليهم وكلمهم في قتاله، فكل رأى ذلك ووافقهم الخليفة!

١٤٢-١

ذكر مسير الراشد بالله

إلى الموضيل وخلعه

كان سبب ذلك أن السلطان مسعوداً لما بلغه اجتماع العساكر والملوك والأمرء ببغداد على خلافه والخطبة للملك داود ابن أخيه جمع العساكر وسار إلى بغداد ونزل بالملكية، فسار بعض العسكر

(١) لما أفضت الخلافة للراشد استوزره فلم يظهر كفاءة ما، ومات سنة ست وخمسين وخمسة.

وطاردوا عسكره وعادوا ، ونزل السلطان على بغداد وحصرها نيفًا وخمسين يومًا ، فلم يظفرُ منها بشيء . ثم عاد إلى النهر وان عازمًا على العودِ إلى همدان فوصل إليه طرنطاي صاحبُ واسط ومعه سفنٌ كثيرةٌ ، فعاد إلى بغداد وعبر إلى غربي دجلة واختلقت كلمة العسكر البغدادي فعاد الملك داود إلى بلاده في ذى القعدة وتفرق الأمراء .

وكان زنكي بالجانب الغربي فعبّر إلى الخليفة وسار إلى الموصل .

١٤٢- ب ودخل / السلطان بغداد واستقر بها ، وذلك في نصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

قال (١) وأمر السلطان فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد وفيها بخط يده « إنني متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعتُ نفسي من الأمر » فافتتوا بخروجه من الخلافة . وقيل إن الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي وكاتب الإنشاء ابن الأتباري وصاحب المخزن كمال الدين طلحة كانوا منذ أمرهم مع المسترشد ، فحضروا الآن معه ، واجتمعوا في يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ثلاثين ، وكتبوا محضرا شهد فيه جماعة من العدول بما صدر من الراشد من الظلم وأخذ الأموال بغير حقها وسفك الدماء وشرب الخمر وارتكاب المحارم ، واستفتوا الفقهاء فيمن فعل ذلك هل تصيحُّ معه إمامة أم لا ؟ وهل يجوز للسلطان أن يخلعه

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٤ .

ويستبدل به من أهل بيته من هو خير منه طريقةً ودينًا ؟ فأفتى الفقهاء بخَلْعِهِ وفسخ عهده والاستبدال به غيره ، وعرضت الفتيا والمحضر على السلطان فقال : هذا أمر قلدتكم إياه وأنا برىء منه عند الله ! ثم خُلع وقُطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد في ذى القعدة وبويع بعده للمقتضى .

١٤٣ - ١
أو كانت خلافته أحد عشر شهرًا وأياما ، وكتب السلطان إلى أتاك زنكى في القبض عليه وإرساله إلى بغداد فمنع من ذلك فارس الإسلام زين الدين على بن بكتكين صاحب إربل رحمه الله وقال : والله لاسلمناه حتى تُراق دماؤنا ! واعتذر إلى السلطان وقال : أنا أخرجهُ من ولايتي ؟ فأرسل أنت عسكرا للقبض عليه من غير جهتنا !

وأعد زين الدين جماعةً من الأكراد فساروا بين يديه على طريق لا يعرفها كثيرٌ من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ونزل بيرية أبيه وتلقاه أهلها وولّوه أمرهم فأقام بها يسيرا ثم ارتحل إلى الرى فلما قرب من بلاد الباطنية جرد عسكره ليقْتل من وجد منهم فقتل منهم جماعةً ثم تنقّلت به الحال وكابد الغربة ووصل إلى همدان وسار منها يريد إصفهان. فلما كان في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثب عليه نفر من الباطنية - وكانوا في خدمته على زى الخراسانية - فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان [قديلاً] ^(١) من أثر مرض قد برأ منه ودفن في شهرستان على قرسخ من إصفهان ، وقتل أصحابه الباطنية الذين قتلوه . ولما ورد الخبر بمقتل

(١) زيادة يقتضها السياق

الراشد بغداد جلسوا للعزاء في دار النوبة يوماً واحداً .
وكان الراشد بالله أشقر اللون حمن الصورة ، مهيباً شديداً
القوة / والبطش ١٤٣-ب

ذكر خلافة المقتدى لأمر الله

هو أبو عبد الله محمد وقيل الحسين بن المستظهر بالله أبي العباس
أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبيد الله ، وأمه أم
ولد تدعى ياعى . وهو الخليفة الحادى والثلاثون من الخلفاء العباسيين
ببيع له بعد خلع ابن أخيه الراشد بالله فى ثامن عشر ذى الحجة
سنة ثلاثين وخمسمائة . وذلك أنه لما خُلع الراشد بالله استشار
السلطان مسعود بن محمد السُلجقى جماعة من أعيان بغداد فيهم
الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى وكمال الدين صاحب
المخزن وغيرهما فيمن يصلح أن يلى الخلافة فقال الوزير : أحمد
عمومة الراشد بالله وهو رجل صالح ! قال : من هو ؟ قال : لا أدر
أن أفصح باسمه لئلا يُقتل : فتقدم إليهم بعمل محضر فعول
المحضر على ما ذكرناه فلما كمل المحضر أحضر القاضي أبو ظاهر
الكرخى وشهدوا عنده بما تضمنه المحضر فحكم بفسق الراشد
وخلعه وحكم بعده غيره . ولم يكن قاضى القضاة ببغداد ليحكم
فيه كان بالموصل عند أتابك زنكى فلما كمل ذلك ذكره
الوزير للسلطان وذكر دينه وعفته ولين جازبه ، فحضر السلطان
إلى دار الخلافة ومعه الوزير وصاحب المخزن وغيرهما وأمر / بإحضار
الأمير أبي عبيد الله بن المستظهر من المكان الذى كان يسكن فيه ،
فأحضر وأجلس فى الميمنة ودخل السلطان وتحالفا وقررا القواعد

بينهما . وخرج السلطان من عنده وحضر الأمراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء . ولُقِّبَ المقتفى بأمر الله .

وقيل في سبب هذا اللقب أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَلِيَ الخِلافةَ بسنة أيام وهو يقول : إن هذا الأمر يصير إليك فاقتفِ بي فَلَقَّبَ بذلك ولما بويع له سُيرتِ الكُتُبِ الحكيمة بخلافته إلى سائر الأمصار واستوزر شرف الدين علي بن طرا الزينبي ، وأرسل إلى الموصل فأحضر قاضي القضاة علي بن حسين الرينبي - وهو بن عم الوزير - وأعادته إلى منصبه ، وأقرَّ كمال الدين صاحب المخزن على منصبه ، وأجرى الأمور على أحسن نظام .

قال (١) : وأرسل السلطان مسعود إلى الخليفة في تقرير إقطاع يكون لخدمته فكان جوابه « إن في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة ، فلينظر السلطان ما يحتاج إليه من يشرب هذا الماء فتقررت القاعلة على أن يجعل له ما كان للمسمة تظهر فأجاب إلى ذلك وقال السلطان لما باغته قوله : « نقد جئنا في الخلافة رجلا عظيما نسأل الله تعالى أن يكفينا أمره » قال (٢) : وخطب له على سائر المنابر إلا في الموصل ، فإنه لم يُخطب له فيها إلا في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

١٤٤-ب

وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة تزوج الخليفة المقتفى فاطمة أخت السلطان مسعود وكان الصداق مائة ألف دينار ، والوكيل في

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٨ : ٣٥٥ .

قبول النكاح وزير الخليفة علي بن طراد ، ووكيل الساطان في العقد
وزير الكمال الدركريني .

وفيهما في الرابع والعشرين من آيار ظهر بالشام سحب أسود
وأظلمت له الدنيا ، وصار الجو كالليل المظلم ، ثم طلع بعد ذلك
سحاب أحمر كأنه نار أضاعت له الدنيا ، وهبَّ ریح عاصف ألفت
كثيراً من الشجر ، وكان أشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعد
ذلك مطر كثير وبرد كبير .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وصل ملك الروم صاحب
القسطنطينية إلى الشام وملك بزاعة^(١) بالأمان لخمس بقين من
شهر رجب ثم غدر بأهلها فقتل منهم وسبى على ما ذكره
إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة الأنابكية في أيام زنكي .

وفيهما انقطعت كسوة الكعبة للاختلاف الواقع بين الملوك السلجوقية
فقام بكسوتها رامشت الفارسي التاجر ، وكان من التجار المسافرين
إلى الهند - وهو كثير المال - فكساها من الثياب الحبرة^(٢) وبكل
ما وجد إليه السبيل ، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية .

١٤٥ - ١

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل
والعراق وغير ذلك من البلاد فخرَّب كثير منها ، وهلك عالم كثير
تحت الرَّدْم. ثم كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير

(١) بزاعة : مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب (ياقوت في معجم البلدان) .

(٢) الحبرة : ضرب من برود اليمن ، وكان النبي يلبس الحبرات (المهبط)

من البلاد في سنة ثلاث وثلاثين ، وكانت متواليةً عدةً أيام كل ليلة عدة دفعات وكان أشدها بالشام ، فعلوا في ليلة واحدة ثمانين مرة . ففارق الناس مساكنهم ، ولم تزل تتعاهد من أربع صفر إلى تاسع عشر ، وكان معها صوت وهدة شديدة .

وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة جرى بين الخليفة المقتدى وبين الوزير علي بن طراد منافرةً ، وسببها أن الوزير كان يعارض الخليفة في جميع ما يأمر به فنفر الخليفة من ذلك ، فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان واحتّمى بها ، فأرسل الخليفة إليه في العود إلى منصبه فامتنع . فاستناب قاضي القضاة الزينبي ، وأرسل الخليفة رسلاً إلى السلطان مسعود في معنى الوزير فأرخص السلطان للخليفة في عزله فعزله ، ثم عزل الزينبي من النيابة ، وناب سديد الدولة بن الأنباري .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بكنجة وغيرها من أعمال أذربيجان وأران ، وكان أشدها بكنجة فخرّب منها كثير ، وهلك عالم قيل كانوا مائتي ألف وثلاثين ألفاً / وتهدمت قلعة هناك .

١٤٥ - ب

وفيها ابتنى الخليفة بفاطمة أخت السلطان مسعود وكان يوم حملها إلى دار الخلافة يوماً مشهوداً . وغلّقت بغداد عدة أيام ، وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة .

وفي سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائة وصل رسول السلطان سنجر ملكشاه إلى المقتدى ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب . وكان أخذهما من المسترشد لما قُتل .

وفيهما ملك الإسماعيلية حصن مصاف بالشام وكان واليه مملوكا
لبنى مُنقذ أصحاب شيزر ، فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدا
إليه فقتلوه وملكوا الحصن .

وفيهما توفي سديد الدولة بن الأنباري فاستوزر الخليفة بعده
نظام الدين أبا نصر محمد بن الأنباري وكان قبل ذلك أستاذ
الدار .

وفيهما بُنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتح
حمزة بن علي صاحب المخزن (١) . ولما فرغت درس فيها الشيخ
أبو الحسن بن الخل .

وفي سنة أربعين وخمسة اتصل بالخليفة عن أخيه أبي طالب
ما كرهه فضيق عليه وعلى غيره من أقاربه .

وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسة في جمادى الأولى خطب
للسنجد بالله يوسف بن المفتى بولاية العهد .

وفي سنة أربع وأربعين استوزر الخليفة أبا المظفر يحيى
ابن هبيرة وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام فظهرت منه كفاءة
عظيمة ، فرغب الخليفة فيه واستوزره يوم الأربعاء لأربع خلون من
شهر ربيع الآخر (٢) .

١٤٦ - ١

(١) كذا في سائر المخطوطات ، وفي راحة الصدور ٣٣٣ (حاشية) كال الدين محمد
ابن علي ويرد بالفارسية باسم محمد خزانه در
(٢) نشأ بالدور من أعمال دجيل حملا . ولكنه مازال ينتقل من خدمة إلى خدمة حتى
تقلد الوزارة للكتفي فكانت له في قمع لولة السلجوقية يد قوية ، مات سنة ستين وخمسة
(راجع البداية والنهاية ١٢ : ٥٢٠) .

وفيها كانت زلزلة عظيمة ، فيقال إن جبلاً بالقرب من حلوان
ساخ في الأرض .

وفي سنة سبع وأربعين مات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه
بهمدان فلما وصل الخبر إلى بغداد بموتيه هرب شحنتها مسعود
بلال إلى تكريت فاستظهر الخليفة المقتضى على داره ودور أصحاب
السلطان ببغداد وأخذ أموالهم وودائعهم واستبد الخليفة بالأمر
وقطع خطبة الملوك السلجوقية (١) وفوض الأمر إلى الوزير ابن
هبيرة !

ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة

إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة من الإقطاعات

كان الخليفة المقتضى لأمر الله لما استخلف حاف أن ألا يملك تركياً
لما جرى على أخيه المسترشد ولم يمكنه المبادرة بذلك فلما تمكن
وقوى أمره ومات السلطان مسعود فوض الأمور إلى الوزير عون الدين
أبي المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقبه بتاج الملوك ملك
/ الجيوش وأقطعه إقطاعاً عظيماً وهو : واسط ويطائحها والبصرة
والحلة ، والنيل ، والنعمانية ، وقرسان (٢) ونهر الملك (٣) ، ونهر

١٤٦ - ب

(١) قال ابن الأثير إنه بموت مسعود ماتت سعادة البيت السلجوقي « فلم يبق له بعده
راية يعد بها ولا يتلفت إليها الكامل ٩ : ٣١ .

(٢) كذا في الأصل وليس في المعاجم الجغرافية سوى « قاسان » بلدة وراء النهر قرب
حدود الأتراك .

(٣) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد تشتمل على ثلاثمائة وستين قرية .

عيسى (١) ، ودجيل ، والراذان (٢) ، وظيف خراسان ، والقرايا ،
والنجف ، والبندنجيين (٣) وبادرايا (٤) ، وباكسايا (٥) ،
وهيت (٦) والأنبار ، وعين التمر (٧) ، وشفانا (٨) . وأقطعه إقطاع
وزير السلطان وأعانه على الاستعداد للحرب وجهزه بالجيوش
فاستولى على الحلة والكوفة وواسط ثم عاد إلى بغداد وكانت
غيبته خمسة وعشرين يوما .

ذكر حصر تكريت

وعود عسكر الخليفة عنها وأسراين الوزير

وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سير الخليفة المقتضى لأمر الله
عسكرا إلى تكريت (٩) وأرسل عليهم مقدما أبا المنذر بن الوزير

- (١) نهر عيسى : كورة بقرى كثيرة غرب بغداد مأخذا من الفرات وتنسب لعيسى
ابن علي بن عبد الله بن العباس .
- (٢) الرازان : أوردتها ياقوت بلا ألف ولا لام ، وقال إنها كورتان لها قرى
كثيرة وثمة راران قرية باصهان .
- (٣) البندنجيين : بلدة مشهورة في طرف النهروان ناحية الجبل من أعمال بغداد
ويقول حمزة - علي ما أورد ياقوت - بناحية العراق موضع يسمى وتديكان وعرب علي
البندنجيين .
- (٤) بادرايا : طسوج بالنهروان ، وهي بلدة قرب باكسايا بين البندنجيين ونواحي
واسط يكثر فيها التمر اليابس .
- (٥) باكسايا : بلدة قرب البندنجيين وبادرايا وواسط
- (٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار وذات نخل كثير وغير
غزير كما يقول ياقوت
- (٧) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة بقرها موضع يقال له شفانا .
- (٩) تكريت : من الأعمال الصغيرة للدولة ، وفي أواخر خلفاء بني العباس - وكانوا
قد ضعفوا - أصبح لها ولطها شأن ، بل كانت تجرؤ على الصبان حتى قال الشاعر :
- تكريت تمجزنا ونحن بمقلنا نمضي لناخذ ترمذا من سنجر
- (راجع الفخرى ٢٦)

عون الدين والأمير ترشك وهو من خواصّ الخليفة وغيرهما، فجرى بين أبي المنذر وبين ترشك منافرة اقتضت أن كتب ابن الوزير يشكو منه، فأمر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فأرسل إلى مسعود صاحب تكريت وصالحه وقبض على / أبي المنذر ومن معه من المقدمين، وسلّمهم إلى مسعود بلال فانهزم العسكر وسار مسعود وترشك من تكريت إلى طريق خراسان فهنباها وأفسدا. فسار الخليفةُ لدفعهما، فهربا من بين يديه فقصدت تكريت وحصرها أياما، ثم عاد بعد أن جرى بينه وبين أهلها قتالٌ من وراء السور وقتل من عسكر الخليفة جماعة بالنشاب.

ذكر حصار تكريت ووقعة بكمزا

وفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة أرسل الخليفة رسولا إلى صاحب تكريت بسبب من عنده من المأسورين فقبض على الرسول. فسير المقتضى عسكرا فخرج أهل تكريت فقاتلوا عسكر الخليفة، فسير عسكرا آخر، فمانعوه. فسار الخليفةُ بنفسه ونزل على البلد فهرب أهله، فدخل عسكر الخليفة فشنغبوا ونهبوا بعضه، ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط. من أسوارها برج، وبقي الجيش^(١) كذلك إلى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول فأمر الخليفة بالقتال والزحف. فاشتد القتال، وكثرت القتلى، ولم يباغ منها غرضا، فعاد إلى بغداد ودخلها في آخر الشهر.

(١) كذا في كل النسخ وفي الكامل ٩ : ٤٤ « ويقي الحصر » وهو أفضل.

ثم أمر الوزير عون الدين بالعود إليها والاستعداد والاستكنار من آلات / الحصار ، فسار إليها في شهر ربيع الآخر وضيق عليها . فبلغه الخبر أن مسعود بلال وصل إلى شهرابان ومعه البغوش كون خر^(١) وترشك في عسكر كبير ونهبوا البلاد فعاد الوزير إلى بغداد وكان سبب تحول هذا العسكر أنهم حشوا الملك محمداً^(٢) على قصد العراق فلم يتهياً له ذلك ، فسير إليه هذا العسكر وانضاف إليهم خلق كثير من التركمان .

فخرج الخليفة إليهم فأرسل مسعود بلال إلى تكرت وأخرج منها الملك أرسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوساً بها وقال : هذا سلطان نقاتل بين يديه بإزاء الخليفة ! والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ، ودامت الحرب بينهم والمناوشة ثمانية عتسراً يوماً ، ثم التقوا في آخر شهر رجب واقتتلوا فانهزمت مدينة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد . ونهبت خرائنه وقتل خازنه . فحمل الخليفة بنفسه هو وولى عهده وصاح : يا آل هاشم كذب الشيطان ! وقرأ « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا » وحمل هو وبقية العسكر فانهزم مسعود ومن معه ، وضفر الخليفة ، وغنم العسكر جميع ما هو للتركمان من دواب وغنم وغير ذلك . وكانوا قد أحضروا نساءهم وأولادهم وخركاهاهم فأخذ جميع ذلك . فبيع

(١) كذا في راحة الصدور ٣٧٧ وما في النسخ كلها مضطرب فوالله في صفحة

٨٣ - ب « البغش كورخون » وفي ك صفحة ٨٦ « التقش كورخون » .

(٢) هو غياث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن محمود بن حلكشا قسم أمير المؤمنين .

كل كَبْش / بَدَانِيٍّ وأخذ كون خَر الملك أرسلان وانهمز به إلى بلد النجف ١٤٨ - ١
وقلعة الماهكي (١)

ورجع الخليفةُ إلى بغداد فدخلها في أوائل شعبان المبارك ، فأتاه الخبر أن مسعود بلال وترشك قصدا مدينة واسط. فنهبا وخربا فسير إليهم الوزير في عسكر ، فانهزم العجم ، ولحقهم عسكرُ الخليفة ونهب شيئا كثيرا ، وعاد إلى بغداد فلقب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش ، وسير الخليفةُ عسكرا إلى بلد النجف فاحتوى عليه .

وفي سنة خمسين وخمسائة سار الخليفة إلى دقوقا فحصرها وقاتل منَها ، ثم رحل عنها ولم يبلغ غرضا (٢) .

وفيها استولى شملة التركما في على خوزستان وصاحبها حينئذ ملكشاه محمود . فسير الخليفةُ إليه عسكرا فقاتلهم شملة وهزمهم وأسر وجوههم . ثم أحسن إليهم وأطلقهم . وأرسل إلى الخليفة المقتضى لأمر الله يعتذر منه فقبل عذره .

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسائة حصر السلطان محمد بن محمود السلجُقي بغداد ، وكان قد راسل الخليفة في الخطبة له ببغداد والعراق . فامتنع الخليفةُ من إجابته ، فسار من همدان وواعده قطب الدين صاحب الوصيل أن يرسل إليه العساكر . فقدم

(١) في ك ٨٦ « إلى النجف وقلعة الماهلي » وفي أ . ف صفحة ٨٦ - أ « إلى بلد النجف وقلعة الماهلي » وماها هنا من راحة الصدور ٤٠٧ وفي لاشية أن قلعة ما هكي كانت في « لطف » من أعمال بغداد ، إذن فالقريب من الصحة أن يتبدل بالنجف هنا لطف

(٢) يقول ابن الأثير في سبب ذلك : إنه بلغ الخليفة أن جيش الموصل تجهز جنده (الكامل)

١٤٨-ب في ذى الحجة ودام الحصارُ والقتالُ إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ، فبلغ / السلطان محمد أن أخاه ملكشاد وإيلدكر وأرسلان طغرل دخلوا همدان واستولوا عليها ، فرجع عن بغداد ولم يبلغ رضا ، وتفرقت العساكر .

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين أُطلق ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريرت فتلقته المواكب وكان يوماً مشهوداً (١) .
وفيهما في شهر ربيع الآخر احترق أكثر بغداد ، واحترقت دار الخلافة .
وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كان بالشام زلازل كثيرة خربت كثيراً من البلاد والقلاع والأسوار ، وهلك من العالم ما لا يحصى كثرةً . ومما يدل على ذلك ما حكاه ابن الأثير في تاريخه الكامل « أن معلماً كان بمدينة حماه يعلم الصبيان ، ففارق المكتب لحاجة عرضت له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط .
المكتب على الصبيان فهلكوا عن آخرهم - قال - فقال المعلم : فلم يأت أحد يسألني عن صبي كان له ! فيدل عني موت جميع أهاليهم (٢) .

وفيهما قلع الخليفة المقتضى لأمر الله باب الكعبة وعمل عوضاً باباً

(١) ولكن ابن طباطبا يقول : وحبس بعد موت أبيه ولم يعلم خبره بعد الحبس (الفخرى ٢٧٦) .

(٢) عبارة ابن الأثير في كتابه المطبوع « أن معلماً كان بالمدينة - وهي مدينة حماه - ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب « الكامل (٩ : ٥٣) .

مصفاها بالفضة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يدفن فيه
إذا مات !

وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة في ثامن عشر ربيع الأول
كثرت الزيادة في دجلة فغرقت بغداد ، وتهلّمت الدور وسور / المدينة ١٤٩ - ١
وكثر الخراب ولم يعرف الناس حدودهم على التحرير ، بل بالتخمين .
وفيها مات السلطان محمد الذي حاصر بغداد بِمَرَضِ السُّلِّ .
وفيها عاد ترشك إلى بغداد ولم يعرفه أحد ولا شعر به إلا وقد
ألقي نَفْسُهُ تحت التاج ومعه سيف وكفن . فَرَضِيَ عَنْهُ الخليفةُ ،
وَأَذِنَ لَهُ فِي دخول الدار وأنعم عليه بمال !

ذکر وفاة المقتنى لأمر الله

وشىء من أخباره

كانت وفاة المقتنى لأمر الله في شهر ربيع الآخر سنة خمس
 وخمسين وخمسمائة ، وقيل لليلتين خلتا من شهر رجب . ومولده
 في ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكان عمره
 سِتًّا وستين سنة تقريبا ، ومدّة خلافته أربعًا وعشرين سنة وشهورا .
 وكان شيخًا أبيض الرأس واللحية طويلها ، وكان حليما كريما عادلا
 حسنَ السيرة جميل الرأي وافرَ العقل : شجاعا مقداما يباشر الحروب
 بنفسه . وكان يحب جَمْعَ المال . وفي أول خلافته وُلِّيَ القضاء
 بمدينة السلام لرجل يعرف بابن المرخم ، وجعله يتولى عقوبة عماله

١٤٩ ب ووجود دولته وأخذ أموالهم : فقال / بعض الشعراء في ذلك :

صَحِيحِي وَيُكُ وَالطُّمِي وَيِ ابْنُ المَرْخَمِ (١)
 وَاهِ عَلَى الحَكْمِ وَالقَضَا وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
 وَأَرَى المَقْتَضَى الإِمَامَا مِ عَنِ الحَقِّ قَدْ عَمِي

فبلغ المقتضى ذلك فأخذ الشاعر بشكائه وعذبه وما زاده ذلك إلا تماديا في حاله . وهو أول من استبهد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الدَّيْلَمِ وإلى هذا الوقت ، وأول خليفة تمكن من عسكره وأصحابه وحكم على الخلافة منذ تحكّم المالِكُ على الخلفاء في خلافةِ المستنصر بالله وإلى الآن : إلا أن يكون المعتضد بالله . وكان المقتضى يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى لا يفوته منها شيء ، وكانت دعوتُهُ بالعراق والحجاز والشام وخراسان .

ذكر خلافة المستنجد بالله

هو أبو المظفر يوسف بن المقتضى لأمر الله أنى عبد الله محمد بن المستنجد بالله . وأمه أم ولد ندعى طاووس وقيل نرجس . رومية . وهو الخليفة الثاني والثلاثون من الخلفاء ببيع له بهد وفاة أبيه في شهر ١٥٠ - ١

(١) نقول ضخته الشمس أى لفته (سودته) والسخم السواد . وقد سخم وجهه (بالسين) سوده كما يقول القاموس المحيط ، ورواية البيت هذه ليست كذلك أنبأ النويرى ، فى « ضخمى ومك والطمى قد »

وفى ك صفحة ٨٨ « ضخمى ويك والطمى قد » .

وفى ف صفحة ٨٥ - ١ (ضخمى ويك والطمى قد » .

ربيع الأول في سنة خمسين وخمسين وخمسمائة وقيل لليلتين خلّتا من شهر رجب منها والله تعالى أعلم .

قال (١) : وكان للمتقى حظية وهي أم ولده أبي علي . فلما اشتد مرضه وأيست منه ، أرسلت إلى جماعة من الأمراء وبذلت لهم الإقطاعات الكثيرة والأموال الجزيلة ليساعدوها على أن يكون ولدها الأمير أبو علي خليفة فقالوا : كيف الحيلة مع ولي العهد ؟ فقررت أنها تقبض عليه إذا دخل ، وكان يدخل على أبيه في كل يوم فقالوا : لا بد لنا من أحد أرباب الدولة فوق اختيارهم على أبي المعالي بن الكيال الهراس (٢) فدعوه إلى ذلك فأجابهم على أن يكون وزيراً . فبدلوا له ما طلب . فلما استقرت القاعدة بينهم أحضرت عدة من الجوارى وأعطهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد المستنجد بالله . وكان له خصي صغير يرسله في كل وقت يتعرف أخبار والده فرأى الجوارى وبأيديهن السكاكين وبهدأ أبي علي وأمه سيفيين . فعاد إلى المستنجد وأخبره . . .

وأرسلت هي إلى المستنجد تقول : « إن والدك قد حضرته الوفاة فاحضر لتشاهده » فاستدعى أستاذ الدار عضد الدين . وأخذ معه جماعة من الفرائسين ، ودخل الدار وقد لبس الدرع والسيف في يده . فلما دخل ثار به الجوارى / فضرب وحاده منهن فجرحها وجرح أخرى وصاح فدخل أستاذ الدار والفرائسون فهرب الجوارى وأخذ أخاه

١٥٠-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٦٨ .

(٢) كذا في ك صفحة ٨٨ وفي الكامل « ابن كيا الهراس » .

أبا علي وأمه فَسَجَنَهُمَا ، وقتل من الجوارى وغرَّق وجلد للمبايعة فبايعه أهله وأقاربه .

وأول من بايعه عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر بن المقتضى وكان أكبر من المستنجد ، ثم بايعه الوزير ابن هبيرة ، وقاضي القضاة ، وأرباب الدولة والعلماء . وخطب له في يوم الجمعة ، ونُشرت الدنانيرُ والدراهم .

قال ابن هبيرة الوزيرُ عنه : إنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام منذ خمس عشرة سنة فقال لى : يبقى أبوك في الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام « ثم قال » رأيتك قبل موتِ المقتضى بأربعة أشهر ، فدخل لى في باب كبير ثم ارتقى إلى رأس جبل وصلى لى ركعتين وألبسنى قميصاً ثم قال لى : قل (اللهم اهدنى فيمن هديت) وذكر دعاء القنوت . «

قال : (١) ولما وليَ المستنجدُ بالله أقر ابنَ هبيرةَ على وزارته ، وأصحابَ الولاياتِ على ولاياتهم ، وأزال المكوس والضرائب ، وقبض على ابن المرخم وأخذ منه مالا كثيرا وأخذ كُتبه فأحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة . وقدم عضد الدين ابن رئيس الرؤساء - وكان أستاذ الدار - فمكَّنه وتقدَّم إلى الوزير بأن يقوم له ، وعزل قاضي القضاة على بن أحمد الدامغانى ، ورتب مكانه أبا جعفر عبد الواحد (الثقفى) وخلع عليه .

١٥١ - ١

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٦٩ .

ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى

وفي شهر رجب سنة سَبْعٍ وخمسين وخمسمائة ملك الخليفة قلعة الماهكى ، وسبب ذلك أن صاحبها سنقر الهمداني سلمها إلى أحد مماليكه ومضى إلى همدان فضعف مملوكه عن حفظها ومقاومة من حولها من الأكراد والتركمان فأشير عليه ببَيْعِهَا من الخلية فراسل في ذلك ؛ فاستقرَّ بينهما خمسة عشر ألف دينارٍ وسلاحٍ ومتاعٍ وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له وأقام ببغداد ، ولم تزل هذه القلعة من أيام المقتدر بالله بيد التركمان إلى الآن .

ذكر اجلاء بني أسد من العراق

وفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة أمر الخليفة باهلاك بني أسد أهل الحلة المزيدية لِمَا ظَهَرَ من فسادهم ولِما كان في نفسه منهم من مساعدتهم للسلطان محمد في حصار بغداد ، فأمر يزيد بن قماج بقتالهم وإخراجهم من البلاد ، وكانوا منبسطين / في البلاد في البطائح . ١٥١ ب
فتوجه إليهم وجمع العساكر الكثيرة ، وأرسل إلى ابن معروف [مقدم المقتضى] ^(١) وهو بأرض البصرة فجاء في خلقي كثير وحصرهم وسك عنهم الماء وضيق عليهم فاستسلموا ، فقتل منهم أربعة آلاف وناذى فيمن بقى « من وجد في الحلة المزيدية بعد هذا فقد حل دمه فتفرقوا في البلاد ، ولم يبق في العراق منهم من يُعرف ، وسُلمت بطانتهُم وبلادهم إلى ابن معروف .

(١) في ا ، ف « ابن معروف المتفق » وفي ك صفحة ٨٩ « ابن معروف المتفق »

وما ها هنا عن الكامل ٩ : ٨٣ .

وفي سنة ستين وخمسمائة في صفر قبض المسلمون على الأمير ثوبه بن العقبلي وكان قد قُرب منه قُرباً عظيماً حتى كان يخلو معه ، وأحبته محبةً عظيمةً ، فحسده الوزير ابن هبيرة ، فوضع كتباً من العجم مع قوم وأمرهم أن يتعرضوا ليؤخذوا ففعلوا ذلك ، وأخذوا وأحضروا عند الخليفة .

وأظهروا الكنب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج إلى مهر الملك بتصيد وكانت حلل ثوبه على الفرات ، فحضره عنده فأمر بالقبض عليه ، فقبض عليه وأدخل بغداد ليلاً وحُبس فكان آخر العهد به فما تمتع الوزير بعده بالحياة ، ومات بعد ثلاثة أشهر وكان ثوبه من أكمل العرب مروءةً وسخاءً وعقلاً وإجادةً ، واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في غيره .

وفيها في جمادى الأولى توفي الوزير عون الدين يحيى بن محمد ابن هبيرة ومولده سنة / تسعين وأربعمائة ودفن بمدرسته التي هو بناها للحنايكة بباب البصرة ، ولما مات قبض على أولاده وأهله !

١٥٢ - ١

وفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة استوزر الخليفة المسلمونجيد بالله شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي ، وكان ناظراً بواسط . وظهرَ عن كفاءةٍ عظيمة ، فأحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين أستاذ الدار قد تحكَّم تحكُّماً عظيماً ، فتقدم أمر الخليفة إلى وزيره بكف يده وأيدى أصحابه ففعل ذلك ، ووكل بأخيه تاج الدين وطالبه بحساب نهر الملك وكان يتولاه أيام

المقتضى ، وكذلك فعل بغيره ، فحصل أموالاً جمةً وخافه أستاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وأعطاه الورقة التي بخط الخليفة فقال له : تعود إليه وتقول قد أوصلت الخط إلى الوزير ! ففعل ذلك وأحضر أستاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش وعرض عليهم الخط فاتفقوا على قتل الخليفة . فدخل عليه يزدن وقاماز فحملاه إلى الحمام وهو يستغيث والقياد وأغلقا الباب عليه وهو يصيح حتى مات .
وقبض على الحسين بن محمد المعروف بابن البستي وعلى أخيه الصغير ، وكانا ابني عمِّ عضد الدين . وكان الصغير عامل بیمارستان فقطع يده ورجله ؛ فقيل إنه كان يستخرج المال بصنوج كبار ويحمله إلى الديوان بصنجة صحيحة وقيل غير ذلك ، وحمل إلى بیمارستان فمات^(١) .

١ ذكر وفاة المستنجد بالله

١٥٢ب

وشي - من أخباره وسيرته

كانت وفاته في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسائة ومولده في مستهل شهر ربيع الآخر سنة عشرة وخمسائة . وكان عمره ستاً وخمسين سنة وثمانية أيام ، ومدة خلافته أحد عشر سنة وشهراً واحداً وستة أيام على القول الأول . وكان أسمر ، تام القامة ؛ طويل اللحية .

وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضه ؛ وكان بجانبه أستاذ الدار عضد الدين [أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء]^(٢) وقطب

(١) كان ذلك في سنة أربع وستين وخمسائة (الكامل ٩ : ١٠٤) .

(٢) زيادة من الكامل ٩ : ١٠٨ .

الدين قايماز المقتفوى - وهما من الأمراء ببغداد - فوصيها الطبيب على أن يصف له ما يقتله فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ، فأدخله وأغلق عليه بابه فمات^(١) . وقيل إنه كتب إلى الوزير ... النصراني ابن صفية يأمره بالقبض على أستاذ الدار .

وكان رحمه الله من أحسن الخلفاء سيرةً ، عادلا في الرعية كثير الرفق بهم ، وأطلق كثيرا من المكوس / حتى لم يترك بالعراق شيئا منها . وكان شديدا على أهل العيب والفساد والسعاية قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل^(٢) « بلغني أن المستنجد قبض على إنسان كان يسعى بالناس فأطال حبسه ، فشفع فيه بعض خواصه ، وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال : أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي آخر مثله أحبسه لأكف شره عن الناس ! » ولم يطلقه ورد كثيرا من الأموال على أصحابها رحمه الله .

١٥٣ - ١

ذكر خلافة المستضيء بأمر الله

هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن المقتضى لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، وأمه أم ولد أرمنية تدعى غضة وهو الخليفة الثالث والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه في التاسع من شهر ربيع الآخر في سنة ست وستين وخمسمائة .

قال^(٣) : ولما مات المستنجد بالله كان بين الوزير أبي جعفر ابن البلدي

(١) يؤيد هذه الرواية ابن طباطبا في الفخرى ٢٧٧ .

(٢) جزء ٩ صفحة ١٠٩ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٠٨ .

وبين أستاذ الدار عضد الدين وقطب الدين عداوةً شديدةً لأن المستنجد كان يأمره بأتسياء تتعلق بهما فيفعلها فيظن أن أنه هو الذي يسعى بهما فلما أُرْجِفَ بمَوْتِ المستنجد ركب الوزيرُ ومعه الأمراءُ والأجنادُ / وغيرهم ١٥٣-ب يالعدوة ولم يتحققوا مَوْتِ الخليفة . فأرسل إليه أستاذ الدار يقول : إن أمير المؤمنين قد خفَّ مابه من المرض وأقبلت العافية إليه ! فخاف الوزير أن يدخل دارَ الخلافة بالجنْد فرمما أنكر عليه ذلك ، فعاد إلى داره وتفرَّق النَّاسُ عنه .

وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهِرَبِ لما ركب الوزير خَوْفًا أن يدخلَ الدارَ فيأخذهما ، فلما عاد أغلق أستاذ الدار أبوابَ دارِ الخلافة وأظهر موتَ الخليفة ، وأحضر ولده أبا الحسن محمدًا وبايعه هو وقطب الدين بالخلافة ، ولقباه بالمستضيء بأمر الله ، وشرطوا عليه شروطًا منها : أن يكون عضد الدين وزيرًا ، وابنه جمال الدين أستاذَ الدار ، وقطبُ الدين أميرَ العسكر ، فأجابهم إلى ذلك ، وبايعه أهل بيئته البيعةَ الخاصة في يوم وفاة أبيه ، وبايعه الناسُ من الغد في الناجِ بيعةً عامةً ، وأظهر العدلَ وفرق أموالًا جلييلةً المقدار .

ذكر مقتل الوزير أبي جعفر بن محمد

المعروف بابن البلدى

قال (١) : ولما علم الوزير بوفاة الخليفة سقط في يده وقرع^٢ بسنّه ندمًا على عودِهِ ، وأتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء والبيعة

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٠٩

١-١٥٤ للمسنضىء ، فمضى إلى دار الخلافة فلما دخلها صُرف إلى موضع وقيل وقُطِع وأُلقِيَ في دجلة ، وأخذ جميع ما في داره ، فأيا خطوطَ المستنجد بالله يأمره بالقبض عليهما . وخطَّ الوزير وقد راجعَه في ذلك وصرفه عنه . فندما على قتله .

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة أقيمت الدعوة العباسية بالديار المصرية وخطب للخليفة بها ، وانقرضت الدولة العبيدية المنسوبة إلى العلوية بخلع العاضد لدين الله ، وكان ذلك على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله على ما نذكر ذلك مبيّناً - إن شاء الله تعالى - في أخبار الدولة العبيدية (١) .

وفيها عزل الخليفة وزيرد عضد الدين من الوزارة لأن قطب الدين قايماز ألزمه ذلك فلم يمكنه مخالفة ، ثم قصد الخليفة إعادته في جمادى الأولى سنة تسع وستين فثارت الفتنة بين الخليفة وقايماز . وأغلق قايماز باب النبوي وباب العامة وبقيت دار الخلافة محاصرة . فأنجاب الخليفة إلى ترك وزارته فقال قايماز : لا أقنع إلا بخروج عضد الدين من بغداد ! فأمر بإخراجه منها فالتجأ إلى صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل وهو شيخ الشيرخ وصار في رباطه فأجاره . ثم عاد إلى داره في جمادى الآخرة .

١٥٤-ب

وفي سنة تسع وستين وخمسمائة زادت دجلة فتجاوزت كل زيادة كانت ببغداد منذ بنيت إلى الآن بذراع وكسر . وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد ونبع الماء من البلايع . وخرب كثير من الدور

(١) انظر هنا النجوم الزاهرة ٦ : ٦٣ والبداية والنهاية ١٢ : ٢٦٤

وغرق البهارستان العُضدي ، ودخلت المراكب من شبابكيه وكانت قد تقلعت .

وفيها سقط الأمير أبو العباس أحمد - وهو الذي صار خليفة ولُقِّبَ الناصر لدين الله - من قبة عالية إلى أرض التاج ومعه غلام له اسمه نجاح ، فألقى نفسه بعده ومسلماً جميعاً فقبل لنجاح : لم ألقيت بنفسك ؟ فقال : ما كنت أريد البقاء بعد مولاي ! فرعى له الأمير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابياً وحكّمه في الدولة ولقبه الملك الرحيم عز الدين وخدمه جميع أمراء العراق .

وفيها في شهر رمضان وقع ببغداد بردٌ كبدار ما رأى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس والمواشي ، فوُزنت بردةٌ منه فكانت سبعة أرطال ، وكان عامته كالنارنج يكسر الأغصان ، قال ابن الأثير هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه والمهدة عليه فيه (١) .

ذكر هرب قطب الدين قايماز / من بغداد

١٥٥-ب

وعود عضد الدين إلى الوزارة

كان سبب ذلك وابتداؤه أن علاء الدين تنامش - وهو من أكابر الأمراء ببغداد - وقطب الدين قايماز زوج أخته سيرا عسكرياً إلى العراق في شوال سنة سبعين وخمسمائة فنهَّبوا الناس وبالغوا في

أذاهم ، فجاء جماعةٌ منهم إلى بغداد واستغاثوا فلم يُغاثوا لِضَعْفِ
الخلافةِ وتحكم قايماز وتنامش على الدولة ، فقصدوا جامع القصر
واستغاثوا ومنعوا الخطيب من الخطبة فأنكر الخليفة ما جرى ، فلم
يلتفت قايماز وتنامش إلى قَوْلِهِ .

فلما كان في خامس ذى القعدة قصد قايماز دارَ ظهير الدين بن
الطار صاحب المخزن - وللخليفة به عناية تامة وبينهما صُحبةٌ -
فلم يراع قايماز الخليفة فيه ، واستدعاه فهُرَبَ ، فأحرق قطب الدين
قايماز داره وحالف الأمراءَ على المساعدة والمعاضدة له ، وجمعهم وقصد
دار الخلافةِ لِإِعْلَانِهِ أَنَّ ابْنَ الطار فيها .

فلما علم الخليفة ذلك صعد إلى سطح داره وظهر للامة
وأمر خادما فصاح وقال للامة : مالُ قطب الدين لكم ودُّهُ لى !
فقصد الخَلْقُ كلُّهم دارَ قطب الدين للنهب ، فلم يمكنه الدُّقَام
لِضيق الشوارع ، وغلبت العامةُ ، فهرب من داره من باب فتحه من
ظهرها لكثرة مَنْ على بابها مِنَ الخَلْقِ . وخرج من بغداد ، وتُوبِتْ
دارُهُ وسلبت نعمته في / ساعة واحدة وتبعه تنامش وجماعة من الأمراء ،
فنهبت دُورهم وأحرق بعضها ، وأخِذَتْ أُولُوهاهم .

١٥٥-ب

وسار قطب الدين إلى الحلة ومعه مِنَ التَّحَقِّقِ مِنَ الأمراءِ ،
فسير الخليفة إليه شيخ الشيوخ صدر الدين فَخَدَعَهُ حتى سار
عن الحلة نحو الموصل على البيرِ فَلَحَقَهُ هو وَمَنْ معه عَطَشَ عظيم
فهلك أكثرهم ومات قايماز قبل وصوله إلى الموصل . ودُفِنَ بظاهر

باب العمادى وكانت وفاته في ذى الحجة . ووصل تنامش إلى
الموصل فأقام مدة، ثم أمره الخليفة بالقلموم إلى بغداد فصار إليها
وبقى بغير إقطاع !

قال (١) : ولما هرب قايماز أعيد عضد الدين إلى الوزارة . وقال
بعض الشعراء في قطب الدين قايماز وتنامش بن قماج :

إن كنت معتبراً بملك زائلٍ وحوادث عنقية الإدلاج (٢)
فدع العجائب والتواريخ الألى وانظر إلى قَيمازَ وابنِ قماج
عَطَفَ الزَّمانَ عليهما فسقاها من صرفه كأسا بغير مزاج (٣)
فَتَبَدَّلُوا بعدَ القصورِ وظلَّها ونعيمها بِمَهَامِهِ وفججاج
فَلْيَحْذَرِ الباكون من أمثالها نكباتِ دهرٍ خائنٍ وزعاج

• • •

قال (٤) : وكان قطب الدين كريما طلق الوجه ، محبا للعدل

والإحسان ، كثير البذل للمال ، وإنما كان يحمله على ما يقع منه تنامش ١٥٦ - ١
بغير إرادته .

وفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ولى الخليفة المستنصر
حجبة الباب أبا نصر على بن الناقد (٥) وكان الناس تلقبه

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٣٥

(٢) كذا في ١ ، ك ٩١ ، ف ٨٨ - ب ، في الكامل ٩ : ١٣٥ « عنيفة الأوردج »

وبها الوزن يختل

(٣) في الكامل « من كأسه صرفا بغير مزاج »

(٤) ابن الأثير في الكامل ٩ : ١٣٥

(٥) في الكامل ٩ : ١٣٨ « أبا طالب نصر على بن الناقد »

في صغره قنبراً ، فصار الناس يصيحون به بهذا اللقب إذا ركب .
فأمر أن يركب معه جماعة من الأتراك يمنعون الناس من ذلك ، فامتنعوا
فلما كان قبل العيد بثلاثة أيام خلع عليه ليركب في الموكب ،
فاشتهرى جماعة من أهل بغداد شيئاً كثيراً من القنابر وعزموا على إرسالها
في الموكب ، فأنهى ذلك إلى الخليفة فعزله وولى ابن الموح .

وفيها قبض الخليفة على عماد الدين صندل المقتفوي أستاذ
الدار ورتب مكانه أبا الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب (١) .

ذكر مقتل الوزير عضد الدولة (٢)

وولاية ظهير الدين بن العطار

كان مقتله رحمه الله في رابع ذي القعدة سنة ثلاثٍ وسبعين
وخمسمائة ، وهو أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر
ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم [بن المسلمة] وسبب مقتله أنه
عزم على الحج وعبر دجلة للمسير ومعه أرباب المناصب وهو في موكب
عظيم ، وتقدم إلى أصحابه أن لا يمنعوا عنه أحداً ، فلقيد إنسان
كهل وقال : أنا مظلوم !

١٥٦-ب

وتقدم إليه يسرع كإلاهة فضربه بسكين في خاصرته ، فصاح
الوزير : قتلتني ! ووقع إلى الأرض وسقطت عمامته ، فغطى رأسه
بكمه وضرب الباطني بسيف ، وعاد إلى الوزير فضربه بسكين وأقبل
صاحب الباب ابن الموح لينصر الوزير . فضربه الباطني بسكين ،

(١) في الكامل « سنجر المقتفوي ، وهبة الله بن نصرت »

(٢) في المصوبات الثلاث « عضد الدين » ويورر اسمه في المظان « عضد الدولة »
على ما أثبتنا (راجع مثلاً البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٨ وانجوم الزاهرة ٦ : ٨١)

وقيل بل ضربه رفيق له ، وكان له رفيق ثالث فصاح وببده سكين فقتل ولم يصنع شيئا . وأحرق الثلاثة ، وحمل الوزير إلى دار له هناك ، وحمل الحاجب إلى بيته فمات هو والوزير .

وكان الوزير قد رأى في منامه أنه يعانق عثمان بن عفان ، قال ابن الأثير (١) : وحكى عنه ولده أنه اغتسل قبل خروجه وقال : هذا غسل الإسلام وأنا مقتول بلا شك ! وكان له معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وسمع الحديث ، وختمت أعماله بالتمهادة وهو على قصد الحج رحمه الله . ولما قتل حكم في الدولة ظهير الدين أبو بكر ابن منصور المعروف بابن العطار ، وكان حسن السيرة وتمكن تمكنًا عظيمًا .

ذكر فتنة بغداد

وهدم بيعة اليهود

وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة كانت الفتنة ببغداد ، وسببها أن قوما من مسلمي المدائن حضروا إلى بغداد وشكوا من يهود المدائن وقالوا : لنا مسجد نؤذن فيه ونصلي وهو مجاور لبيعة اليهود ، فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الأذان وأنهم اختصموا هم والمؤذن ، وكانت فتنة استظهر فيها اليهود . فلما شكوا أمر ابن العطار بحبسهم فحبسوا ، ثم خرجوا ففصلوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخنف الخطيب الخطبة والصلاة ، فعادوا يستغيثون فأتاهم جماعة من الجند ومنعواهم ، فغضب عامة بغداد لذلك واستغاثوا ، وخلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند بها ،

(١) الكامل ٩ : ١٤٣ .

ثم قصدوا دكاكين المخلطين لأن أكثرهم يهود فنبهوها . فأراد حاجبُ الباب منّتهم فرجموه فهرب منهم ، وضربوا الكنيسة التي عند دار البساسيري ، وأحرقوا الورق الذي فيها الذي يزعم اليهود أنه التوراة . واختفى اليهود فأمّر الخليفة بنقض الكنيسة التي بالمدائن وتبني مسجدا ونصب بالرحبة أخشاب ليضاب عليها أقوام من المفسدين فظنّها العامّة تخويفا لهم لأجل ما فعلوه باليهود ، فجعلوا عليها جردانا ميتة ، فأخرج جماعة من الحبس من اللصوص فصلبوا عليها وسكنت الفتنة !

ذكر وفاة المستضيء بأمر الله

١٥٧- ب / كانت وفاته لليلتين خلنا من ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ومولده في سنة ست وثلاثين ، وكان عمره أربعين سنة تقريبا ، ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر إلا أياما . وكان رحمه الله عادلا حسن السيرة في الرعية ، كثير البذل للأموال ، حلما ، قليل المعاقبة على الذنوب ، محبا للفقو والصفح عن المذنبين ، وأولاده أبو العباس أحمد وأبو منصور هاشم .

ذكر خلافة الناصر لدين الله

هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله وأمه أم ولد تركية اسمها زمرّد وهو الخليفة الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويح له بالبيعة العامّة في يوم الأحد ثلثي ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقام له بالبيعة ظهير الدين بن العطار وبايح له ،

فلما تَمَّت البيعةُ صار الحاكم في الدولة أستاذ الدار مجد الدين صاحب ، وسير الرسل إلى الآفاق يأخذ البيعة له .

ذكر القبض على ابن العطار وموته

وفي سابع دى القعدة قبض على ظهير الدين بن العطار الوزير ووكّل به في داره ، ثم نقل إلى التاج وقُيّد وأخذت أمواله وطُلبت ودائمه وأخرج ميتاً في ليلة الأربعاء ثاني عشر الشهر على رأس حمال . فغمز به بعض الناس فثار به الامة والقوه عن رأس الحمال وكشفوا عن سواته ، وشلّوا في ذكره حبلاً وسحبوه في البلد وكانوا يعضون بيدد مغرفة ويقولون : وقع لنا مولانا ! إلى غير ذلك من الأفعال التسيّعة ، ثم خلص منهم ودثن .

قال (١) وفعلوا به هذ الأفعال القبيحة مع حُسن سيرته فيهم وكفّه عن أولاهم وأعرضهم .

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة كثرت المنكرات ببغداد فأقام حاجب الباب جماعة لإراقة الخدور وأخذ المفسدات ، فبينما امرأة منهن في موضع علمت بمجيء الحاجب فاضطجعت وأظهرت أنها مريضة وارتفع أنينها ، فرأواها على ذلك فانصرفوا عنها ، فهمت بالقيام فلم تستطع ودجزت وجعلت تصيح : الكرب الكرب ! إلى أن ماتت .

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قبض الخليفة على أستاذ الدار مجد الدين أبي الفضل بن الصاحب وقتله ، وكان قد تحكّم في

(١) ابن الأثير في الكامل : ٩ : ١٤٩ . وقد روى ابن طباطبا القصة في الفخرى : ٢٨١ .

١٥٨-ب الدولة ليس للخليفة معه حُكْمٌ . وكان الذي سَمِعَ به عند الخليفة
 وتَبَّحَ آخَرَهُ رجلٌ من صنائعه وأصحابه يقال له عبيد الله بن يونس
 قَبِضَ / عليه الخليفة وقتله ، وأخذ أمواله وكانت عظيمة . وكان رحمه
 الله حسن السيرة ، واستوزر الخليفة بعده أبا المظفر عبيد الله بن
 يونس في شِمال ، ولقبه جلال الدين ، ومشى أكابر الدولة في ركابه
 حتى قاضى القضاة ، وكان ابن يونس هذا من شهوده ، فكان يمشى ويقول :
 لعن الله طول العمر !

ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل

كان طغرل (١) السَلْجُقى قد قَوِيَ أمره في سنة ثلاث وثمانين
 وخمسمائة وكثير جدُّه ، وأرسل إلى بغداد يقول : أريد أن يتقدم
 إلى الديوان بعمارة دار السلطنة لِأَنْزَلَ فيها إذا قدمت ! فرد الخليفة
 رسوله بغير جواب ، وأمر بِنَقْضِ دار السلطنة فَهَدَمَتْ إلى الأرض
 وعفى أثرها (٢) ووصل رسولُ طغرل - وهو صاحب أَران وأذربيجان
 وهمذان وإصفهان والرى وما بينهما - ببذل الطاعة والخدعة ويستنجد
 الخليفة على طغرل ، فدُكِّمَ الخليفةُ رسوله ووعده بتجهيز العساكر
 إليه ، وجَهَّزَهَا في سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وقدم عليها الوزير
 جلال الدين [عبيد الله] بن يونس وسيرهم لمساعدة طغرل وكف
 السلطان طغرل عن البلاد ، فسار العسكر في ثالث صفر إلى أن

١٥٩-١

(١) هو طغرل بن أربلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي

(٢) راجع الخبر إلى هنا في الكامل ٩ : ١٨٩ ، وبقية التي سردها التويرى في

قارب حمدان ، فلم يصل قزل إليهم . وأقبل ضفرك في عساكره ،
والتقوا في ثامن شهر ربيع الأول بمرج عند حمدان ، فلم تثبت عساكر
الخليفة وانهمت (١) ، وبقي الوزير قائما معه مصحف وسيف ،
فأسير وأخذ ما معه من خزائنة وسلاح وغيره ، وعاد العسكر إلى بغداد
متفرقين .

وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة خُطِبَ لولي العهد أبي نصر
محمد بن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ، ونشرت الدنانير والدراهم ،
وأُرْسِلَ إلى البلاد في إقامة الخطبة له .

وفيها في شوال ملك الخليفة تكريت ، وسبب ذلك أن صاحبها
الأمير عيسى قتله إخوته وملكوا القلعة بعده ، فسير الخليفة إليهم
عسكرا فحاصروها وتسلسوها ، ودخل أصحابها إلى بغداد فأعطوا
إقتناسا .

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة في شهر ربيع الأول ملك الخليفة الناصر
لدين الله حديثة عانة ، وكان قد سير إليها جيشا في سنة خمس وثمانين
وخمسمائة فحاصروها وقتلوا عليها شديدا ، وقتل من الفريقين خلق
كثير ، ودام الحصار فضاقت الأوقات على أهلها ، فسلموها على
إقطاع عيّنوه ، ووصل صاحبها وأهلها ببغداد وأعطوا إقطاعا ثم تفرقوا
في البلاد ، وامتدت بهم الحاجة حتى تعرض بعضهم للسؤال وبضهم
خلتم / الناس

(١) يصف ابن سليمان الراوندي هذه المعركة في راحة الصدور ٤٨١ وصفا رائعا وقرر
أن جيش المراق لم يشهد مثلها .

وفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ، ونُقِلَ إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يُقَدَّرُ على مِثْلِهَا .

وفيها في شهر ربيع الأول كملت عمارة الرباط الذي أمر الخليفة بإنشائه بالحريم الظاهري غربى بغداد على دجلة .

وفيها ملك الخليفة قلعةً من بلاد خوزستان ، وسبب ذلك أن صاحبها سوسيان بن شملة جعل عليها ذرداراً فأساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله وأرسل إلى الخليفة ، وأرسل إليها وملكها .

وفيها انقَضَ كوكبان عظيمان بعد طلوع الفجر واصطدما وسمع صوت هدة عظيمة وغلب ضوءهما ضوء القمر والنهار .

وفي سنة تسعين وخمسمائة قتل السلطان طغرل السلجوقي في حرب كانت بينه وبين خوارزم شاه غلاء الدين ، وملك خوارزم شاه البلاد .

ذكر ملك الخليفة خوزستان

وفي سنة تسعين أيضاً خَلَعَ الخليفة الناصر لدين الله على نائب الوزارة مؤيد الدين أوى عبد الله محمد بن على المعروف بابن القصاب خَلَعَ الوزارة ، وسار في شهر رمضان من السنة إلى بلاد خوزستان بالعساكر . وقد كان قد خَدَمَ بها أولاً وعرفها ، فلما ولي نيابة الوزارة ببغداد أثنى على الخليفة الناصر لدين الله أن يرسله بعسكر ليملكها . وأتَفَقَ وفاة صاحبها ابن شملة التركمانى واختلاف

أولاده ، فأرسل بعضهم إلى مؤيد الدين يستنجده ، فقوى طمعه فيها ، فسار إليها ودخلها في سنة إحدى وتسعين ، وملكها في المحرم منها ، وملك غيرها من البلاد والقلاع : منها قلعة الناظر ، وقلعة كاكرد ، وقلعة لاموج ، وغيرها من القلاع والحصون ، وأنفذ بني شامة التركماني أصحاب خوزستان إلى بغداد فوصلوا في ربيع الأول .

ذكر ملك الوزير همدان

وغيرها من بلاد العجم

قال (١) : ثم ملك الوزير مؤيد الدين المذكور همدان في شوال سنة إحدى وتسعين وخمسمائة من عسكر خوارزم شاه وولده ، فتوجه الخوارزميون إلى الري فتبعهم الوزير ففارقوها من غير قتال وتوجهوا إلى دامغان وبسطام (٢) وجرجان . فعاد عسكر الخليفة إلى الري فأقابوا بها ، ثم رحل الوزير إلى همدان فأقام بها نحو ثلاثة أشهر وأتته رسل خوارزم شاه يطلب إعادة البلاد وتقرير قواعد الصلح فلم يجب الوزير إلى ذلك . فسار خوارزم شاه محمد بن تكش إلى همدان فوجد الوزير قد توفي في شعبان ، فوقع بينه وبين عسكر الخليفة الناصر لدين الله مصاف في نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين ، فقتل من المسكرين خلق كثير ، وانهم عسكر الخليفة ، وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا ، وذلك خوارزم شاه همدان ونبش الوزير وقطع رأسه وسيره إلى خوارزم وأظهر أنه قتله في المعركة ، ثم رجع خوارزم شاه إلى خراسان لموجب عرض له .

١٦٠-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٢٣١

(٢) بسطام : مدينة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين وهي

بقوس (معجم البلدان ١ : ٤٢١) .

ذكر ملك عسكر الخليفة أصفهان

وفي سنة إحدى وتسعين جهز الخليفة جيشاً وسيّره إلى إصفهان ،
 ومقدم الجيش سيف الدين طغرل فقطع بلد [اللحف] (١) من
 العراق ، وكان بإصفهان عسكر الخوارزم شاه مع ولده ، وأهل إصفهان
 يكرهونهم . فكاتب صدر الدين الخجندی رئيس الشاهعية الديوان
 العزيز ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد إلى مَنْ يعصل إلى الديوان
 العزيز بالعسكر . فلما وصلت العساكر ظاهر إصفهان فارقها العسكر
 الخوارزمي إلى خراسان وتبعهم عسكراً لخليفة ، فأخذوا من قدروا
 عليه من ساقية العسكر ، ودخل عسكر الخليفة إلى إصفهان وملكوها .

١-١٦١

قال (٢) : واجتمع إليك ابن البهلوان وقدموا على أنفسهم
 كوكجه وهو من أعيان البهلوانية ، واستولوا على الرّى وما حولها
 من البلاد ، وساروا إلى إصفهان لإخراج الخوارزمية منها ، فسمعوا
 بوصول عسكر الخليفة إليها . فأرسل إلى طغرل ملك الخليفة
 يعرض نفسه على خدمة الديوان وأظهر العبودية وأنه إنما فسد
 إصفهان في طلب العسكر الخوارزمي ، وأنه ساق في طلبهم فلم
 يدركهم .

قال (٣) : ثم سار عسكر الخليفة من إصفان إلى دمان ، وساق
 كوكجه خلف العسكر الخوارزمي إلى بلاد الإسماعيلية ، وعاد ففقد

(١) في المصورت الثلاث « النجف » وما هنا عن الكامل ٩: ٢٣٤٩

(٢) ابن الأثير في الكامل ٩: ٢٣٤

(٣) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٢٣٤

إصفهان وملكها . فُرسل إلى بغداد يسأل أن تكون له الري وجواره (١) وسأوة (٢) وقم وقاجان وما ينضم إليها ، وتكون إصفهان وهمدان وزنجان وفزوين لديوان الخليفة . فأجيب إلى ذلك ، وكتب منشوره بما طلب ، وأرسلت إليه الخلع ، فمظم شأنه وقوى أمره وكثرت عساكره .

وفي سنة إحدى وستمائة يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قُضيت خطبة ولَّى العهد أبي نصر بن الخليفة الناصر لدين الله ، وذلك أنه أظهر خطه بدار الوزير نصير الدين الرازي إلى أبيه يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ، ويطلب الإقالة ، وشهد عدلان أنه / خضه وأن الخليفة أقاله ، وعُمل بذلك بحضور شهيد فيه ١٦١-ب
القضاة والعلماء والعدول والفقهاء .

وفي سنة أربع وستمائة عُزل وزير الخليفة نصير الدين ناصر ابن مهدي الماوي ، وكان من أدل الدين . قدم إلى بغداد لما ملك الوزير ابن القصاب الرئي ، فلقى نصير الدين من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ، ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن . فلما كان في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، عُزل وأُغلق بابُه . وسبب عزله أنه سماعات سيرته مع أكابر مماليك الخليفة حتى هرب

(١) كذا في الأصول ولعلها جرار موضع من نوحى قنشرين كما يقول ياقوت وهناك جواره موضع بافريقية وجراره ناحية بالأندلس ولا أظن أنهما المقصودان هنا (راجع معجم البلدان ١ : ١١٧) .

(٢) سآوة : مدينة بين الري وهمدان في وسط وأهلها سنية شافعية (معجم البلدان

من يده أمير الحج مظفر الدين سنقر المدروف برجه السبع إلى الشام في سنة ثلاثٍ وسمائةٍ وكتب إلى الخليفة أن هذا الوزير لا يبقى في خلعة الخليفة أحداً من مماليكه ، ولا شك أنه يريد أن يدعى الخلافة ، وأكثر الناس القول في ذلك وقالوا فيه الشعر ، فمنه قول بعضهم :

ألا مبلغ عنى الخليفة أحمدًا تروقٌ وقويت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما فمالك ياخير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالةٍ أحسدٍ فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما يدعى غير صدقٍ فأضرب ما كانت لديه الصنائع

فعزله ، وقيل في سبب عزله غير ذلك . ولما عزل عاد أمير الحج

١٦٢ - ١ / من مصر وعاد قشتمر ، وأقيم في نيابة الوزارة فخر الدين أبو المنذر^(١)

محمد بن أمسنا الواسطن إلا أنه لم يكن متحكماً .

وفيها أطلق الخليفة جميع حق البيع ، وما يؤخذ من أرباب الأمتعة من المكوس من مائر المبيعات ، وكان مبلغاً كبيراً . وسبب ذلك أن ابنة عزالدين نجاح الشراي توفيت فاشتري بقرة لتذبح ويتصدق بلحدها ، فرفعوا في حسابها مؤونة البقرة - وكانت كثيرة - فوقف الخليفة على ذلك ، فأمر بإطلاق المؤونة جميعاً .

وفيها في شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور بحال بغداد

يفطر فيها الفقراء ومسميت دور الخلافة .

(١) كذا في ١ ، ك ٩٦ ، ف صفحة ٩٢ - ارفى الكامل ٩ : ٢٨٩ أبو المنذر .

وفي سنة ست وستمائة في شهر ربيع الأول عزل فخر الدين بن أمسينا عن نيابة الوزارة ، وألزم بيته ، ثم نُقِلَ إلى المخزن ، وولي بعده لنيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن القمي كاتب الإنشاء ولقب مؤيد الدين ، ونقل إلى دار الوزارة .

وفي سنة اثنتي عشرة وستمائة في العشرين من ذي القعدة توفي الملك المعظم أبو الحسن علي ولد الخليفة الناصر لدين الله - وهو الولد الصغير - فحصل للخليفة عليه ألم عظيم لم يسمع بمثله ، وأمر الخليفة أن لا يعزوه به وكانت له جنازة عظيمة لم يسمع بمثلها ، ولم يبق ببغداد منزل إلا وفيه نعي .

١ / ذكر وفاة الناصر لدين الله

١٦٢-ب

وشيء من أخباره ومسيرته

كانت وفاته في آخر ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وكانت علته عشرين يوما إصابة دوسنطاريا . وكانت مدة خلافته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، قال ابن الأثير (١) : وكان قبيح السيرة في رعيته ظلما ، فخرَّب في أيامه العراق وتفرَّق أهله في البلاد ، فأخذ أموالهم وأبلاكهم . وكان كثير التنون يفعل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دور الضيافة ببغداد ثم قطعها ، ثم عمل دارا لضيافة الحج وأبطلها ، وأطلق بعض المكوس التي جردها ببغداد ثم أعادها ، وجعل جل همه

في رمي البندق والطيور المناسب وسراويلات الفتوة ، وبطل الفتوة من البلاد أجمع إلا من ليس منه ، ومنع الطيور المناسب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ، ومنع من الرمي بالبندق إلا من ادعى له وانتسب إليه . فأجابه الناس إلى ذلك إلا رجلاً واحداً يقال له ابن السفن فإنه فارق العراق والتحق بالشام فأرسل إليه يرغبه بالمال الجريل / ليرى عنه وينتسب إليه فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك فقال : بكفيني افتخاراً أن كل رام في الدنيا رمى الخليفة إلا أنا ! والعجم ينسبون إلى الناصر أنه هو الذي راسل التتار وجرأهم على البلاد ، وهذه المصيبة العظمى إن كانت !

١٦٣-

ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

هو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ، وهو الخليفة الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . بويح له البيعة العامة بعد وفاة والده الناصر لدين الله في شوال سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة . وكان قد خلع من ولاية العهد وقطعت خطبته كما تقدم ، وإنما فعل ذلك أبوه إحياءه إلى ولده الصغير ، فلما مات اضطر إلى أعادته لولاية العهد .

قال (١) ولما ولي الخلافة أظهر العذل والإحسان وأمر بإبطال المضالم وكف الأيدي عن الناس ، وأعاد على الناس ما كان أبوه قد اختصبه من أهوالهم وأهلاكهم ، وأبطل المكوس والحوادث . فمن ذلك أن المخزن كان له صنجة للذهب تزيد على صنجة البلد نصف

قيراط في الدينار ، فيقبضون بها المال ويصرفون بصنجة البلد ،
 فسمع بذلك فخرج / خطه للوزير أوله : « ويل للمطففين إلى قوله
 ليوم عظيم ^(١) قد بلغنا الأمر كذا وكذا فتعلاص صنجة المخزن
 إلى الصحيحة المتعامل بها . فكتب إليه بعض النواب يقول « إن هذا
 مبلغ كبير وقد حسبناه فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين
 ألف دينار » فأعاد عليه الجواب بالإنكار ويقول : لو كان ثلاثمائة
 ألف دينار وخمسين ألفا يطلق ، ! وأطلق زيادة صنجة الديوان
 وهي في كل دينار حبة ، وتقدم إلى القاضي أن كل من عرض كتابا
 قديما بملك صحيح يعيده إليه من غير إذنه . وأقام رجلا صالحا
 لولاية الحشرى وبيت المال وكان حنبليا فقال : إن مذهبي أن أورث
 ذى الأرحام فإن أذن أمير المؤمنين أن أفعل ذلك وليت وإلا فلا !
 فقال أعص كل ذى حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ! وأبطل مطالعات
 سراس الدروب ببغداد بأخبار الناس وقال « لا يكتب إلينا إلا فيما
 يتعلق بمصالح دولتنا » .

ومنه أنه لما ولى الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان
 وجه في خلافة الناصر لتحصيل الأموال ، فاحضر ما يزيد على ثلثة
 ألف دينار وطالع بذلك ، فأعاد الخليفة الظاهر الجواب بإعادته المال
 إلى أربابه ، فأنعید إليهم . وأطلق من كان في السجون وأمر أن يُحمل
 إلى القاضي / عشرة آلاف دينار يوفي بها دين من هو في سجن
 الحاكم على توى يعجز عنه . وتصدق في ليلة عيد الفطر

١٦٤-١

وفُرق في العلماء وأهل الدين مائة ألف دينار ، ولم تطل مدته في الخلافة .

وكانت وفاته في رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وسمائة ، فكانت مدة خلافته منذ أفضى إليه الأمر تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً . قال (١) : وأخرج قبل وفاته توقيفاً بخطه إلى الوزير ليقراه على أرباب الدولة ، فقال الرسول : إن أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ مثال لا يبين نه أثر ، بل أنتم إلى إمام فمال أحوج منكم إلى إمام قوال ! فقرأ المرسوم فإذا فيه بعد البسملة : اعلموا أنه ليس إهالاً إهمالاً ولا إغصاؤنا إغفالاً ولكن نباؤكم أيكم أحسن عدلاً ، وقد غفرنا لكم ما تلف من إخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشئمة وإظهار الباطل الجلي في صورة الحسن الخفي حيلة ومكيدة ، وتسبية الاستئصال والاحتياج استيفاءً واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصتها مختلصة من برائن ليث باسل وأنياب أسد مهيب ، تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤد وثقاته فتميلون / إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون . والآن فقد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقا . ورزقكم سلطانا يُقبل العثرة ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريد منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم

١٦٤-ب

مَكْرَدٌ ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فإن سلكتم مسالك نواب
خلفاء الله في أرضه وأماناته على خلقه وإلا هلكتم ، والسلام « قال (١) :
ووجد في داره رقاع مختومة لم يفتحها فقبل له : ما عليك لو فتحتها !
فقال : لا حاجة لنا فيها كلها سعايات !

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو جهنم المنصور وأُتِمب في خلافته بالمستنصر بن الظاهر بنمأر
الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله ألى العباس أحمد ،
وهو الخليفة السادس والثلاثون من الخلفاء العباسيين . بويغ له
بالخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر بنمأر الله في رابع عشر شهر رجب سنة
ثلاثٍ وعشرين وستائة ، فسلك من العدل والخير والإحسان مسلك
والده ، ونادى بإفاضة العدل وأن يضالغ الناس بعوائجهم . ولما كان
أول جمعة أتت في خلافته أراد أن يصلى الجمعة في القصورة التي يصلى
فيها الخلفاء فقبل له إن المطبق الذي يسلمك إليها فيه خراب لا يسلمك
فركب فرسا وسار إلى الجامع ظاهرا للناس بخادم وركاب دارٍ وعليه
قميص أبيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ، ولم يترك أحدًا
يمشى في خدته . وكذلك فعل في الجمعة الثانية حتى صلح المطبق !
وفي سنة خمسن وثلاثين وستائة كانت وقعة بين التتار وعساكر
الخليفة ، وكان مقدم العسكر الحليفى (٢) جمال الدين بكلك

(١) ابن الأثير في الكامل ٩ : ٣٦٩

(٢) نسبة خطأ ، ولكن جمهور المؤرخين يصطلح عليها ويأخذ بها (راجع فذرات

الناصرى . وقتل من الضائفتين خلق كثير ، فانهزم عسكر الخليفة وهو أول مصاف كان بين التتار وعسكر الخلفاء ، ودامت أيام المنتصر إلى سنة أربعين وستمائة .

وكانت وفاته بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة منها ، وكان سبب وفاته أنه قُصِدَ بمبضع مسموم فتوفي . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا ثلاثة وثلاثين يوماً ، وكان الناس في زمن خلافته في سُغلي شاعلي عن ضبط أيامه بالتاريخ : لما ذَهَمَهُم من حادثة التتار (١) . فلذلك اختَصَرْنَا أيامه وسترده أخبار التتار وخروجهم وما استولوا عليه من الممالك وما فعلوه بدهل البلاد مبيّنا عند ذكرنا للدولة الخوارزمية والجنكزخانية - إن شاء الله تعالى .

١٦٥-ب

ذكر خلافة المستعصم بالله

هو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتضى لأمر الله أبي عبد الله بن المستنظير بالله أبي العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن ذخيرة

(١) ولكن ابن طباطبا يقول في الفخرى ٢٨٨ هـ كانت أيامه طيبة ، والدنيا في زمانه ساكنة ، والخيرات دارة ، والأعمال عامرة . وفي أيامه فتحت إربل ، أرسل المنتصر إليها إقبالا الشرابي وصحبته عارض الجيوش ، وذلك عند وفاة صاحبها مظفر الدين ابن زين الدين على كوجك وهو في مقدمة كتابه ٢٦ ، ٢٧ يسخر من هذا التفتيح الهين الذي تضرب فيه البشائر وإن يكن دليلا على مهانة ما صار إليه أمر الخلافة !

اللّين أبي العباس أحمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المتندر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة - وهو الملقب بالناصر - ولم يكُ الخلافة - بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هرون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - رضي الله عنه - بن عبد المطلب ، وهو الخليفة السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، بويح له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله في يوم الجمعة لعشر خلون / من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة .

وكان متديناً متمسكاً بمذهب السنة والجماعة ، وحسن له أصحابه جمع الأموال والاقترصار على بغض من ببغداد من الجنيد ، وقطع الباقي ، ومسألة التتار وحمل القطيعة إليهم ليكفوا عنهم ، وقالوا له : هؤلاء ملكوا معظم بلاد الإسلام ولم يقف أحد من الملوكة أمامهم ! فأذعن إلى ذلك .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة قصد التتار بغداد ، حتى انتهوا إلى ظاهرها ونهبوا ما مروا عليه من البلاد ، فخرجت إليهم العساكر الخليفية فاججوا النيران بالليل ورحلوا ، ودامت أيام المستعصم بالله إلى أن ملك التتار بغداد .

ذكر مقتل المستعصم بالله

وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاكو على بغداد

كان مقتله في العشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة عندما استولى هولاكو على بغداد على ما نذكره إن شاء الله في أخبار

التتار. ^(١) ولما ملك هولاءكو بغداد أحضر الخليفة المستعصم بالله وأمر أن يُجعل في عدل ويداس بأرجل الخيل حتى يموت، ففعل به ذلك ^(١) / ومن عادة التتار أن لا يسفكوا دماء الملوك والأكابر، ومسيبى كل من حواه قصر الخلافة من الحرير، واستولى على ذخائر الخلفاء، ونهبت بغداد، وبذلوا السيف فيها سبعة أيام متوالية ثم رُفع في اليوم الثامن ^(٢). وكانت خلافة المستعصم بالله خمسة عشر سنة، وسبعة أشهر، وعشرة أيام. وكان الذى بعث هولاءكو على قَصْدِ بغداد أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى كان شيعيا والشيعة يسكنون بالكرخ وهي محلة مشهورة بالجانب الغربي من بغداد، فأحدث أهلها حدثًا فأمر الخليفة بنهتهم فنهبهم العوام، فوجد ^(٢) الوزير لذلك وكتب هولاءكو، وأخذ في التدبير على الخليفة وقطع أرزاق الجنيد، وأضيقهم حتى تمكن التتار من أخذ البلاد.

قال ^(٢) : ولما فتح هولاءكو بغداد وأحضر الوزير المذكور فقال : كيف كانت حالك مع الخليفة ؟ فذكر ما كان عليه من التقدم ونفاذ الكلمة وكثرة الأتباع وأنه كان يركب في جمع عظيم، فقال : إذا كان هذا فملك في حق من قلّمك وأحسن إليك كيف يكون منك

(١) يقول ابن واصل « وأما الخليفة رحمه الله فإبهم نظره، لكن لم يطلع أحد على قتله كيف كان، فقليل إنه خفق، وقيل وضع في عدل ورفس حتى مات وقيل غرق في الدجلة » راجع حاشية في كتاب السلوك للمقريزى ٢ : ٤٠٩ القسم الثاني .

(٢) ورد في دائرة المعارف الإسلامية . Enc. Isl. art Baghdad. « نهبت بغداد وأحرقت إلا أنها لم تخرب كلها أسوة بنيرها من البلاد التي فتحها هولاءكو لأنه كان يريد أن يجعلها عاصمة له » .

(٣) وجد يجد جدة وموجدة ووجدا : حزن وغضب (القاموس المحيط)

(٤) من عادة النويرى أنه إذا أحال بغير تحديد أحد، عن ابن الأثير ولكنه هنا لا يعنيه،

لأن أحداث تاريخه تنتهى بنهاية عام ٦٢٨ للهجرة .

معنا ؟ وأمر بقتله . وقيل استبقاه وأن امرأة رآته في يوم وهو على
برذون ليس معه أحد فتظرت إليه وقالت نيا بن العلقمي هكذا كنت
في أيام أمير المؤمنين (١) ؟

جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية بالعراق

١-١٦٧

ومن ولي منهم ومدة خلافتهم

وَلِيَّ مِنْهُمْ بِالْعِرَاقِ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ خَلِيفَةً وَهُمْ : أَبُو الْعَبَّاسِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَهُوَ السَّفَّاحُ ،
ثُمَّ الْمَنْصُورُ أَبُو جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ ، ثُمَّ الْمَهْدِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْهَادِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ مُوسَى ، ثُمَّ أَخُوهُ
الرَّشِيدُ أَبُو مُحَمَّدٍ هَارُونَ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْأَمِينُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ
أَخُوهُ الْمَأْمُونُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمُتَمَصِّمُ بِاللَّهِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ
مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَضَافَ إِلَى لِقَبِهِ اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
ثُمَّ ابْنُهُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرِ هَارُونَ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْفَضْلِ
جَعْفَرٌ ، ثُمَّ ابْنُهُ الْمُتَمَصِّمُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَمَصِّمِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ الْمُهْتَدِيُّ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَائِقِ ،
ثُمَّ الْمُعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ الْمُعْتَصِدُ
بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُؤْتِقِ طَلْحَةَ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ، ثُمَّ الْمُكْتَفَى بِاللَّهِ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ الْمُعْتَصِدِ ، ثُمَّ الْمُقْتَلِرُ بِاللَّهِ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ

(١) راجع كتاب السلوك ١ : ٤٠٠ القسم الثاني وجماعه نص عن ابن واصل في موقف هذا الوزير ، وراجع أيضا ما ذكره ابن طباطبا في الفخرى ٢٩ وكذلك ليداية والنهاية

١٦٧-ب / المتضد وخلع مرتين فالأولى بويج لابن المعز والثانية بويج للقاهر ،
ثم القاهر بالله أبو منصور محمد بن المتضد ، ثم الراضي بالله
أبو العباس أحمد بن المقتدر ، ثم المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم
ابن المقتدر ، ثم المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفى ،
ثم المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر ، ثم الطائع لله أبو بكر
عبد الكريم بن المطيع ، ثم القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق
ابن المقتدر ، ثم القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر ،
ثم المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس
أحمد بن القائم ، ثم المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى ،
ثم المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر ، ثم الراشد بالله
أبو العباس جعفر المنصور بن المسترشد ، ثم المقتفى لأمر الله أبو عبد الله
محمد بن المستظهر ، ثم المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفى
ثم ابنه المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن ، ثم ابنه الناصر لدين
الله أبو العباس أحمد ، ثم ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد ،
ثم ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ، ثم ابنه المستعصم بالله
أبو أحمد عبد الله .

وكانت مدة خلافتهم منذ بويج أبو العباس السفاح وإلى أن
١٦٨-١ قتل المستعصم بالله / خمسمائة سنة وثلاثاً وعشرين سنة وعشرة
أشهر وستة أيام وانقرضت الدولة العباسية وانقطعت دعوتهم
من سائر أقطار الدنيا ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً
إلى أن عادت بالديار المصرية المحرومة في الدولة الظاهرية

ذكر عود الدولة العباسية وقيامها بالديار المصرية المحروسة

ذكر خلافة المستنصر بالله

هو أبو العباس أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، بويغ له بالخلافة بالديار المصرية في التاسع من شهر رجب سنة تسع وخمسين وسبعمائة . وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية في هذا اليوم، فركب السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس للقائه في موكب مشهود، وأنزله بقلعة الجبل وأمر بإثبات نَمَيمِهِ . وحضر الأمراء والوزير وقاضي القضاة ونواب الحكم والفقهاء والصلحاء وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية واجتمعوا بقاعة / العمدة بقلعة الجبل وأمر السلطان بإحضار العُربان الذين حضروا مع الخليفة فحضروا وحضر خادماً من البيغادة فسمثلوا عنه هل هو أحمد بن الظاهر فقالوا إنه هو !

فتشهد جماعة من القضاة الأكابر بالانفاضة وهم : جمال الدين يحيى : نائب الحكم بمصر والفقير علم الدين ابن رشيق صدر الدين مرهوب الجزري ونجيب الدين الحرازي ، ومليد الدين التزمتي (١) نائب الحكم بالقاهرة . أن هو فمسجل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الأغر وحلف على نفسه بثبوت

(١) كذا في الأصل ولكن ورد في كتاب السلوك ١: ٤٠٠ القسم الثاني أن سديد الدين هو عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة ، ينسب إلى تزمت (قرية بصعيد مصر) هو أبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي .

تسميه وهو قائم على قدميه ، ولقب المستنصر بالله على اسم أخيه .
وبايعة السلطان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وأخذ
الأموال بحقها وصرفها في . . تحقها ، ثم بايعة الناس على اختلاف
طبقاتهم ومراتبهم .

ولما تمت بيعة قلدة السلطان البلاد الإسلامية وما يضاف
إليها وما يفتحه الله تعالى على يديه من البلاد ، وكتب السلطان
إلى سائر الأعمال بأخذ البيعة له ، وأن يُخَصَّبَ باسمه على المنابر ،
وتُنقَشَ السُّكَّةُ باسمه واسم السلطان . وخطب الخليفة بالناس
في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب بجامع القلعة ، ونُشرت
عليه الدنانير والدراهم ، وخَافَ على السلطان / وطوقه يوم الإثنين (١) .

١٦٩ - ١

واستخدم السلطان للخليفة من يحتاج إليه من أرباب الوظائف
فجعل الأمير سابق الدين بوزبا (٢) أتابك العسكر ، وكتب له
بألف فارس وجل الصواشي بهاء الدين صندل سرايبا وكتب له
بخمسمائة فارس والأمير ناصر الدين محمد بن صريم (٣) خزنلارا
وكتب له بمائتي فارس ، والأمير نجم الدين أستاذ الدار وكتب له

(١) كان رسم الخلعة يتضمن تسليم الطوق المذهب ليوضع في العنق ، والتقيد للقدم وهو
من الذهب أيضا (راجع البداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢) .

(٢) ذهب الدكتور محمد مصطفى زيادة في تحقيق هذا الاسم مذاهب شتى لا خلاف الرسم
في الكتب فيحسن مراجعة كتاب السلوك ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٨ القسم الثاني

(٣) في السلوك ١ ق ٢ : ٤٠٨ ، بن صريم ،

بخمسمائة فارس ، والأمير سيف الدين بلبان الشمسي داواداراً وكتب له بـخمسمائة فارس . وأمر جماعة من العريان بالطبلخانات وانتمى للخليفة مائة مملوك جعلهم جمدارية وسلحدارية وأعطى كلاً منهم ثلاثة أرويس خيل وجداً ليدته . واستخدم له صاحب ديوان وكتاب لإنشاء وأئمة ومؤذنين ، وحكاماء وجرائحية^(١) ، وغلمانا . وكفل له البيونات وجهزة وجهاز معه ملوك الشرق الذين كانوا قد وصلوا إلى السلطان وهم : الملك الصالح عماد الدين^(٢) إسماعيل بن الملك الرحيم صاحب الموصل ، وكتب له بالموصل وولاياتها ورسائيقها ونصيبين وولاياتها ، ودارا وأعمالها ، والقلاع المادية وبلادها ، وغير ذلك مما جاوره . وكتب للملك المجاهد سيف الدين إسحق أخيه بلاد الجزيرة ، وكتب للملك المظفر علاء الدين على منجار وأعمالها التي كانت بيده . وأرسل إليهم الطبلخانات والسناجق ، وتقدم إليهم بسفرهم/صحبته إلى الشام ١٦٩-ب ليجهزهم إلى مستقرهم صحيفة الخليفة

ذكر مسير الخليفة المستنصر بالله

إلى بلاد التبرق وقتله

قال^(٣) : وتوجه الخليفة والديمان والمرك إلى الشام في سادس شوال من السنة ، وكان مبلغ النفقة على الخليفة والمملوك

(١) جرائحية : جراحون ، ولكنه بصيفته هائنا عامي متداول .

(٢) في السلوك ١ : ٤٦٠ القسم الثاني « ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل »

(٣) راجع تقى الدين أحمد بن علي المقرئ في كتاب السلوك ١ : ٤٦٢ القسم الثاني ، والنجوم الزاهرة ٧ : ١١٥ ، والبداية والنهاية ١٣ : ٢٣٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٩٧ وكلها تأخذ مما يأخذ منه النويري عادة |

ألف ألف دينارٍ وستين ألف دينارٍ عينا ، ووصلوا إلى دمشق . ونزل
الخليفة بجبل الصالحية في برية الملك الناصر (١) ، ووجد
السلطان عسكرا صحبه الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى وشمس
الدين سنقر الرومى وودع السلطان الخليفة والملوك وسفرهم
وأوصى الرشيدى والرومى وَمَنْ مَعهما أن يقيموا بجهة حلب وبر
الفرات ومتى طلبهم الخليفة ساروا إليه .

وسار الخليفة من دمشق وعبر الفرات - ولم يتأن في أمره -
فوصل عانة والحديثة . فخرج عليه مقدم من مقدمى التتار اسمه
أوردای ومعه ثمانا (٢) ، فالتقوا واقتناروا فاستشهد الخليفة ، وقتل
أكثر من كان معه .

وأما عن الملك الصالح (٣) فإنه دخل الموصل وملكها واستقر
بها ، فسار إليه أوردای المذكور وحاصره ، وملك البلد ، وصلبه
هو وابنه على باب الموصل ، وانهمز أخواد الملك المجاهد والمظفر على
إلى الديار المصرية ، فأقاما بها إلى أن ماتا في اللولة المنصورية
السيقية ، رحمهما الله .

١٧٠-١

وانقضت الخلافة ، وانقرضت اللولة العباسية ثانية من سائر

(١) في صفح قاسيون بدمشق .

(٢) كذا في اوقى ف صفحة ٩٥ ، وليس في ك لأن فيها سقاطا إلى أخبار اللولة
الأموية بالأندلس ، ولم تذكر المظان في هذا الموضع سوى قرابغا المقدم ومعه بهادر على
الحوارضى .(٣) هو ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد انضم
ليبرس فولاه الموصل التي كانت لأبيه .

الأرض ، وتمعظت المناير من ذكر دعوتهم إلى أن عادت بالديار المصرية أيضا ببيعة الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

هو أبو العباس أحمد بن ، حمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الفتي بن الحسن بن الخليفة الراشد بالله بن جعفر المنصور بن المسترشد بالله وقد تقدم نسبه مستوفى . بويع له بالخلافة بالديار المصرية في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين وستائة . وذلك أنه وصل إلى الديار المصرية في سنة ستين وستائة ، فلما كان في هذا اليوم جلس السلطان الملك الظاهر مجلسا عاما ، وحضر الخليفة راكبا إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل . وجلس إلى جانب السلطان . وبايعه بعد ثبوت نسبه كما بايع المستنصر ، ثم قلّد السلطان أمر البلاد والجيوش . /وبايعه الناس ١٧٠-ب على اختلاف طبقاتهم ، وكان ذلك بحضور الرسل ومن وفد من التتار (١) .

وخطب يوم الجمعة بجامع القلعة ، ثم خطب مرة ثانية في ثامن عشر شعبان بحضور رسل بركة ، ودعا للسلطان وللملك بركة (٢) وصلى بالناس . وحجّب عن الناس ببرج في القلعة إلى سنة تسعين وستائة ، فأخرجه السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين

(١) كانوا من قبل بركة صاحب دست القفجاف الذي ناصب هولاكواين مع العدا لسورك
البي . في بلاد المسلمين (شذرات الذهب ٥ : ٣٠٠) .
(٢) فقد كان قد أعلن موقفه وراح يبحث على الجهاد .

المنصوري من البرج وأسكنه بالمناظر الصالحية المعروفة بالكبش
ووسّع عليه في رزقه ورزق أولاده .

وحجّ في هذه السنة ورجع ، فكان بالمناظر إلى أن مات . وكانت
وفاته في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة في
دولة السلطان الملك الناصر الثانية وصلّى عليه الشيخ كريم الدين
عبد الكريم الأبلّ الصوفي - شيخ الصوفية بمشهد السيدة نفيسة -
ودفن بجوار المشهد . وكانت مدة خلافته أربعين سنة وأربعة
أشهر ، وستة عشر يوماً . وهو أول خليفة دُفِنَ بمصر من الخلفاء
العباسيين ، رحمه الله .

ذكر خلافة المستكفي بالله

هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله / وهو الثالث من خلفاء
بني العباس بمصر ، والخليفة الأربعون من خلفائهم . بويح له يوم
وفاة والده الحاكم بأمر الله في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة
إحدى وسبعمائة وخطب له على المنابر وحضر مع السلطان الملك
الناصر مصافّ مرج الصفر^(١) الذي أنهزم فيه التتار في ثاني شهر
رمضان سنة اثنتين وسبعمائة .

١-١٧١

(١) أورد الدكتور محمد مصطفى زيادة في نهاية الجزء الأول من السلوك ١٠٢٧ الملحق
رقم ١٦ يتضمن نص الكتاب المسمى «الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر» وهو
منقول عن النويري في جزء آخر غير هذا الجزء ، ويمرض وقمة مرج الصفر بالتفصيل بين
الناصر محمد وإيلخان غازان .

واستمر في صحبة السلطان ، يركب معه إلى الصيد وإلى
الميدان ، ويلعب الكرة . وسكن بمنظر الكيش وغيرها من المساكن
الحمينة المُتَرَفِّة على نهر النيل ، ورتَّب له من النفقات والكساوى
وغير ذلك ما يحتاج إليه هو ومن عنده . وكذلك رتَّب لابن أخيه
إبراهيم ، ولم يحجر السلطان عليهما ، بل يركب كلُّ منهما متى
شاء ويزور من شاء (١) .

(١) بعد ذلك سقاط في النسختين ، ف إلى بدء الدولة الأموية بالأندلس ، فالكث
الأخير من ١٧١ - ١ ، وكل ١٧١ - ب في أيضا يياض . وكذلك ثمة يياض يشمل نصف
٩٧ - ا في ف وكل ٩٧ - ب فيها ، وأما ك فقد فرغ الكلام عنها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-١٧٢

الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس (١)

كان ابتداء هذه الدولة في سنة ثمانٍ وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين ومائة ، في خلافة أبي جعفر المنصور الثاني من الخلفاء العباسيين ، وأول من ملك بلاد الأندلس من بني أمية أبو المظفر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وقيل كنيته أبو المطرف ، وقيل أبو سليمان ، وقيل أبو زيد ، وأمه بربرية من سبى أفريقية واسمها راحُ ولقبُ عبدُ الرحمن بالداخل عند دخوله . وكان استيلاء عبد الرحمن على الأندلس في سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة . وقيل تسع وثلاثين . وكان سببُ دخوله إليها واستيلائه عليها أنه لما قتل مروان بن محمد ، وانقرضت الدولة الأموية ، وقتل من قتل من بني أمية ، وتشتتوا في البلاد ..

(١) في اصفحة ١٧٢-١ ، في كصفحة ١٠١ ، في فصفحة ٩٨-١٠١ ، ويحسن هنا أن يراجع القارئ - إلى جانب ما يراه من كتب يرد اسمها في الحواشي - كتاب « بنية المتنبس في تاريخ أهل الأندلس » لابن عميرة الضبي ط . مجريط (مدريد) سنة ١٨٨٤ وكتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذارى المراكشي وكتاب « جلوة المتنبس في ذكر ولاية الأندلس » للحميدى وقد طبع في مصر سنة ١٩٥٢ وكتاب « المتنبس في تاريخ رجال الأندلس ، لحيان بن خلف ، ثم كتاب « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » ليوسف أشناخ ، وقد ترجمه وعلق عليه ونشره في جزئين محمد عبد الله عنان بمصر سنة ١٩٤٠ .

كان عبد الرحمن هذا بذات الزيتون^(١) ففَرَّ منها إلى فلسطين، فأقام بها هو و مولاه بدرٌ يتجسسُ له الأخبار، فحكى عنه أنه قال :

« لما أُعطينا الأمان ثم نُكث بنا بنهر أبي فطرس (٢) أتاني الخبير وكنت منتبذا عن الناس . فرجعتُ إلى منزلي آيسا ونظرت فيما يصلحني وأهلي ، وخرجت خانفا حتى صرتُ إلى قريةٍ على الفرات ذات شجر وغياض . فبينما أنا ذات يوم فيها وولدي سليمان يلعب بين يدي- وهو يومئذ ابن أربع سنين- فخرج عني ثم دخل عليَّ باكبيا فزعا ، فتعلق بي وجعلت أدفعه ، وخرجت لأنظر فإذا بالخوفِ قد نزل بالقرية والرايات السودُ منحطةٌ عليها وأخٌ لي حدّث يقول لي : النجاة النجاة ! فأخذتُ دنائيرَ معي ونجوت بنفسي وأخى وأعلمت أخواني بمقصدي وأمرتهنَّ أن يُلحِقنني مولاي بدرا [قال -] وأحاطت الخيلُ بالقرية فلم يجدوا لي أثرا . فاتَّيْتُ رجُلًا من معارفي وأمرته فاشتري لي دوابَّ وما يصلحني فدلَّ عليَّ عبدٌ له العاملُ ، فأقبل في خيله طلبني فخرجنا على أرجلنا والخيلُ تبصرنا ، فدخلنا الفرات ففسبحنا فنجوتُ أنا والخيلُ ينادون بالأمان وأنا لا أرجع وأما أخى فإنه عجزَ عن السمباحة في نصف الفرات فرجع إليهم بالأمان ، فقتلوه وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت ثكلاه / ومضيتُ ونواريتُ في غيضةٍ حتى انقطعَ الطلبُ عني . وخرجت فقصدت

١٧٣- ١

(١) جبل بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦٣)

(٢) موضع قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان ٥ : ٢١٥)

المغرب فبغلت أفريقية ، ثم ألحقتني أختي أم الإصبع ، وولاي بدرًا
بنفقةٍ وجوهرٍ .

قال المؤرخ (١) : ولما بلغ أفريقية كان بها عبد الرحمن بن
حبيب الفهري عاملاً لمروان بن محمد ، فظنَّ عبدُ الرحمن بن معاوية
أن ابن حبيب يرعاهم ويحوظهم ويحسن معجورتهم . فلما علم
ابن حبيب أن مروان قد قتل وأن أهله وولده قد تفرقوا وأن رجاله
قد استأمنوا إلى أعمال أبي العباس السفاح طلب لنفسه السلامة ،
وكتب بالسَّمْع والطَّاعَةِ ، وأراد قتلَ عبدِ الرحمن بن معاوية ومن
معه والتقرُّبُ بهم إلى عمال السفاح . وأرسل في طلبه فهرب منه وأتى
مكناسة وهي قبيلةٌ من البربر وعندهم شدة ، ثم هرب منهم وأتى
نضراوة (٢) وهم أخواله . وقيل أتى قوماً من الزناتيين فأنحمنوا
قبولَه فيهم وأخذوا في التدبير والمكاتبة إلى الأمويين من أهل
الأندلس يعلمونهم بقدومه ويدعونهم إلى عبد الرحمن .

ووجه بدرًا مولاد إليهم ، وكان أمير الأندلس يومذاك يومسف
ابن عبد الرحمن الفهري فسار بدر إليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن
ودعاهم إليه فأجابوه ، ووجهوا إليه مركبا فيه تمام بن علقمة
ووهب بن الأصغر وشاكر بن أبي الأسمط ، فوصلوا إليه وأبلغوه
طاعتهم ، وأخذوه ورجعوا به إلى الأندلس / فأرسي بالركب

١٧٣ب

(١) هو ابن الأثير في الكامل ٤ : ٣٦ .

(٢) كذا في الأصل وفي كامل ابن الأثير ، ولكن لقرى التلمساني يقول إنها نفزة
أخواله من برابرة طرابلس (نفع الطيب ١ : ٣٠٧ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بالتجارية
سنة ١٩٤٩ .)

بالجزيرة في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة . فأتاه جماعة من رؤسائهم من أهل إشبيلية (١) ، ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه إبراهيم بن شجرة عاملها (٢) . ثم سار إلى إشبيلية فبايعه أبو صالح يحيى بن يحيى ، ونهض إلى قرطبة فبلغ خبره يوسف بن عبد الرحمن وكان غائبا عن قرطبة بنواحي طليطلة (٣) ، فأتاه الخبر وهو راجع إلى قرطبة فتراسل هو ويوسف في الصلح فخادعه ، فلم يشك أصحاب يوسف في انتظام الصلح وذلك في يومين أحدهما يوم عرفة ، فأقبل يوسف في إعداد الطعام ليأكله الناس في يوم الأضحى وعبد الرحمن يرتب خيله ورجله وعبر النهر في أصحابه .

وأنشب القتال ليلة الأضحى ، وصبر الفريقان حتى ارتفع النهار ، وركب عبد الرحمن على بغاة وأسرع القتل في أصحاب يوسف فانهزم وظفر عبد الرحمن بن معاوية . ولما انهزم يوسف

(١) Seville هي أشهر من أن يعرف بها ويكنى أن قال بعضهم « إنها قاعدة بلاد الأندلس وجاشرتها ، ومدينة الأدب والتهو والطرب ، وهي على خفة النهر الكبير . . . ولو لم يكن من الشرف إلا موضع الشرف (اسم مكان بعينه) المقابل لهذا المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير المتد فراسخ في فراسخ لكني » راجع نفع الطيب ١ : ١٩٣ ، ٢٢٢ .

(٢) في الكامل ٤ : ٣٦٢ « فبايعه عاملها عيسى بن مساور » ودية كورة أندلسية هامة .

(٣) Toledo مملكة بين قرطبة وثغر سرقسطه Saragossa وقد أطب المؤرخون و وصف عظم امتناعها (راجع نفع الطيب ٢ : ٧ ، ٨) وأما عن يوسف بن عبد الرحمن فالمقرى يقول « وكان غازيا بجليقية » Galicia (نفع الطيب ١ : ٣٠٨) وجليقية هي ليهون شمال البرتغال .

أتى ماردة (١) وأتى عبد الرحمن قرطبة ، وأخرج حشم يوسف وأهله من القصر على تؤدة ورفق ، ودخله بعد ذلك . ثم سار في طلب يوسف ، فلما أحس به يوسف سار إلى قرطبة فدخلها وملك قصرها ، وأخذ جميع أهله وماله ، ولحق بمدينة إلبيرة (٢) . ورجع عبد الرحمن إلى قرطبة فلم يجد فسادا إلى إلبيرة ، وتراسلا في الصلح فاصطلحا على أن ينزل يوسف هو ومن معه بثمان وأن يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ويرهنه يوسف ابنه أبا الأسود محمدا وسار يوسف مع عبد الرحمن إلى قرطبة فلما دخل قرطبة تمثل :

فبينما نسوس الناس والأمر أرنسا

إذا نحن فيهم سوقة تتنصف

قال (٣) واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، ومات قبل تمامه (٤) .

(١) Merida كورة واسعة بينها وبين قرطبة ستة أيام ، وقد شهرت بحصونها الكبيرة وبقراها ذات الآثار القديمة وبرخامها الفريد .

(٢) Elvira في نوح الطيب والمغرب ومعجم البلدان وصف سبب لها ، وقيل إنها أشبهت دمشق فترها الدمشقيون وصميت « دمشق » وعرفت باستخراج التوتيا من بطرقة - إحدى قراها - وتوتياها أزكى وأقوى عناصر صبغ النحاس ، هذا وكانت إلبيرة المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة انتقل الناس إليها ! وفي كتاب ابن الخطيب نرى أنها هي وغرناطة اسمان لمكان واحد (كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ١ : ٩٩ وما بعدها ط . القاهرة سنة ١٩٥٥) .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٤ : ٣٦٣

(٤) راجع هنا نوح الطيب ١ : ٣٠٨

ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري

قال (١) : وفي سنة إحدى وأربعين ومائة نكث يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه في أملاكه ، فإذا أظهر حُجَّتُهُ الشرعية لا يعمل بها ، ففطن لما يراد منه . فقصد ما ردة واجتمع عليه عشرون ألفاً فسار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور (٢) ثم رأى يوسف أن يسير إلى عبد الملك ابن عمر بن مروان - وكان والياً على إشبيلية وإلى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المَنُور - فسار نحوهما فخرجا إليه واقتتلا قتالا شديداً فانهم أصحاب يوسف ، وبقى متردداً في البلاد فقتله بعض أصحابه في شهر / رجب سنة اثنتين وأربعين ومائة بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمن بن معاوية فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينةً ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقى ابنه الأسود عند عبد الرحمن .

ب-١٧٤

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة ثار رزقُ بن النعمان الغساني وكان على الجزيرة الخضراء (٣) . فاجتمع إليه خلق كثير ، فسار

(١) ابن الأثير في الكامل ٤ . ٣٦٤

(٢) Almodavar حصن شهير بالأندلس قرب قرطبة .

(٣) Algeciras الرأس الجنوبي للأندلس يفصله عن أفريقية مضيق جبل طارق الذي يعرف بجبل الفتح ، وتطل على بحر الزقاق (شرق البحر المتوسط) شرقة والمحيط الأطلنطي غرباً حيث الطرف الأغر .

إلى شَنْوَنَةَ (١) فملكها ودخل مدينة إشبيلية . وعاجله عبد الرحمن
فحصره بها وضيق على مَنْ فيها ، فتقربوا إليه بتسليمه له .
وَأمنهم ورجع عنهم .

وفي سنة أربع وأربعين ومائة ثار هشام بن عذرة الفهري
وهو من بني عمِّ يوسف بن عبد الرحمن الفهري بطليطلة فحاصره الأمير
عبد الرحمن وشدد عليه الحصارَ فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه
أفلحَ رهينةً فأخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة . ثم عاد هشام
وخلع عبد الرحمن ، فعاد إليه وحاصره ونصب المجانيق عليها
[أى على طليطلة] فلم يؤثر فيها لحصانيتها فقتلَ ابنه أفلحَ ورمى
برأسه إلى أبيه في المنجنيق ورحل إلى قرطبة . ولم يظفر بهشام
في هذه السنة واستمر إلى سنة سبع وأربعين ومائة فبعث عبدُ الرحمن
مولاه بدرًا وتمامَ بنَ علقمةَ فحاصرا طليطلة وضيقا على هشام ثم
أسراه هو وحيوة بن الوليد اليحصُبي وعثمان بن حمزة / بن عبيد الله
ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فأتى بهم إلى
عبد الرحمن بن معاوية في جباب صوف وقد حلفت رؤوسهم ولحاهم .
وركبوا الحميرَ وهم في السلاسل . فصلبهم بقرصة !

١-١٧٥

(١) Medina-Sidonia تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس عن ما يقول
ياقوت ولكن المقرئ يهيب في وصفها ويتعرض لها في كل مناسبة ويقرر أنها تعرف بالبحر
الطيب وأجود أنواع القهقران والقرمز ، وكثر فيها أهل فلسطين فسميت فلسطين (نفع
الطيب ١ : ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٢١) وقد ورد ذكرها في المغرب ١ : ٢٣٢ ،

ذكر خروج العلاء وقتله

وفي سنة سبعمائة وأربعين ومائة سار العلاء بن مغيث اليحصبي من أفريقية إلى مدينة باجة (١) من الأندلس ، وليس السواد وقام بالدعوة العباسية . وخطب لأبي جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلق كثير . فخرج إليه الأمير عبد الرحمن فالتقيا بنواحي إشبيلية وتحاربوا زمانا ، فانهزم العلاء وأصحابه ، وقُتل في المعركة سبعة آلاف فارس وقتل العلاء ، فدُفِنَ عبدُ الرحمن بعضَ التجار بحمل رأسه ورووس أصحابه إلى القيروان وإلقائها في السوق سرا ففعل ذلك . ثم حُمل منها إلى مكة ومعه لواء أسود فوصلت والمنصور بمكة ومعه كتاب كان المنصور قد كتبه إلى العلاء (٢) .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة قدم رسول عبد الرحمن الذي أرسله إلى الشام في إحضار ولده الأكبر سليمان ، وحضره سليمان .

ذكر خروج سعيد اليحصبي

المعروف بالمطري وقتله

قال (٣) : وكان خروجه في سنة ثمان وأربعين ومائة بمدينة لبلة (٤) من الأندلس وسبب ذلك أنه . مكر يونا ، فتذكر

(١) Beja كورة من الكور الغربية التي كانت من أعمال إشبيلية متصلة بكورة ماردة ومشهورة بدباغة الجلد وصنع الكتان وبوجود مدن الفضة .

(٢) في نفع الطيب ١ : ٣٦١ تفصيل مفيد

(٣) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٦

(٤) Niebla قصة إحدى الكور الكبيرة ، وبينها وبين قرطبة - عن طريق إشبيلية - خمسة أيام ، وهي بحرية بركة غزيرة الزرع والشجر .

مَنْ قَتَلَ مِنْ قَوْمِهِ الْبَيْهَانِيَّةَ مَعَ الْعَلَاءِ ، فَعَقِدَ لُؤَاءَ فَلَمَّا صَحَا رَأَاهُ مَعْقُودًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ فَأَرَادَ حَلَّهَ ثُمَّ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَعْقِدَ لُؤَاءَ ثُمَّ أَحَلَّهُ بِغَيْرِ شَيْءٍ وَشَرَعَ فِي الْخِلَافِ ، فَاجْتَمَعَتِ الْبَيْهَانِيَّةُ إِلَيْهِ وَقَصَدَ إِشْبِيلِيَّةَ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا وَكثُرَ جَمْعُهُ ، فَبَادَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي جَمُوعِهِ . فَامْتَنَعَ الْمَطْرِيُّ فِي قَلْعَةٍ زَعَوَاقٍ لِأَحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَحَصَرَهَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِ ، وَمَنَعَ أَهْلَ الْخِلَافِ مِنَ الْوَسُوقِ إِلَيْهِ .

وَكَانَ قَدْ وَافَقَهُ عَلَى الْخِلَافِ عَلْقَمَةُ اللَّخْمِيُّ وَكَانَ بِمَدِينَةِ شَدُونَةَ وَقَدْ انْضَافَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَهُمْ يَرِيدُونَ إِعْدَادَ الْمَطْرِيِّ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ . فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِذَلِكَ سَبَّرَ إِلَيْهِمْ بِذُرَا مَوْلَاهُ فِي جَيْشٍ فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَطْرِيِّ ، وَطَالَ الْحَصَارُ وَقَلَّتْ رِجَالُهُ بِالْقِتْلِ ، وَفَارَقَهُ بَعْضُهُمْ . فَخَرَجَ يَوْمًا مِنَ الْقَلْعَةِ فِقَاتِلَ فُقَيْدِلَ وَحُمَيْلَ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَدَّمَ أَهْلَ التَّمْلَعَةِ عَلَيْهِمْ خَلِيفَةَ بْنَ مَرْوَانَ ، فَدَامَ الْحَصَارُ عَلَيْهَا . فَأَرْسَلَ أَهْلُهَا يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى أَنْ يَسْلَمُوا إِلَيْهِ خَلِيفَةَ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَسَلَّمَ الْحِصْنَ وَخَرَّبَهُ وَقَتَلَ خَلِيفَةَ وَخَلَقًا كَثِيرًا مِمَّنْ مَعَهُ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى غِيَاثِ الْأَزْدِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ وَافَقَ الْمَطْرِيَّ عَلَى الْخِلَافِ / فَحَصَرَهُ مِنْ مَعَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَمَّا بِهِمْ إِلَّا نَفَرًا فَهَبْضَ عَلَيْهِمْ ، وَعَادَ إِلَى قَرْصِيَّةَ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهَا خَرَجَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خِرَاشَةَ الْأَسَدِيُّ بِكُورَةِ جِيَّانَ (١) وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ

١٧٣ - ١

(١) Jean كورة واسمة بالأندلس كما يقول ياقوت متصل بكورة إلبيرة وتجمع =

جموع فأغار على قرطبة فسير إليه عبد الرحمن جيشا فتفرق جمعه ،
فطلب الأمان فأمّنه ووفى له .

وفي سنة تسع وأربعين ومائة أغزى عبدُ الرحمن مولاه بدرًا
إلى بلاد العدو فآخذ الجزية منهم .

وفيهما عزل عبد الرحمن أبا الصباح حَيَّ بن يحيى عن إشبيلية
فدعاه إلى الخلاف ، فخذعه عبد الرحمن حتى حضر عنده فقتله .

وفيهما خرج غياث بن المسير الأزدي : فخرج إليه عامل عبد الرحمن
وقاتله فانهزم غياثٌ ومن معه ، وقُذِلَ وحُمِلَ رأسه إلى عبد الرحمن بقرطبة .

وفيهما أمر عبد الرحمن ببناء سور مدينة قرطبة .

ذكر أخبار شقنا (١) بن عبد الواحد

وخروجه بالأندلس

كان خروجه بشرق الأندلس في سنة إحدى وخمسين ومائة
وكان من بربر مكناسة يعلمُ الصبيان وكانت أمه تُدعى فاطمة
فادعى أنه من ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وأنه من ولد
الحسين ، وتسمى بعبد الله بن / محمد وسكن شنقبرية (٢) واجتمع
ب-١٧٦

== قرى كثيرة وبلدانا مختلفة ، وقال ابن سعيد إنها من أعظم مدن الأندلس في المنعة وأكثرها
خصبا ، وتعرف ببيان الحرير لكثرة فيها (المغرب ٢ : ٥١) .
(١) في ١ ، ك ١٠٤ ، ف ١٠٠ - ١٠١ شقيا .

(٢) Santeberia شنقبرية Sante Maria وشنقبرية ورسمها ابن الأثير شنت
برية في الكامل ٥ : ٣٤ ويقول ياقوت ، وقد رسمها بالرسين في موضعين (معجم
البلدان ٣ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ إنها مدينة بجوز سالم بالأندلس وهى شرق قرطبة وبها حصن اسمه
شنت مرية ، وثمة في الأندلس شنترة من أعمال لشبونة وشنترين مدينة متصلة بأعمال باجة
وقرطبة .

عليه خنق كثير من البربر وعظم أمره فسار إليه عبد الرحمن فلم يقف له وزاغ في الجبال ، فكان إذا أمن انبسط وإذا خاف صعد الجبال حيث يصعب طلبه . فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك ، واستعمل حبيب على شنتبرية سليمان بن عفان ابن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وأمر بطلب شقنا فنزل شة نال إلى سليمان فقتله . واشتد ذكر شقنا وطاراسمه ، وغلب على ناحية قورية (١) . وأفسد في الأرض ، فعاد عبد الرحمن وغزاه في سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه ، فلم يثبت له شقنا ، فأعياه أمره فعاد عنه ، وسير إليه في سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه ، فهرب شقنا وأخلى حصنه شيطان ، ثم غزاه عبد الرحمن بنفسه في سنة أربع وخمسين فلم يثبت له ، فعاد عنه وبعث لِحربه أبا عثمان عبد الله بن عثمان فخدعه شقنا وأفسد عليه جنده . فهرب عبد الله وغنم شقنا عسكره ، وقتل جماعة من بني أمية كانوا في العسكر وذلك في سنة خمس وخمسين ومائة . وسار شقنا إلى حصن الهواريين وبه عامل لعبد الرحمن فمكر به شقنا حتى خرج إليه ، فقتله وأخذ خياله وسلاحه وما كان معه . ولم يزل / شقنا كذلك وعبد الرحمن يغزوه تارة بنفسه وتارة بجيوشه إلى سنة ستين ومائة فاغتاله أبو معن وأبو خريتم وهما من أصحابه ، فقتلاه وأخذوا رأسه ولحقا بعبد الرحمن واستراح الناس من شره !

١٧٧-١

(١) Coria مدينة في نواحي ماردة حملت عبه قال المسلمون للإفرنج في سورة

مدينتهم .

ذكر عصيان أهل اشبيلية

على الأمير عبد الرحمن

قال (١) : وفي سنة خمس وخمسين ومائة خرج أهل إشبيلية عن الطاعة مع عبد الغفار وحيوة بن مَلابِس ، وكان عبد الرحمن قد خرج من قرطبة لحرب شقنا واستخلف عليها ابنه سليمان فأتاه كتابته بخروجهم عن طاعته وعصيانهم عليه واتفاق من ٣١ من البائنية على ذلك . فرجع عبد الرحمن إليها ولم يدخل قرطبة ، وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم ، فقدم ابن عمه عبد الملك ابن عمر ، فلما قارب عبد الملك إشبيلية قدم ابنه أمية ليؤممه حالهم ، فرآهم متيقظين فرجع إلى أبيه فلامه أبوه على رجوعه وإظهار الوهن ، فضرب عنقه وجميع بنيه وخاصته وقال : طردنا من المشرق إلى أقصى هذا الصقع ونُحسد على لقمة تبقي الرمق ، اكسروا جُفونَ سيوفكم فالموت أولى أو الظفر ! ففعلوا ، وحمل أمامهم فهزَمَ البائنية / وأهل إشبيلية فلم يقم بعدها للبائنية قائمة .

١٧٧-ب

وجرح عبد الملك وبلغ الخبر عبد الرحمن فأتاه وجرحه يجرى دماً وسيفه يقطر وقد لصقت يده بقائمة سيفه ، فقبل بين عينيه وجزاه خيراً وقال له : يا بن عم قد أنكحت ابني ولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا ، وأعطيتك كذا وكذا ، وأولادك كذا وكذا ، وأقصعتك وإياهم كذا وكذا ، ووليتك الوزارة ! وعبد الملك هذا هو الذي ألزم عبد الرحمن بقطع خطبة

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٣٩ .

المنصور وقال له : تقطعها وإلا قتلت نفسي ! وكان قد خطب له عشرة أشهرٍ وقطعها .

قال (١) : وفي سنة سبع وخمسين ومائة سار عبد الرحمن إلى إشبيلية وقتل خلقًا كثيرًا ومن كان مع عبد الغفار ، وبسبب هذه الواقعة وشّ العرب مال عبد الرحمن إلى اقتناء العبيد .

وفي سنة ست وخمسين سخط الأمير عبد الرحمن على مولاه بدرٍ لفرط إدلاله عليه ، وأخذ ماله وسلب نعمته ونفاه إلى الثغور ولم يرع له حقوق الخدمة .

وفي سنة ثمان وخمسين ومائة زا الأمير عبد الرحمن مدينة قورية وقصد البربر الذين كانوا أسلموا عامله إلى شقنا فقتل منهم خلقًا كثيرًا من أعيانهم !

أ / ذكر عبور الصقلي إلى الأندلس

١-١٧٨

وما كان من أمره إلى أن نزل

وفي سنة إحدى وستين ومائة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن ابن حبيب الفهري المعروف بالصقلي - ولم يكن صقلبيًا وإنما سُمي بذلك لطوله ورقته وشقرته من أفريقية إلى الأندلس ليحارب عبد الرحمن ويدعو إلى طاعة المهدي بن أبي جعفر المنصور . وكان

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٤٠ . ويلاحظ أن الزويري عاد إلى سنة ست وخمسين بعد ذلك مباشرة !

عبوره في ساحل تدمير^(١) ، وكتب سليمان بن يقظان بالدخول معه ، وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه ، فاغتاظ الصقلبي وقصد بلده فيمن معه من البربر . فقصد سليمان والتقوا واقتتلوا ، فهزمه سليمان ، فعاد الصقلبي إلى تدمير ، وجاء عبد الرحمن نحوه وأحرق السفن ليمنعه من الهرب ، فقصد الصقلبي جيلا منيعا بناحية بكنسية^(٢) . فبذل عبد الرحمن ألف دينار لمن يأتيه برأسه فاغذاه رجل من البربر وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار ، وكان قتله في سنة اثنتين وستين ومائة .

وفي سنة اثنتين وستين ومائة أرسل عبد الرحمن شهيد بن عيسى إلى دحية الغساني وكان عاصيا في بعض حصون إلبيرة ، فقتله وسير بدرأ مولاة^(٣) / إلى إبراهيم بن شجرة وكان قد عصى عليه ١٧٨-ب فقتله . وسير تمام بن علقمة إلى العباس البربري - وهو في جمع البربر وأظهر العصيان - فقتله وفرق جموعه .

وفيهما سير جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشي إلى القائد المسلمي ، وكان حرس المنزلة عند عبد الرحمن . فشدرب ليلة وقصد باب

(١) Tudmir من كور الأندلس الشرقية ، غلب عليها سكان مصرفسيت مصر ، واسمها كان للملكة التي اتخذت أريولة عاصمة له فيها (راجع نفع الطيب ١ : ١٥٥ ، و ٢٢٢ ، ٢٤٧) .

(٢) Valencia مدينة متمكنة لحضارة جلييلة انقدر كما جاء في المغرب ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، تعتبر مطيب الأندلس وحفت بالأهوار والجنان ، وأما في معجم ياقوت فهي كورة ومدينة مشهورة تقع شرقي قرطبة وهي برية بحرية بينها وبين تدمير أربعة أيام ..

(٣) سبق أن ذكر في حوادث سنة ست وخمسين ومائة أن الأمير عبد الرحمن سخط على بدر ونكل به ، ويبدو أنه عاد ففقا عنه .

القنطرة ليفتحه على سُكْرِ ، فمنعه الحرس فعاد . فلما صحا من سُكره خاف فهرب إلى طليظلة واجتمع إليه كثير ممن يريد الخلافَ والثمرَ فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش ، فحَصَرَد في مكان كان قد تحصَّن به ، فطلب السُّلَمَى البراز فبرز إليه عبد أسود فاختلفا ضربتينا فوقعاصريعين ومانا جميعا .

وفي سنة ثلاثٍ وستين ومائةٍ أظهر الأمير عبد الرحمن النَّجَّهْرُ إلى الخروج لِقَصْد الشام لطلب الثَّار من بني العباس فعَصَى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى بِسَرْقُسْطَة (١) واشتدَّ أمرهما فرجع عن ذلك وترك ماكان أظهره منه .

وفي سنة خمسٍ وستين ومائةٍ غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ونكث ، فسير إليه عبد الرحمن غالب بن تمام بن علقمة في جنْدٍ كثيف فاقتتلاوا ، فأسر جماعةً من أصحاب الحسين فيهم ابنه عيسى ، فسيرهم إلى عبد الرحمن / فقتلهم ، وأقام غالب بن تمام بن علقمة يحاصر الحسين . ثم سار عبد الرحمن في سنة ستٍ وستين إلى سرقسطة فحَصَرها وضابقتها ونصب عليها ستَّة وثلاثين منجنيقا ، فملكها عذوةً وقتل الحسين أقبج قتلة ، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين كانت تقدَّمت منه ، ثم ردهم إليها .

١٧٩-١

(١) Saragossa تقع في الأندلس الشرقى على نهر ابرة الذى يصب في البحر المتوسط وقد انتحها العرب عام ٧١٢ للميلاد واستردها الفرنج بعد أربعة قرون وسبع سنين ، وقد شهرت بالثياب السرقسطية .

وفي سنة ١١٢٠م وستمين ومائة قتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة
ابن الوليد بن هشام وهذيل بن الصمائل ومسمرة بن جبلة لاجتماعهم
على خلعه مع العلاء .

ذكر مخالفة أبي الأسود

محمد بن يوسف الفهرى

وفي سنة ثمانٍ وستين ومائة ثار أبو الأسود محمد بن يوسف
ابن عبد الرحمن الفهرى ببلاد الأندلس . وكان من خبره أنه كان
في السجن بقرطبة منذ هرب أبوه على ما تقدم ، فأظهر أنه عمى
وصار لا يطرف عينه لشيء ، وبقي دهرًا طويلًا حتى صبح عند
عبد الرحمن ذلك . وكان في أقصى السجن سردابٌ يُفضى إلى النهر
الأعظم يخرج منه المسجونون يقضون حوائجهم من غسل وغيره ،
وكان الموكلون يهملون أبا الأسود لعماه فيذا رجع من النهر يقول
من يدل الأعمى إلى موضعه ! وكان هو لى له / بحادثه على شاطئ النهر
فلا ينكر عليه .

فواعده أن يأتيه بخيلٍ يحمله عليها فخرج يوما وهو لاه ينتظره
فعبير النهر سباحةً وركب الخيل ولحق بطليطلة فاجتمع إليه خلق كثير
فرجع بهم إلى قتال عبد الرحمن . فالتقى على الوادى الأحمر
بقسطلونة (١) واشتد القتال فانهم ابن الفهرى ، وقتل من أصحابه
أربعة آلاف سوى من تردى في النهر . وأتبعه عبد الرحمن فقتل

(١) Castellon فوق بلنسية على شاطئ البحر قبالة ميورقة وسورقة وهي ليست
في معجم ياقوت ولا في صفة الأندلس للمحمدي والموجود قسطة (راجع ياقوت ٤ :
٣٤٧ وصفة جزيرة الأندلس صفحة ١٦٠) .

من لحق حتى جاوز قلعة رباح ، ثم جمع أبو الأسود الرجال وعاد إلى قتال عبد الرحمن سنة تسع وستين ومائة فهلك بقرية من أعمال طليطلة . وقام بعده أخوه قاسم وجمع جمعًا فزاد عبد الرحمن فجاء إليه بغير أمان فقتله

وفي سنة سبعين ومائة أمر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة - وكان موضعه كنيسة - وأخرج عليه مائة ألف دينار، ولم يتم بناؤه في حياته فأتمه ابنه بعده

ذكر وفاة عبد الرحمن

وصفته وشيء من أخباره وسيرته

/ كانت وفاته بقرطبة في يوم الثلاثاء لست بقمين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة ، وقيل توفي في غرة جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين ومائة ، وهو الصحيح وصلى عليه ابنه عبد الله ، وكان قد عهد إلى ابنه هشام بمدينة ماردة واليا عليها ، وابنه سليمان بطليطلة واليا عليها ، فلم يحضرا موت أبيهما .

١٨٠-١

وكان مولد عبد الرحمن بدير حنا من عمل دمشق ، وقيل بالعلياء من ناحية تدمر في سنة ثلاث عشرة ومائة فكان عمره تسعا وخمسين سنة ، ومدة ولايته بالأندلس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما . وكان أصهب (١) خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم أعور ، وكان فصيحًا لسانًا شاعرًا حلما عالما حازما ، سريع النهضة في طلب نازحين عليه لا يخلد إلى راحة ،

(١) أصهب : من الصبغة وهي نود حمرة في شعر الرأس (القاموس المحيط)

ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكبل أموره إلى غيره ، ولا ينفرد في إبراهيمها برأيه . وكان يُشبهه بأبي جعفر المنصور في حزمه وشِدته وضبطه للملكه (١) ، وبني الرصافة بقرطبة تشبيها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ، وقال (٢) . : وكان عبد الرحمن من ذوى الآداب ، وله شعر حسن ، فمن شعره ما قاله بالأندلس يتشوق معاهده بالشام :

أيها الراكب الميمم أَرْضِي أَقْرِ من بعضي السلام لِبَعْضِي
/ إنَّ جِسمِي كما عَلِمْتَ بِأَرْضِ وفؤادِي كما عَمَلْتَ بِأَرْضِ
قُدِّرَ البينَ بيْننا فَافْتَرَقْنَا وطوى البينَ عن جُفُونِي عُمُضِي
قدْ قَضَى اللهُ بالفراقِ عَلِينا فعسى باجتماعنا سوف يقضى
ومن شعره ما قاله لما عمَّر الرصافة بقرطبة ، وقد رأى فيها نخلة منفردة ، فقال :

تَبَدَّتْ لنا بَيْنَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ
تَنَاءَتْ بِأَرْضِ القَرْبِ عن بَلَدِ النَّخْلِ
فقلت شبيهي في التَّغَرُّبِ مثلها وطولُ اكتئابِي عن بَنِيَّ وعن أهلي
نشأت بِأَرْضِ أَنْتِ فيه غريبةٌ فَمِثْلِكَ في الإقْصَاءِ والمنتَمِي مثل
سَقَمْتُكَ غَوادِي العُزْنِ من صَوْبِها الذي
يَمِيحُ ويمْتَمِرِي السَّمَاكِينِ بالوَبْلِ (٣)

(١) راجع نفع الطيب ١ : من ٣١٠ إلى ٣١٢

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٨٤

(٣) رويت الأبيات في الكامل ٥ : ٨٤ باختلاف يسير .

وله غير ذلك من الشعر . وسار أحسنَ سيرة وكان نقش خاتمه « بالله يثق عبد الرحمن ويعتصم » . وكان له من الأولاد الذكور أحد عشر ولداً وهم أيوب الشامي ولد بالشام ، وسليمان وهشام ولي عهده وهو الوالي بعده وُلد بالأندلس ، وعبد الله ولد ببلنسية وعرف بالبلنسي ومسلمة المعروف بكليب وأمّية ، ويحيى ، والمنذر ، وسعيد الخير ، ومحمد ، والمغيرة ، ومعاوية ، وتسع بنات .
 حاجبه : تمام بن علقمة وغيره .

كُتّابه : أبو عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وغيرهما

قضاته : يحيى بن يزيد التجيبي ومعاوية بن يوسف / الحضرمي ،
 وعمر بن شراحيل ، وعبد الرحمن ابن طريف اليحصبي .

١٨١ - ١

ذكر امارة هشام

هو أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وأمّه أم ولد واسمها حوراء (١) وهو الثاني من ملوك بني أمية بالأندلس . بويع له في شُرّة جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة عند وفاة أبيه . وقيل في يوم الثلاثاء ليبت بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة والله أعلم . وكان بماردة متولياً عليها - كما ذكرنا - وكان أبود قد عهد إليه قبل وفاته ، وقدمه على سليمان وهو أكبر منه لأنه كان يتوسم فيه الشّهامة ، فلذلك عهد إليه فيبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه بنعي أبيه ويعزيه به ويعرفه أنه بايع الناس له فلما وصل إليه

(١) في نفع الطيب ١ : ٣١٣ « اسمها حلل » وفي ١٠٦٥ . حوراء .

الكتابُ سار من ساعته إلى قرطبة فدخلها في ستة أيام ، واستولى على المُلْك ، وخرج عبد الله إلى داره مُظهِراً الطاعةَ وفي نفسه خلاف ذلك !

ذكر خروج سليمان وعبد الله

ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام

١٨١-ب / وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة خرجًا على أخيهما ، وكان عبد الله عند أخيه هشام وهو يؤثره ويبره ويقدمه ، فلم يُرضه ذلك ولا قنع إلا بمشاركته في الأمر ، ثم خاف فهرب إلى أخيه سليمان وهو بطليطة . فأنزل هشام في أثره جماعة ليردوه ، فلم يدر كوه ، فجمع هشام عساكره وسار إلى طليطة فحصر أخويه بها .

وكان سليمان قد حشد وجمع جمعًا كبيرًا فلما حصرها هشام سار سليمان من طليطة وترك ابنه وأخاه عبد الله يحفظان البلاد ، وسار هو إلى قرطبة ليملكها ، فعلم هشام به فلم يفارق الحصار .

وسار سليمان فوصل إلى ثمقندة (١) فدخلها ، وخرج إليه أهل قرطبة مقاتلين له ، ودافعوه عن المدينة . وبعث هشام في أثر سليمان عبد الملك في قطعة من الجيش ، فلما قاربه هرب سليمان وقصد مدينة ماردة ، فحاربه واليها ، فانهزم سليمان . وبقي هشام على طليطة شهرين وأياما محاصراً لها ، ثم عاد منها وقد قطع أشجارها ، وسار إلى قرطبة ، وأتاه أخوه عبد الله بغير أمان فأكرمه وأحسن إليه .

ثم سير هشام ابتداء معاوية في جيش كثيف في سنة أربع وسبعين

(١) Xecunda بلدة رومانية كانت واقعة تجاه قرطبة على الشاطئ الأيسر للوادي الكبير ، ومنها إسمايل الثقندي الأديب الأندلسي الكبير ، وفي صفة جزيرة الأندلس قرية بعلوة نهر قرطبة (صفحة ١٠٤)

إلى تدمير وها سليمان فحاربه ، وخرَّب أعمالَ تدمير ، فهرب سليمان منها ، فُلجاً إلى البربر بناحية بَلَنْسِيَّة ، فاعتصم بتلك الناحية الوعرة/المسلك . وعاد معاويةً إلى قرطبة ، ثم استقرَّت الحال بين هشام وسليمان أن يأخذ سليمانُ أهله وأولاده وأمواله ويفارق الأندلس ، وأعطاه هشام ستين ألفَ دينارٍ مصالحةً عن ميراث أبيه عبد الرحمن وسار إلى بلد البربر فأقام به .

ذكر خروج جماعة آخر على الأمير هشام

وفي سنة اثنتين وسبعين خرج عليه أيضا سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصاري بشاغنت - من أقاليم طُرطُوشة (١) في شرق الأندلس - وكان قد التجأ إليها حين قُتِل أبوه ، ودعا إلى البانية وتعصَّب لهم ، فاجتمع له خلقٌ كثير ، فملك مدينة طُرطُوشة فأخرج عاملها يوسف القَيْسِي . فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ، ووافقته مُضِر ، فاقتتلا فانهزم سعيد وقُتِل ، وسار موسى إلى سرقسطة فملكها فخرج عليه مولى الحسين بن يحيى واسمه جحدر في جمع كثير فقاتله فقتل موسى .

وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة ، وخرج معه جمع كثير ، فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشة (٢) /وتغلب على تلك الناحية وقوى أمره ، وكان هشام إذ ذاك في حرب

(١) Tortosa في المغرب ٢ : ٢٣٣ ملكة في شرق بلنسية : ثم ذكر بمد مايدل عل أنها ثغر .

(٢) Huesca في ا ، ك ، ف و أشقة ، وماها هنا الرسم الدائر في المظان وجاء في المغرب ٢ : ٤٦٠ أنها من مشاهر مدن الثغر ، وهي فوق سرقسطة وتحت جبال البرت .

أخوية سليمان وعبد الله ، فلما خلا وجهه من أمر أخويه انتدب مطروح جيشا كثيفا وجعل عليهم أبا عثمان عبيد الله بن عثمان . فسار إليه وهو بسر قسطة فحصره بها فلم يظفروا به ، فرجع عنه أبو عثمان ونزل بحصن طرسونة^(١) بالقرب من سر قسطة ورتب سراياه يغيرون على أهل سر قسطة ويمنعون عنهم الميرة . ثم خرج مطروح إلى الصيد في بعض الأيام ، فلما كان آخر النهار أرسل البازي على طائر فاقتنصه فنزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه فقتلاه وأتيا برأسه إلى أبي عثمان ، فسار إلى سر قسطة فكاتبه أهلها فقبل منهم وأرسل الرأس إلى هشام .

قال^(٢) : وأخذ أبو عثمان الجيش وسار بهم إلى بلاد الفرنج فأوقع بهم وظفر وقتل منهم خلقا كثيرا ، وبعث هشام يوسف ابن بخت في جيش إلى جليقية فلقى ملاكهم ، فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الجلائقة وقتل منهم خلق كثير .

وفيها أيضا سجن هشام ابنه عبد الملك لشيء بلّغه عنه ، فبقي في السجن مدة حياة أبيه وبعض ولادة أخيه إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين ومائة

أوفي سنة ست وتسعين ومائة غزا عبد الملك بن عبد الواحد بلاد
الفرنج فغنم وظفر .

(١) مدينة بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ ، وفي النجوم الزاهرة ٢ : ٧٧ « طرطوشة » .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٨٩ .

وفيها استعمل هشام ابنه الحكم على طليطلة وسيّره إليها
بضبطها ، وأقام بها ، ووُلِدَ له بها ابنه عبد الرحمن .

ذكر غزو الفرنج

وفي سنة سبع وسبعين ومائة أغزى هشام عبد الملك بن عبد الواحد
ابن مغيث في جيش ، فدخلوا بلاد الفرنج فبلغوا أربونة وجرنده (١)
فبدأ بجرنده وبها حامية الفرنج فقتل رجالها وهدم أسوارها وأشرف
على فتحها . ورحل عنها إلى أربونة ففعل مثل ذلك وأوغل في بلادهم
ووطىء برطانية واستباح حريمها وقتل مُقاتِلَتَها وجاس البلاد شهورا
يُخْرَبُ الحصون ويحرق ويغنم . وجفل العدو بين يديه ، وأوغل
في بلادهم ورجع ومعه الغنائم وما لا يُحصى كثرة ، وهي أشهر
مغازي المسلمين بالأندلس .

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة بعث هشام جيشا مع عبد الكريم
ابن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج فغزا ألبة والقلاع (٢)
فغنم ولم . وسيّر جيشا آخر مع أخيه عبد الملك بن عبد الواحد
إلى بلاد الجلالة فخرّب دار ملكهم وكنائسه وغنم ، فلما فضل المسلمون
ضلّ الدليل بهم فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير ، ونفقت
دوابهم وتلفت آلاتهم ، وعاد من سلم منهم .

١٨٣-ب

(١) Narbonna لا تدخل في حيز الأندلس وإن تكن قرية (رجع نفتح الطيب
١ : ١٢٥) ويقول عنها ياقوت هي بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس ، بينها
وبين قرطبة ألف ميل . وأما جرنده فترد في بعض الكتب جريدة بتصحيح فوى Gerona
(٢) ذكر ياقوت ألبة بالياء وضم خمرة وذكر أنها ناحية من نواحي إشبيلية ولكن
رسما الصحيح ما أثبتناه Alva et castella vetua

ثم بعثه في سنة نسم وسبعين في جيش كثيف فساروا حتى انتهروا إلى أستُرقة^(١) وكان ملك الجلائقة قد جمع وحشد واستمد جيرانه من الملوك ، وصار في جمع عظيم . فلما قدم عبد الملك رجوع ملك الجلائقة هيباً له ، وتبعهم عبد الملك يقفو أثرهم ويخرب ، وهتك حريم ملك الجلائقة ! وبلغه أنه احتفى بواد فسار إليه وواقعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة فهزمه ، وقتل من قمامصتهم ورؤسائهم كثيرا ، ورجع سالما .

وكان هشام قد سير جيشا آخر من ناحية أخرى ، فدخلوا البلاد أيضا على ميعاد من عبد الملك ، فأخربوا ونهبوا وغنمو فلما أرادوا الخروج من بلاد العدو عارضهم عسكر الفرنج ، فنان منهم ، وقتل من المسلمين ، ثم تخلصوا وعادوا^(٢) .

ذكر فتنة تاكرتا

وفي سنة ثمان وسبعين ومائة هاجمته فتنة تاكرتا^(٣) بالأندلس ، وخلع البربر الطاعة وأظهروا الفساد ، وأغاروا على البلاد وقطعوا الطريق ، فسير هشام إليهم جيشا كثيفا عليهم عبد القادر بن أهبان بن عبد الله مؤلى معاوية بن أبي سفيان ، فقصدها وتابعوه

(١) Astorga وقد رستها « أسرقه » وما هاتان عنك صفحة ١٠٨ وهي في الشمال الغربي بجليقية .

(٢) راجع نفع الطيب ١ : ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) كذا في وفي ك ١٠٨ وفي ف ١٠٤ - ب وما في معجم البلدان ه : « تاكون » فلعلها هنا محرقة ، وقال عنها ياقوت كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة يخرج منها عدة أنهار وفيها معقل رندة . ويلاحظ أن الحميري ضبط تاكرني « تاكرتا » (صفة جزيرة الأندلس صفحة ٧٩) .

١-١٨٤ قتال مَنْ فيها ، / إلى أن أبادوهم قتلاً وسبيًا ، وفرَّ من بقيَ منهم
فدخل في سائر القبائل ، وبقيت كورة تاكرتا خالية سبع سنين !

ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن

وشىء من أخباره وسيرته

كانت وفاته في ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر
سنة ثمانين ومائة بقصر قرطبة وكان عمره تسعاً وثلاثين سنةً
وأربعة أشهر ، ومدة ولايته (على القول الأول) سبع سنين
وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وكان أبيض مشرباً بحمرة
أشهل ، بعينه حول وكان عاقلاً حازماً ذا رأى وشجاعة وعدل ،
محباً لأهل الخير والصلاح ، راغباً في الجهاد . وكان يعود المرضى
ويشهد الجنائز ، ومن محاسن أعماله أنه أخرج متصدقاً يأخذ
الصدقة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وهو الذى
تممَّ بناء جامع قرطبة وبنى عدة مساجد ، وبلغ من عز الإسلام
في ولايته وذل الكفر أن رجلاً مات وأوصى بفك أسير من المسلمين
من تركته ، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسير من المسلمين
يشتري ويفك لضعف العدو ! وله مناقب كثيرة بالغ أهل
الأندلس فيها حتى قالوا / كان يشبهُ بعمر بن عبد العزيز ، وكان نقش
خاتمه « بالله يشق هشام ويعتصم » .

١٨٤-ب

وكان له من الأولاد المذكور عبد الملك الأكبر ، والحكم الوالى

بعده ، ومعاوية ، والوليد ، وعبد العزيز ، وخمس بنات .

وزراؤه : أبو عثمان صاحب الأرض ، ويوسف بن بخت (١) وشهيد بن عيسى وغيرهم . حجابيه : عبد الواحد بن مغيث إلى أن توفى ، ثم ولده عبد الملك وهو رجل الأندلس جمع الحجابة والوزارة والكتابة والتقدم على الجيوش مع حسن الأدب والعفاف والدين والتواضع والكرم والمروءة . كتابه : فطيس بن سلمة ، وخطاب بن يزيد . قاضيه : المصعب بن عمران الهمداني . أصحاب شرطته : الحسن ابن بسام ، ثم علي بن خريم المزني ، ثم سعيد بن عياض اليحصبي .

ذكر امارة الحكم بن هشام

الملقب بالمرتضى

هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه أم ولد اسمها زخرف ، وهو الثالث من ملوك بني أمية بالأندلس . بويع له يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة ، وتولى أخذ البيعة له عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، ولما ولي الحكم كان أول ما بدأ به الغزو في سبيل الله تعالى .

ذكر غزو الفرنج

في هذه السنة أعنى - سنة ثمانين ومائة - بعث الحكم جيشا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى بلاد الفرنج ، فدخل البلاد وبث السرايا . وسير سرية ، فجازوا خليجا من البحر كان الماء قد جزر عنه وكان الكفار قد جعلوا أموالهم وأهلهم

(١) في نفع الطيب ١ : ٣١٦ • ابن نجية •

وراء ذلك الخليج ظنا منهم أن أحدا لا يقدر أن يعبر إليهم . فجاءهم
 مالم يكن في حسابهم ، فغنم المسلمون جميع أموالهم ، وأسروا
 الرجال وقتلوا منهم فأكثرُوا القتل ، وسبوا الحرِيم والذرية ،
 وعادوا سالمين .

وما أشبه هذه الواقعة بفتح طرابلس الشام ! فإنه لما فتحها
 السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى -
 قدس الله روحه - في سنة ثمان وثمانين وستمائة جزرَ البحرُ ساعة
 انفتح وانطرد عنها حتى دخل المسلمون بخيلهم إلى جزيرة النحلة
 وهى بعيدة عن الميناء ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في
 موضعه .

قال (١) : وعاد المسلمون إلى عبد الكريم وقد ملأوا أيديهم من الغنائم .
 وسير طائفةً أخرى فخرّبوا كثيرا من بلاد فرنسية (٢) وغنموا الأموال
 وأسروا الرجال فأخبرهم بعض الأسرى أن جماعة من ملوك الفرنج
 قد سبقوا المسلمين إلى وادٍ وعرّ المسلك على طريقهم وبلغ ذلك
 عبد الكريم فجمع عساكره وسار على بغيته وجدّ السير ، فلم يشعر
 الكفارُ إلا وقد خالطهم المسلمون ورضعوا السيفَ فيهم فانهزموا .
 وغمّ المسلمون مامعهم وعادوا بالظفر والغنيمة والسلامة .

١٨٥-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ١٠٢ .

(٢) في النسخ الثلاث بلا نقط « موسى » وتنقطها « وموسى » وك ١٠٩ وف ١٠٥ .

« قوسنة » فلعلها مرسية Murcia وما هنا عن الكامل ٥ : ١٠٢ .

ذكر خلاف بهلول بن مرزوق وغيره

وفي سنة إحدى وثمانين ومائة خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابي الحجاج في ناحية الثغر ، ودخل مدينة سرقسطة فملكها .
وقدم على بهلول بها عبد الله بن عبد الرحمن عم الحكم - وهو المعروف بالبلنسي - وكان متوجهاً إلى الفرج ، ثم سار إلى مدينة طليبة^(١) فنزل بها مع عمرو^(٢) بن يوسف . فسار إليهم بهلول وحاصرهم فتفرق العرب عنهم ، ودخل بهلول مدينة طليبة وسار عبد الله إلى مدينة بلنسية فأقام بها وذلك في سنة أربع وثمانين .

وخالف عبيدة بن حمير بطليطة ، فأمر الحكم القائد عمرو ابن يوسف وهو بمدينة طليبة أن يحارب أهل طليطة ففعل ، وضيق عليهم ، وكاتب رجالا من أهلها يعرفون سبي مخشي واسمهم ، فوثبوا على عبيدة ، فقتلوه وحملوا رأسه إلى عمرو فأنزلهم عنده - وكان بينهم وبين البربر الذين بمدينة طليبة دخول - فتسور البربر عليهم ، فقتلوهم ، فسير عمرو رؤوسهم مع رأس عبيدة إلى الحكم وأخبره الخبر

(١) في كل النسخ « أسفة » ولا وجه لها إلا أن تكون « أسفة » رستاق مشرقية غافق كما يقول ياقوت وأما « ما هنا فمن الكاز » : Talavera من أعمال طليطة على نهر تاجه

(٢) في كل النسخ « عمرو »

ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن

لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان

وفي سنة اثنين وثمانين ومائة جاز سليمان بن عبد الرحمن إلى بلاد الأندلس من الشرق لحرب ابن أخيه الحكم ، فسار إليه الحكم في جيوش كثيرة من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة ، والتقىا واقتتلا ، واشتدت الحرب فانهزم سليمان وأتبعه عسكر الحكم . وعادت الحرب بينهما ثانية في ذى الحجة ، فانهزم سليمان واعتصم بالأوعار والجبال ، فعاد الحكم ، ثم عاد سليمان فجمع بربرا وأقبل إلى جانب إستجة^(١) . فسار إليه الحكم فالتقوا واقتتلوا في سنة ثلاث وثمانين ، واشتد القتال فانهزم سليمان وقصد جهة ماردة^(٢) فتبعه طائفة من عسكر الحكم فأسروه ، وأحضره إلى الحكم فقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة ، وكتب إلى أولاد سليمان وهم بقرطبة كتاب أمان واستدعاهم فحضروا عنده بقرطبة .

ذكر استيلاء الفرنج على برشلونة

وفي سنة خمس وثمانين ومائة ملك الفرنج - لعنهم الله تعالى - مدينة برشلونة^(٣) بالأندلس ، وأخذوها من المسلمين ، ونقلوا

(١) Ecija كورة أندلسية متصلة بأعمال رية وهي واسعة الرساتيق على نهر سنجل وكانت قاعدة إقليم إشبيلية الغربي ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، وقد فتحها طارق عام ٧١١ للميلاد .

(٢) في « به مار » وفي الكامل ٥ : ١٠٨ « قرية » وماها هنا عن ك صفحة

. ١١٠

(٣) Barcelona ويكتبها العرب أحيانا برشونة ، ميناء على البحر المتوسط في الشمال الشرق وقال الحميري إنها مدينة الروم بينها وبين طركونه خمسون ميلا (صفحة الأندلس صفحة ٤٢)

حماة ثغورهم إليها ، وتأخر المسلمون إلى ورائهم وكان سبب ذلك اشتغال الحكم بمحاربة عمه [سليمان بن عبد الرحمن] (١) .

ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه

عبد الله البلنسى

وفي سنة ست وثمانين ومائة حصل الاتفاق بين الأمير الحكم بن هشام وبين عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ، وذلك أن عبد الله لما سمع بقتل أخيه سليمان عظم عليه وفُتَّ في عضده ، وخاف على نفسه ، ولزم بلنسية ولم يتحرك لإثارة فتنة . وأرسل إلى الحكم يطلب المسألة والدخول في الطاعة ، وقيل بل الحكم راسله في ذلك وبذل له الأرزاق الواسعة له ولأولاده ، فأجاب إلى ذلك ، واستقر الصلح بينهما على يد يحيى بن يحيى صاحب الإمام مالك بن أنس . وزوج الحكم أخواته من أولاد عمه عبد الله ، وأكرم عمه وأجرى له ولأولاده الأرزاق الواسعة والصلوات السنوية . وقيل كانت المراسلة / في هذه السنة ، واستقر الصلح في سنة سبع وثمانين .

١٨٧ - ١

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيلة

وفي سنة سبع وثمانين ومائة ملك الفرنج - لعنهم الله - مدينة تطيلة (٢) . وسبب ذلك أن الحكم بن هشام استعمل على ثغور الأندلس قائدا كبيرا من قواده وهو عمرو بن يوسف . فاستعمل عمرو ابنه يوسف على تطيلة . وكان قد انهزم من الحكم

(١) زيادة من نسخة ك صفحة ١١٠ .

(٢) Tudela كورة ومدينة شرق قرطبة كثيرة الأنهار والأشجار ، وقال الحميري إنها مدينة بالأندلس في جوف وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة (صفة الأندلس صفحة ٦٤)

أهل بيت من بيوت الأندلس أولُو قُوَّةٍ وبأس ، وخرجوا عن طاعته ،
 والتحقوا بالمشركين ففقوى أمرهم ، واشتدت شوكتهم ، وتقدموا
 إلى تطيلة فحصروها وماكوها من المسلمين ، وأسروا أميرها يوسف
 بن عمروس وسجنوه وتقدموا بصخرة قيس . واستقر عمروس بمدينة
 سَرْقُسطة ليحفظها من الكفار ، وجمع العساكروسيرها مع ابن عم له ،
 فلقى المشركين فقاتلهم وفضَّ جمعهم ، وقتل أكثرهم ، وسار إلى
 صخرة قيس بالجيش فحصرها وافتتحها وخلص يوسف منها .

ذكر ايقاع الحكم بأهل قرطبة

كان ذلك في سنة سبعٍ وثمانين ومائة . وسببه أن الحكم في صدرِ
 ١٨٧ ب - ولايته كان / قد تظاهر بِشُرْب الخمر والانهماك على الملذات . وكانت قرطبة
 دارَ علم وبها فضلاء أهل علم وورع ، منهم يحيى بن يحيى الليثي راوى موطأ
 مالك بن أنس وغيره . فثار أهل قرطبة وأنكروا فعل الحكم ورهوه بالحجارة
 وأرادوا قتله ، فامتنع منهم ثم سكن الحال واجتمع بعد ذلك بليامٍ وجوه
 أهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني -
 عم هشام بن حمزة - وأخذوا له البيعة على أهل البلد وعرفوه أن
 الناس قد ارتضوه كافةً . فاستظهرهم ليلة ليرى رأيه ، ويستخير
 الله تعالى فانصرفوا ، وحضر هو عند الحكم وأعلمه الحال وأنه على
 بيعته له لم يتغير ، فطلب الحكم تصحيح ذلك عنده وسير مع محمد
 ابن القاسم بعض ثقاته فأجلسه محمد في قبة في دارٍ وأخفى أمره .
 وحضر عنده القوم يستعلمون منه هل يتقلد أمرهم أم لا .

فأراهم المخافة على نفسه وعظم عليهم الخُطْبَ وسألهم تعدادَ أمماتهم ومن معهم ، فذكروا له جميع مَنْ معهم من أعيان البلد وصاحب الحكم يكتب أمماتهم ، فقال لهم محمد بن القاسم : يكون هذا الأمر يومَ الجمعة إن شاء الله تعالى في المسجد الجامع ! فانصرفوا ومشى إلى الحكم مع صاحبه فأعلماه جلية الحال . كان ذلك يومَ الخميس . فما جاء الليل حتى حبس الجماعة عن آخرهم ، ثم أمر بهم بعد أيام فُصِّلُوا عند قصره / وكانوا اثنين وسبعين رجلا ، وكان يوما شنيعا ثم كانت وقعة الرِّبِض بعد ذلك على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

١٨٨-١

ذكر ايفاع الحكم بأهل طليطلة

وهي وقعة الحُفْرة

قال (١) : وفي سنة إحدى وتسعين ومائة أوقع الحكم بأهل طليطلة ، فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها . وكان سبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء وخلعواهم مرة بعد أخرى ، وقويت نفوسهم ؛ ليحصانة بلدهم وكثرة أموالهم ، فلم يكونوا يطيعون أمراءهم طاعة مُرضية . فلما أعيأ الحكم شأنهم أعمل الفكرة : فاستعان بعمرس بن يوسف المعروف بالمولد ، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى ، وأظهر طاعة الحكم ودعا إليه فاطمآن إليه لهذا السبب . واستقدمه فقدم عليه ، فبالغ الحكم في إكرامه وأطلععه على عزمه في أهل طليطلة فوافقته عليه .

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ١٠٤

وكتب إلى أهلها بقول « إنني قد اخترت لكم فلانا وهو منكم لتطمئن قلوبكم إليه وأغفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ، ولتعرفوا جميل رأينا فيكم » ومضى عمروس ودخل طليطلة فأنس أهلها به واطمأنوا إليه وأحسن / عشرتهم .

١٨٨-ب

وكان أول ما احتال به عليهم أن أظهر موافقتهم على بغيض بنى أمية وخلق طاعتهم ، فمالوا إليه ووثقوا به ورضوا بيفعله ثم قال لهم : إن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمراء اختلاطهم بكم ، وقد رأيت أن أبني بناءً أعزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقا بكم ! فأجابوه إلى ذلك ، فبنى في وسط البلد ما أراد .

فلما مضى لذلك مدة كتب الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سراً يأمره أن يرسل إليه يستغيث من جيوش الكفرة ، وطلب النجدة والعساكر ، ففعل ذلك ، فحشد الحكيم الجيوش واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن ، وجهز معه القواد والوزراء ، فسار الجيش حتى اجتاز مدينة طليطلة فلم يتعرض عبد الرحمن لدخوله إليها . وأتاه وهو عندها خبير العامل على الثغر الأعلى يقول « إن عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها » فوقف العسكر وعزم عبد الرحمن على القود إلى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة : قد ترؤن نزول ولد الحكم إلى جاني ، وأنه يلزمني الخروج إليه وقضاء حقه ، فإن نشطتم إلى ذلك وإلا سرت إليه وحدي ! فقالوا : بل نكون معك .

فخرج ومعه وجوه أهل طليطلة فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن إليهم ، وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادما له ومعه كتاب لطيف

إلى عمروس فَلَقِيهِ الخادم وصافحه وسلم الكتابَ إليه من غير أن
 /يحادثه . فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على
 ١-١٨٩ أهل طليطلة ، فأشار إلى عيون أهلها أن يسألوا عبد الرحمن الدُّخُولَ
 إليه ليرى هو وأهلُ عسكره كثرتهم وقوتهم ومنعتهم فظنوا أنه
 ينصحبهم ، ففعلوا ذلك . وأدخلوا عبدَ الرحمن البلد ، فنزل مع
 عمروس في داره ، رأته أهل طليطلة أرسالا يسلمون عليه ، وأشاع
 عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذَ لهم وليمةً عظيمةً . وشرع
 في الاستعداد لذلك وواعدهم يوماً ذكره لهم ، وقرر أنهم يدخلون من
 بابٍ ويخرجون من آخر ليقلَّ الزحام ففعلوا ذلك ! وأتى الناس أفواجا
 عند الميعاد ، فكان إذا دخل فوج أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجنْدِ
 على حُفرة كبيرة في القصر فتضرب رقابهم . فلما تعالى النهار أتى
 بعضهم فلم يرَ أحداً فقال : أين الناس ؟ فقيل له : إنهم يدخلون من
 هذا الباب ويخرجون من الآخر ! فقال : لم ألق منهم أحداً ! وعلم
 الحال فعاد وصاح بالناس وأعلمهم هلاك أصحابه ، فكان مسيب
 نجاة من بقيَ منهم ، ودانوا وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام
 ولده عبد الرحمن ثم كان منهم بعد ذلك ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم

وما فعله بأهل قرطبة

١٨٩-ب /وفي سنة إحدى وتسعين عصى أصبغ بن عبد الله على الحكم
 ووافقه أهل ماردة وأخرجوا عامله عنها . فاتصل الخبر بالحكم ،
 فسار إليها وحصرها . فبينما هو في ذلك أتاه الخبر عن أهل قرطبة

أنهم أعلنوا العصيان له ، فرجع إلى قرطبة مبادرا ، فوصلها في ثلاثة أيام وكشف عن الذين أثاروا الفتنة فصلبهم منكسين ، وضرب أعناق جماعة . فارتدع الباقيون بذلك واشتدَّت كراحتهم للحكم ، ولم يزل أهلُ ماردة تارة يطيعون وتارة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين ، فضعفت أمرُ أصبغ بن عبد الله لأن الحكم تابع إرسال الجيوش واستمال جماعة من أهل ماردة وثقات أصحابه فمالوا إلى الحكم وفارقوا أصبغ حتى أخوه ، فضعفت نفسه فطلب الأمان فأمنه الحكم ، ففارق ماردة ، وحضر إلى الحكم وأقام بقرطبة .

ذكر غزو الفرنج

وفي هذه السنة تجهز لذريق (١) ملك الفرنج وجمع جموعه ليسير إلى مدينة طرطوشة (٢) ليحصرها ، فبلغ ذلك الحكم فجمع العساكر وسيرها مع ولده عبد الرحمن ، فاجتمعوا في جيش عظيم وتبعهم كثير من المتطوعة ، فساروا حتى لقوا الفرنج في أطراف بلادهم قبل أن ينالوا من بلاد الإسلام شيئا ، فاقتتلوا وبذل كل من الطائفتين جهده واستنفد وسعته فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، وهزم الكفار وكثر القتل فيهم والإسار ، وانتهت أموالهم ، ورجع المسلمون بالظفر .

١-١٩٠

(١) Roderic

(٢) في الكامل وجميع النسخ ، ١٠٠٤ ، ف ١٠٧ - ب « طرطوشة » وفي نفع الطيب ١ : ٣١٨ طرسونة ، أما طرطوشة فهي مدينة تصل بكورة بلنسية وهي شرقها قريبة من البحر ، وأما طرسونة فهي من أعداء نضيلة وبينها وبين هذه أربعة فراسخ .

ذكر عصيان حزم على الحكم

وفي هذه السنة خالف حزم بن وهب بناحية باجة ووافق غيرد ، وقصلاوا لشبونة ^(١) . فلما بلغ الحكم الخبر ، سار إليه الحكم في جمع كبير ، فنازله وقطع الأشجار وضيق عليهم حتى أذعنوا إلى طلب الأمان ، فأمنه وأخذ رهائنه على الصالحة والطاعة ، وعاد عنه الحكم إلى قرطبة .

ذكر عودة أهل ماردة إلى العصيان

وغزو الحكم بلاد الفرنج

قال ^(٢) : ثم عاد أهل ماردة إلى العصيان والخلاف على الحكم في سنة أربع وتسعين ، فسار الحكم بنفسه إليهم وقابلهم . ولم تنزل سراياه وجيوشه تتردد وتقاتلهم إلى سنة ست وتسعين ومائة ، فطمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالغارات والقتل والنهب والسبي . وقد شغل الحكم بأهل ماردة عنهم حتى أتاه الخبر بشدة الأمر على أهل الثغور وما نال العلو منهم ، وسمع أن امرأة مسلمة أخذت أسيرة فقالت : واغوثاه يا حكم فعظم عليه الأمر وجمع العساكر واستعد وحشد ، وسار إلى بلاد الفرنج في سنة ست وتسعين ومائة فأنخن ^(٣) في بلادهم ،

(١) Lisbon وينطقها العرب أشبونة أيضا ، وقد قال ابن حوقل عنها إنها على مصب نهر شترين إلى البحر ، ومن قم النهر إلى أشبونة إلى شترة يومان ، وقال ياقوت إنها تتصل بشترين قرية من البحر وعلى ساحلها يوجد المنبر الفائق .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ١٤١

(٣) أنخن فيها : بالغ في ضربه وأنخن في علوه أكثر الجرح فيه ، وأنخن خصمه أوهه

(القاموس المحيط)

وافتح عدة حصون وخرَّب وقتل الرجال وسبي الحرِّيم ونهب الأموال ،
وقصد الناحية التي بها تلك المرأة فأسر لهم من الأسرى ما يفادون به
أسراهم ، وبالغ في الوصية في تخليص تلك المرأة فخلصت من الأسر
وقتل بقية الأسرى .

فلما فرغ من غزاته قال لأهل الثغور : أغاثكم الحكم ؟ قالوا :
نعم ! وأثنوا عليه خيراً ، وعاد إلى قرطبة مظفراً منصوراً .
وفي سنة سبع وتسعين ومائة اشتد الغلاء بالأندلس وعم البلاد ،
ومات كثير من الخلق ، وكان أكثر الناس يطوون للعدم (١) .

ذكر وقعة الرِّبض بقرطبة

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة كانت وقعة الرِّبض بقرطبة ،
وسببها أن الحكم كان كثير التشاغل بالشرب واللهو والصيد
وغير ذلك مما يُجانبه ، وقد قدَّمنا ما كان قد فعله بأهل قرطبة
لما أرادوا خلعه ومنَّ صلب منهم . فزادت كراهة أهلها فيه ،
وصاروا يتعرَّضون ليجنِّده بالأذى والسَّبِّ ، وبالغوا حتى إنهم
كانوا ينادون عند انقضاء الأذان / الصلاة يا مخموراً الصلاة !
وشافهة بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف . فشرع في تحصين
قرطبة وعمارة أسوارها ، وحفر خنادقها ، وارتبط الخيل على بابه ،

١٩١-١

(١) يروى المقرئ أنه كان يكثر فيها مواسة أهل الحاجات ، وفي ذلك يقول الجزيري

الشاعر :

نكد الزمان فأننت أيامه من أن يكون بعمره عمر
ظلع الزمان بأزمة فجلا له تلك الكريمة جوده الفمر
(نفع الطيب ١ : ٣١٩)

واستكثر من المالك ، ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح .
فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة ، وتحققوا أنه يفعل ذلك للانتقام
منهم ، ثم وضع عليهم عشر الأطعمة في كل سنة من غير حريص
فكرهوا ذلك .

ثم عمد إلى عشرة من رؤسائهم فقتلهم وصلبهم ، فهاج
لذلك أهل الربض ، وانضاف إلى ذلك أن مملوكا له سلم إلى صيقل
سيفا ليصقله له فمطله الصيقل ، فأخذ ذلك المملوك السيف ولم يزل
يضرب به ذلك الصيقل إلى أن مات وذلك في شهر رمضان من
هذه السنة ، فكان أول من شهر السلاح أهل الربض القبلي ،
واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح ، واجتمع الجند والأمويون
والعبيد بالقصر . وفرق الحكم الخيل والسلاح ، وجعل أصحابه كتائب .
ووقع القتال بين الطائفتين ، فغلبهم أهل الربض وأحاطوا
بالقصر ، فنزل الحكم من أعلى القصر ولبس سلاحه وحرص
الناس على القتال ، فقاتلوا قتالا شديدا . ثم أمر ابن عمه عبيد الله
فنلّم من السور ثلثة وخرج منها بقطعة من الجيش وأتى أهل الربض
من وراء ظهورهم فلم يشعروا به ، وأضرم النار في الربض .
فانهزم أهله / وقتلوا قتلا ذريعا وأسر من وجد في المنازل والدور فانتقى
الحكم ثلاثمائة من وجوه الأسرى فصلبهم منكسين ، ودام النهب
القتل والحريق في أرباض قرطبة ثلاثة أيام .

١٩١-ب

ثم استشار الحكم فيهم عبيد الكريم بن عبد الواحد بن
مغيث ، فأشار عليه بالصفح عنهم والعفو ، وأشار غيره

بالقتل ، فقبل قولَ عبد الكريم . وأمر فنُودِيَ بالأمان على أنه من بَقِيَ من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قُتِلَ وُصِّلِبَ ، فخرج من بَقِيَ منهم بعد ذلك مستخفيا ، وتحصّلوا على الصَّعب والذلول وخرجوا من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم وما خفّ من أموالهم . وقعد لهم الجند والسفلة بالمرصاد ، ينهبون أموالهم ، ومَن امتنع عليهم قتلوه ! .

فلما انقضتِ الأيامُ الثلاثةُ أمر الحكم بكفّ الأذى عن حرم الناس ، وجمعهم إلى مكان واحد ، وأمر يهدم الربض القبلي . وكان بزيع مولى أمية بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية محبوباً في حبس الدم وفي رجله قيدٌ ثقيل ، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند سأل الحرس أن يُفْرَجوا عنه فأخذوا عليه العهدَ أن يعود فأطلقوه ، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش من قاتل مثله ، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن ، فانتَهَى خبره إلى الحكم فأطلقه وأحسن إليه . وقيل إن هذه الواقعة كانت في سنة اثنتين ومائتين والله أعلم . / قال بعض المؤرخين : اجتمع في الربض أربعة آلاف فقيه وطالب !

١-١٩٢

وكان مِن خَرَج عليه يحيى بن يحيى الليثي ، فهرب ونزَلَ على حَيٍّ من البربر ، ثم آمنه الحكمُ بعد ذلك وحظى عنده . ومنهم الفقيه طالوت بن عبد الجبار ، ففرَّ واستتر عند رجل يهوديَّ عاماً كاملاً . وكان بينه وبين أبي البسام صداقة ، فقصد . فأخبر الحكم به ، وأحضره إليه فعنّفه الحكمُ على خروجه عليه ،

ثم آمنه وصرفه إلى منزله وسأله أين استتر فأخبره باليهودي
وبنّابى البسام ، فاغتاط على أبي البسام وعزله عن وزارته وكتب
عهدًا أن لا يخدمه أبدا . ومنهم عبد الملك بن حبيب ، وغيرهم (١) .

ذكر غزو الفرنج

وفى سنة مائتين جهّز الحكّم جيشًا مع عبد الكريم بن مغيث
إلى بلاد الفرنج ، فسار حتى توّسط بلادهم ، فخرّبها ونهبها
وهدم عدّة من حصونهم ، واستنفذ خزائن ملوكهم . فلما رأى ملكهم
ذلك كاتب جميع ملوك تلك النواحي ، واستنصر بهم فاجتمعت
إليه أهل النصرانية من كلّ مكان . وأقبل في جموع عظيمة ونزل
بإزاء عسكر المسلمين وبينهم نهر ، فاقتتلوا عدّة أيام والمسلمون
يريدون عبور النهر إليهم وهم يمنعونهم من ذلك . فلما رأى المسلمون
ذلك تأخروا عن النهر / فعبر المشركون واقتتلوا أعظم قتال ،
فانهزم الكفار إلى النهر وأخذهم السيف والأسر ، فأسر جماعة
من ملوكهم وكنودهم وقماهصتهم . وعاد الفرنج لزموا جانب
النهر بمنعون المسلمين من عبوره فأقاموا ثلاثة عشر يوما يقتتلون
في كلّ يوم ، فجاءت الأمطار وزاد النهر فتعذر جوازه ، ففضل
عبد الكريم عنهم في سابع ذى الحجة من السنة .

ذكر غزو البربر بناحية مورور

وفيهما خرج خارجي من البربر من ناحية مورور (٢) ومعه جماعة ،

(١) راجع نفع الطيب ١ : ٣١٨

(٢) كورة متصلة بأحواز قرمونة Carmone غربى شلونة ، وفي معجم ياقوت موزور !

فوصل كتابُ العامِلِ بها إلى الحكم بخبره ، فأخفى الحكم أمره واستدعى من ساعته قائداً من قواده فأخبره بذلك سرا وقال له : سرُّ من ساعتك إلى هذا الخارج واثبتني برأسه والا فرأسك عوضه وأنا قاعدٌ في مكاني هذا إلى أن تعود ! فسار القائد إلى الخارج ، فلما قاربه سأل عنه فأخبر أنه في احتياط كثير واحتراز شديد ، فعجز عنه ثم تذكر قول الحكم فأعمل الحيلة حتى دخل عليه وقتله وأتى برأسه إلى الحكم ، فرآه بمكانه ذلك لم يتغير ، وكانت غيبته أربعة أيام ، فأحسن إلى القائد وأكرمه ووصله وأعلى محلّه .

ذكر وفاة الحكم

كانت وفاته يومَ الخميس بعد الظهر لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنةً وقيل ثلاثاً وخمسين سنةً وقيل أقل من ذلك إلى تسع وأربعين سنةً ، ومدة إمارته ستاً وعشرين سنةً وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً . وكان طويلاً أسمر نحيفاً ، وله شعر جيّدٌ ، وهو أول من جند الجنود المرتزقة بالأندلس وجمع الأسلحة والعُدَد واستكثر من الحشم والحواشي ، وارتبط الخيول على بابهِ ، واتخذ المماليك وجعلهم في المرتزقة فبلغت عدتهم خمسة آلاف . وكانوا يسمون الخرس لمُعجمة ألسنتِهِمْ ، وكانوا نوابياً على باب قصره (١) .

وكان يَطَّلِع على الأمور بنفسه ما قرُب منها وما بَعُد ، وكان له نفر من ثقة أصحابه يظالعونه بأحوال الناس ، فيردع الظالم ،

وينصف المظلوم . وكان شجاعاً مقداماً مهيمناً وكان يُقربُ
الفقهاء وأهل العلم . وكان له من الأولاد أبو مطرف عبد الرحمن
وثمانية عشر ولداً ذكراً . كاتبه : الوزير أبو البسام .

ذكر امارة عبد الرحمن بن الحكم

هو أبو المطرف وقيل أبو المظفر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
ابن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد يقال لها حلوة ، وهو الرابع
من ملوك بني أمية بالأندلس . بويغ له بعد وفاة أبيه في يوم
/ الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين وذلك في خلافة
المأمون بن الرشيد العباسي .

قال (١) : ولما ولى خرج عليه غمٌ أبيه عبد الله البلنسي - من
بلنسية - وطمع في الملك ، فوصل إلى تدمير يريد قرطبة ، فتجهز له
عبد الرحمن ، فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضمعت نفسه فرجع
إلى بلنسية .

ذكر ايقاع عبد الرحمن

بأهل البيرة وجندها

كان ذلك في سنة سبع ومائتين وسبب ذلك أن الحكم كان
قد بلغه عن عامل اسمه ربيع أنه ظلم أبناء أهل الذمة فقبض عليه
وصلبه ، فلما توفي الحكم وولى ولده عبد الرحمن وسمع الناس
بصلب ربيع أقبلوا إلى قرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان
ظلمهم ربيع فيها ظناً منهم أنها سترد إليهم . وكان جند البيرة

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٠٢

أشدّهم وأكثرهم طلبا وأشدّهم إلحاحا وتألّبا ، فأرسل عبد الرحمن من يسكنهم ، فلم يقبلوا ودفعوا من أتاها ، فخرج إليهم جنح من الجند من أصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم فانهزم جند البيرة ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا ، ونجا من بقى منهم ، وأذركهم الطلبُ فقتلَ كثيرا منهم .

وفيها ثارت بمدينة تدمير فتنة بين المضربية واليمانية فاقتتلوا بلورقة^(١) فكان بينهم وقعة تعرف بيوم المصابرة قتل بينهم ثلاثة آلاف رجل ، ودامت الحرب بين الفريقين سبع سنين ، ووكل عبد الرحمن بكفّهم ومنعهم يحيى بن عبد الله ابن خالد وسيرته في جمع من الجيش ، فكانوا إذا أحسوا بقرب يحيى افترقوا وتركوا القتال وإذا عاد عنهم رجعوا إلى الفتنة حتى أعيأ أمرهم .

١٩٤ - ا

وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة ذهب فيها خلق كثير وباغ المد في بعض المدن ثلاثين دنيارا .

وفي سنة ثمان ومائتين جهز عبد الرحمن جيشا إلى بلاد المشركين ، واستعمل عليهم عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، فساروا إلى بلاد ألبية والقلاع فنهبوا بلاد ألبية وخربوها وأحرقوها ، وفتحوا حصونًا وصالحهم أهل حصون آخر على مال وإطلاق أسرى المسلمين ، وذلك في جمادى الآخرة .

(١) Lorca في الطريق من غرناطة إلى مرسية ، مدينة حصينة ، ومنعة قلمها تضرب

بها الأمثال (المغرب ٢ : ٢٧٥)

وفيهاتوفى عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبلنسى .

وفي سنة عشر ومائتين سير عبد الرحمن سريةً كبيرةً إلى بلاد الفرنج واستعمل عليهم عبيد الله بن عبد الله البلنسى : فسار ودخل بلادهم وتردد فيها بالغارات والسبى والقتل والأسر ولقى جيوش الأعداء فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وكان فتحاً عظيماً .
وفيهما افتتح عسكر سيرة عبد الرحمن أيضاً حصن القلعة من أرض العدو في شهر رمضان المبارك .

وفيهما أمر ببناء المسجد الجامع بجيان .

وفيهما أخذ عبد الرحمن مقدم اليمانية بتدمير / وهو رجاء بن ١٩٤-ب الشماخ لتسكن الفتنة بين اليمانية والمضرية فلم تسكن ودامت ، فأمر العامل بتدمير أن ينتقل منها ويجعل مرسية (١) قاعدة تلك البلاد .

وفي سنة اثنتى عشرة ومائتين سير عبد الرحمن جيشاً إلى برشلونة من بلاد العدو فأقام الجيش شهرين يحرقون وينهبون .

وفيهما كانت مسيول عظيمة وأمطار متتابعة ، فخربت أكثر أسوار مدن الأندلس وخربت قنطرة سرقسطة ، ثم جددت عمارتها

١١١: وفي سنة ثلاث عشرة ومائتين قتل أهل ماردة عاملهم فثارت

(١) Murcia من أعمال تدير وقاعدتها بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي ذات أشجار كثيرة وحدائق ، تبعد عن قرطبة إلى الشرق منها والمسافة بينها وبين البحر المتوسط ليست بعيدة وكانت تقع في جنوبي مملكة أراجون . (صفحة الأندلس صفحة ١٨١) .

الفتنة عندهم فسير إليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم وأفسد
زرعهم وأشجارهم فعادوا لنطاعة وأعطوا رهائنهم ، وعاد الجيش
عنهم بعد أن حاربوا سور المدينة ، ثم أرسل إليهم من ينقل أحجار
السور إلى النهر لثلا يطعم أهلها في عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا
إلى العصيان وأسروا العامل عليهم وبنوا السور وأتقنوه . فسار
عبد الرحمن بجيوشه إليهم في سنة أربع عشرة ومائتين ومعه رهائن
أهلها فراسله أهلها وافقدوا رهائنهم بالعامل الذي أسروه وغيره
وحصرهم وأفسد بلادهم ثم رحل عنهم . ثم سير إليهم جيشاً
في سنة سبع عشرة فحصروها وضيقوا على أهلها ، ودام الحصار
ثم رحلوا عنهم . وسير إليهم جيشاً في سنة ثمانى عشرة ومائتين
ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد . وكان من أهلها / رجل اسمه
محمود بن عبد الجبار الماردى في جماعة من الجند ، فمضى بمن سليم
من أصحابه إلى مُنت سألوط فسير إليه عبد الرحمن جيشاً في سنة
عشرين ومائتين فهرب بمن معه إلى جليقية فأرسل سرية في طلبهم ،
فقاتلهم محمود وهزمهم وغنم ما معهم ، وقتل عدة منهم ثم مضى
لوجه فلقية جمع من أصحاب عبد الرحمن مصادفة فقاتلهم ،
ثم كف بعضهم عن بعض وساروا فلقية سرية أخرى فانزمت
السرية وغنم محمود ما معهم ووصل إلى بلاد المشركين فاستولى
على قلعة لهم فأقام بها خمسة أعوام وثلاثة أشهر فحصره أذفونس
ملك الفرنج فملك الحصن وقتل محموداً ومن معه وذلك في سنة
خمس وعشرين في شهر رجب .

وفي سنة أربع عشرة ومائتين سار عبد الرحمن إلى مدينة باجة (١) وكانت عاصية عليه فملكها عنوة .

وفيها خالف هاشم الضراب بمدينة طليطلة ، وكان هاشم ممن خرج من طليطلة لما أوقع الحكم بأهلها ، وسار إلى قرطبة ، فلما كان الآن سار إلى طليطلة فاجتمع إليه أهل الشر والفساد فسار إلى وادي جونية (٢) وأغار على البربر وغيرهم فطار اسمه واشتدت شوكته وكثر جمعه فأوقع بأهل شنت بريته . وكان بينه وبين البربر وقعات كثيرة ، فسير إليه عبد الرحمن جيشا فقاتلوه فلم تستظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، وغلب هاشم على عدة مواضع وجاوز بركة العجوز وأبعدت غارة خيله . فسير إليه عبد الرحمن جيشا في سنة ست عشرة ومائتين فلقبهم هاشم بالقرب من حصن سمسطا المجاور لرورية (٣) فدامت الحرب بينهم عدة أيام ثم انهزم هاشم وقُتِل هو وكثير ممن معه

١٩٥-ب

ذكر محاصرة طليطلة وفتحها

وفي سنة تسع عشرة ومائتين جهز عبد الرحمن جيشا مع ابنه أمية إلى مدينة طليطلة فحصرها - وكانوا قد خالفوا

(١) Beja من أقدم مدائن الأندلس بينها وبين قرطبة مائة فرسخ (صفة جزيرة الأندلس ٣٦) .

(٢) كذا في ١ ، وفي ك ١١٥ وفي ف ١١٠ - ١ وليس له فيما بين أيدينا من المراجع ذكر ، ولعله محرف .

(٣) في ١ ، ك صفحة ١١٦ ، ف صفحة ١١١ - ب « حصن شيطا المجاور للورقة » وما هاهنا من الكامل ٥ : ٢١٩ .

وخرجوا عن الطاعة - فاشتد في حصارهم وقطع أشجارهم وأهلك زرعهم ، فلم يذعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم وترك بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب . فلما أبعد أمية خرج جمع كثير من أهل مدينة طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفلة فينالون منه ومن أصحابه غرضا ، وكان قد بلغه الخبر فكمن في عدة مواضع . فلما وصلوا إلى قلعة رباح خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم فأكثروا القتل وعاد من سلم منهزما إلى طليطلة ، وجمعت رؤوس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظم عليه وارتاع لذلك ، ووجد في نفسه غما شديدا ، فمات بعد أيام يسيرة !

ثم سير عبد الرحمن جيشا في سنة / عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء . فلما كان في سنة إحدى وعشرين ومائتين خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصار طليطلة وضيّقوا على أهلها واشتدوا في حصارهم إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فسير عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع ، ففتحها عنوة يوم السبت ثمان خلون من شهر رجب منها ، وأمر بتجديد القصر على باب الجسر الذي كان هديم أيام الحكم ، وأقام بها آخر شعبان سنة ثلاث وعشرين حتى استقرت قواعد أهلها .

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين سير عبد الرحمن جيشا

إلى ألبّة والقلاع فنزلوا حصن الفرات ، وقتلوا أهله ، وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذرية وعادوا .

وفي سنة أربع وعشرين سير جيشا عليهم عبيد الله بن عبد الله البلسي إلى بلاد العلو ، فوصلوا ألبّة والقلاع فالتقواهم والمشركون ، وكانت بينهم حروب شديدة وقتال عظيم انهزم أهل الشرك ، وقتل منهم مالا يحصى كثرة ، وجمعت الرووس حتى كان الفارس لا يرى من يقاتله !

ثم سار عبد الرحمن في سنة خمس وعشرين في جيش كثيف إلى بلاد المشركين فدخل بلاد جليقية وافتتح عدة حصون منها ، وغنم وسبى وقتل / وخرّب ثم عاد إلى قرطبة ولم تطل مدة ١٩٦-ب هذه الغزاة .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين سير الأمير عبد الرحمن جيشا إلى أرض العلو ، فلما كانوا بين أوشنة وشرطانية (١) تجمعت الروم عليهم وأحاطوا بهم وقتلواهم الليل كله ، فلما أصبحوا أنزل الله نصره على المسلمين وهزم عدوهم ، وأبلى موسى بن موسى في هذه الغزاة بلاء حسنا ، وكان على مقدمة العسكر وهو العامل على تطيلة ، وجرى بينه وبين جرير بن موفّق - وهو من أكابر اللولة - أيضا شر فخرج موسى عن طاعته .

(١) كذا في أ، ف صفحة ١١٢-١، وأما ما في ك ١١٦ فهو «أوشنة وشرطات» وفي الكامل ٥ : ٢٦٨ «أربونه وشرطانية» فكان الخلاف في أوشنة ولعلها أوشنة (انظر المغرب ١ : ٣١٧) .

ذكر الحرب بين موسى بن موسى

والحارث بن بزيع وما كان من أمره

قال (١) : ولما بلغ عبد الرحمن خروج موسى عن الطاعة سَير إليه جيشا ، واستعمل عليهم الحارث بن بزيع فسار إليه والتقوا عند بَرْجَة (٢) واقتتلوا فقتل أكثر أصحاب موسى : وقتل ابن عم له ، وعاد الحارث إلى سرقسطة . فسير موسى ابنه إلى بَرْحَة فعاد الحارث إليها فحصرها وملكها وقتل ابن موسى وتقدم إلى مدينة تطيلة فحصرها فصالحه موسى على أن يخرج عنها فانتقل موسى إلى أرنيط (٣) وبقي الحارث بتطيلة أياما ثم سار إلى موسى ليحاصره . فأرسل موسى إلى غرسية وهو من ملوك الأندلس (٤) /واتفقا على الحرب واجتمعا وجعلا للحارث كمائن في طريقه وأعدا له الخيل والرجل بموضع يقال له ثلمة على نهر هناك ، فلما جاوز الحارث النهر خرج إليه الكمناء وأحدقوا به وكانت وقعة عظيمة وأصابه ضربة في جبهته قلعت عينيه ثم أُسِرَ ، وذلك في سنة ثمان وعشرين . فلما بلغ خبره عبد الرحمن عَظُمَ عليه وجهز جيشا عظيما وجعل

١٩٧-١

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٦٨

(٢) مدينة قرب النهر الأخضر الذي يصب في البحر المتوسط وبين إلمرية وغرناطة في وادي عذراء ، وفي المغرب ٢ : ٢٢٨ كان يتكرر عليها الولاة من إلمرية وغرناطة (٣) في « اربط » وفي ك صفحة ١١٧ « ارنط » وما أثبتناه من الكامل ، ولكننا نرى أن الصحيح « أبط » في جليقية .

(٤) Garcia كان صاحب بنبلونة Pamplona في أقصى الشمال الغربي بمجال ألبرت

بينها وبين سرقسطة مائة وسبعون ميلا (صفة الأندلس ٥٥)

عليه ابنه محمداً وسيره لقتال موسى في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ، فوصل إلى تطيلة وحصرها وضيق على أهلها ، وأهلك زرعها فصالحه موسى . وتقدم محمد إلى ينبلونة فأوقع عندها يجمع كثير من المشركين وقُتِلَ غرسية فيمن قُتِلَ ، ثم عاد موسى إلى الخلاف على عبد الرحمن فجهز جيشاً كثيراً وسيرهم إلى موسى فطلب المسألة فأجيب إليها ، وأعطى ابنه إسماعيل رهينةً وولاه عبد الرحمن مدينة تطيلة فسار موسى إليها وأخرج منها من يخافه واستقر بها .

ذكر خروج المشركين إلى بلاد الاسلام بالأندلس

قال (١) : في سنة ثلاثين ومائتين خرج المجوس في أقاصى بلاد الأندلس إلى بلاد المسلمين ، وكان أول ظهورهم في ذى الحجة سنة / تسع وعشرين ومائتين وعند أشبونة فأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً كان بينهم وبين المسلمين فيها وقائع ، ثم ساروا إلى قادس (٢) ثم إلى شذونة وكان بينهم وبين المسلمين وقعة عظيمة ، ثم قصدوا إشبيلية في ثامن المحرم فنزلوا على اثني عشر فرسخاً منها ، فخرج إليهم المسلمون فهزموهم العدو في ثاني عشر المحرم وقُتِلَ كثير منهم ، ثم نزلوا على ميلين منها فخرج أهلها إليهم وقتلوهم فانهمزوا في رابع عشر المحرم وكثر القتل والأسر

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٧٢

(٢) Cadiz مدينة قرب شذونة ولكنها تقع مباشرة على المحيط الأطلنطي في الجنوب الغربي من الأندلس ويقول الحميري إنها جزيرة الأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية (صفة الأندلس ١٤٥)

فيهم . ولم يرفع المجوس السيف عن أحدٍ ولا عن دابةٍ ، ودخلوا حاضر إشبيلية وأقاموا بها يوماً وليلاً وعادوا إلى مراكبهم ، فوافاهم عسكر عبد الرحمن فبادر إليهم المجوس فثبت المسلمون وقاتلهم فقتل من المشركين سبعون رجلاً وانهمزوا ودخلوا مراكبهم ، واحجم المسلمون عنهم ، فسير عبد الرحمن جيشاً آخر فقاتلهم المجوس قتالاً شديداً ورجعوا عنهم فتبعهم العسكر في ثاني شهر ربيع الأول وقاتلهم ، وأتاهم المدد من كل ناحية فنهضوا لقتال المجوس من كل جانب فانهمز المجوس وقتل نحو خمسمائة رجلٍ وأخذوا منهم أربعة مراكب فأخذوا ما فيها وأحرقوها .

ثم خرج المجوس إلى لبدة^(١) فأصابوا سبياً ونزلوا جزيرة بالقرب من قوريس فقسموا ما كان معهم مما غنموه ، فدخل المسلمون إليهم في النهر فقتلوا رجلين ثم رحل / المجوس فطرقوا شدونة فغنموا أطمعةً وسبياً وأقاموا يومين ، فوصلت مراكب عبد الرحمن إلى إشبيلية . فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبله فأغاروا وسبوا ثم لحقوا بأشبونة ثم مضوا إلى باجة ، ثم قفلوا إلى مدينة أشبونة ، ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس .

١٩٨-١

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين سار جيش للمسلمين بقرطبة إلى بلاد المشركين وقصدوا جليقية فغنموا وقتلوا وأسروا وسبوا

(١) Nebla مدينة بين باجة وإشبيلية (انظر ما كتب عنها في المغرب ١: ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٥، ويقول الحبري : إنها قاعدة من قواعد قتاله (صفة جزيرة الأندلس ١٧٤) .

وواصلوا إلى مدينة ليون^(١) فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق ،
فخاف أهلها وخرجوا هاربين وتركوها بما فيها ، فغتم المسلمون
منها ما أرادوا وأحرقوا الباقي ، ولم يقدر واعي هدم سورها لأن
عرضه سبعة عشر ذراعاً ، فمضوا وقد ثلموا فيه ثلثة كبيرة^(٢) .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين غدر موسى بن موسى ،
فسير إليه عبد الرحمن جيشاً مع ابنه محمد .

وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة ، فهلك خلق كثير
من الناس والدواب ، ويبست الأشجار فاستسقى الناس فسقوا وزال
القحط .

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين سير عبد الرحمن ابنه المنذر
في جيش كثيف إلى غزو الروم فبلغوا ألبه والقلاع .

وفيها كان سيل عظيم بالأندلس فخرّب /جسر إستجة والأرجاء
وغرق نهر إشبيلية بست عشرة قرية ، وخرّب نهر باجة ثمانى عشرة
قرية ، وعرض حتى صار عرضه ثلاثين ميلاً وكان هذا حدثاً عظيماً
وقع في جميع البلاد في شهر واحد .

وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين سارت جيوش المسلمين إلى
بلاد العدو وكانت بينهم وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين
وهي وقعة البيضاء .

(١) Leon مدينة من بلاد الجلالقة شمال الأندلس .

(٢) انظر نفع الطيب ١ : ٣٢٤

ذكر وفاة عبد الرحمن

وشيء من أخباره

كانت وفاته في ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين ، وقيل في شهر ربيع الآخر منها . وكان مولده في شعبان سنة ستٍ وسبعين ومائة . فكان عمره اثنتين وستين سنة ومدة ولايته إحدى وثلاثين سنة وشهرين وستة أيام . وكان أسمى طويلاً أغرَّ أقى عظيم الجبهة يخضب بالحناء . وكان له من صلبه من الأولاد الذكور والإناث سبعةً وثمانون ولداً منهم خمسة وأربعون ذكراً . وكان عالماً أديباً شاعراً ، يعرف علوم الفلاسفة . وفي أيامه دخل زرياب^(١) المغنى إلى الأندلس فحضر يوماً عند عبد الرحمن وغنى وعبيد الله [بن] قزمان الشاعر حاضر فقال زرياب :

١-١٩٩

قالت ظلومٌ سميّةُ الظلم مالى رأيتك ناحلَ الجسمِ
يامنْ رأى قلبى فأقصده أنتَ العليم بموضع السهمِ

فقال عبد الرحمن : البيت الثاني منقطع عن الأول غير متصل به ! فقال ابن قزمان بديهةً بعد البيت الأول :

فأجبتُها والدنمُ منحدرٌ مثل الجمان زها على النظمِ

فكساه عبد الرحمن وحياه .

وهو أول من رتب اختلاف الفقهاء إلى قصره ، وأمرهم بالكلام بين يديه . وكان عبدُ الرحمن بعيد الهمة ، اخترع قصوراً ومستنزهات

(١) هو حل بن نافع مولى الخليفة المهدي وتلميذ إبراهيم الموصلي ويقال إنه هو الذى أورت

صناعة الغناء بالأندلس .

كثيرة ، وزاد في الجامع بقرطبة رواقين . وكانت أيامه أيام خافيه وسكون ، وكثرت الأموال عنده وأقام أبهة المملكة ورتب رسوماها . وكان يُشبه بالوليد بن عبد الملك في أبهته . وهو أول من اجتلب الماء العذب إلى قرطبة وأدخله قصوره وجعل لفصل الماء مصنعا كبيرا يروده الناس إذا خرج من قصوره رحمه الله تعالى .

ذكر امارة محمد بن عبد الرحمن

المنعوت بالأمين

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان ، وأمه أم ولد اسمها تهتمز . وهو الخامس من أمراء بني أمية بالأندلس ، قام بالأمر بعد أبيه في يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وقيل في شهر ربيع الآخر منها ، وكانت ولايته في خلافة المتوكل إلى بعض أيام المعتمد قال (١) : ولما ولي جرى في العدل على سيرة أبيه ، وتمم زيادة بناء أبيه في جامع قرطبة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج

وفي سنة أربعين ومائتين كان بين المسلمين والفرنج حرب شديدة ، وسببها أن أهل طليطلة كانوا على ما ذكرناه من الخلاف أعلى الملك فلما ولي محمد هذا سار بجيوشه إليها ، فراسل أهلها ملك جليقية يستملونه ، فأمدهم بالعساكر الكثيرة ، فبلغ محمد ذلك

(١) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٩٢

وقد قارب طليطلة فعبأ أصحابه وكمن الكمناء بناحية وادى سليط ،
وتقدم إليهم في قلة من العسكر فطمع فيه أهل طليطلة والفرنج ،
وأسرهم إليه فلما نشبت الحرب خرجت الكمناء من كل جهة فقتل
من المشركين ومن أهل طليطلة مالا يُحصى ، وجمع من الرؤوس ثمانية
آلاف / رأس ، وذكر أهل طليطلة أن عِدَّة القتلى عشرون ألفاً (١)

١-٢٠٠

قال (٢) : وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين استكثر محمد
الرجال بقلعة رباح ليُضيق على أهل طليطلة ، وسير الجيوش إلى
عزوة الفرنج مع موسى بن موسى ، فدخلوا بلادهم ووصلوا إلى ألبّة
والقلاع ، فافتتحوها بعض حصونها وعادوا

وفي سنة ثلاثٍ وأربعين خرج أهل طليطلة واقتتلواهم ومسعود
ابن عبد الله العريف فانهزم أهل طليطلة وقتل أكثرهم وحُبل إلى
قرطبة سبعمائة رأس

ذكر خروج المجوس

إلى بلاد الإسلام بالأندلس

وفي سنة خمسٍ وأربعين ومائتين خرج المجوس في المراكب
إلى بلاد الأندلس ، فوصلوا إلى إشبيلية وحلّوا بالحاضر وأحرقوا
الجامع ، ثم جازوا إلى العلوّة ، ثم عادوا إلى الأندلس فانهزم أهل
تلمير ، ودخلوا حصن أريوله (٣) ثم تقدموا إلى خليط أفرنجيه

(١) فتح الطيب ١ : ٣٢٨ والكامل ٥ : ٢٩٤

(٢) ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٩٦

(٣) Orihuela في نواحي تلمير قريبة من البحر المتوسط وفي موضع كما جاء في -

فَأَغَارُوا وَأَصَابُوا مِنَ النَّهْبِ وَالسَّبْيِ كَثِيرًا ، ثُمَّ انصرفوا فلقبيهم
مراكبُ الأميرِ محمدٍ فقاتلوهم وأحرقوا مركبتين من مراكب
المجوس ، وأخذوا مركبتين وغنموا ما فيهما ، فجدَّ المجوسُ
عند ذلك في القتال واستشهد جماعةٌ من المسلمين ، / ومضت مراكب
المجوس حتى وصلوا إلى مدينة بنبلونة فأصابوا صاحبها غرسية
الفرنجية ففدى نفسه بتسعين ألف دينارٍ .

٢٠٠ب

وفي سنة سِتٍّ وأربعين ومائتين سار محمدٌ في جيوشٍ عظيمةٍ
إلى بلد بنبلونة فوطىء بلادها ودوخها وخرَّب ونهَّب وقتل ، وافتتح
حصونًا وأصاب في بعضها فرتون بن غرسية فحبسه بقرطبة
عشرين سنةً ثم أطلقه إلى بلده ، وأقام محمدٌ بأرض بنبلونة اثنين
وثلاثين يومًا .

وفي سنة سبعٍ وأربعين سار جيشُ المسلمين إلى بلد برشلونة
وهي للفرنج فأوقعوا بأهلها ، فأرسل صاحبها إلى ملك الفرنج
يستمدُّه فأرسل إليه جيشًا كثيرًا ، وأرسل المسلمون يستمدون
فأتاهم المددُ فنازوا برشلونة وقاتلوا قتالًا شديدًا ، فملكوا أرباضها
وبرجيتين من أبراج المدينة ، وقتل من المشركين مالا يُحصى كثيرةً
وعاد المسلمون بالظفر والغنيمة .

وفي سنة تسعٍ وأربعين ومائتين جهَّز محمدٌ جيشًا مع ابنه إلى

= المغرب ٢ : ٢٨٦ كأنه اقتطع بين جنبه الخلود ! ويقال إن لها قلعة شديدة الامتاع ،
وقد وردت في ١ ، ف كافي الكامل ٥ : ٣٠٠ • أريواله • بصحيف ، وأما في ١١٩ فقد
وست • أربوالة • .

مديةمة ألبّة والقلاع من بلد الفرنج فغنموا وافتتجوا حصونا منيعة .
 وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين سَيرَ محمدُ جيشاً إلى بلاد
 المشركين في جُمادى الآخرة وقصلوا الإملاحة ، وكانت أموال لُدْرِيق
 بناحية ألبّة والقلاع . فلما عمَّ المسلمون بلادهم بالخراب والنهب
 / جمع لُدْرِيق عسكره وسار إليهم فالتقوا بموضع يقال له فِج المِركون^(١) ،
 به تعرف هذه الغزاه ، واقتتلوا فكانت الهزيمةُ على المشركين ثم اجتمعوا
 بهضبة بالقرب من موضع المعركة فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم واشتد
 القتال فانهمز الفرنج لا يلوون على شيء ، وتبعهم المسلمون يقتلون منهم
 ويأسرون ، وكانت هذه الوقعة في ثاني عشر شهر رجب ، وكان عدد
 ما أُخذَ من رؤوس القتلى ألفين وأربعمائة رأس وتسعين رأساً ، وكان
 فتحاً عظيماً .

١-٢٠١

وفي سنة تسع وخمسين ومائتين سار محمد إلى طليطلة وحصرها
 - وكان أهلها قد خالفوا عليه - فطلبوا الأمان فأمّنهم وأخذ
 رهائنهم .

وفيها خرج أهل طليطلة إلى حصن سكيان وفيه سبعمائة من
 البربر وأهل طليطلة في عشرة آلاف ، فلما التحمت الحرب بينهم
 انهزم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب وهو أحد مقدّمي أهل طليطلة

(١) كذا في ١ ، ف صفحة ١١٤ - ١ ، ك صفحة ١١٩ وفي الكامل ٥ : ٣٧٠

فتبعة أهلها في الهزيمة، وإنما انهزم لعداوة كانت بينه وبين مقدم آخر اسمه طريشة فأراد أن يوهنه بذلك فقتلوا أعظم قتلي .

وفيها عاد عمرو بن عمرو بن عمرو الأندلسي إلى طاعة الأمير محمد ، وكان مخالفا عليه عدة سنين . فولاه محمد مدينة أشقة (١)

وفي سنة ست وستين ومائتين أمر محمد بإنشاء مراكز لبتهر قرطبة وحملها إلى البحر وسيرها إلى البحر المحيط ليسير منه إلى بلاد جليقية فلما دخلته تقطعت ، فلم يجتمع منها مركبان ، ولم يرجع منها إلا اليسير !

وفي سنة سبع وستين ومائتين خالف عمر بن حفصون على الأمير محمد بن عبد الرحمن فخرج إليه جيش تلك الناحية وعاملها ، فقاتلوه فهزمهم . وقوى أمره وشاع ذكره ، وأتاه من يريد الشر والفساد ، فسير إليه محمد عاملا آخر في جيش فصالحه عمر ، وطلب العامل كل من كان له مساعداً لعمر ، فأهلكه ، ومنهم من أبعده ، واستقامت تلك الناحية .

وفي سنة ثمان وستين سير محمد جيشا إلى المخالفين مع ابنه المنذر فقصده مدينة سمرقسطة فأهلك زرعها وخرّب بلدّها . وافتتح حصن روضة ، وأخذ منه عبد الواحد الرّوطي - وهو من أشجع أهل زمانه - وتقدم إلى دير نروجة وهدمها بالغارة ، وقصد مدينة

(١) في الكامل ٥ : ٣٧٠ « أشقة » ولها وشقة التي مرت بتاقيل

لاردة وقرطاجنة وأخذرها عنهم ، ثم قصد مدينة ألبة والقلاع فافتتح
بهما حصونا ، وعاد بالظفر والنصر والسلامة .

ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن

كانت وفاته في سلخ صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين وقيل
في يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول منها ، وأنه خرج يوم الأحد/ إلى ١-٢٠٢
الرصاة متنزها ومعه هشام بن عبد العزيز فقال له : يا سيدي
ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : يا ابن اللخناء وهل ملكنا
هذا الذي نحن فيه إلا الموت ؟ ولو بقى من كان قبلنا فمن أين كان
يصل إلينا ؟ ورجع من نزته فحم ومات في بقية يومه ، نقله
ابن الرقيق في تاويخ أفريقية وكان مولد محمد في ذي القعدة سنة
سبع ومائتين وعمره خمسا وستين سنة وثلاثة أشهر وأياما .
وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً .

وكان أبيض مشرباً بحمرة ، ربع القامة أوقص^(١) ، يخضب
بالحناء والكم^(٢) وولد له مائة ولد ذكور ، مات عن ثلاثة وثلاثين
منهم . وكان ذكياً فطنا بالأمر المستبهمة ، محباً للعلوم ، مؤثراً
لأهل الحديث ، عارفاً حسن السيرة . قال ابن مخلد^(٣) الفقيه :

(١) أوقص : قصير العنق ، ويقال وقص عنقه أى كسرها (القاموس المحيط)

(٢) الكم : نبات يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ، وإذا طبخ بالماء كان منه مداد
للكتاب .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الأندلسي بق بن مخلد له مستد روى فيه عن ألف وسبائة صحابي

(البداية والنهاية ١١ : ٥٦) .

ما كلمت أحداً من الملوك أكمل عقلاً ولا أبلغ من الأمير محمد بن عبد الرحمن ، رحمه الله تعالى . وكانت وفاة محمد في خلافة المعتمد على الله العباسي .

ذكر امارة المنذر بن محمد

هو أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها ايل (١) ، وهو السادس من أمراء بني أمية بالأندلس . قام بالأمر في يوم وفاة أبيه في غرة شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وقيل بويج له بعد وفاة أبيه بثلاث ليال وخالف عليه ابن حفصون - وقد ذكرنا خلفه على أبيه - وتحصن عمر بن حفصون بطليطلة ، فسار المنذر إليها وأحرق بها ، فأعمل ابن حفصون الحيلة وسلك طريق المكر والخديعة ، وسأل الأمان ، وأظهر الرغبة في سكن قرظبة بأهله وولده . فآمنه المنذر وكتب له بما أراد ، وفضل لأولاده الثياب . ثم سأل مائة بغل يحمل عليها أثقاله وعياله إلى قرظبة ، فأمر له المنذر بها وسلمت إليه وعليها عشرة من العرفاء .

وارتحل العسكر ، فأخذ ابن حفصون البغال وقتل العرفاء ، وعاد إلى سيرته الأولى . فعقد المنذر على نفسه أنه لا أعطاه صلحا ولا عهداً إلا أن يُلْفَى بيده وينزل على حكمه ، وأمر بالسكنى ،

(١) كذا في ١ ، ك ١٢٠ ، ف ١٥٥ - ١

وَأَنْ تَرُدَّ أَسْوَاقَ قَرْطَبَةَ إِلَى طَلِيظَلَّةَ . وَدَامَ الْحَصَارُ ، فَسَاتَ الْمَنْزَرُ وَهُوَ يَحَاصِرُهُ .

وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بِقِيَّتِ مِنْ صَفَرٍ سَنَةً خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي نِصْفِ صَفَرٍ . وَعَمَرَهُ نَحْوًا مِنْ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَوَلَايَتَهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَأَيَّامًا . وَكَانَ أَسْمَرَ طَوِيلًا ، جَعْدًا كَثَّ اللَّحْيَةُ ، بِوَجْهِهِ أَثَرُ جَدْرَى ، رَخَلَفَ سِتَّةَ أَوْلَادٍ ذَكَورًا . وَقِيلَ لَمْ يَعْقِبْ فَوْلَى بَعْدَهُ أَخُوهُ ! (١)

١ / ذِكْرُ أَمَارَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

١-٢٠٣

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ابْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخَلِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ اسْمُهَا عَشَارُ ، وَهُوَ السَّابِعُ مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي أُمِيَّةِ بِيَلَادِ الْأَنْدَلُسِ . بُويعَ لَهُ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْمَنْزَرِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةً خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي مُنْتَصَفِ صَفَرٍ مِنْهَا ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ .

وَلَمَّا بُويعَ لَهُ كَانَ بِالْمَعْسُكِرِ عَلَى طَلِيظَلَّةَ فَرَحَلَ نَحْوَ قَرْطَبَةَ ، وَدَخَلَ الْقَصْرَ بِهَا لثَلَاثَ بَقِيَّتَيْنِ مِنْ صَفَرِ الْمُؤَرَّخِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الرَّقِيقِ : وَلَمَّا تَوَلَّى أَلْبُّ ابْنُ حَفْصُونَ عَلَيْهِ ، وَحَشَدَ كُورَ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا قَرْطَبَةُ ، وَأَقْبَلَ فَيَمُنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُورِ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ ١١ : ٥٤ « ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِهِ فَتَنَا وَشَرَا حَتَّى هَلَكَ »

وخرج إليه الأمير عبد الله في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه . فبرز إليه ابن حفصون في سفح الجبل وثار له ، فلم تكن إلا صدمة صادقة حتى أزالوهم عن مراكزهم . ودخل ابن حفصون الحصن كأنه يخرج من بقي فيه ، فثلم فيه ثلثة أخرج منها أهله وما كان له . فلما انتهى ذلك إلى عسكره ولوا مدبرين لا يلوى أحد منهم على أحد (١) فقتلوا قتلاً ذريعاً / ودخل منهم ٢٠٣ - ب جماعة في عسكره فأمر بالتقاطهم وجلس لهم في مظلة فقتل بين يديه ألف صبراً .

وكانت في أيامه فتنة عظيمة ، وكثر قيام الثوار عليه حتى لم يبق في يده إلا مدينة قرطبة وحدها . وخالف عليه أهل إشبيلية وشنونه ، ولم تبقى مدينة إلا خالفت عليه . وعزموا على الدعاء على منابر الأندلس للمعتضد بالله العباسي ، فكتبوا إلى إبراهيم ابن أحمد الأغلب يسأله أن يبعث إليهم رجلاً من قبيلة ، فتناقل عنهم إبراهيم وشغله أيضاً اضطراب أهل أفريقية عليه ، فأمسكوا عن ذلك ا

وقلت رجال عبد الله بن محمد ، وذهب من كان يصول به - هو وآبؤه - من مواليهم وأصحابهم ، وقلت الأموال في يده لخروج أهل المدن وامتناعهم من أداء الخراج إليه . وكان خراج الأندلس

(١) يقال «مر لا يلوى على أحد» لا يقيم عليه ولا ينتظره و «لوى عليه» قصده ووقف عنده ، قال الشاعر :

فلوت خيله عليه وهابوا
ليث غاب مقنما الحديد
راجع القاموس وأساس البلاغة مادة «لوى»

الذي يُؤدى إلى آبائه ثلاثمائة ألف دينارٍ في كلِّ سنةٍ ، فكانوا يُعطون رجالَهُمْ وخَلَمَهُمْ مائة ألفِ دينارٍ ، وينفقون في أمورهم ونُوابِهِمْ وجميع ما يعرض لهم مائة ألفٍ ، ويدخرون مائة ألفٍ (١) . فلما امتنع أهل مدن الأندلس من أداء الخراج إليهم رجعوا إلى تلك الذخائر ينفقونها ، واتصلت عليهم الحروبُ خمسَ عشرةَ سنةً فنفدت ذخائرهم واحتاجوا للقروض !

وكانت أيامه على هذه الحال إلى أن توفى ، وكانت وفاته / في يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة ، وعمره سبعون سنةً إلا شهوراً ، ومدة ولايته خمسَ وعشرون سنةً ونصفَ شهرٍ وكان مستبداً بآرائه ، مخالفاً لنصحاائه ، لئن الجانبِ جداً . بلغ من لينه أن ابنه مطرفاً قتل أخاه محمد بن عبد الله والد الناصر فلم ينكر عليه ذلك ، بل قال له : قد سوغتك قتلَ أخيك فالله الله في ابن أمية (يعنى وزيره) فإنك إن قتلتَه قتلته به ! ثم حنَّ ابن أمية من مطرف ، وكان مطرف قد عزم على خلعهِ فلم يمكنه ذلك لمكان ابن أمية ، فعمل عليه حتى قتله . ولما مات عبد الله ولي بعده ابنُ ابنه عبد الرحمن .

١-٢٠٤

ذكر امارة عبد الرحمن بن محمد

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مُزنَة ، وهو الثامن من أمراء بني أمية بالأندلس .

(١) راجع نفع الطيب ١ : ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٩ .

بويح له بعد وفاة جدّه ، في مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة .
وقال ابن الرقيق إنه أخ لعبد الله بن محمد ، وليس بصحيح !
وينقض ذلك عليه أنه قال فيه : ولي وهو ابن أربع وعشرين سنة
ووفاة محمد بن عبد الرحمن قبل مولد عبد الرحمن هذا بأربع
سنين ، وأظنه أُنْكِيل عليه أمره ، والتبس عليه محمد بن / عبد الله
بجده محمد بن عبد الرحمن ، والله تعالى أعلم . .

قال (١) : ولما ولي عبد الرحمن هذا تَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الناصر لدين الله ، وهو أوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ .
وكان من قبله يُسَمَّونَ بِبَنِي الْخِلاَئِفِ ، وَيُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ وَيُخَطَّبُ
لَهُمْ بِالْإِمْرَةِ فَقَطْ . وَإِنَّمَا تَسَمَّى هَذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا بَلَغَهُ ضَعْفُ
الْخِلاَفَةِ بِالْعِرَاقِ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَظُهُورِ الشَّيْعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ،
وَدَعْوَاهُمْ لِلْمَهْدِيِّ . فَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ثَلَاثَةُ خِلاَئِفٍ تَلَقَّبَ كُلُّ
مِنْهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَالْمُقْتَدِرُ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَهْدِيُّ بِالْقَيْرَوَانِ ، وَهَذَا
الناصر بِالْأَنْدَلُسِ .

قال : وولي والأندلس نار تضطرم ، وجمرة تتقد شققا
ونفاقا ، فأحمد نيرانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة ،
وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل . ولم يجد من المال ما يستعين به
على مصالح جيشه ، فاتفق أن صاحب الدُّوجَرِ (٢) أغار على قرطبة
في نحو ثلاثمائة فارس فهزمه عبد الرحمن وأسره . فسلم إليه الحصن
بجميع ما فيه فتقوى به ، ثم التقى مع ابن حفصون في وادي التفاح

(١) ابن الأثير في الكامل ٦ : ٣٦٠ وانظر فتح الطيب ١ : ٣٣٠ .

(٢) جافى المغرب ٢ : ٢٢٧ أن دوجر على وادي المرية بينهما اثنا عشر ميلا ، وهو

في الغرب منها .

بجيتان - وكان ابن حفصون في عشرين ألف فارس - فهزمه
عبد الرحمن وأفنى أكثر من معه قتلا وأسرا .

وبعث إلى المغرب الأوسط ، فملك سبته وفاس وسجلماسة
وعمرها . وغزا الروم بعد ذلك اثنتي عشرة غزوة/ حتى دوخ بلادها ، ١-٢٠٥
ووضع عليهم [جزية] ^(١) يؤدونها . وكان فيما شرط عليهم
اثنا عشر ألف صانع يصنعون له في مدينته التي بناها وسماها
الزهراء ، وهي على ثلاثة أميال من قرطبة ، أسندها إلى سفح
الجبيل وساق المياه إليها . وقسمها أثلاثا ، فالثلث الذي يلي الجبل
لقصوره ومنازله ، والثلث فيه دور خديمه وكانوا اثني عشر ألفا
بمناطق الذهب والسيوف المحلاة يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ،
والثلث بساتين تحت مناظره وقصوره . وجلب إليها أنواع الفواكه ،
قال ^(٢) : ومن غريب ما بناه فيها مجلس مشرف على البساتين
مرفوع على العمدة مبنئ بالرخام المجزع ، مصفح بالذهب ،
مرصع باليواقيت والجواهر . وصنع أمام المجلس بحرا ملاء بالزئبق
فكان النور ينعكس منه إلى المجلس ، فحضر إليه القاضي بقرطبة
الفقيه منذر بن سعيد البلوطي ^(٣) فقرأ « ولولا أن يكون الناس
أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضةٍ ومعارج

(١) في سائر النسخ « جالية » بتحريف في ييدو ولماها « جابية » أو « جابية » بمعنى « بحية »
وما هنا يدل على السياق فأثبتناه .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٢ .

(٣) ينقل المقرئ للبلوطي صورة رائعة للعدل والنزاهة والذكاء والقوة والصرامة
(فتح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٢) ويصفه ابن الأثير بأنه كان إماما فقيها خطيبا شاعرا
فصيحا ذا دين متين مات سنة ٣٦٦ (الكامل ٧ : ٨٢)

عليها يظهرون « إلى قوله تعالى « والآخرة عند ربك للمتقين » (١)
فقال له وعظت فأحسننت ! وأمر بنزع الصفائح .

قال (٢) : وكمل بناء الزهراء في اثنتي عشرة سنة ، بألف
بناء في كل يوم ، مع كل بناء اثنا عشر رقاصا ، وسكنها خمسمائة
وعشرين سنة .

وظالت أيام الناصر ، وتمكن ، واتسعت مملكته . / وكانت وفاته ٢٠٥ هـ - ب
في ليلة الأربعاء لليلتين ، وقيل لثلاث خلت من شهر رمضان المعظم
سنة خمس مائة وثلاثمائة بالزهراء . وحُمل إلى مدينة قرطبة ، فدفن
بها مع أسلافه من بني أمية . ومولده في يوم الخميس لتسع بقين
من شهر رمضان سنة سبع وسبعين ومائتين ، وكان عمره ثلاثاً
وسبعين سنة ، ومدّة ولايته خمسين سنة وستة أشهر وأياما .

وكان شهما صارما ، لم يزل منذ ولي يستذل المتغلبين حتى
خلصت له جميع الأندلس في خمس وعشرين سنة من ولايته . وكان
له من الأولاد الحكمُ ولى عهده ، وعبد الجبار ، وسليمان ،
وعبد الملك ، وعبيد الله ، والمغيرة ، وللامات ولى بعده ابنه (الحكم)

ذكر امارة الحكم المستنصر بالله

هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

(١) سورة الزخرف آيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٣ .

الداخل ، وأمه أم ولد اسمها مرجان ، وهو التاسع من أمراء بني أمية ببلاد الأندلس . بويغ له في شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة في جميع مدن الأندلس وثغورها ، فأحسن إلى الرعية ، وعدل فيهم وضبط الثغر ، وغزا الروم في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ففتح مدناً جليلة ، وسبى وغنم / وانصرف غانماً . ٢٠٦-١

ثم أصابه الفالج فتغيّب عن الناس ، فلما كان في يوم السبت لعشر خلون من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة أظهر موته ، وقيل توفى فجأة ليلة الأحد لأربع خلون من صفر منها . ومولده في يوم الجمعة مستهل شهر رجب سنة اثنتين وثلاثمائة ، فمات وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ، ومدة ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام .

وكان حسن السيرة ، جامعا للعلوم مكرماً لأهلها ، وجمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لم يجمعه غيره من الملوك قبله ، واشتراها من سائر الأقطار ، وغالى في أثمانها ، فحملت إليه من كل جهة . وكان قد رام قطع الخمر ، من الأندلس ، وأمر بإراققتها وشدد في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله . فقيل له إنها تعمل من التين وغيره ، فتوقف في ذلك . وهو الذي رحل إليه أبو علي القالى البغدادي صاحب الأمالي (١) ، وأبو بكر

(١) توفى القالى بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وحين وضع أماليه أهداها للحكم على ما قرر في مقدمتها وقال عنه « فرأيت أيد الله أجل الناس بمد آية خطرا ، وأرفهم قنرا ، وأوسهم كنفا ، وأفضلهم سلفا ، وأغزهم علما ، وأعظمهم حلما » .

الزبيدي مُختَصِرُ كتابِ العين^(١) . وكان منذر بن سعيد البلوطي قاضيّة وقاضي أبيه ، فلما توفى ولى القضاء ابن بشير الفقيه ، فاستترط على المستنصر نفوذ الحكم فيه فمن دونه .

فكان من أخباره أن امرأة منقطعة كان لها أريضة تجاور بعض قصور الأمير ، فاحتاج إليها ليبني فيها شيئاً مما أراد بناءه ، فساومها الوكيل في البيع / فامتنعت ، فأخذها الوكيل قهراً وبني فيها ٢٠٦-ب منظره بديعة وأنفق عليها جملة وافرة . فوقفَت المرأة لابن بشير القاضي وقصّت عليه قصتها ، فركب حماره وجعل عليه خرّجاً كبيراً لا يطيق حمّله إلا جماعة من الرجال . وقصد الزهراء والمستنصر في تلك المنظره ، فدخل عليه فقال : ما جاء بالقاضي في هذا الوقت؟ فقال : أريد ملء هذا الخرج من تراب هذا الموضع ! فتعجّب منه الحكم وأمر قَمَلِيء الخرج ثم خلا القاضي به فقال : أدل عليك إِدلال العلماء على الملوك العلماء أن لا ينقل هذا الخرج على الحمار إلا أنا وأنت ! فضحك الحكم وقال : كيف نطيق ذلك أيها القاضي؟ فبكى ابن بشير وقال : فكيف نطيق أن نطوق هذا المكان أجمعه من سبع أرضين في حلقى وحلقك يوم القيامة وأنا شريكك في الإثم إن رضيت هذا الحكم ؟ وقصّ عليه القصة .

(١) كتاب العين أحد اكتشافات خليل بن أحمد البصري المتوفى سنة ١٧٥ رام به ضبط اللغة وحصرها فنسقه بحسب مخارج الحروف مع تقسيمه إلى أبواب ، وقد جاء الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ فشارك في الأعمال التي دارت حول كتاب الخليل ، وقام باختصاره مع تنظيمه وتصحيحه . وإن يكن قد سار فيه على ترتيب العين للحروف بكل دقة ، وقال في مقدمته عن ما جاء في النسخة التي صوّردت جميع اللغوي وحفظها تحت رقم ٢٠٩٨ . وهذا كتاب أمر بحمسه وتأليفه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله .

فبكى الحكم وقال : وعظت فأبلغت أيها القاضي ! ثم خرج
عن المكان وسلمه إلى المرأة بكل ما بُنى فيه وغُرمس .

قال : وكتب إليه العزيز بن المعز صاحب مصر كتابا يشتمه
فيه ويسببه ، فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ،
ولو عرفناك لهجوناك ، والسلام » وكتب إليه قصيدة يفتخر فيها منها :

ألسنا بنى مروان كيف تبسدت

بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا وُيدَ الملوذ منا تهللت :

له الأرض واهتزت إليه المنابر

١-٢٠٧ / وكان للحكم من الأولاد هشام ، وسليمان ، وعبد الله . وحاجبه
جعفر الصقل ، المعروف بالفتى !

ذكر اماره هشام المؤيد بالله

هو أبو الوليد هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله ،
وهو العاشر من أمراء بنى أمية ببلاد الأندلس . بويع له بولاية
العهد في حياة أبيه في غرة جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة .
وجددت له البيعة في يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرم
سنة ست وستين وثلاثمائة . وقيل في يوم الإثنين لخمس خلون
من صفر منها ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة باتفاق الوزراء . وعلما
أن عمه المغيرة بن عبد الرحمن ينازعه في الأمر وينطاول إلى بعض
ما عُهد له ويرى أنه أحق بذلك منه ليصغر سنه ، فهجم عليه في

منزله فذُبح . وكان الذى تولى قتله محمد بن أبى عامر الوزير ، فصعب الأمر لهشام .

ولما ولى احتيج إلى مدبرٍ للمملكة ، فوقع الاختيار على جعفر ابن عثمان المصحفى ، فقلده هشام حجابته وتدبير أمره ، وأشرك معه فى الحجابة غالب بن عبد الرحمن . وقلد المنصور بن أبى عامر الوزارة - وكان على الشرط والسكة - فانحط المصحفى وارتفع ابن / أبى عامر ، ثم عزل المصحفى عن الحجابة فى يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة سبع وستين وحوقق وطولب بمائة ألف دينار ، وتوفى فى المطبق بعد خمسة أعوام ، فكانت مدة ولايته ستة أشهر وثلاثة أيام .

٢٠٧-ب

ذكر أخبار المنصور محمد بن أبى عامر

قال (١) : ولما عزل المصحفى اتفق الرأى على تقديم محمد بن أبى عامر المعافى (٢) ، فولى الحجابة فى يوم الإثنين المؤرخ ، وبقي غالب شريكه إلى أن قُتل وتفرد المنصور بالأمر .

قال بعض المؤرخين : كان محمد بن أبى عامر من الجزيرة الخضراء (٣) ، وله بها قَدْرٌ وأثرة وورد وهو شابٌ إلى قرطبة واشتغل بالعلم والأدب ، وسمع الحديث وتميَّز . وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالى الأمور ، وكان يحدث من يختص به

(١) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٨٣ وراجع نفع الطيب ١ : ٣٥٨ ، ٣٦٥ .

(٢) المعافى : نسبة إلى معافى وهو حى كبير من اليمن

(٣) انظر حوادث ثلاث وأربعين ومائة بالأندلس .

بما يقع له من ذلك . وله أخبار كثيرة أورد منها أبو عبد الله الحميدى -
 في كتابه المترجم بالأمانى الصادقة - كثيرا قال : ثم علت حاله ،
 وتعلّق بوكالية صُنِحَ أمُّ هشام المؤيد ، والنظر في أموالها؛ فزاد
 أمره في الترقى إلى أن مات وولى ابنها هشام ، فخافت اضطراب
 الأمر عليه ، فضمن لها سكون الحال وزوال الخوف / واستقرار
 الملك لابنها . فساعدته المقادير ، وأمّدتته المرأة بالأموال فاستمال
 العساكر إليه ، فصار صاحب التدبير والمتغلب على الأمر .

١-٢٠٨

وحجب هشاماً وتلقّب بالمنصور (١) وأقام الهيبة ، فدانت
 له أقطار الأندلس كلها ، ولم يضطرب عليه شيء منها لعظم هيئته
 وحسن سياسته . وكان يدخل إلى القصر ويخرج فيقول : أمر
 أمير المؤمنين بكذا ونهى عن كذا ! فلا يُعْتَرَضُ عليه في مقال
 ولا يُنَازَعُ في أفعال .

وكان إذا غزا بلد الروم وكل بهشام من يمنعه من التصرف
 والظهور والإذن في دخول أحد من الناس إلى أن يعود من سفره ،
 فإذا كان بعد سنين أركبه وجعل عليه بُرْنِيساً وألبس جواربه
 البرانس حتى لا يُعْرَفَ منهن ، ويوكل بالطرقات من يطرد الناس
 عنها حتى ينتهى إلى الزهراء وغيرها من المتنزهات ، ثم يعيده على
 مثل ذلك . وليس له من الملك إلا الدعاء على المنابر ، وإثبات أسموه

(١) في نفع الطيب ١ : ٣٦٤ « وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات
 بالأوامر باسمه » .

على السبكة والطرر ، والمنصور على أتم ما يكون من الحزم وسد الثغور وإقامة العدل وشمول الناس بالإحسان والفضل . فلم يُر في الضبط وحسن السياسة وأمن السبيل وتوفية حقوق الرياسة بجزيرة الأندلس كأيامه !

ودامت له هذه الحال بضعا وعشرين سنة إلى أن توفي ، وكانت وفاته في أقصى الثغور / بمدينة سالم^(١) في سنة ثلاث وتسعين ٢٠٨ هـ وثلاثمائة في طريق الغزو .

قال (٢) : وكان رحمه الله تعالى له مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام بحضوره مدة بقائه بقرطبة ، قال وختن أولاده فختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد الضعفاء مالم تُخص عدتهم ، وأنفق فيه خمسمائة ألف دينار .

وكان ذا همة عالية في الجهاد ، مواصلا لغزو الروم (٣) ، وربما خرج لصلاة العيد فيقع له فيه الجهاد ، فلا يرجع إلى قصده ويركب من فوره بعد انصرافه من الصلاة ، فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر . وغزا ستا وخمسين غزاةً ذكرت في المآثر العامرية بأوقاتها ، وفتح فتوحا كثيرة ، ووصل إلى معاقل جمّة امتنعت على من كان قبله . وملأ الأندلس بالغنائم والسبي .

(١) كان صاحب مدينة سالم في أيام شريكه غالب المصنف ، وكان قد تزوج ابنته أمها .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤

(٣) يقال إنه غزا ستا وخمسين غزوة لم تنتكس له فيها راية (نفع الطيب ١ :

قال (١) : وكان إذا انصرف من قتال العدو إلى سُراده يَأمر
بِنْفِضِ غبار ثيابه التي شهد فيها الحرب ، ويُجمَعُ ويحتفظ به .
فلما حضرته الوفاة أمر أن ينشر على كفنهِ ما جمع من ذلك إذا وضع
في قبره .

قال : وبني مدينة الزاهرة بقرب قرطبة ، وانتقل إليها
بأهله وولده وحواشيه . وكان قد يُخَوِّفُ من بني أمية أن يشوروا
به ، فأخذ في تقتيلهم صغارا وكبارا ، عملا في الباطن لنفسه وفي
الظاهر إشفاقا على المؤيد منهم ، حتى أفنى من يصلح منهم / للولاية ،
وفرق الباقيين في البلاد . فكان ممن هرب الوليد بن هشام الخارج على
الحاكم بمصر ، الملقب بابي زكوة .

١ - ٢٠٩

وأخبار المنصور طويلة مشهورة لو استقصيناها ل طال الكتاب ،
وفيما نُبِّهنا عليه من أخباره وذكرناه من آثاره كفاية . وأخبرني بعض
أهل الأندلس أن على قبره مكتوبا :

آثاره تُنبِّيك عن أخبارِهِ حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي / الزمان بمثله أبدا ولا يحمي الثغور سواه
ولما مات رحمه الله - قام بالأمر بعده ولده .

ذكر المظفر أبو مروان عبد الملك

قال (٢) : وكان الناس قد تجمعوا وقصدوا الزهراء وقالوا :
لا بُدَّ من ظهور المؤيد وولايته الأمر بنفسه ! فلما بلغه ذلك آثر

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٧

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٩٤

الراحة والدعة ، وأحضر عبد الملك وخلع عليه وقلده ما كان بيد أبيه من الولاية ، ونعته بالحاجب المظفر سيف الدولة . وأمر فاتن (١) الصغيرُ الخادمُ أن يخرج إلى المجتمعين فيصرفهم ويخبرهم برضائه بحجبة المظفر ، فأخبرهم ، فأبوا !

وخرج المظفر فقابلته الفئة المجتمعمة فهزمهم ، وأقام في الحجبة إلى أن توفي. لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة / تسع وتسعين ٢٠٩-ب وثلاثمائة بموضع يقال له القبران (٢) في غزوته ، فحمل في تابوت ودفن بالزاهرة وعمره ست وثلاثون سنة . ومدة ولايته ستة أعوام وأربعة أشهر وأيام وغزا الروم ثمانى غزوات وبأيامه تضرب المثل بالأندلس عدلا وأمنا .

ولما مات ولي الحجبة عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر وهو أخو المظفر ونعت بالحاجب المأمون ناصر الدولة ، ويلقب بشنشول فافتتح أموره بالخلاعة والمجانة . وكان يخرج من منية إلى منية ومن متنزه إلى متنزه بالملاهي والمضحكين ، ويجاهر بشرب الخمر والتهتك . ثم طلب من المؤيد أن يدعو له ويوليه العهد بعده ، وهتده بالفتك به إن لم يفعل ، وكثر الإرجاف بذلك .

ثم ركب شنشول من الزاهرة ومعه سائر أهل الخدمة بسلاحهم ، والوزير وقاضي الجماعة ، والفقهاء والعلول ، وأصحاب الشرط ، ووجوه الناس على طبقاتهم . وسار إلى باب القصر بقرطبة ، وحضر

(١) كذا في ١ ، ف صفحة ١١٨ - ١ ، أما في ك ١٢٥ فالاسم « قاتن » .

(٢) كذا في سائر النسخ المصورة .

المؤيد هشام ، وأخرج كتابا قُرِيءَ بحضرتة وهو بخط الوزير
أبي عمر (١) ، وفيه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. هذا ما عهد به هشامُ المؤيد بالله
أمير المؤمنين / إلى الناس عامة ، وعاهد الله - عز وجل -
عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صنفقة بمينه بيعة تامة ، بعد
أن أمعن النظر وأطال الاستخارة ، وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة
وعصب به من أمره ، واتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول
القضاء بما لا يُصرف ، وخشى إن هجم محتوم ونزل مقدر به
ولم يرفع لهذه الأمة علما تأوى إليه وملجأ تنعطف عليه .. أن يكون
بلقاء ربه - تبارك وتعالى - مفرطاً فيها ساهياً عن أداء الحق إليها
ونقض عند ذلك من طبقات الناس من أحياء قريش غيرها ممن
يستوجبه بدينه وأمانته وهدية وصيانتته ، بعد أطراح الهوى
والتحرى للحق والتزلف إلى الله - جلَّ جلاله - بما يرضيه . بعد أن
قطع الأواصر وأسخط الأقارب فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده
عهده ويقوض إليه الخلافة بعده ، بفضل نفسه وكرم خيمه وشرف
مركبه وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ، ومعرفته وإشرافه ، وحزمه
وتفاته .. من المأمون العيب الناصح الجيب ، أبي المطرف عبد الرحمن
ابن محمد المنصور أبي عامر بن أبي عامر ، وفقه الله إذ كان أمير
المؤمنين - أيده الله - قد ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ،
فراه مسارعا / في الخيرات سابقا في الحلبات مستوليا على الغايات جامعاً

٢١٠-١

٢١٠-ب

(١) في نفع الطبيب ١ : ٤٠٠ « من إنشاء أبي حفص بن برد » صورة المهد

تختلف بعض الشيء عما هو مثبت هنا .

للمأثرات ! ومن كان المنصورُ أباه ، والمظفرُ أخاه .. فلا غرورَ أن يبلغ من سُبُل البرِّ مداه ، ويحوى من سبيل الخير ما حواه . مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - بما طالع من مكنون العلم ، ودعاه من مخزون الأمر ، أمل أن يكون قد ولى عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه . فلما استوى منه الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مهربا ، ولا إلى غيره معدلا .. خرج إليه من تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ، طائعا راضيا مستخيرا مجتهدا . وأمضى أمير المؤمنين عهده هذا وأجازه وأنفذه ، ولم يشترط فيه مشنوية^(١) ولا خيارا ، وأعطى على الوفاء به في يسره وجهره وقوله وفعله عهدَ الله وميثاقه ودمه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه ، وذمة نفسه .. أن لا يبدلَ ، ولا يغيرَ ولا يحولَ ، ولا يزولَ ، وأشهدَ الله تعالى وملائكته على ذلك ، وكفى بالله شهيدا .. وأشهد من وقع اسمه في هذا وهو جائز الأمر ، ماضى القول والفعل / بمحض من ولى عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور - وفقهه الله - وقبوله ما قلده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

٢١١-١

ثم كتب الوزراء والقضاة والفقهاء شهادتهم بذلك ، فلما تمَّ

(١) مشنوية : استثناء .

له ما أراد من ولاية العهد ودُعِيَ له على المنابر ، أخذ في التخليط
وارتكاب المحرمات . ثم عزم على الغزاة ، وتقدّم اليه هشام أن
يتعمّم هو وسائر الجند ففعل ، وخرجوا في العمائم (١) - وكانوا
بها في أقيح زِيٍّ لمخالفة العادة - وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة
خلّت من جمادى الأولى .

وسار للغزاة وهي المعروفة بغزوة الطين ، وقيل إنه انتهى إلى طليطلة ،
فأتاه الخبر بقيام محمد بن هشام بن عبد الجبار وخلعه للمؤيد .
وأذّه أخرب الزاهرة ، فخلف الناس لنفسه ، ثم تفرقوا عنه ،
والتحقوا بمحمد بن هشام وكان من أمره وأمر المؤيد ما نذكره في أيام
محمد بن هشام بن عبد الجبار !

ذكر امارة محمد المهدي

هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن
الناصر ، وهو الحادي عشر من ملوك بني أمية بالأندلس استولى
/ على الأمر في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، ونحن
نذكر سبب ذلك وكيف كان خروجه وكيف استولى على الأمر ،
لأنّ في ذلك من الغرائب والحوادث ما يتعين إيراده بسببه ويفيد
تجربته ، ويعتبر به من يتأمله ، ويعلم أنّ المقادير تجري على غير
قياس ، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه .

٢١١-ب

وكان ابتداء هذا الأمر أنّ هشام بن عبد الجبار والد محمد المهدي

هذا قد ترشح لطلب هذا الأمر لنفسه ، وعزم على خلع هشام المؤيد ، فبلغ ذلك المظفر عبد الملك فقتل هشام بن عبد الجبار قبل أن يستحكم أمره في سنة تسع وتسعين . وكان محمد بن هشام جسوراً مقداماً شجاعاً ، ولم يتهيباً له أمر لهيبة عبد الملك واجتماع جنده ، فلم يزل محمد يترصد الأمر حتى مات عبد الملك وولى عبد الرحمن . وتطاول لولاية العهد ونالها ، وخرج للغزاة - على ما قدمنا - فخلا البلد من الجند . وقوى عزم محمد رجلان وهما حسن بن حنّ الفقيه ومطرف بن ثعلبة . وكان محمد يعاشر في مدة استتاره قوماً من الصعاليك لهم إقدام على كل عزيمة ، فدس بعضهم إلى بعض وأعطاهم من خمسة مثاقيل إلى عشرة وأكثر من ذلك ، فاجتمع له منهم نحو أربعمائة رجل . وطاوعه على ذلك جماعة من الروانيين ٢١٢ - ١ لخروج الأمر عنهم وصرفه إلى أبي عامر .

وكان عبد الرحمن قد رتب أمور البلد قبل مسيره ، وجعل النظر في الأموال وتدبير البلد إلى أحمد بن حزم وعبد الله بن سلمة المعروف بابن الشرس ، وجعل على المدينة عبد الله بن عمرو المعروف بابن عسفلاجة وهو أحد بني أبي عامر . وظن شنشول أن الأمور لا تتغير وأن دولتهم قد استحكمت أمرها ، هذا ومحمد في تقرير حاله ، فشنع الناس أن قائماً يقوم على بني الأغلّب ، فبلغ ابن عسفلاجة الخبر فأظهر البحث وبالغ في الكشف فلم يتبين له شيء وهجم دوراً كثيرة فلم يقف على أمر واضح .

فلما كان في يوم الثلاثاء النصف من جمادى الآخرة مات ابن عبد الجبار بقرطبة ، وتقدم إلى ثلاثين رجلاً من كفاة أصحابه

أن يشتعلوا على سيوفهم ويدخلوا من باب القنطرة متفرقين حتى يقفوا على السترة التي تشرف على الرصيف والوادي ، كما يفعل من يريد التفرج بذلك المكان . وأمرهم أن لا يحدثوا حدثاً حتى يأمرهم وأنذر منفهاه وواعدهم ساعة قبل زوال الشمس ، ففعل أولئك النَّفْرُ ما أمرهم به ، وكان من سواهم على انتظار الوقت الذي حدده لهم . وركب محمد بغلته وعبر القنطرة وحده حتى انتهى إلى باب الشكال ومعه نفرٌ من أصحابه كانوا قياماً على باب القنطرة / فافتحموا باب الشكال فأنكرهم حرسُ الباب وأرادوا مَنعَهُمْ ، فبادر محمدٌ ودخل . وسلَّ أولئك النَّفْرُ سيوفهم وقصدوه ، فقصدهم صاحب المدينة ابن عسفلاجة ، فيقال إنه كان يشرب مع حارسين له ، فأتاه محمد وهو على أهبة فقتله واحتزوا رأسه . وتتابع أصحاب محمد من جهاتهم إليه .

واتصل الخبر بأهل الزاهرة عند العصر وقد عظم جمع محمد من أصحابه ومن اجتمع إليه من العوام وأهل البادية ، فنُقب القصر من ناحية باب السباع ومن ناحية باب الجنان ، ولم يقدر حرس القصر على مقاومته .. ووصل إلى القصر من جهة باب السدة وأهل الزاهرة غير مصدقين بالأمر ، وظنوا أنه أمر يدفعه صاحب المدينة إلى أن قوى عندهم الخبر بدخول محمد القصر ، فكان حسيبهم اعتصامهم بالزاهرة في ليلتهم .

فلما صار محمد داخل القصر أرسل إليه المؤيد هشام يقول له :
تؤمنني على نفسي وأنخلع لك من الأمر ! فقال « سبحان الله

أتراني إنما قمت في هذا الأمر لأقتل أهل بيتي ، وإنما قمت غضباً
له ولنفسى وبني عمي ، فإن خلع نفسه طائعا قبلت ذلك ، وليس له
عندي إلا ما يحب .

وأرسل محمد إلى الفقهاء ووجوه الناس فأحضرهم ، وكتب كتاب
الخلع والبيعة لمحمد ، وديات تلك الليلة في القصر وأهل بالس وهى الزهراء
لم يتحرك / منهم أحد ، وكانوا جمعاً كبيراً منهم أبو عمرو بن حزم
وعبد الله بن سلمة وابن أبي عبيدة وابن جهور ، وجماعة من الفقهاء
والوزراء والصقالبة - وهم الخصيان - ونفر من الجنود الخزان والكتاب .

وأصبح محمد فجعل حجابته إلى ابن عمه محمد بن المعيرة ،
وجعل على المدينة ابن عمه أمية بن إسحاق . وأمرهما بإثبات
كل من جاءهما في الديوان ، فلم يبق أحد حتى أثبت نفسه حتى
الزهاد والعباد وأئمة المساجد وغيرهم وقبضوا العطاء ، وكذلك
التجار الأغنياء . واثبته سائر أهل البرادى والأطراف ، وأرسل
حاجبه محمد بن المعيرة في خلق من العامة لمحاربة أهل بالس فردوه
أقبح رد وهزموه إلى داخل قرطبة . ثم كثر العامة فهزموهم إلى بالس ،
ودخلها الحاجب ونهبت ، فسأل الوزراء والصقالبة الأمان فأمّنهم
محمد ، فساروا إليه فوبخهم ثم عفا عنهم ورد ابن الشرمس
مع الحاجب لينقل ما ببالس من الأموال والأمتعة والأثاث وقد نهبت
منه مالا يحصى ، ونهبت ليلة الأربعاء دور كثيرة للعمرية ، ونهبت
ما جاوز بالس من دور الوزراء ، وانتهبت ماى الزاهرة حتى قُلبت
الأبواب والأخشاب ، والحاجب مع ذلك ينقل .

٢١٣- ب / وتفرّد بقتل مايريد ، فيقال إن الذي وصل إليه من الزاهرة في ثلاثة أيام ألف ألف وخمسمائة ألف دينار ، ومن الدراهم الأندلسية ألفا ألف ومائة ألف ، ووجد بعد ذلك خراباً فيها نحو من مائتي ألف دينار ، وأطلقت النار في الزاهرة لعشر بقين من جمادى الآخرة .

وخطب لمحمد بالخلافة وقطعت خطبة هشام وشنشول ، وقُرى بعد صلاة الجمعة كتابٌ بِلغْنِ شنشول وذِكْرِ مساوئة ، وقُرى كتابٌ آخرٌ من محمد بإسقاط رسوم جارية وقبالات محدثة .

وصلى محمد بالناس الجمعة لأربع من جمادى الآخرة ودعا لنفسه وتلقب بالمهدى ، وقُرى بعد نزوله كتابٌ على المنبر بالنفير لقتال شنشول . ووصل أهل الأقاليم من أقصى الأندلس مظهريين عدّة الحرب ، وولى محمدُ جنده قواداً من طيبب وحائك وجزاز وسراج ، وخرج بهم ونزل يفحص السرادق ، وأمر أهل النواحي بالنزول حول سرايقه .

ذكر أخبار شنشول ومقتله

قال (١) : وأما شنشول فإنه لما بلغه الخبر - وكان قد انتهى إلى طليطلة - عاد إلى قلعة رباح (٢) وقد تخاذل عنه الناس ؛ فعزم

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) Calatrava في المغرب ٢ : ٣٩ أنها أحد مآقل الأندلس وولائها كانت تتردد

عليها من طليطلة ، فلما أخذت هذه الولاية عليها من قرطبة

٢١٤-١

على / استجلاب الناس لنفسه فامتنعوا وقالوا : قد خَلَفْنَا مَرَّةً وَلَا يَخْلِفُ
 أُخْرَى ! فَعَلِمَ أَنَّهُمْ خَاذِلُوهُ ، فَدَعَا مُحَمَّدِينَ يَعْلَى الزَّنَاتِي وَكَانَ عَزَمَ عَلَى
 خَدْلَانِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَصْدَقَكَ عَنْ
 نَفْسِي وَعَنْ الْجَنْدِ لَيْسَ وَاللَّهِ يِقَاتِلُ مَعَكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ! قَالَ مَا الدَّلِيلُ
 عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَأْمُرُ بِتَقْدِيمِ مَطْبِخِكَ إِلَى طَرِيقِ طَلِيظِلَا وَتُظْهِرُ الرَّحِيلَ
 إِلَيْهَا فَتَعْلَمُ مَنْ يَتَّبِعُكَ وَمَنْ يَتَخَلَّفُ عَنكَ ! قَالَ : صَدَقْتَ .

وكان ابن عومس القومس^(١) مع شنشول يريد قرطبة معاقداً
 له يستنصر به على مَنْ بناوثة من القمامسة . فلما رأى اضطراب
 حال شنشول أشار عليه أن يرحل معه إلى بلده ، ويكونوا يداً
 واحدة ، ويلجأوا إلى مكان ، فأبى ذلك وقال : لأبُدَّ من الإشراف
 على قرطبة فإني أرجو أنني إذا اطلعت عليها اختلفت كلمة محمد ،
 ولي أنصارٌ يميلون إلى سلطاني ويحبون ظهوري ! فقال له القومس :
 خذ باليقين ودع الظن ، أمرك والله مُخْتَلِّ وجندك عليك لالك ! فقال :
 لأبُدَّ من المسير إلى قرطبة ! فقال : أنا معك على كراهية لرأيك
 وعلمٍ بخطاياك .

ومار شنشول من قلعة رباح والأخبار تتواتر بتظاهر أهل قرطبة
 مع ابن عبد الجيار ، فلما بلغ منزل هاني فارقه عامة البربر ليلاً ،
 وذلك في سُلخ جمادى الآخرة ، ثم فارقه الناس بعد ذلك وبقي
 في نَقْرِ يَسِيرٍ مِنْ خَدْمِهِ ، وابن عومس في نَقْرِ مِنَ النصارى ،

(١) تكتب أحياناً « القومس » أي القمص برسنا المعروف .

فقال له : سِرْ بنا مِنْ هنا قَبْلَ أَنْ يَدَهْمَنَا مَا يَمْنَعُنَا مِنْ ذَلِكَ !
فَبَئِي شَنْشُولَ وَقَالَ : قَدْ بَعَثْتُ الْقَاضِيَ فِي طَلْبِ الْأَمَانِ لِي . ثُمَّ تَجَبَّرَ
فِي أَمْرِهِ وَسَارَ إِلَى دَيْرٍ يَعْرِفُ بِدَيْرِ شَوْش^(١) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثَ
خُلُوفٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ .

وَبَلَغَ خَبْرَهُ مُحَمَّدٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ حَاجِبَهُ فِي مَائَتَتَيْ فَارَسٍ ، فَأَرْسَلَ
الْحَاجِبُ ابْنَ ذَرَى مَوْلَى الْحَكْمِ فَسَبِقَهُ إِلَى الدَّيْرِ فَصَبَحَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ،
فَقَالَ شَنْشُولُ لَمَّا عَايَنَهُ وَمَنْ مَعَهُ : مَا لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ ، أَنَا فِي طَاعَةِ
المُهْدَى ! فَاسْتَنْزَلُوهُ مِنَ الدَّيْرِ وَسَعَهُ ابْنُ عُمُسٍ وَمَنْ تَبِعَهُمَا ، وَأَخَذَ
نِسَاءَ شَنْشُولٍ - وَهُنَّ سَبْعُونَ جَارِيَةً - فَبَعَثَ بِهِنَّ إِلَى قَرْطَبَةَ ، وَلَحِقَ
الْحَاجِبُ بِابْنِ ذَرَى قَبْلَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ . فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ
نَزَلَ شَنْشُولُ فَتَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الْحَاجِبِ مَرَارًا ، فَقِيلَ لَهُ :
قَبَّلْ حَافِرَ فَرَسِهِ ! فَفَعَلَ وَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَيَدَهُ . ثُمَّ حُمِلَ عَلَى غَيْرِ
فَرَسِهِ وَابْنُ عُمُسٍ سَاكِتٌ لَمْ يَنْطِقْ ، وَأَشَارَ الْحَاجِبُ بِانْتِزَاعِ قَلَنْسُوَةِ
شَنْشُولَ عَنْ رَأْسِهِ فَانْتَزَعَتْ .

وَرَجَعَ يَرِيدُ قَرْطَبَةَ ، فَسَارَ إِلَى أَنْ غَرِبَتِ الشَّمْسُ ، فَنَزَلَ وَأَمَرَ
أَنْ يَكْتَفِ شَنْشُولَ فَعَطَفَتْ يَدَهُ عَطْفًا شَدِيدًا فَقَالَ : نَفَّسُوا عَنِّي
وَأَطْلِقُوا يَدِي لِأَسْتَرِيحَ سَاعَةً ! فَنَفَسُوا عَنْ يَدِهِ : فَأَخْرَجَ مِنْ خُفِّهِ
سَكِينًا كَالْبُرْقِ فَعَوَّجَ قَبْسًا / أَنْ يَصْنَعُ شَيْئًا ، ثُمَّ أَضْجَعَهُ
الْحَاجِبُ وَذَبَحَهُ . وَقَتَلَ ابْنَ عُمُسٍ وَأَخَذَ رَأْسَيْهِمَا ، وَحَمَلَ جِثَّةَ

٢١٥-١

(١) فِي الْمَغْرِبِ ٢ : ١٢٣ أَنْ شَوْشَ قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى نَهْرِ كَبِيرٍ يَمْرُ عَلَى طَبِئَةِ إِحْبَاجَةَ
وَيَسْبُغُ فِي نَهْرِ قَرْطَبَةَ .

شنشول ، وسار بها إلى القصر بقرطبة . فأمر محمد يشق بطنه ونزع مافيه وحشى بعقاقير تحفظه ، ثم نصب رأسه على قناة ووقف به على باب السدة ثم ركب على جسده ، وكسى قميصا وسراويل ، وأخرج فسمراً على خشبة على باب السدة . وأمر الرئسان صاحب شرطه شنشول أن ينادى : هذا شنشول المأمون ! ثم يلعنه ويلعن نفسه ، وذلك في يوم السبت لأربع خلون من شهر رجب .

وكانت مدة ولاية شنشول أربعة أشهر وأياماً ، وكان قبيح الفعال كثير التخليط متجاهراً بالفسق ، شهد عليه بأشياء لاتصلد عن مسلم ، منها أنه سمع المؤذن يقول « حتى على الصلاة » فقال : لو قال حتى على الكبير لكان خيراً له ! وكثير من هذا القول وما يناسبه ، وانقرضت الدولة العامية بمقتل شنشول .

قال إبراهيم بن الرقيق (١) : ومن أعجب ما رأيناه أنه كان من نصف نهار يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة إلى نصف نهار الأربعاء الذي يليه ، فتحت مدينة قرطبة وهُدمت مدينة الزاهرة ، وخلع خليفة وهو هشام بن الحكم ، وولى خليفة وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، وزالت دولة / بنى عامر ، وحدثت دولة بنى أمية ، وقتل وزير وهو ابن عسقلاجة ، وأقيمت جيوش من العامة ، ونكبت خلقت من الوزراء ، وولى الوزارة آخرون ، وكان ذلك على أيدي عشرة رجال حجاجين وجزارين وحاكة وزبالين ، وهم جند ابن عبد الجبار !

(١) صاحب تاريخ أفريقية على ما مر بنا .

قال (١) : وفي يوم الخميس لسبع خلون من شهر رجب وصل كتابٌ واضح من مدينة سالم إلى محمد بِسْمِعيهِ وطاعته وإظهار الاستبشار بمقتل شنشول ، فسُرَّ به محمدٌ وشكر ذلك لواضح ، وحمل إليه مالا كثيراً وكساءً وفُرُشاً وطرائف ، وولاه سائر الثغر .

قال : ولما استوثق الأمر لمحمد أسقط من جنده نحواً من سبعة آلاف وعادوا إلى بنيهم فانتفع بهم الناس ، ثم نفى جماعة من الصقالبة العامرية ، ثم أخرج بعد ذلك صقالبة القصر وسد أبوابه . وأظهر محمد من الخلاعة واللّهو والشرب ما كان يفعله شنشول ، واستعمل مائة عود ومائة بوق . وفي شعبان توفي رجل يهودي فآخذه محمد وأوقف عليه رجلاً من أصحابه ، وكان يشبه بهشام فشهدوا عند العامة أنهم وقفوا على هشام ميتاً لا جرح به ولا أثرٌ وأنه مات حتف أنفه . وحضر الفقهاء والعدول وخلق من العامة إلى القصر وصلّوا عليه يوم الإثنين لأربع بقين / من شعبان وأخفاه عند وزيره الحسن بن حيّ .

وفي شهر رمضان سجّن محمد سليمان بن عبد الرحمن - وكان قد جعله وليّ عهده - وسجن جماعة من قريش ، وأظهر بغض البربر فكان يسبهم في مجلسه .

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٣ .

ذكر قيام هشام بن سليمان

عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ

قال (١) : ولما شرع محمد بن عبد الجبار في أطراح البربر ودبّر في قتل عشرةٍ منهم ، سعى هشام بن سليمان بن عبد الرحمن في خلع محمدٍ ووافقَه جماعةٌ من الجند واحتفل أمره ، وخرج إلى فحص السرادق وانضم إليه الذين أسقطهم محمد من جنده ، فراسله محمدٌ وقَبَّحَ عليه فَعَلَهُ فقال : سُجِنَ والدي على غير شيءٍ ولا أدري ما صُنِعَ به ! فأطلقه محمد فلم يرجع هشام عن رأيه ، وتحرك بالجند وأحرق سوق السَّرَاجِينِ . ثم خذله جنده وأخذوه أسيراً هو وأخوه أبو بكر وأبوه سليمان ، فسلموهم إلى محمد ؛ فقتل هشاماً وأبا بكر صَبْرًا ، وذلك لأربعٍ بقين من شوال . ونُهبتُ دور البربر ، ونودِيَ في البلد « من أتى برأسٍ بربريٍّ فله كذا وكذا » فشرع أهل قرطبة في قتلٍ مَنْ قَدَرُوا عليه منهم ، وسُبيتْ نساؤُهُم ، وهرب من سلم من البربر إلى أزملاط (٢) ثم جَلَوْا إلى / الثَغْرِ . وكان من فرَّ بعد قتل هشامٍ سليمان بن الحكم ابنِ سليمان بن الناصر ، فنصبه البربرُ خليفةً .

٢١٦-ب

ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله

قال (٣) : لما نصبه البربرُ خليفةً نعتَ نفسه المستعينَ بالله ، واستوزر أحمد بن سعيد ، ونهض بمن معه إلى وادي الحجارة

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤ .

(٢) كذا في الأصل ولم يذكرها ياقوت ولا غيره .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٤ .

فدخلوه عَنوةً ، وعرضوا أنفسهم على واضح العامري غلام المنصور ابن أبي عامر صاحب مدينة سالم ، فلم يقبلهم ، وبعث إليه محمد ابن هشام المهدي قيصر الفتى في جيش ليعينه على سليمان ، فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم واضح وقتل قيصر . ولحق واضح بمدينة سالم فتحصن بها ، ومنع الميرة عن البربر ، فأقاموا خمسة عشر يوماً يأكلون الحشيش . فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مادويه الرومي (١) واستنجد به ، وسأله سليمان أن يدخل بينهم وبين ابن عبد الجبار وواضح في الصلح وقال : يخرج معنا إلى واضح ويرغب إليه في الإصلاح بيننا وبينه وبين صاحبه ، فإن أبي ذلك سرنا إلى قرطبة وناجزنا ابن عبد الجبار !

فسارت الرسل إليه فوجدوا رُسل ابن عبد الجبار وواضح عنده يسألونه الصلح معهما على أن يعطياه ما اشترط من مدائن الثغر ، / وأتوه بخيل وبغال ومال وكساء وجوهر وطيب وتحف كثيرة . فأجاب البربر إلى ما أرادوه من الصلح أو الاتفاق معهم على أن يعطوه ما بذل واضح والمهدي من مدائن الثغور إذا ظفروا . فقبلوا ذلك منه ، ورَدَّ رُسل واضح وابن عبد الجبار ، ثم أرسل إلى البربر ألف عجلة تحمل الدقيق والشعير وأنواع المأكَل وألف ثور وخمسة آلاف شاة وجميع ما يصلحهم من الملابس وغير ذلك . فقويت البربر بذلك ، وسار إليهم في جموعه وساروا إلى مدينة سالم ، وأرسلوا واضحاً في الصلح فأبى ، فساروا إلى قرطبة في المحرم

٢١٧-١

(١) في نفع الطبيب ١ : ٤٠٣ « ابن أدفونش » .

سنة أربعمائة . واتبعهم واضح بمن معه وقابلهم ، فانهزم وقُتل خَلْقٌ كثير من أصحابه ، ووصل المنهزمون من أصحابه إلى قرطبة ، وملك البربر جميع ماكان في عَسْكَر واضح . هذا وابن عبد الجبار في لهوهِ واستهتاره ، ثم خرج إلى فحص السرادق وخذق عليه ، وأتاه واضح في أربعمائة فارس من أهل مدينة سالم ، ووصل غلامه يلبق في مائتي فارس .

وأقبل سليمان بالبربر فنادى ابن عبد الجبار أن يُخْرِجَ كل من بلغ به الحُلُمُ ^(١) من سائر الناس ، فلم يتخلف أحدٌ فلا ترى إلا شيخاً ضعيفاً أو حَدَثًا غِراً وبقلاً ونساجاً . فلما كان في يوم السبت منتصف شهر ربيع الأول التقى البربرُ وأهل قرطبة فحمل عليهم من البربر نحو / ثلاثين فارساً فلم يقفوا لهم وانهزموا ، وسقط بعضهم على بعض . ومضى واضح من فوره إلى الثغر لم يعرج على شيء .. ووضع البربر السيف في أهل قرطبة فقتلوا خلقاً كثيراً ^(٢) ، وغرق في وادي قرطبة مالا يُحصى .

وسار ابن عبد الجبار إلى القصر وأظهر هشاماً المؤيد وأتبعه حيث يراه الناس في مكان يشرف على باب الشكال والقنطرة ، وأرسل القاضي ابن ذكوان إلى البربر يقول : إنما أنا قائم دون هشام ونائب عنه كما يحجبه الحاجب والأمر له ، وهو أمير المؤمنين ! فلما أبلغهم

(١) كناية عن البلوغ .

(٢) يقول المقرئ في نفع الطيب ٤٠٤:١ هـ وحلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم هـ .

القاضي الرسالة قالوا : بالأمس يموت هشامٌ وتصلّى عليه أنت وأميرك ،
واليوم يعيش وتُرجع الخلافة إليه ! فاعتذر القاضي من ذلك .

ثم خرج أهل قرطبة بأجمعهم إلى سليمان فأكرمهم ، وأحسن
لقاعهم . ودخل سليمان القصر ، وهرب ابن عبد الجبار فكانت
مدة ولايته تسعة أشهر . واستنجز ابن مادوية البربر أن يعطوه
الحصون التي شرطوها له فقالوا : ليست الآن بأيدينا فإذا عهد
سلطاننا أنجزنا لك ما وافقناك عليه ! ورحل يوم الإثنين لسبع
بقيين من شهر ربيع الأول .

قال : ثم فرّق سليمان العمال في الولايات ، وأنزل البربر بالزهاء ،
وأعاد المؤيد إلى السجن ، وأنزل شنشول عن خشبته وأمر بغسله
والصلاة عليه / ودفنه ، فدفن في دار أبيه . ١-٢١٨

وأما المهدي محمد بن هشام فإنه هرب إلى طليطلة بعد اختفائه
بقرطبة ، فوصل في أول جمادى الأولى فقبله أهلها أحسن قبول ،
وخالفوا هشام بن سليمان . فتأهب لقصد طليطلة . ورحل يوم الإثنين
لإحدى عشرة خلّت من جمادى الآخرة . فلما قرب منها أرسل
الفقهاء إلى أهلها ليعذر إليهم فرجعوا بخلافهم ، فسار إليهم .
وكان رجل يعرف بالقرشي الحرّاني قد جمع جموعاً عظيمة ودعا
لنفسه ، فسرح إليه سليمان على بن وداعة في جيش كثيف فهزم
جموع القرشي وأسره وأحضره إلى سليمان ، فاعتقله ثم قتله .

قال : وتجاوز سليمان طليطلة رجاء أن يرجعوا إلى الطاعة ،
ورحل إلى الثغر ونزل على مدينة سالم . ثم التحق بمحمد بن عبد الجبار

في جماعة من العبيد، وانضم إليه ابن مسلمة صاحب الشرطة. وخرج واضح من مدينة سالم إلى طرطوشة وكتب إلى سليمان يرغب في المعافاة من الخدمة ويكون في ميورقة^(١) مرابطا وينقطع عن الناس، وإنما يفعل ذلك تطمينا لسليمان حتى يحكم أمره. فأرسل سليمان إليه بالنظر في سائر الثغر وجهاد العدو، فأخذ واضح في الاتفاق مع الفرنج وشرط لهم ما أرادوه، واجتمعوا كلهم مع المهدي بطيطلطة. وبلغ سليمان ذلك فاستنفر الناس فاستعفاه أهل قرطبة، وذكروا عجزهم عن القتال فأعفاهم بشماعة البربر. وخرج لقتال القوم، فالتقوا عند عقبة الثغر في العشر الأخير من شوال، فجعل البربر سليمان في ساقاتهم وجعلوا معه خيلا من المغاربة وقالوا له: لا تبرح موضعك ولو وطئت الخيل انتم تقدموا فحملت الفرنج عليهم حملة منكرة فأخرجوا لهم ليتمكنوا منهم، فرأى سليمان خيل الفرنج وقد خرقت صفوف البربر فلم يشك أن البربر قد اضطلمو^(٢)، فانهمز فيمن معه. ثم عطف البربر على الفرنج فقتلوا ملكهم أرمغند، وستين من وجوههم. ورأى البربر هزيمة سليمان فانحازوا إلى الزهراء، ثم خرجوا منها ليلا. ومضى سليمان إلى مدينة شاطبية^(٣)، فكانت مدة ولاية سليمان سبعة أشهر.

(١) Majorca جزيرة في البحر المتوسط شرقى بلنسية طولها كما ورد في المغرب ٤٦٦ : ٢ أربعون ميلا وتكثر بها الحصون.

(٢) اضطلموا : قطعوا أو استؤصلوا ، ويقال وقعة صليبة أى مستأصلة .

(٣) مدينة عظيمة مشهورة وردت في المغرب ٢ : ٣٨٠ على أنها نشزت على بلنسية في مدة ملوك الطوائف ، تغلب عليها موالى العامرية ثم بنو هود ثم الملشون .

ذِكْرُ دَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ الثَّانِيَةِ

قال (١) : ولما انهزم سليمان دخل محمد بن هشام بن عبد الجبار قرطبة ومعه الفرنج فأفسدوا غاية الفساد ، ونهبوا الأموال ، واستطالوا على الناس ثم سألتهم المهدي وواضح المسير معهما لقتال البربر فخرجوا كلهم ، والتقوا بالبربر بوادي لدة (٢) ليست خلون / من ذى القعدة ، واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم واضح وابن عبد الجبار والفرنج أقبح هزيمة ، وقتل في المعركة يلبق غلام واضح ومؤمن الصقلبي ، وتخلّف ابن زُرزور مولى الحكم وغيرهم . وقتل من الفرنج أكثر من ثلاثة آلاف وغرق في البحر كثير ، واختوى البربر على ماني معسكرهم ، ووصل المنهزمون إلى قرطبة في اليوم الثاني من الوقعة فزاد حنق الفرنج وعاثوا بقرطبة وقتلوا كل من يشبه بالبربر بها . فسألتهم محمد وواضح ، ورغبنا إليهم في الرجوع معهم لقتال البربر ، فأبوا عليهما وقالوا : قد قتل ملكنا وخيارنا ووجهنا ! وفارقوا مدينة قرطبة وعادوا إلى بلادهم ، وكان رجلهم عنها لشدّة خوفهم من البربر ، حتى كان الرجل من أهلها يلقي الآخر فيعزبه كما يعزى من فقد أهله وماله !

ثم فرض محمد بن عبد الجبار على أهل قرطبة مالا فادّوه ، ونهبا للخروج وخرج بواضح وأهل قرطبة والعبيد لتقصّد البربر . فلما ساروا ثلاثين ميلا كروا راجعين إلى قرطبة ، وأقام من ورائه سوراً

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٥ .

(٢) كذا في . وفي ك ١٣٠ وفي ف ١٢٤ - ١ .

وتحصن به . هذا والبربر يغيرون في نواحي قرطبة ، وأخذوا الجبل المعروف / بابن حفصون - وهو كثير الماء والمرعى والثمار والزرع - فزاد ٢١٩ ب ذلك في قوتهم . وابن عبد الجبار وجنده في انهماك على اللهو وارتكاب المحارم وإظهار الفسق ، وإفساد ما قدروا عليه ، والنزول على الناس في دورهم ، وقتل من دافعهم ، فكره واضح ذلك منه - وكان قد حقد عليه ما أتاه إلى بني أبي عامر - فأخذ في التدبير عليه .

وبلغ ذلك محمد فجمع ما في القصر من النفائس وسلمها إلى ابن رافع رأسه - رجل من أهل طليطلة - وأمره بالخروج إليها ، وتحيل في الخروج في أثره . فلما كان في يوم الأحد الحادي عشر ن ذى الحجة سنة أربع مائة - وقيل لثمان خلون منه - ركب واضح والعبيد وأهل الثغر وصاحوا : لا طاعة إلا طاعة المؤيد !

ثم قصدوا القصر وأخرجوا المؤيد ، وأجلسوه على منبر الخلافة وألبسوه لباسها . وكان محمد بن عبد الجبار في الحمام ، فدخل عليه ابن وداعة وأخبره الخبر ، فخرج وجاء إلى هشام وأراد أن يجلس إلى جانبه ، فأخذ عنبر الخادم بيده ورمى به من على المنبر وأجلسه بين يدي المؤيد . فسب المؤيد وبيخه وعدد عليه ما أتاه وما فعله معه ، فأخذ عنبر بيده وأقامه وأصعده إلى السطح وأراد ضرب عنقه فتعلق به ، فتعاورته سيوف العبيد والخدم والصقالب / فقتلوه ، وأخذوا رأسه ورموا بجثته ، فسقطت في الموضع الذي كانت فيه جثة ابن عسفلاجة لما قتله . فكانت مدة ولايته هذه نحو شهر ،

ومدة مملكته الأولى والثانية عشرة أشهر ، وعمره خمساً وثلاثين سنة !

ذكر دولة المؤبد هشام الثانية

قال (١) : وبأيح الأجناد هشاما المؤبد في يوم الأحد الحادى عشر من اذى الحجة سنة أربعمائة وأخضر بين يديه رأس محمد المهدي ، فأمر بإرساله إلى البربر وهم يومئذ بوادى شوش في خدمة المستعين بالله سليمان بن الحكم ، طمعاً أن البربر يفعلون به كما فعل هو بالمهدي ، ويعودون إلى طاعته فيتم أمره وتستقيم دولته . فلما وصل إليهم مع جماعة من أهل قرطبة كادوا يقتلونهم ، فمنعهم المستعين بالله بعد أن أفرط في توبيخهم ، فعادوا إلى قرطبة .

وتولى واضح العامري حجابة المؤبد ، وأمره بحفر الخندق على قرطبة فحفره ، وحصنها ، قال (٢) : وكان لمحمد بن عبد الجبار ولد بقرطبة عمره نحو ست عشرة سنة فاحتال له شيعة أبيه حتى أوصلوه إلى مدينة طليطلة ، فقبله أهلها ، وأمره عليهم . فأغار على بعض ما كان لواضح ، فلقيه محارب التجيبي فقهره وأسره وأرسل به إلى واضح ، فقتله .

قال (٣) : ثم / قصد المستعين قرطبة في جموعه من البربر ،

٢٢٠-ب

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٨٥ ونقل عنه الخبر في البداية والنهاية ١١ : ٣٤٢ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٨ .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٨ .

فلم يتمكن منها ، فقصده الزهراء فاستولى عليها في يوم السبت
لست بيقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعمئة ، وقتل من بها
من الجند ، وأخذ في قتال أهل قرطبة ، وواضح يتولى حربته . ثم رحل
البربر من الزهراء لخمسة بيقين من شعبان ، وجعلوا يغيرون على
البلاد ويخربون ، فانضم أهل البوادي إلى قرطبة خوفاً منهم ، فصاروا
أكثر من أهلها ، وغلت الأسعار فمات أكثرهم جوعاً . وقطع البربر
الميرة عن قرطبة ، فاشتد بها الغلاء فبيع مد القمح - وهو قفيزان
ونصف بالقروي - بثلاثمائة دينار دراهم وهي مائة مثقال عينا . وجاءت
رسل ابن مادويه يستنجزون تسليم الحصون إليه على أن لا يغزوهم
ولا يتعرض لشيء من ثغورهم ، فرضوا بهدنة وسلموا إليه مدناً كثيرة وأكثر
من مائتي حصن مما افتتحه الحكيم بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي عامر .
وسمع ابن شالوس^(١) بما تسلّم ابن مادويه من الحصون ، فكاتب على
حصون أخرى وتوعد وتهدد ، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه .
وأخرب البربر مدنا جلييلة ، وقتلوا أكثر أهلها ، ولم تسلّم منهم إلا
طليطلة ومدينة سالم ، وبلغت خيلهم أندراوه^(٢) وما وراءها حتى
إنّ الراكب يسير شهوراً لا يرى أحداً في قرية ولا طريق . قال^(٣) :
واستخف جند قرطبة بواضح حتى صاروا يصرحون بيسبّه ،
فعزم على مراسلة البربر في الصلح لما رأى من اضطراب الجند عليه

٢٢١ - ١

(١) عن ك ١٣٢ ورسم ا ، ف ١٢٥ - ب « شالوس » وهو أحد ملوك الفرنج .

(٢) كذا في سائر النسخ وفي صفة جزيرة العرب صفحة ٣١ « أندارة » مدينة عظيمة في شرق الأندلس .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٤٩ .

وطمعمهم فيه ، وأظهر أن ذلك عن رأى هشام لما فيه من الصلاح للعامه
والخاصة . فبعث واضحاً إلى البربر رجلاً يعرف بابن بكر فاجتمع
بسليمان وعاد بجوابه فقتله الجند في المجلس - ولم يقدر هشام ولا واضح على
منعهم - واحتزوا رأسه ، وطاقوا به البلد . فعزم واضح على الهرب إلى
البربر ، وكان ابن أبي وداعة يعاديه فزحف إلى داره في عدة من الجند
فأخروه حاسراً وعاتبوه على ما أتلّف من الأموال وما عزم عليه من
مصالحة البربر . وضربه ابن أبي وداعة بسيفه وحمل عليه القوم
فقتلوه ، واحتزوا رأسه وطاقوا به ، وألقوا جثته في الرصيف
بالموضع الذي ألقى فيه ابن عسقلاجة وابن عبد الجبار ، ونُهبت
دور أصحابه .

وولى هشام ابن أبي وداعة المدينة ، فاشتد على أهل الرب
وهاب الجند وغيرهم ، وكان مقتل واضح في يوم الثلاثاء للنصف
من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة .

ثم قدم البربر وسليمان ، ونازلوا قرطبة وظاهرها وقد امتلأت
أيديهم بالغنائم ، وقلّت الأقات على أهل قرطبة ، وعظم عليهم الخطب ،
واشد الأمر ، وكان بين أهلها والبربر مراسلات وأمر يطول
٢٢١- ب شرحها . كان آخر ذلك أن سليمان ملك قرطبة في يوم / الأحد لثلاث خلون
من شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، وكانت مدة ولاية المؤيد الثانية
سنتين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً وفقد المؤيد لخمس
خلون من شوال سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر دولة المستعين بالله الثانية

قال (١) : ولما فتح سليمانُ بنُ الحكمِ المستعينُ قرطبةَ دخل القصرَ لخمسةِ خلونِ من شوالٍ وتلقَّبَ بالظافرِ بحولِ الله ، وأحضر هشاماً ووبخه وقال : قد كنتَ تيرأتَ لى من الخلافةِ فأعطيت صفقةَ يمينك فما حملك على نقضِ عهدك ؟ فاعتذر أنه مغلوب عليه ، وتبرأ له ، وسلَّم الأمرُ إليه . وضرب سرادق سليمان بشقنده ، ونزل البربر حوله ، وهرب كثير من موالى بنى أمية فاحتوى البربر عليها واقتسموا البلد بينهم . وطالب سليمانُ الناسَ بالأموال فغرمهم فوق طاقتهم ، واشتد أمر البربر على الناس فاستباحوا الأموال والحريم وسلبانُ لا يمكنه دفعهم وليس فى يده مع قرطبة غيرُ إشبيلية ولبلة والشنبة وباجة .

وكان فى عسكره رجالان (٢) من ولد الحسن بن على بن أبى طالب وهما القاسم وعلى ابنا حمود بن ميمون فقودهما على المغاربة ، ثم ولى علياً الأصغر منهما سبته (٣) وطنجة (٤) ، وولى القاسم الجزيرةَ الخضراء ، وبين الموضعين المجاز المعروف بالزقاق (٥) ، وسعة البحر هناك ثمانية عشرة ميلاً .

(١) بن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٦٨ وانظر البداية والنهاية ١١ : ٣٤٨ .

(٢) هما من عقب إدريس ملك فاس وبانيها وكانا قد اجتازا مع البربر مضيق جبل طارق إلى الأندلس (فتح الطب ١ : ٤٠٦) .

(٣) Ceuta سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، وهى على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق (معجم البلدان ٣ : ١٨٢) .

(٤) Tangier بلد البربر على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء (معجم البلدان ٤ : ٤٣) .

(٥) هو مضيق جبل طارق اليوم .

وكانت العبيد لما خرجوا من قرطبة عند دخول البربر إليها ملكوا مدنا عظيمة وتحصنوا فيها ، فراسلهم علي بن حمود وذكر أن هشام بن الحكم لما كان محاصراً بقرطبة كتب إليه يوليه عهده فاستجاب له العبيد وبايعوه . فزحف من سبتة إلى مالقة (١) وفيها عامر بن فتوح الفائقى مولى فائق - مولى المستنصر - فأطاعه وأدخله مالقة . فملكها علي بن حمود وأخرج عنها عامر بن فتوح ثم زحف بمن معه من البربر وجمهور العبيد إلى قرطبة ، فأخرج له المستعين ولده - ولى عهده محمد بن سليمان - فى عساكر البربر ، ومعه أحمد بن سعيد الوزير . فانهزموا ، ورجع محمد بن عبد الله الزناني إلى قرطبة ، وأخرج المستعين بالله وضمن له أن يقاتل بين يديه . فلما قربوا من عسكر علي بن حمود قاده بلجام بلغته وسلموه لعلى ، فلما حصل فى يده دخل القصر فى يوم الأحد لسبع بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة ، وضرب عنق سليمان بيده وقتل أباه الحكم - وهو شيخ كبير له اثنتان وسبعون سنة - فكانت مدة ولاية سليمان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما . وكان مولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وكان أديبا شاعرا ، فمن شعره :

٢٢٢-ب

عجبا يهابُ اللئيث حد سناني وأهابُ لحظَه فَوَاتِرَ الأَجْفَانِ
وهى أبيات عارضها العباس بن الأحنف فى أبياته التى أنشدها
على لسان الرشيد التى أولها :
ملكُ الثلاثُ الأنساتُ عندي وحللتُ من قلبي بكلِّ مكانٍ

(١) Malaga مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية سورها على شاطئ البحر بين

الجزيرة الخضراء وألمرية (معجم البلدان ٥ : ٤٣) .

وقد ذكرنا ذلك في باب الغزل والنسيب ، قال (١) : ولما قُتِل سليمانُ بنُ الحكم هذا انقطعت دعوة بني أمية من سائر اقطار الأندلس وقامت دعوة الفاطميين بها . وولى منهم ثلاثة ملوك وهم علي بن ، حمود ، والقاسم بن حمود أخوه ، ويحيى بن علي ، ثم عادت بعد ذلك الدعوة الأموية على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر امارة الناصر علي بن حمود

ابن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ملك قرطبة لسبعين بقين من المحرم سنة سبع وأربعمائة على ما ذكرناه ، وخوطف بأمر المؤمنين ، وتلقب بالناصر (٢) . ولما دخل قرطبة أحضر الفقهاء والوزراء وسأل سليمان بحضرتهم عن المؤيد فقال « مات » فألزمه أن يريه قبره فأخرجه دفينا لا أثر فيه فأمر بتكفينه ودفنه في الروضة . ثم استفتى الفقهاء في قتل سليمان ، فقتله هو وأباه الحكم وأخاه عبد الله وولده سليمان في وقت واحد ، وتمّ لعلّ ما أراد واستقامت أموره .

وفي سنة ثمان وأربعمائة خالف عليه العبيد الذين كانوا بايعوه ، وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر [أخا المهدي] وسموه المرتضى وزحفوا به إلى قرطبة ، ثم ندموا على إقامته لِمَا رأوه من صرامته ، وخافوا عواقب تمكّنه فانهزموا عنه

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٨٥ .

(٢) بولايته تبدأ دولة العلويين ببلاد الأندلس (البداية والنهاية ١٣ : ٢٥) .

وَدَسُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلَةِ غَيْلَةَ . وَبَقِيَ عَلِيُّ بْنُ حَمُودٍ بِقَرْطَبَةَ إِلَى آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَقَتَلَهُ صِقَالِبَتُهُ فِي الْحَمَامِ ، فَكَانَتْ مَدَّةَ وَلَايَتِهِ سِنَةً وَاحِدَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَالِدِيحِيِّ وَإِدْرِيسِ .

ذِكْرُ وَايَةِ الْمَأْمُونِ

القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمي

وَلِي بَعْدَ مَقْتَلِ أَخِيهِ النَّاصِرِ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَسَنُّ مِنَ النَّاصِرِ بِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ ، وَنَعَتْ نَسْفَهُ بِالْمَأْمُونِ / وَكَانَ يَحِبُّ الْمَوَادِعَةَ ، فَأَمَّنَ النَّاسَ مَعَهُ . وَكَانَ يَذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ يَتَشَبَّعُ وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ ، وَلَا غَيْرَ لِلنَّاسِ عَادَةً وَلَا مَذْهَبًا ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَنْ وَلِيَ مِنْهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ . فَبَقِيَ الْقَاسِمُ إِلَى شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَامَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَمُودٍ بِمَالِقَةَ (١) ، فَهَرَبَ الْقَاسِمُ عَنْ قَرْطَبَةَ بِغَيْرِ قِتَالٍ ، وَصَارَ إِلَى إِسْبَيْلِيَّةِ .

٢٢٣ ب

وَزَحَفَ ابْنُ أَخِيهِ الْمَذْكَورُ مِنْ مَالِقَةَ بِالْعَسَاكِرِ ، فَدَخَلَ قَرْطَبَةَ دُونَ مَنَاعٍ ، وَتَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ وَتَلَقَّبَ ، فَبَقِيَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ لِلْقَاسِمِ أَمْرُهُ وَاسْتَمَالَ الْبَرْبَرِ ، وَزَحَفَ بِهِمْ إِلَى قَرْطَبَةَ فَدَخَلَهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَهَرَبَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مَالِقَةَ ، فَبَقِيَ الْقَاسِمُ بِقَرْطَبَةَ شَهْرًا . ثُمَّ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ ، وَغَلَبَ ابْنُ أَخِيهِ يَحْيَى عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَكَانَتْ مَعْقَلُ الْقَاسِمِ وَهِيَ كَانَتْ أَمْرَاتِهِ وَذَخَائِرُهُ . وَغَلَبَ ابْنُ أَخِيهِ إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ [شَقِيقُ يَحْيَى] صَاحِبُ سَبْتَةَ عَلَى طَنْجَةَ ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْقَاسِمِ يَلْجَأُ إِلَيْهَا إِنْ رَأَى

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ ١ : ٤٠٧ أَنَّهُ كَانَ عَلَى سَبْتَةَ ، ثُمَّ احْتَلَّ مَالِقَةَ .

ما يخاف . وقام عليه جماعة أهل قرطبة في المدينة ، وأغلقوا أبوابه دونه ، فحاصرها نيفًا وخمسين يومًا ، ثم زحف أهل قرطبة فانهزموا عن القاسم . ولحقت كل طائفة ببلد فغلبت عليه ، وذلك في شعبان سنة أربع عشرة وأبعمائة وأعاد أهل قرطبة الدولة الأموية / على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

٢٢٤ - ١

قال (١) : وأما القاسم فقصد إشبيلية وبها ابنه محمد والحسن فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم طردوا ابنه ومن كان معهما ، وضبطوا بلدهم وقدموا على أنفسهم ثلاثة رجال ، منهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، ومحمد بن مرثم الإهاني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي ، ومكثوا كذلك أيامًا مشتركين في سياسة البلد وتدييره ، ثم انفرد القاضي أبو القاسم بن عباد على ما نذكره إن شاء الله .

ولحق القاسم بشريش (٢) ، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى ، وحصروا القاسم حتى صار في قبضة ابن أخيه . وانفرد بولاية البربر ، وبقى القاسم أسيرًا عنده وعند أخيه إدريس إلى أن مات إدريس ، فقتل القاسم خنقًا في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وحُمل إلى ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة فدفنه هناك .

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٨٧ .

(٢) Xeres مدينة كبيرة من كورة شنونة ، وتسمى أيضًا شرش ، (معجم

البلدان ٣ : ٢٤٠) .

وكانت ولاية الفاسم تُسمى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام ، ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه إلى أن مات - قيل ومات وهو ابن ثمانين سنة - وله من الولد محمد والحسن وأمهما أميرة بنت الحسن بن فنون بن إبراهيم العلوي .

١ ذكر ولاية المعتلي يحيى بن علي

٢٢٤-ب

وكنيته أبو إسحاق ، وقيل أبو محمد تسمى بالخلافة بقرطبة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ثم هرب منها إلى مالقة في سنة أربع عشرة . ثم سعى قوم من المفسدين في إعادة دعوة بقرطبة في سنة ست عشرة ولم يدخلها ، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطف ، ثم قطعت خطبته من قرطبة في سنة سبع عشرة . وبقي يتردد إليها بالعساكر إلى أن اتفق جماعة البربر على طاعته ، وسلموا إليه الحصون والقلاع والمدن ، وعظم أمره فصار بقرمونة ليحاصر مدينة إشبيلية . فخرج يوماً وهو سكران إلى خييل ظهرت من إشبيلية بقرب قرمونة ،^(١) فلقيها وقد كمن له كمناء ، فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وكان له من الولد الحسن وإدريس .

(١) Carmona مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية (صفحة جزيرة العرب

ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة

ومن ولى منهم

١-٢٢٥

(أ) ذكر امارة المستظهر بالله

هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار - أخو المهدي - بويج له بالخلافة بقرطبة ثلاث عشرة من شهر رمضان سنة أربع عشرة وأربمائة . وذلك أن أهل قرطبة لما هزموا البربر وأخرجوا القاسم - كما قدمنا - اتفق رأيهم على رد الأمر إلى بني أمية . فاختاروا منهم ثلاثة ، وهم عبد الرحمن هذا ، وسليمان بن المرتضى ، ومحمد بن عبد الرحمن . فاتفق رأيهم على إمارة عبد الرحمن فبايعوه ، وتلقب بالمستظهر ، وكان مولده في ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . وقام عليه محمد بن عبد الرحمن مع طائفة من أرذال العوام فقتل عبد الرحمن ثلاث بقين من ذى القعدة منها ، وقيل ثلاث خلون منه . وكان في غاية الأدب ، وله شعر . وزيره الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (١)

(ب) ذكر امارة المستكفي بالله

هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر بن هشام المستظهر ، وأمه أم ولد اسمها

(١) يذكر المقرئ في نفع الطيب ١ : ٤١٢ أن حسان بن أبي عبيدة - وكان شخصية باذرة وقول الشعر - وزرله أيضا ، ولم يكن يوافق على تفرد بالسلطة ، وكان يعالجه بالقرع !

٢٢٥-ب حوراء^(١) وفي بعد قتل المستظهر لثلاث خاؤون أو بقين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وله ثمان وأربعون سنة . وكان أبوه ممن قتله الوزير محمد بن أبي عامر في أول دولة المؤيد هشام لِسْعِيهِ في القيام وطلبه الأمر ، فولّي محمد هذا عشرة أشهر وأياما ، وخُلع . وقيل بل خلع في يوم الثلاثاء لخميس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ، وخرج من قرطبة يريد الثغر فمات بقرية من قرى شنت مرية في أول شهر ربيع الآخر منها ، فكانت مدة مملكته بقرطبة على هذا القول سنة وأربعة أشهر . وكان الحاكم في أيامه صاحب المظالم محمد بن عبد الرؤوف .

وكان محمد بن عبد الرحمن في نهاية التخلف ، صاحب أكمل وشرب ونكاح ، ولم يزل مُتَغَلِّبًا عليه طول ولايته لا يُنفذ له أمر ، ولا عقب له . وقيل في وفاته إنه لما هرب من قرطبة سار حتى انتهى إلى قرية يقال لها سمونت من أعمال مدينة سالم ، فجلس ليأكل وكان معه عبد الرحمن بن محمد بن السليم - من ولد سعيد بن المنذر - فكره التهادي معه ، فسممه في دجاجة فمات لوقته ، فقبّره هناك . ولما خلع أعيدت خطبة يحيى ابن علي الفاطمي ، ثم قطعت وأعيدت الخطبة للدولة الأموية .

(ج) / ذكر ولاية المعتمد على الله

١-٢٢٦

هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وهو أخو المرتضى^(٢) ، بويع له في شهر ربيع الأول

(١) وابنته الأديبة المشهورة ولادة .

(٢) لقبه هنا المعتمد على الله ، على أنه يلقب في كتب أخرى بالمعتد بالله ، وفي نفع الطيب

سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، وقيل فى يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر منها . وذلك أنه لما قُطعت خطبة يحيى بن على ^(١) فى سنة سبع عشرة وأربعمائة اجتمع رأى أهل قرطبة على ردِّ الأمر إلى بنى أمية ، وكان عميدهم فى ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور . فراسل أهل الثغور فى ذلك فاتفقوا عليه بعد مدة ، فبايعوا لأبى بكر وهو بالثغر فى حصن البوننت ^(٢) عند أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم .

فبقى يتردد فى الثغور سنتين وعشرة أشهر - وقيل سبعة أشهر واثارت هناك فتن كثيرة يطول شرحها ، واضطراب شديد من الزوَّساء بها ، إلى أن اتفق رأيهم على أن يسيروا إلى قرطبة الملك . فسار إليها ، ودخلها فى يوم منى ثامن ذى الحجة سنة عشرين وأربعمائة . ولم يُقم إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند ، فخلع !

قال بعض المؤرخين : كان سبب خلعه أن وزيره ومدبر أمره أبا العاص

الحكم بن سعيد كان فاسد الطريفة ، ولم يكن له سابقة رثاسة . فكرهه الناس فدسوا عليه فى بعض الطرق من قال فصيحة تقر به منه - وكان أطروشا - فأصغى إليه ليقولها فى أذنه ، فحجره عن دابته فقتل .

وخلع المعتمد ، وخرج إلى الثغر لينتزعها من يد المنذر بن يحيى ،

(١) هو يحيى بن على بن حمود ويلقب بالمتل ، ملك لما خلع أهل قرطبة المستكن ، وقد خلعه القرطبيون بطوره بزعامة الوزير جهور بن محمد بن جهور .

(٢) أحد معاقل إقليم بلنسية ، جاء فى المغرب ٢ : ٣٩٥ أنه صار شجى فى حلق صاحب بلنسية وعنده أطال المكث هشام المعتد المروانى الذى صار خليفة بقرطبة .

فمات بِلارِدَة (١) - وهي في مملكة سليمان بن هود - في يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة .

قال : وولى قرطبة بعده قريب من سنة ، ثم دُعِيَ للمؤيد هشام - وذكر أنه حى - في يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعٍ وعشرين وأربعمائة إلى أن أُشيع موت هشام . هذا . فتغلب على قرطبة أبو الحزم بن جهور - على ماسنورده - وانقطعت دعوة بني أمية من سائر البلاد إلى هلم . وكانت مدة مُلكِ بني أمية ببلاد الأندلس - من سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة وإلى هذا التاريخ - مائتي سنةٍ وتسعين ، وعدة من ملك منهم خمسة عشر ملكا وهم (٢) :

عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، هشام بن عبد الرحمن ،
الحكم بن هشام المرتضى ، عبد الرحمن بن الحكم ، محمد
ابن عبد الرحمن الأمين ، المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ،
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله ، / الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن ، هشام المؤيد
بالله (دفتين) ، محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي (دفتين)
سليمان بن الحكم المستعين بالله (دفتين) . ثم انقطعت دعوتهم
بقياس العلويين سبع سنين ، وعادت بقرطبة بإمارة المستظهر
بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، ثم المستكفي بالله

٢٢٧ - ١

(١) Lerida مدينة شهيرة من مدن الثغر قرب طرسونة ، يقول الحميري إنها في ثغر الأندلس الشرقى (صفة الأندلس صفحة ١٦٨) .
(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٩٠

محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ، ثم المعتمد على الله أبو بكر هشام
ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر بن معتمد بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ابن
معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ..

ذكر أخبار الأندلس

ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأموية

قال (١) : ولما انقطعت دعوة بني أمية بعد خلع هشام تغلب كل
رئيس على بلد ، واستولى عليها ، ونحن نذكر ذلك على سبيل
الاختصار . فأما قرطبة فاستولى عليها الوزير أبو الحزم جهور
ابن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن العمر بن يحيى بن
عبد الغافر بن أبي عبيدة . قال : / وكان من وزراء الدولة العامرية قديم
الرئاسة موصوفاً بالدهاء والعقل ، لم يدخل في شيء من الفتن قبل ذلك .
فلما خلا له الجو وأمكنته الفرصة وثب عليها ، فتولى الأمر واستقل به ،
ولم ينتقل عن رتبة الوزارة إلى الإمارة ظاهراً ، بل دبر تدبيراً حسناً لم
يسبق إليه . وجعل نفسه مهيئاً للوضع إلى أن يجيء مستحق يتفق
عليه الناس فيسلمه إليه ، ورتب البوابين والحشم على أبواب تلك القصور
- على ما كانت عليه أيام الدولة - ولم يتحول عن داره إليها . وجعل ما يرفع
من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ،
وصير أهل الأسواق جنداً وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم

(١) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٩٠ .

بأخذون رِبْحَهَا خاصةً وروؤوس الأموال باقية ، يؤخذون ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها . وفرق السلاح عليهم وأمرهم أن يجعلوه في الدكاكين والبيوت ، حتى إذا دهم أمرٌ ليلاً أو نهاراً كان سلاح كل واحدٍ معه ، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى .

وكانت قرطبةً في أيامه حرماً يأمن فيه كل خائف ، ولم تنزل أيامه على أحسن نظام وأكمل اتساق إلى أن توفي في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وتولى بعده ابنه محمد .

١ / ذكر ولاية أبي الوليد محمد بن جهور

١ - ٢٢٨

ولي بعده أبيه فجرى على سنته في تدبير الأمور ورعاية قلوب الرعية إلى أن مات ، وغلب عليها الأمير الملقب بالمأمون صاحب طليطلة إلى أن مات ، ثم استولى ابن عباد على قرطبة على ما نذكره .

ذكر أخبار مدينة طليطلة

ومن ملكها بعد بني أمية وكيف كان استيلاء الفرج عليها

أول من تغلب عليها بعد بني أمية مع بقائهم بقرطبة رجل يقال له ابن يعيش ، وذلك أن أهلها لما خلعوا طاعة بني أمية قدموه على أنفسهم وولّوه أمرهم ، فلم تطل مدته . وصارت رئاسته إلى إسماعيل ابن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون الهواري (١) ، فتغلب على طليطلة . ولم تنزل بيده إلى أن توفي في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فقام بعده ابنه .

(١) يعتبر بنو ذى النون من أعظم ملوك طليطلة ، وقد بلغوا الغاية في البخ والكرم ، ولهم الإحذار المشهور الذي يقال له الإحذار الذنوبي ، وبه يضرب المثل عند الأندلسيين .

ذكر ولاية المأمون يحيى بن اسماعيل

وَلِيَّ طَلِيظَةَ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَلَمَّا وُلِيَ أَرَادَ أَنْ يَمْتَعِنَ بِالْفَرَنْجِ عَلَى مَا أَحْوَلَهُ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْحَصُونِ لِيَنْتَزِعَهَا مِنْ هَيْ بِيَدِهِ . فَكَتَبَ إِلَى مَلِكِ مَن مَلُوكِ الْفَرَنْجِ - كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ وَبَيْنَهُمَا مَوَدَّةٌ وَمُرَاسَلَةٌ - يُقَالُ لَهُ شَنْشَكَنْدُ (١) وَقَالَ لَهُ « أَخْرَجْ إِلَيَّ فِي مِائَةِ مِنْ فَرَسَاتِكَ وَإِنِّي فِي مَكَانٍ كَذَا لِأَجْتَمِعَ بِكَ فِي أَمْرٍ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ » فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَنْشَكَنْدُ فِي سِتَّةِ آلَافِ فَارَسٍ ، وَخَرَجَ مِنْ ذِي النُّونِ فِي مِائَتَيْ فَارَسٍ مِنْ عَسْكَرِ طَلِيظَةَ .

وَكَمَّنَ الْفَرَنْجِيُّ أَصْحَابَهُ خَلْفَ جَبَلٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَوْضِعِ وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا رَأَيْتُمُونَا قَدْ اجْتَمَعْنَا فَاخْرُجُوا إِلَيْنَا بِأَجْمَعِكُمْ ! فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ وَرَأَوْهُمْ الْمَأْمُونُ سَقِطٌ فِي يَدِهِ ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلِهِ فَقَالَ لَهُ شَنْشَكَنْدُ : يَا يَحْيَى وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ مَا كُنْتُ أَظُنُّكَ إِلَّا عَاقِلًا وَإِذَا بِكَ أَحْمَقُ خَلَقِ اللَّهِ ، خَرَجْتَ إِلَيَّ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَسَلَّمْتَ إِلَيَّ مُهْجَتَكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ خُرُوجِكَ وَلَا دِينَ بَجَمْعِنَا وَقَدْ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ ، وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ لَا نَجُوتَ مِنِّي حَتَّى تَعْطِيَنِي الْحِصْنَ الْفَلَانِيَّ وَالْحِصْنَ الْفَلَانِيَّ - وَسَمِّيَ حَصُونًا مِنْ حَصُونِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ طَلِيظَةَ وَبَيْنَهُ - وَتَجْعَلُ لِي عَلَيْكَ مَالًا فِي كُلِّ سَنَةٍ .

فَأَجَابَهُ يَحْيَى إِلَى مَا طَلَبَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْحَصُونِ ، وَرَجَعَ إِلَى طَلِيظَةَ شَرَّ رَجُوعٍ . وَتَوَاتَرَ الْخِذْلَانُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ سِتِّينَ

(١) هو بن الفونش Alphonso أو اذفتش .

وأربعمائه ، وصارت ولايتهُ إلى ابنه القادر يحيى ، فدام يطليظة
إلى أن ملكها الفرنج .

٢٢٩-١

قال : ولما ملك امتدت يدهُ إلى أموال الرعية ، واستعمل السفلة
وأهل الثغور ، ولم تزل النصرارى تطوى حصونه حصنا بعد حصن
حتى استولوا على طليظة في سنة ثمانٍ وسبعين بعد أن حاصروه
ألفونش (١) سبع سنين وملكها ، واتخذها دارَ ملكٍ ، وغيرَ
جامعها كنيسة وردَّ المسلمين إلى مسجدٍ غيره وعوضهم مالا وقال :
هذه كنيسةٌ كانت لنا فردَّها الله علينا ! وانتقل القادر بالله إلى بلنسية
فقبله القاضي الأحنف بن حجاب .

ذكر أخبار دولة بني عباد

وابتداء أمرهم ومن ملك منهم إلى أن انقضت مُدَّتُهُم وانقضت دولتهم
أول من قام منهم القاضي محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد
ابن عمرو بن عطاف بن نُعَيْم - ونعيم وابنه عطاف هما دخلا إلى
الأندلس من المشرق - وهم من لخم من بنى المنذر بن المنذر ، وفيهم
يقول الشاعر :

من بنى المنذر وهو أنتسابُ زاد في فخره بنو عباد
فيه لما تليد سواها المعالي والمعالي قليلةُ الأولاد

لو كان محمد بن إسماعيل هذا قد تقدّم بإشبيلية إلى أن ولي القضاء ،
فأحسن السياسة مع الرعية والملاطفة بهم ؛ فرمقته العيون ، ومالت

٢٢٩-ب

(١) الصحيح « ابن ألفونش » على ما في نفع الطيب ١ : ٤١٦ .

إليه القلوب . فلما كان في سنة ثلاثٍ عشرةٍ وأربعمائة ولى يحيى ابن علي الفاطمي قرطبة ، وكان من أمره وأمرِ عمه القاسم ما ذكرناه . ثم إنَّ أهلَ قرطبةَ أخرجوا القاسم بنَ حمود فقصد مدينةَ إشبيلية ثم فارقها ، وقصدها بعد ذلك يحيى بن علي المعتلى ونزل بقرمونة لحصار مدينة إشبيلية وكانت الرئاسةُ بها بين ثلاثة - كما ذكرنا ذلك - فاجتمع وجوه المدينة وفيهم حبيب ابن عامر القرشي ومحمد بن مرثم الإهباري ومحمد الزبيدي وغيرهم . وأتوا إلى أبي القاسم محمد بن إسماعيل وقالوا : ماترى ما نحن فيه وما حلَّ بنا من هذا الكافر وما أفسد من أموال الناس ، فقمُ بنا نخرجُ إليه ونملكك ونجعلُ الأمر لك وننتصر لهشام !

ففعل ، وخرجوا لقتال يحيى بن علي المعتلى ، فركب إليهم وهو سكران فقتل كما قدّمنا . وملك محمد بن إسماعيل إشبيلية ، وقالوا له : نخرج إلى قرمونة من قبل أن يسبقك إليها إسحاق ابن عبد الله البرزالي ! فهمَّ محمد بذلك فسبقه إسحاق وملكها ، فكتب محمد إلى يحيى بن ذى النون الهواري صاحبِ طليطلة يقول له : اخرج بعسكرك أو ابعث إلى بعسكر مع / قائدٍ من عندك حتى أخرج إسحاق بن عبد الله من قرمونة ، وأنا أعينك على أخذِ قرطبة وأجعلها لك ملكا !

٢٣٠-١

فلما وصل كتابه إلى المأمون خرج إليه بنفسه في عسكرٍ كبير ، فاجتمعا ونزلا على قرمونة ، وحاصراها وأخرجها عنها إسحاق . وأخذها محمد بنُ إسماعيل وأدخل ولده إليها ، وساروا إلى قرطبة وحاصراها .

فلما رأى [أهلها] (١) ما حلَّ بهم كاتبوا محمد بن إسماعيل وقالوا أنت أولى من المأمون بالبلد وأحبُّ إلينا منه ! فاستوثق منهم ودخلها ليلا ويحي لا علم له بذلك . فلما أصبح وعلم الحال رجع بعسكره إلى طليطلة وكتب إلى ابن عكاشة - وهو رجل شجاع كان بيده بعضُ حصون الأندلس ، يقطع حوله السبيل ويقتل التجار ويأخذ الأموال ، وهو يظهر ليحي طاعةً مشوبةً بمعصية - فأمره أن يجمع أصحابه وعضده بعسكر كبير ووجههم إلى قرطبة ، فتوجهوا إليها وقد فارقتها محمد بن إسماعيل إلى إشبيلية وترك ولده بها .

فدخلها ابن عكاشة ليلا، ودخل القصر ، وقتل كلَّ من وجد من الحرم ، وذبح ولد محمد بن إسماعيل بيده . فلما بلغ ذلك محمد جمع العساكر وخرج إلى قرطبة ، فحصر ابن عكاشة وضيق عليه ، فخرج هاربا . واستوثق من الرعية وعاد إلى إشبيلية ، فوصل إليها يحيى بن ذى النون / وتغلَّب عليها . قدَّس عليه محمد بن إسماعيل طبيبُه ، فسَمَّه ، فمات ! فعندها خلص الأمرُ لمحمد بن إسماعيل : وذلك في سنةٍ أربعٍ وعشرين .. هكذا نقل عز الدين عبد العزيز ابن شدَّاد بن تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان ، وذكر أيضا في هذا الكتاب أن يحيى توفي في سنة ستين وأربعمائة ، وهذا فيه تنافٍ والله تعالى أعلم .

٢٣٠-ب

(١) إضافة يقتضها السياق .

ذكر أخبار خلف الحصرى

المشبه بالمؤيد هشام وقيام دعوته بمملكة محمد

ابن إسماعيل ، وما قيل فى ذلك

فأما قيام دعوته فإن محمد بن إسماعيل لما استولى على الأمر فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة وتعاضم أمره ، حسده أمثاله وكثر الكلام فيه وقالوا « قتل يحيى بن على الحسنى من أهل البيت وقتل يحيى بن ذى النون ظلما » واتسع القول فيه فبقى يفكر فيما يفعله . فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل من أهل قرطبة فقال له : إني رأيت - هشاماً فى قلعة رباح ! فقال له محمد : انظر ماتقول ! فقال إني والله رأيتُهُ وهو هشام بلا شك !

وكان عند محمد بن إسماعيل عبدٌ من عبيد هشام يسمى تومرت ، وهو الذى كان يقرم على رأس هشام - فقال له محمد : / إذا رأيت مولاك تعرفه ؟ فقال : نعم ولى فيه علامات

فأرسل محمدُ رجلين من الذين ذكروا أنهم رأوا هشاماً وقال : توجّها إلى قلعة رباح وائتياى بهشام ! وأسرعاً ، فتوجّها فوجده فى مسجد فى قلعة رباح ، فدخلا عليه وأعلماه أنهما رسولا القاضى محمد بن إسماعيل إليه . فسار معهما إلى إشبيلية . فلما دخل على القاضى قام إليه وسلم عليه وأنزله ووكل بخدمته تومرت مولاه . فلما رآه تومرت قبّل يديه ورجليه وقال للقاضى : هو والله مولاى هشام ابن الحكم .

فعند ذلك قام إليه القاضى محمد بن إسماعيل وقبّل رأسه ويديه ، وأمر بنيه فدخلوا عليه وفعلوا كفعله ، وسلّموا عليه بالخلافة . وأخرجه

محمد بن إسماعيل في يوم الجمعة إلى الجامع بمدينة إشبيلية ، ومشى هو وبنوه بين يديه رجالة حتى أتى المسجد ، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة . وبأيعه محمد بن إسماعيل وبنوه وجميع أهل البلد ورجع إلى موضعه ، وتولى محمد بن إسماعيل الخليفة بين يديه وجرى في ذلك على طريقة ابن أبي عامر ، غير أنه يخرج إلى الجمعة والأعياد ويصلي طول مدته ، ومحمد في رتبة الوزارة آمراً وناهما عنه ، واستقام لمحمد أكثر مدن الأندلس ، فهذا كان سبب قيام دعوته .

وأما ما نقل من أخباره فقد ذكرنا في أخبار بني أمية أن / المستعين بالله سليمان بن الحكم لما فتح قرطبة المرة الثانية في شوال سنة ثلاث وأربعمائة أحضره ووبخه ، وأن المؤيد فُقدَ لخمس خلون من شوال . وذكرنا أيضاً أن الناصر علي بن حمود الفاطمي لما ملك قرطبة أحضر المستعين وسأله بحضرة الفقهاء والوزراء عن المؤيد هشام فقال مات فألزمه أن يريه قبره فأخرجه دفيناً لا أثر فيه فامر الناصر بتكفينه ودفنه في الروضة .

٢٣١ ب

وقيل بل هرب بنفسه إلى المشرق مستخفياً حتى وصل إلى مكة - شرفها الله - وكان معه كيس فيه جوهر وياقوت ونفقة ، فشر به حرابة مكة ، فأخذه منه ، فمال إلى جهة من الحرم وأقام يومين لم يطعم طعاماً . فمضى إلى الروة فأتاه رجل فقال له تجسن عمل الطين ؟ قال : نعم ! فمضى به إلى تراب ليعجنه ووافق على درهم وقرصة ، فقال له : عجل القرصة فإني جائع ! فأتاه بها فأكلها ، ثم عمد إلى التراب فكان مرة يعجن ومرة يجلس ، فلما طال عليه ذلك تركه ومضى هارباً على وجهه .

وخرج مع القافلة إلى الشام على أسوأ حال، فوصل إلى بيت المقدس، فمشى في السوق فرأى رجلاً يعمل الحصر الحلفاء فنظر إليه فقال له الحصرى: كأنك تحسن هذه الصناعة! قال: لا! قال: فتقيم عندي / تناولني الحلفاء وأجعل لك أجره على ذلك. قال: أفعل

٢٣٢-١

فأقام عنده يناوله ويعاونه على ما يأمره به من أمور صناعته، فتعلم هشام صناعة الحصر، فصار يعملها ويتقوت منها. وأقام ببيت المقدس أعواماً كثيرة لم يعلم به أحد، ثم رجع إلى الأندلس في سنة أربع وعشرين وأربعمائة.. هكذا روى جماعة من مشايخ الأندلس ١

وقال الإمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتابه المسمى «نقط العروس في هذه الحكاية»: أخلوقة لم يقع في الدهر مثلها، وإنما ظهر رجل يقال له خلف الحصرى بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المؤيد وأدعى أنه هشام، وبويع له على جميع منابر الأندلس في أوقات شتى، وسفك الدماء وتصدمت الجيوش في أمره.

وقال أبو محمد بن حزم: وفضيحة لم يقع في الدهر مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها يُسمى كل واحد منهم يأمير المؤمنين، ويخطب لهم في زمن واحد. أحدهم خلف الحصرى المذكور بإشبيلية على أنه هشام بن الحكم المؤيد، والثاني محمد ابن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، والثالث محمد بن إدريس بن علي

ابن حمود بمدينة مالقه ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بشنترين^(١) .
 /وأقام المدعى أنه هشام بن الحكم نيفاً وعشرين سنة والقاضي محمد
 ابن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه ، والأمر إليه . وقد استقام لمحمد
 أكثر بلاد الأندلس ، ودفع به كلام الحساد وأهل العناد ، إلى أن توفي
 هشام المذكور . فاستبد القاضي بالأمر بعده وملك أكثر مدن الأندلس
 وحصونها . ولم ينتقل عن مدينة إشبيلية بل جعلها دار ملكه ، واستقامت
 له الأمور ، وأطاعته المدن والثغور ، واجتهد في جهاد الفرنج . وكان له في ذلك
 القدم المشهور ، ومات محمد في عشر الخمسين وأربعمائة ، وولى بعده
 ابنه عباد .

٢٣٢-ب

ذكر ولاية أبي عمرو عباد بن محمد

ولى بعد أبيه وتلقب المعتضد بالله ، وكان فيه كرم وبأس .
 فطابت أيامه ، وحسنت أفعاله ، واستقامت له الأحوال ، ورُفعت
 له من بلاد الأندلس الأموال . قال^(١) : واتفق له واقعة غريبة في سنة
 سبع وأربعين وأربعمائة ، وهي أنه شرب ليلة مع رجاله وندمائه فلما
 عملت فيه الخمر صرّفهم وخرج في الليل ومعه رجل واحد من عبّيديه .
 وسار نحو قرمونة وهي [تبعد]^(٢) عن مدينة إشبيلية ثمانية
 عشر ميلاً ، وكان صاحب قرمونة إسحاق بن سليمان البرزالي وقد
 اجرت بينه وبينه حروب .

٢٣٣-ا

(١) Santarcin مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي قرطبة وعل نهر تاجه قرب

انصابه في البحر المحيط (معجم البلدان ٣ : ٣٦٧) .

(٢) ابن الأثير في الكامل ٧ : ٢٩١ .

(٣) إضافة يقتضيا السياق .

فسار عباد حتى أتى قرمونة ، وكان إسحاق تلك الليلة في جماعة من أهل بيته يشربون ، فدخل عليه بعض خدامه فقال : إن صاحب الحرس ذكر أن المعتضد عباداً قائم على باب المدينة ليس معه إلا رجل واحد وهو يستأذن عليك ! فعجب القوم من ذلك غاية العجب ، وخرج إسحاق ومن عنده إلى باب المدينة فسلم على عباد وأدخله إلى القصر ، وأمر بتجديد الطعام والشراب . فلما شرع في الأكل تذكر ما فعل فسقط في يده ولم يطق أن يسفه ، وندم على ما صنع لما يعلم بينه وبين برزال من الحرب وسفك الدماء ، فأظهر التجلُد والانشراح ثم قال لإسحاق : أريد أن أنام !

فرفعه على الفراش ، فأراهم عباد أنه نائم ، فقال بعض القوم لبعض : هذا كبش سمينٌ حصل لكم ، والله لو أنفقتم عليه مُلْكَ الأندلس ما قدرتم على حصوله في أيديكم ، وهو شيطانُ الأندلس وإذا قُتل خلصت لكم البلاد !

فقام معاذ بن أبي قرة وكان من كُبرائهم فقال : والله لا فعلنا هذا ولا رضينا به ، رجلٌ قصدنا ونزل بنا ، ولو علم أننا نرضى فيه بقبيح لما أتانا مستأمناً إلينا ، كيف تتحدث القبائلُ عنا أننا قتلنا ضيفنا وخفرتنا إذ مِننا ، فعلى من يرضى هذا لعنةُ الله ! وهو يسمع فنزل عن السريور فقام القوم بأجمعهم / فقبلوا رأسه وجددوا السلام عليه فقال لحاجبه : أين نحن ؟ قال : في منزلك وبين أهلك وإخوانك ! قال : اثنوني بدواة وقرطاس .

فأتوه بهما ، فكتب أسماء القوم ، وكتب لكل واحدٍ بخلةٍ ودنانير وأقرايس وعبيد وجوارٍ ، وأمر أن يرسل كل واحدٍ منهم رسولاً ليقبض

ذلك . ثم ركب وخرج القوم يشيعونه إلى قرب إشبيلية ، فصرفهم ودخل . وأرسلوا من قبض لهم ما كتب به ، ثم أغفلهم ستة أشهر وكتب إليهم يستدعيهم لوليمة ، فجاءه سبعون رجلا منهم فأنزلهم عند رجاله ، وأنزل معاذًا عنده . وأمر بهم فأدخلوا حمامًا ، وبنى عليهم بابيه ، فماتوا جميعًا ، فعز ذلك على معاذ بن أبي قرة فقال له عباد : لا ترع فإنهم قد حضرت آجالهم وقد أرادوا قتلى ، ولولاك ما كنت ناجيا منهم ، وإنما جعل الله صيانه دمي بك ، فإن أردت الرجوع إلى بلدك رددتكم على أجمل الوجوه وأحسنها وأسرها ! فقال له معاذ : بنأي وجه أرجع أنا دونهم ؟

فأمر له المعتضد بألف دينار وعشرة أفراس وثلاثين جارية وعشرة أعبد ، وأنزله في قصر من أعظم قصوره ، وأقطعه في كل عام اثني عشر ألف دينار ، وكان ينفذ إليه في كل يوم التُّحَفَ والظرف . ولم يكن يحضر مجلسه أحد قبله / إلى أن مات عباد فأوصى ولده بمعاذ وقال : يا بني احفظني فيه ! فجرى فيه على عادة أبيه ، ودام بإشيلية حتى انقرضت دولة بني عباد .

٢٣٤ - ١

قال بعض أهل إشبيلية : رأيت معاذ بن أبي قرة يوم دخل يوسف بن تاشفين لإشبية أول النهار وعليه ثوب ديباج مخرطم بالذهب وأمامه نحو من ثلاثين عبداً ، ورأيته آخر النهار عليه ملبس (١) مشتمل به فسبحان من لا يزول ملكه ، نسأل الله تعالى أن لا يسلبنا ثوب نعمة أنعمها علينا بمنه وكرمه .

(١) الملبس : شيء من قماش (القاموس المحيط) .

وفي أيام عباد توفي الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن
 حزم بن غالب بن صالح بن سعدان بن سفيان بن يزيد الفارسي
 مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية . أصل آبائه من قرية
 مُنت ليمم من عمل الولاية ^(١) من كورغرب الأندلس ، وسكن هو
 وآباؤه قرطبة ونالوا بها جاهاً عريضاً ومالاً ومدوداً . وولي ابنُ أبي عامر
 جدّه سعيداً الوزارة ، وولي أبو محمد هذا الوزارة في أيام المستظهر
 بالله عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الأموي . وكان مولده يوم
 الأربعاء سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ووفاته في
 سلخ شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وكانت مدة حياته
 اثنتين وسبعين سنةً وأحد عشر شهراً . وله كثير من المصنفات ،
 اذكر أنه اجتمع مع الإمام أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن
 ٢٣٤ - ب أيوب الباجي صاحب التو اليف - وقيل بل الفقيه إبراهيم الخفاجي -
 فجرت بينهما مناظرة ، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد : تعذرني
 فإن أكثر مطالعتي كانت على سُرج الحُرَّاس ! فقال له ابنُ حزم :
 وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة ! ^(٢)

وفي سنة ستين وأربعمائة توفي المعتضد بالله عباد بن محمد ،
 وحكى أنه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل أول ما يبداً به فألا فكان
 أول شعر قاله :

نطوي الليالي علما أن استطوينا فشمشعينا بماء المزنِ واسقيننا

(١) ولبة جنوب غربي لبله على شاطئ المحيط الأطلنطي ، وفي ا ، ك ، ١٤٠ ،

ف ١٢٢ - ب « الولاية » بتصحيح »

(٢) ذكر ابن كثير طرفاً من أخباره في البداية والنهاية ١٢ : ٩١ تحت اسم « ابن حزم الظاهري »

فمات بعد خمسة أيام رحمه الله ، ولما مات ولى بعده ابنه

محمد .

ذكر ولاية المعتمد على الله

محمد بن عباد

ابن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد ، وكنيته أبو القاسم .
 ولى بعد وفاة أبيه في سنة ستين وأربعمائة ، وقيل في سنة إحدى
 وستين ، وكان مولده بباجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، فكان
 عمره حين ولى ثلاثين سنة . وكان فيه أدب وشعر وكرم / وتواضع
 وشجاعة ، قال أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة كاتبه
 يصف الدولة العبادية « كانت الدولة العبادية تشبه العباسية ، بها
 وسعة ملك ووثاق عهد وانتظام عقد ، وعدل أئمة وامتداد أمة ، كان
 أربابها يتنافسون في المكارم ويتغايرون على الشرف المتقادم . .

١-٢٣٥

من حلبة السَّبِق لا برقٍ يخاطِفُها إلى مداها ولا ریحٌ يجارِها
 تردُّهم تِسْبَةٌ نحوَ السماء فهم من مانها ، وعلاهم من درارِها
 يشجر إلى المنذر بن ماء السماء ، ثم قال « جمعوا كرم الأخلاق
 إلى ترف الأعراق ، وحملوا حلى الأدب على الأحساب ، وعضدوا
 البأس بالكرم وأيدوا بالسيف والقلم ..

نفر إلى ماء السماء نمسأهم نسب على أوج النجوم مخيم
 بالبيض والبيضات والخلق اكتسوا
 فتوتسحوا وتوتجوا وتعمموا

وكان هذا البيت سريراً للفلك الدائر وغريبه البحر الزاخر المعتمد على الله المؤيد بنصر الله أبو القاسم محمد ، وذكر نَسَبَهُ ، ثم قال : من بنى المنذر وهو انتساب ... البيتين ، وقد ذكرناهما آنفاً ، وقال تِلْوَهُمَا : وكذلك يَطْرُدُ النَّسَبُ اطْرَادَ / الشَّابِيبِ ، ويتسَّقُ ٢٣٥-ب
إِتْسَاقَ الْأَنْبَابِ ، فهو كما قيل :

شِوْفٌ يُنْقَلُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمْحِ أَنْبُوبٌ عَلَى أَنْبُوبٍ
إلى مركز الدائرة من لحم وواسطة المنتخبين من يعرب وقحطان !
ثم ذكر مولده وولايته على ما قدمنا وذكر خَلْعَهُ في سنة أربع وثمانين على ما تذكره إن شاء الله .

وكان سبب خلعه وانقراض دولته أن الفرنج - لعنهم الله - لما استولوا على طليطلة وملكها الأذفونش - وهو أَلْفُنْش - في سنة ثمان وسبعين وأربعمئة على ما قدمناه. وكان المعتمد . يؤدي إليه ضريبة في كل سنة ، فلما سيرها إليه بعد استيلائه على طليطلة لم يقبلها وأعادها ، وأرسل إليه يتوعده ويقول له : أنا آخذ مدينة قرظبة كما أخذت طليطلة إلا أن ترفع يدك عن جميع الحصون وتسلمها إلينا ويكون لك السهل من البلاد !

وكان الرسولُ تسليب اليهوديِّ ومعه خمسمائة فارس ، وطلب منه اثني عشر ألفَ دينار ، فأمر المعتمد بإتزال الخيالة على أهل العسكر متفرقين وأمر كلَّ من عنده فارس منهم أن يقتله . ولما جنَّ الليل أحضر اليهوديَّ وكشف رأسه ، وأمر بضربه بالنعال المسمرة ، حتى خرجت عيناه من رأسه . وهرب من الخيالة ثلاثة ، فوصلوا إلى

١-٢٣٦ إلى الأذفوشمن وأعلموه بِقَتْلِ أصحابه وكان متوجها إلى قرطبة يريد حصارها - فلما جاءه الخبر وجع إلى طليطلة ليستعد ويُهَيِّئُ آلات الحصار .

فلما سمع المعتمد برحيله إلى طليطلة سار هو إلى إشبيلية فبلغ مشايخ قرطبة ما جرى ، فاجتمعوا بالفقهاء وقالوا : هذه مدائن الأندلس قد غابَ عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل ، وإن استمرت الأحوال على ما ترى عادت نصرانية كما كانت ! ثم ساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له : ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة وإعطائهم الجزية إلى الفرنج بعد أن كانوا يأخذونها منهم ، وابن عبَّاد هو الذي حمل الفرنج على المسلمين حتى جرى ماجرى وطلب منه ماطلب ، وقد دبرنا رأيا نعرضه عليك ! قال : وما هو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب أفريقيا ونعلمهم أنهم إن وصلوا إلينا قاسمناهم في أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله تعالى ! قال : أخاف أن يخربوا الأندلس كما فعلوا بأفريقية ويتركوا الفرنج ويبدأوا بكم والمرابطون أقرب إلينا وأصلح حالا . قالوا : فكاتب يوسف بن ناشفين ورغب إليه أن يدخل إلينا بنفسه أو يرسل إلينا قائدا من قواده . قال : أما الآن فقد أشرتم برأى فيه السداد !

وقدم المعتمد إلى قرطبة في أثر ذلك ، فدخل عليه القاضي وأعلمه بما دار بينه وبين أهل قرطبة وما اتفقوا عليه ، فقال المعتمد : نعم ما أشاروا به وأنت رسولي / إليه ! فامتنع القاضي واستعفاه

وإنما أراد أن يقوّي عزمه على إرماله فقال : لا أجد لها غيرك .
فسار القاضي ، وصحبه أبو بكر بن القصيرة الكاتب إلى أمير
المسلمين ، فوجداه بسبته ، فأبلغاه الرسالة . وأعلماه بحال المسلمين
وما هم عليه من الخوف والجزع من الأذفونش ، وأنهم يستنصرون
بالله ثم به ؛ وأن المعتمد يستنجد به عليه . فأمر يوسف في الحال
بإدخال العساكر إلى الجزيرة الخضراء ، وأقام بسبته وأنفذ
إلى مراكش في طلب من بقى ، ودخل في آخر العساكر .. هذا
ما نقله أهل التاريخ ، أن القاضي وابن القصيرة كانا رسولين إليه ،
وقيل إن المعتمد بن عبّاد سار بنفسه بغير واسطة وتلطف في اللخول
عليه إلى أن انتهى إلى آخر بواب فقال له : قل للأمير المسلمين
إن ابن عبّاد بالباب ! فلما أعلمه بذلك ارتاع وظن أنه قدم
بعساكره ، وسأله عن حقيقة الحال فقال : هو ببابك وخذهُ
فأذن له ، فدخل عليه ، فأكرمه ووعدته النصر . وعاد ابن عبّاد ،
ولحقه أمير المسلمين .

ذكر وقعة الزلاقة

وانهزام الفرنج لعنهم الله

قال (١) : وجمع المعتمد العساكر وأقبل أمير المسلمين ٢٣٧ - ١
بعساكره ، واجتمعوا كلهم بإشبيلية ، وخرج من أهل قرطبة -
من المتطوعين - أربعة آلاف فارس ورجال . وجاء المسلمون من
بلاد الأندلس ، من كل بلد وحصن . واتصلت الأخبار بالأذفونش ،

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

فخرج من طليطلة في أربعين ألف فارس غير من أنضاف إليها،
وكتب إلى يوسف كتابا كتبه عنه رجل من أدباء المسلمين يغلظ
فيه القول ويصف ماعنده من القوة والعُدَد والعَدَد ، ووسَّع وأطال
وبالغ . ووصل الكتاب إلى يوسف بن تاشفين فأمر الكاتب أبا بكر
ابن القصيرة أن يجاوبه . وكان كاتبها مجيدا - فكتب وأطال وبالغ ،
فلما قرأه على يوسف استطاله وكتب على ظهر كتابه ، الذي يكون
ستراه .

ولا كُتِبَ إلى المُشْرِفِيَّةِ والقنَا ولا رُسل إلا بالخميسين الترمز

ورده إليه ، فلما قرأ الجواب ارتاع وقال : هذا رجل له عزم !
قال (١) : ولما استعد الأذفونش للقاء رأى في منامه كأنه راكبٌ
فيلا وبين يديه طبل صغير ينقر فيه ، فقص ذلك على القسيسين
فلم يعرفوا تأويله ، فاستحضر رجلا مسلما علما دينًا فاستغفاه من
القول فأمنه وعزم عليه ، فقال : تأويل هذه الرؤيا في آيتين من
كتاب الله عزَّ وجلَّ ! وقرأ سورة الفيل ، وقوله تعالى « فإذا نُقِرَ في
النَّاقُورِ فذلك يومئذٍ يومٌ عسيرٌ على الكافرين غيرُ يسيرٍ » (٢) وذلك
يقتضى هلاك الجيش الذي تجمهه .

٢٣٧ ب

فلما اجتمع الجيشُ وعبَّاهُ أعجبه كثرتُه ، فاستحضر المُعبِّرَ
وقال له : هذا الجيشُ الذي ترى ألقى به محمداً صاحبَ كتابِكُم !
فانصرف المُعبِّرُ عنه وقال : هذا الملكُ هالكٌ لا محالة وكلُّ مَنْ معه

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

(٢) سورة المدثره الإيتان ٨ ، ٩

فإنه قد أعجِبَ بِجَمْعِهِ ... وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم
: ثلاث مهلكات « الحديث ...

قال (١) : وسار المعتمدُ بنُ عبَّادٍ وأميرُ المسلمين بالعساكر
حتى أتوا موضعا يقال له الزلاقة من بلد بطليوس (٢) وأتى
الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم - ثمانية عشر ميلا ، فقيل
ليوسف بن تاشفين إن ابنَ عبَّادٍ ربما لم يُنصَحَ ولا يبذل نفسه ،
دونك ، فأرسلَ تقول له « كُنْ في المقدمة ونكون نحن في أثرك » .
فتقدَّم ابنُ عبَّادٍ .

وضرب الأذفونش خيامه في سفح جبل والمعتمدُ بن عبَّادٍ في سفح
جبل آخر بحيث يتراءان ، ونزل يوسف بن تاشفين في جبل
من وراء الجبل الذي فيه المعتمد . وظنَّ الأذفونش أن عسكر
المسلمين ليس إلا ذاك الذي يظهرُ له مع المعتمد والأذفونش في زهاء
خمسين ألف فارس ، فما شكَّ أنه الغالب واستعمل الخدعة . وأرسل
ابنُ عبَّادٍ في ميعات اللقاء يوم الخميس ، وقال : نحن
قد وصلنا على حال تعبٍ وأمامكم الجمعة وأمامنا الأحد فيكون اللقاء
يوم / الإثنين بعد أهبةٍ ! فاستقر الأمرُ بينهما على ذلك .

٢٣٨ - ١

ثم ركب الأذفونش صبيحة الجمعة ليلا ، وصبحَ بجيشه
جيش المعتمد ، فوقع القتال بينهم ، فصبر المسلمون وقتل منهم
خلقٌ كثيرٌ ، وأشرفوا على الانهزام . وقد كان المعتمد أرسل إلى ابن

(١) ابن الأثير في الكامل ٨ : ١٤٢

(٢) Badajoz وكان صاحبها إذ ذاك ابن الأظنر وقال ياقوت إنها مدينة كبيرة
. الإنديس من أعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبه (معجم البلدان ١ : ٤٤٧) .

تاشفين فقال للآدِلَّةِ : احملوني إلى مضارب الأذفونش ! فما شعر الفرنج إلا وقد نُهِبَتْ خيامُهم وخزائنُ الأذفونش وعُدُّه ، والقتلُ يُعمل فيهم من رواء ظهورهم . فلم يتمالك الفرنج أن انهزموا وأخذهم السيف من كلِّ مكان ، فقتلوا عن آخرهم ، فما سَلِمَ إلا آحاد ! وهرب الأذفونش في نَفَرٍ يسيرٍ ودخل طليطلة في سبعةِ فوارس ، ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غيرُ ثلاثمائة نفرٍ أكثرهم رجالة .

وكانت هذه الوقعة في يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأصاب المعتمد جراحاً في وجهه ، ووُصِفَ في ذلك اليوم بالشجاعة . وغنم المسلمون من أموال الفرنج وأسلحتهم ما لا يُحصى كثرةً ، وجعل المسلمون رؤوسَ القتلى كوماً كبيراً وصعدوا عليه وأذنوا إلى أن جافت فأحرقوها ! .

وعاد المعتمدُ إلى إشبيلية ، ورجع أميرُ المسلمين إلى الجزيرة الخضراء وعدى إلى سبته وسار إلى مراکش . وعاد في السنة الثانية إلى جزيرة الأندلس وحاصر / لبطة ^(١) هو وابنُ عباد وصاحبُ غرناطة ^(٢) ، فلم يتهيباً لهم فتحه ، فرجع وأخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكمين ، وهي أول ما ملكك من بلاد الأندلس على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ب-٢٣٨

(١) كذا في جميع النسخ ولعلها لبطيط التي ذكرها ياقوت وقال إنها بالأندلس من أعمال الجزيرة الخضراء (٥ : ١٠) .

(٢) Granada وقد سبق الإشارة إليها ، ونذكر هنا أن صاحبها كان باديس بن حبوس قبل مجيء يوسف المرابط ، واستولى على ماله ، وكان مزاحماً خطيراً للمعتضد أبي المعتمد بن عباد .

ذكر انقراض الدولة العبادية

وشىء من أخبار المعتمد وشعره

في سنة أربع وثمانين وأربعمائة أتى يوسف بن ناشفين إلى سبتة ودخل العساكر إلى الأندلس مع سيرين [بن] ^(١) أبي بكر ، فقصدوا مدينة إشبيلية ، فحصرها المعتمد وضيقوا عليه . فقاتل قتالا شديداً ، وظهر من شجاعته وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يُشاهد من غيره فسمع الفرنج يقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس ، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم ، فجمعوا وأكثروا وساروا لمساعدة المعتمد وإغاثة على المرابطين . فلما سمع بمسيرهم ^(٢) فارق إشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج ، وقابلهم وهزمهم ، ورجع إلى إشبيلية . وداوم الحصار والقتال إلى الشهرين من شهر رجب من السنة ، فعظم الخطب واشتد الأمر على أهل البلد . ودخله المرابطون من واديه ونهبوا الأموال ، ولم يُبقوا على شيء حتى سلبوا الناس ثيابهم ، وخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بيديهم .

٢٣٩ - ١

وأمر المعتمد معه أولاده الذكور والإناث ، بعد أن استأصلوا جميع أموالهم . وقيل إن المعتمد سلم البلد بأمان ، وكتب نسخة الأمان والعهد ، واشتدحهم على نفسيه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق به . فلما سلم إليهم إشبيلية لم يفوا له ، وسيّر المعتمد

(١) زيادة من ك صفحة ١٤٣ .

(٢) في أه فلما سير خبرهم « يعني سيرين بن أبي بكر .

إلى مدينة أغمات (١) ، فحُبِسُوا بها ، وفعل بهم أمير المسلمين
أفعالا قبيحة لم يفعلها أحد قبله . وذلك أنه سجنهم ولم يُجْر عليهم
مايقوم بهم ، حتى كان بناتُ المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها
على أنفسهم ، فأبان أمير المسلمين في ذلك عن لؤم طباع وضيق
نفس .

قال (٢) : وبقي المعتمد في حَبْسِه بأغمات إلى سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة ،
[فتوفى فيها ، وقبره بأغمات . فكان من بنى عباد ثلاثة ؛ القاضى محمد
ابن إسماعيل ، وابنه عباد ، ومحمد بن عباد هذا ، ومدة مُلكِهِم
ستون سنةً ، وكان له من الأولاد الذكور والإناث] (٣)

وكان رحمه الله من محاسن الزمان كرما وعلما ورتاسةً
وأخباره مشهورة وآثاره مدونة . وقد ذكره ابنُ خاقان في « قلائد
العقيان » ، وذكر شيئا من نظمه ونثره . وكان شاعرُه أبا بكر
محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن اللبّانة (٤) يأتيه في سجنه
فيمدحه لإحسانه القديم إليه وبره الذى بقيت آثاره مع طول
الزمن عليه ، قال ابن اللبّانة : فأمضيت عزيمتى بعد انقضاء

(١) مدينة قرب مراکش .

(٢) ابن الأثير فى الكامل ٧ : ٢٩١

(٣) بياض فى الأصل ، وفى ك ، ف أيضا .

(٤) لم يكن هذا الشاعر منقطعا لابن عباد ، وإنما كان يتنقل بين ملوك الأندلس

وقصته هنا دليل على وفائه ، وما قاله فى صاحب مهورقة :

وغمرت بالإحسان أرض مهورقة وبنيت مالم يبنه الإسكندر

الدولة في زيارته ، فوصلت إليه بأغامت ، فقلت في ذلك أبياتا عند دخولي عليه .

لم أقل في النِّقَافِ كان نِقَافاً كنتُ قلباً له وكان شغافاً
يمكث الزَّهْرُ في الكِمامِ ولكن بعد مُكثِ الكِمامِ يدنو قطافاً
وإذا ما الهلالُ غابَ بغيماً لم يكنْ ذلك المغيبُ انكسافاً
إنما أنتِ درَّةٌ للمعالي ركبَ الدهرُ فوقها أضدافاً
حجَبَ البيتُ منك شخصاً كريماً مثل ما يحجب الدنانُ السلافاً
أنتِ للفضلِ كعبةٌ ولو انى كنتِ أسطىح لالتزمتِ الطوافاً

قال : وجرت بيني وبينه مخاطباتٌ ألدُّ من غفلات الرقيب ، وأشهى من رشقات الحبيب ، وأدلُّ على السباح ، من فجرٍ على صباح - قال - فلما قاربت الصدر وأزمت السفر ، صرف حبله واستنفذ ما قبله ، وبعث إلى شرف الدولة ابنه - وكان من أحسن الناس سمناً وأكثرهم صمتاً ، تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة ، حريصاً على طلب الأدب مسارعاً في اقتناء الكتب ، مشابراً على نسخ الدواوين ففتح من خطه فيها زهر البساتين - بعشرين مثقالاً مرابطية^(١) وثوبين / غير مخيطين ، وكتب مع ذلك أبياتا منها : ٢٤٠ - ١

إليك التزَّر من كفِّ الأسيرِ وإن تقنَّع نكنَّ عينَ الشكورِ
تقبَّل ما ندوتُ به جِراء وإن غدرتْ حالات الفقييرِ

قال ابن اللبانة فأجبتة :

حاش لله أن أحيجَ كريماً يتشككى فقراً وكم سدَّ فقراً
وكفاني كلامك الرطب نيلاً كيف ألقى ذراً وأطلب تيبراً
لم تمت إنما المكارم ماتت لاسقى الله بعدك الأرض قطراً

مما قاله المعتمد من شعره في مدة أسره - فمن ذلك - قوله :

سَلَّتْ عَلَى يَدِ الْخُطُوبِ سُيُوفُهَا فَجَرَزْنَ مِنْ جَسَدِي الْخَصِيفَ الْأَمْتَا
ضَرَبَتْ بِهَا أَيْدِي الضَّرُوبِ وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ رِقَابَ الْأَمْنِيِّنَ بِهَا الْمِي
يَا آمِلِي الْعَادَاتِ مِنْ نَفْحَاتِنَا كُفُّوا فِي الدَّهْرِ كَفَّ أَكُفْنَا

وقال في قصيدة يصف القيد في رجليه :

تَعَطَّفَ مِنْ سَرَايِ تَعَطَّفَ أَرْقَمِ يساورها عَضَا بِأَنْيَابِ ضَيْغَمِ
وَإِنِّي مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسَيْبِهِ مِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةِ وَجْهِهِ

وقال في يوم عيد :

فِي مَاضِي كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَصِرْتُ كَالْعَبْدِ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورَا
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ يَأْمُرُهُ مِمْتَثَلَا فَردَكَ الدَّهْرُ مَنِيهِيَا وَمَأْمُورَا
إِنَّ مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ فإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورَا

٢٤٠ - ب

وتعرض له أهل الكندية وهو في الحبس فقال :

سَأَلُوا الْيَسِيرَ مِنَ الْأَسِيرِ وَإِنِّهِ بِسُؤَالِهِمْ لِأَحَقِّ مِنْهُمْ فَاغْجِبِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ لُخْمِيَّةٍ طَى الْحِشَا لِحِكَاہِمُ فِي الْمَطْلَبِ

ورثا ولديه وقد ذبحا بين يديه فقال :

يقولون صبراً .. لا مسبيل إلى الصبر
مسأبكي وأبكي ما قطاول من عُمرى

أفتح .. لقد فتحت لي بابَ رحمةٍ
 كما بيزيدَ اللهُ قد زاد في أجرِي
 هوَى بِكُمْ المَقْدَارُ عَنِّي ولم أُمْتُ
 فأدعى وفيًا قد نكصتُ إلى الغدْرِ
 ولو عُدتما لاخرتما العودَ في الثرى
 إذا أنتما أبصرتماني في الأسرِ
 أبا خالدٍ أورثتني البثَّ خالدا
 أبا النصرِ مُذْ ودعت ودعني نصرى

قال : وكان الشيخ عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمد يس
 توجه من المغرب إلى الأندلس في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ،
 فقصده المعتمد ، وأقام عنده إلى أن خلع ، فكتب إليه المعتمد بعد
 أن عاد إلى المهديّة :

غريبٌ بأقصى المغربين أسيرُ يُبكي عليه منبرٌ وسريرُ
 أذلُّ بني ماء السماء زمانهم وذلُّ بني ماء السماء كثيرُ
 فما ماؤها إلا بكاء عليهم يفيض على الآفاق منه بحورُ
 فأجابه محمد بن حمد يس :

١-٢٤١

جرى لك جدٌ بالكرام عثورُ وجار زمانٌ كنت منه تجيرُ
 لقد أصبحت بيض الطباقي غمودها إنانا بترك الضربِ وهي ذكورُ

ولما رحلتُم بالندي في أكفكم وقلقل رضوى منكم وشبير
 رفعتُ لساني بالقيامة قد دنتُ ألا فانظروا كيف الجبالُ تسير؟
 قال ولما توفي المعتمد وقف ابنُ اللبانة على قبره في يوم عيد -
 والناسُ عند قبور أهاليهم - وأنشد بصوت عال :

مالك الملوكة أسمعُ فأنادي أم قد عداك عن الجواب عواد
 لما خلّت منك القصورُ ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
 قبلتُ في هذا الشرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضعَ الإنشاد
 وأخذ في إتمام القصيدة ، فاجتمعُ الناسُ كلُّهم عليه ليكون
 لبكائه وإنشاده . وحكى بعض المعتنين بأخبارهم أن فخر الدولة
 ابن المعتمد على الله مرَّ يوماً في بعض شوارع مدينة إشبيلية ، فطمحت عينه
 إلى روشن قرأى وجها حسناً فتعلق قلبه به ، ولم يمكنه الوصول ،
 فخامره الهوى ومرض من ذلك . فاتصل خبره بأبيه ، فسأل
 عن المرأة فقيل إنها ابنة رجل خباز ، فأمر الوزير أن ينفذ إلى أبيها
 ويخطبها منه . فأرسل إليه الوزير فعلم ما يُراد به ، فامتنع من الوصول
 إليه وقال : هو أحقُّ بالوصول إلى في هذه الحالة !

فأعلم المقتدر بذلك فقال : تصلُّ إليه وتخطبها . فلما وصل
 إليه وخطبها قال الخباز للوزير : آلهُ صنعةٌ ؟ فقال الوزير : ابنُ
 المعتمد يُطلبُ منه صنعة وهو سلطان الأندلس ؟ فقال له : أمها طالق
 إن زوجها إلا مَنْ له صناعةٌ يَسْتُرُ حاله وحالها بها إن احتاج إليها .
 فأعلم الوزير المعتمد فقال : هذا رجل عاقل ! فأمر بإحضار
 الصباغة إلى القصر وعلم فخر الدولة الصباغة وحذق فيها فلما جرى

عليهم ماجرى دخل حوانيت الصاغة ، وصاغ بالأجره فرآه ابنُ اللبانة
وهو ينفخ في بعض الحوانيت فقال :

أذكى القلوبَ أثنى ، أبكى العيونَ دماً
خَطْبٌ وُجُودُكَ فيه يشبه العدماء

صرفت في آلة الصياغ أنملة
لم تذر إلا الندى والسيف والقلماء

باصانغاً كانت الدنيا تُصاغُ له
حلياً وكان عليه الحلي منتظماً

التفخ في الصور هؤل ما حكاه سوى
هؤل رأيتك فيه تنفخ الفحصاء

قال : ولما انقرضت الدولة العبادية صار مُلكُ بلاد المسلمين
إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب مراكش والمغرب ،
وسنذكر ذلك إن شاء الله في أخباره .

[ذكر ممالك الأندلس الأخرى] (١)

وأما سرقسطة والثغر الأعلى / فكان ذلك بيد منذر بن يحيى إلى أن
توفى وولى بعده ابنه يحيى ، ثم ولى بعده سليمان بن أحمد بن محمد
ابن هود الجذامى ، وكان يُلقبُ بالمستعين ، وكان من قواد منذر على
مدينة لاردة ، وله وقعة مشهورة مع الفرنج في سنة أربع وثلاثين
وأوبعمائة . ثم توفى وولى بعده ابنه أحمد المقتدر بالله ، وولى بعده

(١) عنوان ليس موجوداً في النسخ ولكن المقام يقتضيه (ك ١٤٦ ، ف ١٢٧ - ب)

يوسف المؤمن ، ثم ولى بعده أحمد المستعين على لقب جدّه ، ثم ولى ابنه عماد الدولة . ثم ابنه أحمد المستنصر بالله ، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة ، وصارت للملكيين .

وأما طرطوشة فوليتها الفتى العامرى .

وأما بلنسية فكانها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن المنصور بن أبى عامر ، ثم انضاف إليه المرية ، وما كان إليها . وبعده ابنه محمد ، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذى النون فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . .

وأما السهلة (١) فملكها عبود بن رزين ، وأصله بربرى ، ومولده بالأندلس . فلما هلك ولى بعده ابنه عبد الملك ، ثم ابنه عز الدولة ، ثم الملكون .

وأما دانية (٢) والجزائر فكانتا بيد الموفق أبى الجيش مجاهد العامرى ، وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله المعيطى ومعه خلق كثير . فاقامه مجاهد شيبه خليفة يهرند عن رأيه ، وبإيعاه فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة . وأقام المعيطى معه بدانية نحو ثلاثة أشهر ، ثم سار هو ومجاهد فى البحر إلى الجزائر وهى

٢٤٢-ب

(١) جاء فى المغرب ٢ : ٤٢٧ « هى بن ملكة بلنسية وجهات ثغر سرقطة ، وحضرتها مدينة شتمرية ، ملكها فى مدة ملوك الطوائف هذيل بن خلف بن رزين البربرى » فقارن بين ماقى النصين !

(٢) بلد فى مقاطعة بلنسية ولكنه كما ورد فى المغرب ٢ : ٤٠٠ كاد يكون « ملكة منقطعة عن بلنسية لعظم ما احتوى عليه » وقد سُمى الموفق هنا « ملك الجزائر لغزوه للتصارى فى البحر ولا سيما سردانية .

ميورقة ومنورقة ويابسة^(١) . ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهداً إلى سردانية في مائة وعشرين فارساً ومعه ألف فارس ، ففتحها في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة وقتل بها خلقاً كثيراً من النصارى ، وسبى . فصار إليه الفرنج والروم في آخر السنة فأخرجوه منها ، فرجع إلى الأندلس فوجد المعيطى قد مات . وبقي مجاهدٌ إلى أن مات ، وولى بعده ابنه على بن مجاهد ثم مات ، فولى بعده ابنه أبو عامر . ثم صارت دانية وسائر بلادها إلى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود ، في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وأما مُرْسِيَّة فوليتها بنو طاهر ، واستقامت رئاستها لأبي عبد الرحمن المدعو بالرئيس إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبي بكر بن عمّار القهرى ، فلما ملكها عصى على المعتمد فيها ، فوجه إليه عسكرياً مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق العشيري فحصره . وضيقوا عليه فهرب منها ، ودخلها العشيري وملكها فعصى فيها على المعتمد ابن عباد إلى أن دخل في طاعة الملثمين ، وبقي بها إلى أن مات في سنة سبع وخمسمائة .

وأما المرية فملكها خيران العامرى إلى أن توفي ، وملكها زهير العامرى واتسع ملكه إلى شاطبة إلى ما يجاور عمل طليطلة . ودام إلى أن قتل وصارت مملكته إلى المنصور أبي الحسن بن أبي عامر -

(١) يابسة جزيرة تلى منورقة Minorca ويقال هذه الجزيرة ولنورقة بنتا جزيرة ميورقة Majorca (صفة جزيرة الأندلس ١٩٨) .

صاحب بلنسية ، فولى عليها محمداً ابنه ، فأقام بها مدةً في حياة أبيه وبعد وفاته إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص معن بن محمد ابن حمادح التجيبي . وذانت له لورقة وبياسه^(١) وجيان وغيرها ، إلى أن توفي في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو يحيى محمد ابن معن - وهو ابن أربع عشرة سنة - فكفله عمه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفي في سنة ست وأربعين وأربعمائة . فبقى أبو يحيى مستضالاً لصغره ، وأخذ ما بعد من بلاده عنه ، ولم يبق له غير إمريية وما جاورها . فلما كبر أخذ نفسه بالاشتغال بالعلوم ومكارم الأخلاق ، فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق بأكابر الملوك . ودام بها إلى أن نازله جيش المثلثين فمرض في أثناء ذلك ، وكان القتال / تحت قصره فسمع يوماً صياحاً وجلبه فقال : يغص علينا كل شيء حتى الموت ! وتوفي في مرضه ذلك لثان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وملك المثلثون إمريية . ودخل أولاده وأهله في البحر إلى بجاية^(٢) ، والتحقوا ببني حماد .

وأما مالقة فلما كهاهنوعلى بن حمود ، فلم تزل في مملكة العلويين يُخطب لهم فيها بالخلافة إلى أن أخذها منهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة .

٢٤٣-ب

(١) بياسة على النهر الذي يقضى إلى إشبيلية ، وبينها وبين جيان مشرون نيل (صفة الأندلس ٥٧) .

(٢) بجاية مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، وهي في لفت جبل شاقق (معجم البلدان ١ : ٢٢٩) .

وأما أَعْرَنَاطة فملكها حيوس بن ماكسني الصنهاجي ، ثم مات في سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه باديس إلى أن توفى وولى بعده ابن أخيه عبد الله بن بُلْكَيْن (١) . وبقى إلى أن ملكها منه المثلثون في شهر رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

وانقرضت جميع هذه الدول ، وصارت الأندلس جميعها للملثمين على ما ذكره إن شاء الله - عز وجل - في أخبارهم أيام أمير المسلمين . يوسف بن تاشفين . ولما كانت جزيرة الأندلس بيد هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم ، كانوا يُسَمُّونَ بملوك الطوائف وبسبب انفراد كل ملك منهم بجهة استولى الفرنج على طليطلة كما ذكرنا .

(١) يرد في المطان بلقين ، بن حيوس الزيري .

ثبت بأسماء المراجع العربية المذكورة في الحواشي

- ١ - مسكوبه : تجارب الأمم وتعاقب
الهمم ط . القاهرة سنة ١٩٢٠
- ٢ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩
- ٣ - عرب القرطبي : صلة الطبرى ط . الاستقامة سنة ١٩٣٩
- ٤ - على بن موسى : المغرب فى حلى المغرب ط . دار المعارف بمصر
- ٥ - الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ
الوزراء ط . بيروت سنة ١٩٠٤
- ٦ - ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب
السلطانية ط . دار المعارف (الثانية)
- ٧ - البهقى : تاريخ البهقى ط . الانجلو سنة ١٩٥٦
- ٨ - ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك
والأمم . ط . حيدر اباد الدكن (الأولى)
- ٩ - العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار
من ذهب ط . القدس سنة ١٣٥٠
- ١٠ - ابن كثير : البداية والنهاية ط . السعادة بمصر .
- ١١ - أبو المحاسن بن تغرى بردى :
النجوم الزاهرة ط . دار الكتب (الأولى)

- ١٢- المقرئى : كتاب السلوك لمعرفة
 دول الملوك ط . دار الكتب المصرية
- ١٣- ابن حنول : تفصيل الأثر الكعلى سائر
 الأجناد ط . اسنبول سنة ١٩٤٠
- ١٤- ابن الأثير : الكامل ط . المنيرة سنة ١٣٤٨
- ١٥- ابن سائمان الراوندى :
 راحة الصدور وآية
 السرور ط . دار القلم بالقاهرة
- ١٦- المقرئى : نفع الطيب ج ١ ط . التجارية ١٩٤٩
- ١٧- ياقوت : معجم البلدان ط . دار صاى بيروت سنة ١٩٥٢
- ١٨- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس
 منخبه من كتاب الروض
 المعطار فى خبر الأقطار ط . لجنه الأليف والترجمة
 والنشر سنة ١٩٣٧

فهرس

الجزء الثالث والعشرون

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

٥	مقدمة
١١	ذكر خلافة المكتنى بالله
١٢	ذكر قتل بدر غلام المعتضد بالله
٢٢	ذكر وفاة المكتنى بالله
٢٢	ذكر خلافة المقتدر بالله
٢٣	ذكر خلافة المقتدر بالله
		ذكر خلغ المقتدر وولاية ابن المعتز ، وانتقاص ذلك وعودة المقتدر ووفاة
٢٦	عبد الله ابن المعتز
٣٤	ذكر القبض على ابن الفرات ووزارة الخاقاني
٣٧	ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة على بن عيسى
٤١	ذكر خروج الحسين بن حمدان عن طاعة المقتدر
٤٢	ذكر وزارة ابن الفرات الثانية وعزل على بن عيسى
٤٥	ذكر أمر يوسف بن أبي الساج
٥١	ذكر عزل ابن الفرات عن الوزارة ووزارة حامد بن العباس
٥٧	ذكر قتل الحسين بن منصور الخلاج وشيء من أخباره
٦٢	ذكر عزل حامد بن العباس وولاية ابن الفرات
٦٨	ذكر القبض على ابن الفرات الوزير وولده المحسن
٧٥	ذكر وزارة أبي القاسم الخاقاني
٧٥	ذكر مقتل ابن الفرات وولده
٧٤	ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة ووزارة أبي العباس الخصبي
٧٥	ذكر عزل أبي العباس الخصبي ووزارة على بن عيسى
٧٧	ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر بالله وبين مؤنس
٧٩	ذكر عزل على بن عيسى عن الوزارة ووزارة أبي على بن مقله
٧٩	ذكر الحرب بين فازوك وهارون بن غريب الخال وابي جاش مؤنس

- ٨١ ذكر خلع المقتدر بالله وبيعة القاهر
- ٨٤ ذكر عود المقتدر بالله إلى الخلافة وقتل نازوك وابن حمدان
- ٨٩ ذكر هلاك الرجال المصافية
- ٩٠ ذكر عزل ابن مقله ووزارة سليمان
- ٩١ ذكر خروج صالح والأغر
- ٩٣ ذكر عزل سليمان عن الوزارة وتولية أبي القاسم الكلوذاني الوزارة
- ٩٤ ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين
- ٩٥ ذكر تأكيد الوحشة بين مؤنس والمقتدر
- ٩٦ ذكر مسير مؤنس إلى الموصل
- ٩٧ ذكر عزل الحسين عن الوزارة ووزارة ابن الفرات
- ٩٧ ذكر استيلاء مؤنس على الموصل
- ٩٨ ذكر مقتل المقتدر بالله
- ١٠٥ ذكر خلافة القاهر بالله
- ١٠٧ ذكر خبر عبد الواحد بن المقتدر ومن معه
- ١٠٩ ذكر استيحاء مؤنس وأصحابه من القاهر
- ١١٠ ذكر القبض على مؤنس المظفر ويليق الحاجب وابنه
- ١١٤ ذكر مقتل مؤنس ويليق وابنه على والنوحي
- ١١٥ ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم وعزله وولاية الخضيري
- ١١٥ ذكر القبض على طريف السبكري
- ١١٦ ذكر خلع القاهر وسمله وشيء من أخباره
- ١٢١ ذكر خلافة الرازي بالله
- ١٢٣ ذكر مقتل هارون بن غريب
- ١٢٤ ذكر مقتل الشلمغاني ومذهبه
- ١٢٨ ذكر ظهور إنسان ادعى النبوة
- ١٢٩ ذكر القبض على أبي ياقوت
- ١٣٠ ذكر حال أبي عبد الله محمد البريدي وتقدمه
- ١٣١ ذكر مسير ابن مقله إلى الموصل
- ١٣٢ ذكر القبض على الوزير ابن مقله ووزارة عبد الرحمن بن عيسى وغيره
- ١٣٤ ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن
- ١٣٦ ذكر وزارة الفضل بن جعفر (بن الفرات)
- ١٣٧ ذكر مسير الرازي بالله لحرب البريدي
- ١٤٢ ذكر استيلاء معز الدولة بن بويه على الأهواز
- ١٤٤ ذكر الحرب بين مجكم والبريدي والصلح بعد ذلك

- ١٤٥ ذكر قطع يد ابن مقله ولسانه ...
 ١٤٧ ذكر استيلاء مجكم على بغداد وثنى من أخباره ...
 ١٤٩ ذكر مسير الراضى بالله ومجكم إلى الموصل وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام ...
 ١٥١ ذكر وزارة أبى عبد الله البريدى للخليفة الراضى بالله ...
 ١٥٢ ذكر وفاة الراضى بالله وثنى من أخباره ...
 ١٥٤ ذكر خلافة المتقى لله ...
 ١٥٦ ذكر مقتل مجكم ...
 ١٥٧ ذكر إصعاد أبى عبد الله البريدى إلى بغداد ...
 ١٥٨ ذكر عود البريدى إلى واسط هاربا ...
 ١٥٩ ذكر إمارة كور تكين الديلمى ...
 ١٦٠ ذكر عود محمد بن رائق إلى بغداد وولايته إمرة الأمراء ...
 ١٦٣ ذكر وزارة أبى عبد الله البريدى ...
 ١٦٤ ذكر استيلاء البريدى على بغداد وإصعاد المتقى لله إلى الموصل ...
 ١٦٦ ذكر قتل ابن رائق وولاية ابن حمدان إمرة الأمراء ...
 ١٦٧ ذكر عود المتقى لله إلى بغداد وهرب البريدى عنها ...
 ١٦٨ ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدى ...
 ١٦٨ ذكر ما اتفق ل سيف الدولة بواسط ورجوع ناصر الدولة إلى الموصل ...
 ١٧٠ ذكر حال الأتراك بعد إصعاد سيف الدولة من واسط ...
 ١٧٠ ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد وهربه منها ...
 ١٧١ ذكر إمارة توزون ...
 ١٧١ ذكر الوحشة بين السقى وتوزون ...
 ١٧٣ ذكر مسير المتقى لله إلى الموصل ...
 ١٧٤ ذكر قتل أبى يوسف البريدى ...
 ١٧٥ ذكر وفاة أبى عبد الله البريدى ومن قام بعده بالأمر ...
 ١٧٦ ذكر ما كان من أمر المتقى لله إلى أن خلع وسل ...
 ١٧٩ ذكر خلافة المستكن بالله ...
 ١٨٢ ذكر وفاة توزون وإمارة ابن شيرزاد ...
 ١٨٣ ذكر استيلاء من الدولة بن بويه على بغداد ...
 ١٨٤ ذكر خلع المستكن بالله وسله ...
 ١٨٥ ذكر خلافة المطيع لله ...
 ١٨٩ ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود ...
 ١٩٠ ذكر ظهور المستجير بالله ...
 ١٩٠ ذكر حيان الحبة والقلم والقرحة بغداد

- ١٩١ ذكر استيلاء الروم على عين زربة وما حولها من الحصون
- ١٩٢ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس^١
- ١٩٥ ذكر البيعة لمحمد بن المستكنف وما كان من أمره
- ١٩٦ ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة
- ١٩٧ ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية
- ١٩٨ ذكر ملك الروم ملازكرد
- ١٩٨ ذكر مقتل ملك الروم نفقور
- ٢٠٠ ذكر الفتنة ببغداد ومصادرة الخليفة المطيع لله
- ٢٠١ ذكر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة وخلافة ابنه الطائع لله
- ٢٠٢ ذكر خلافة الطائع لله
- ٢٠٢ ذكر الحوادث في أيام خلافته
- ٢٠٤ ذكر القبض على الطائع وشيء من أخباره
- ٢٠٦ ذكر خلافة القادر بالله
- ٢٠٩ ذكر تسليم الطائع لله إلى القادر وما فعله معه
- ٢١٢ ذكر البيعة لول المهد
- ٢١٣ ذكر الفتنة بمكة
- ٢١٥ ذكر البيعة لول المهد
- ٢١٦ ذكر ملك الروم مدينة الرها
- ٢١٧ ذكر وفاة القادر بالله وشيء من أخباره وسيرته
- ٢١٩ ذكر خلافة القائم بأمر الله
- ٢٢٠ ذكر الحوادث في أيام القائم
- ٢٢٢ ذكر أخبار أبي الحارث أرسلان البساسيري
- ذكر استيلاء أبي الحارث البساسيري على العراق وخروج الخليفة القائم بأمر الله من بغداد
- ٢٢٦ وانطبة للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر وقطع الدعوة العباسية
- ٢٢٩ ذكر مقتل رئيس الرؤساء وعميد العراق
- ٢٣٢ ذكر عود الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد وخروج البساسيري منها وقتله
- ٢٣٩ ذكر غرق بغداد
- ٢٤٠ ذكر وفاة القائم بأمر الله وشيء من سيرته
- ٢٤٢ ذكر خلافة المقتدى بأمر الله
- ٢٤٣ ذكر الحوادث في أيام المقتدى
- ٢٤٦ ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة
- ٢٤٦ ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق برسالة الخليفة إلى السلطان ملكشاه

- ٢٤٧ ذكر هزل عميد الدولة عن الوزارة ومسير والده إلى ديار بكر
- ٢٥٢ ذكر وفاة المقتدى بأمر الله وشيء من أخباره
- ٢٥٣ ذكر خلافة المستظهر بالله
- ٢٥٤ ذكر الحوادث في أيام المستظهر بالله
- ٢٦٠ ذكر وفاة المستظهر بالله وشيء من أخباره وسيرته
- ٢٦١ ذكر خلافة المسترشد بالله
- ٢٦٢ ذكر ظهور قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٢٦٥ ذكر مسير المسترشد بالله لحرب ديبس بن صدقة
- ٢٦٧ ذكر الاختلاف الواقع بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان محمود
- ١٧١ ذكر حصار الخليفة المسترشد بالله الموصل
- ٢٧٢ ذكر مسير المسترشد بالله لحرب السلطان مسمود بن محمد وأسرته
- ٢٧٦ ذكر مقتل المسترشد بالله
- ٢٧٧ ذكر خلافة الراشد بالله
- ٢٧٨ ذكر الحرب بين عسكر الخليفة الراشد بالله وعسكر السلطان مسمود
- ٢٧٩ ذكر مسير الراشد بالله إلى الموصل وخلعه
- ٢٨٢ ذكر خلافة المقتدى لأمر الله
- ذكر تفويض أمور الدولة والوزارة إلى الوزير عون الدين بن هبيرة وما أقطعه الخليفة
- ٢٨٧ من الأقطاعات
- ٢٨٨ ذكر حصر تكريت وعود عسكر الخليفة عنها وأسراين الوزير
- ٢٨٩ ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا
- ٢٩٣ ذكر وفاة المقتدى لأمر الله وشيء من أخباره
- ٢٩٤ ذكر خلافة المستنجد بالله
- ٢٩٧ ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكي
- ٢٩٧ ذكر إجلاء بني أسد من العراق
- ٢٩٩ ذكر وفاة المستنجد بالله وشيء من أخباره وسيرته
- ٣٠٠ ذكر خلافة المستضيء بأمر الله
- ٣٠١ ذكر مقتل الوزير أبي جعفر بن محمد المعروف بابن البلدي
- ٣٠٣ ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد وعود عضد الدين إلى الوزارة
- ٣٠٦ ذكر مقتل الوزير عضد الدولة وولاية ظهير الدين بن العطار
- ٣٠٧ ذكر فتنة بغداد وهدم بيعة اليهود
- ٣٠٨ ذكر وفاة المستضيء بأمر الله
- ٣٠٨ ذكر خلافة الناصر لدين الله
- ٣٠٩ ذكر القيص علي بن العطار وموته

- ٣١٠ ذكر انهزام عسكر الخليفة من طغرل ..
- ٣١٢ ذكر ملك الخليفة خوزستان
- ٣١٣ ذكر ملك الوزير همذان وغيرها من بلاد العجم
- ٣١٤ ذكر ملك عسكر الخليفة إصفهان
- ٣١٧ ذكر وفاة الناصر لدين الله وشيء من أخباره وسيرته
- ٣١٨ ذكر خلافة الظاهر بأمر الله
- ٣٢١ ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٢ ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٣ ذكر مقتل المستنصر بالله وانقراض الدولة العباسية واستيلاء هولاءكو على بغداد
- ٣٢٥ جامع أخبار خلفاء الدولة العباسية ومن ولي منهم ومدة خلافتهم
- ٣٢٧ ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٢٩ ذكر مسير الخلفية المستنصر بالله إلى بلاد الشرق وقتله
- ٣٣١ ذكر خلافة الحاكم بأمر الله
- ٣٣٢ ذكر خلافة المستنصر بالله
- ٣٣٤ الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الدولة الأموية ببلاد الأندلس
- ٣٣٩ ذكر مقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري
- ٣٤١ ذكر خروج العلاء وقتله
- ٣٤١ ذكر خروج سعيد اليمصبي المعروف بالمطري وقتله
- ٣٤٣ ذكر أخبار شقنا بن عبد الواحد وخروجه بالأندلس
- ٣٤٥ ذكر عصيان أهل إشبيلية على الأمير عبد الرحمن
- ٣٤٦ ذكر عبور الصقلي إلى الأندلس وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٣٤٩ ذكر مخالفة أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري
- ٣٥٠ ذكر وفاة عبد الرحمن وصفته وشيء من أخباره وسيرته
- ٣٥٢ ذكر إمارة هشام
- ٣٥٣ ذكر خروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام
- ٣٥٤ ذكر خروج جماعة آخر على الأمير هشام
- ٣٥٦ ذكر غزو الفرنج
- ٣٥٧ ذكر فتنة تاكرنا
- ٣٥٨ ذكر وفاة هشام بن عبد الرحمن وشيء من أخباره وسيرته
- ٣٥٧ ذكر إمارة الحكم من هشام الملقب بالمرتضى
- ٣٥٩ ذكر غزو الفرنج
- ٣٦١ ذكر خلاف بهلول بن مرزوق وغيره

- ٣٦٢ ... ذكر مسير سليمان بن عبد الرحمن لقتال ابن أخيه الحكم وقتل سليمان
- ٣٦٢ ... ذكر استيلاء الفرنج على برثلوثه
- ٣٦٣ ... ذكر الاتفاق بين الحكم وبين عمه عبد الله البنس
- ٣٦٣ ... ذكر استيلاء الفرنج على مدينة تطيلة
- ٣٦٤ ... ذكر إيقاع الحكم بأهل قرطبة
- ٣٦٥ ... ذكر إيقاع الحكم بأهل طليطلة وهي وقعة الحفرة
- ٣٦٧ ... ذكر عصيان أهل ماردة على الحكم وما فعله بأهل قرطبة
- ٣٦٨ ... ذكر غزو الفرنج
- ٣٦٩ ... ذكر عصيان حزم على الحكم
- ٣٦٩ ... ذكر عودة أهل ماردة إلى المصيان وغزو الحكم بلاد الفرنج
- ٣٧٠ ... ذكر وقعة الربيض بقرطبة
- ٣٧٣ ... ذكر غزو الفرنج
- ٣٧٣ ... ذكر غزو البربر بناحية مورور
- ٣٧٤ ... ذكر وفاة الحكم
- ٣٧٥ ... ذكر إمارة عبد الرحمن بن الحكم
- ٣٧٥ ... ذكر إيقاع عبد الرحمن بأهل البيرة وجندتها
- ٣٧٩ ... ذكر محاصرة طليطلة وفتحها
- ٣٨٢ ... ذكر الحرب بين موسى بن موسى والحارث بن بزيغ وما كان من أمره
- ٣٨٢ ... ذكر خروج المشركين إلى بلاد الإسلام بالأندلس
- ٣٨٦ ... ذكر وفاة عبد الرحمن وشيء من أخباره
- ٨٨٧ ... ذكر إمارة محمد بن عبد الرحمن المنموت بالأمين
- ٣٨٧ ... ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج
- ٣٨٨ ... ذكر خروج المجوس إلى بلاد الإسلام بالأندلس
- ٣٩٢ ... ذكر وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن
- ٣٩٣ ... ذكر إمارة المنذر بن محمد
- ٣٩٤ ... ذكر إمارة عبد الله بن محمد
- ٣٩٦ ... ذكر إمارة عبد الرحمن بن محمد
- ٣٩٩ ... ذكر إمارة الحكم المستنصر بالله
- ٤٠٢ ... ذكر إمارة هشام المؤيد بالله
- ٤٠٣ ... ذكر أخبار المنصور محمد بن أبي عامر
- ٤٠٦ ... ذكر المظفر أبي مروان عبد الملك
- ٤١٠ ... ذكر إمارة محمد المهدي

- ٤١٤ ذكر أخبار شنشول ومقتله ..
- ٤١٩ ذكر قيام هشام بن سليمان على محمد وما كان من أمره إلى أن قتل
- ٤١٩ ذكر قيام سليمان بن الحكم المستعين بالله
- ٤٢٤ ذكر دولة المهدي محمد الثانية
- ٤٢٦ ذكر دولة المؤيد هشام الثانية ..
- ٤٢٩ ذكر دولة المستعين بالله الثانية ..
- ٤٣١ ذكر إمارة الناصر على بن حمود ..
- ٤٣٢ ذكر ولاية المأمون القاسم بن حمود بن ميمون الفاطمي
- ٤٣٤ ذكر ولاية المعتلى يحيى بن على
- ٤٣٥ ذكر عود الدولة الأموية بمدينة قرطبة ومن ولي منهم
- ٤٣٥ (أ) ذكر إمارة المستظهر بالله
- ٤٣٥ (ب) ذكر إمارة المستكن بالله
- ٤٣٦ (ج) ذكر ولاية المعتمد على الله
- ٤٣٩ ذكر أخبار الأندلس ومن ملكها بعد انقطاع الدعوة الأموية
- ٤٤٠ ذكر ولاية أبي الوليد محمد بن جمهور
- ٤٤٠ ذكر أخبار مدينة طليطلة
- ٤٤١ ذكر ولاية المأمون يحيى بن إسماعيل
- ذكر أخبار دولة بنى عباد
- ذكر أخبار خلف الحصرى المشبه بالمؤيد هشام وقيام دعوته بمملكة محمد بن إسماعيل ،
- ٤٤٥ وما قيل في ذلك ..
- ٤٤٨ ذكر ولاية أبي عمرو عباد بن محمد
- ٤٥٢ ذكر ولاية المعتمد على الله محمد بن عباد
- ٤٥٥ ذكر وقعة الزلاقة وأنهزام الفرنج لعنهم الله
- ٤٥٩ ذكر إنقراض الدولة العبادية وشيء من أخبار المعتمد وشعره -
- ٤٦٥ ذكر ممالك الأندلس الأخرى
- ٤٧١ ثبت بأصنام المراجع العربية المذكورة في المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨١/٣٨٥٢

ISBN ٩٧٧ ٧٣٤٠ ١٩ ٢